المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الكــــونفــــوشيــــوســـــية

دراسة تحليلية نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالمية الدكتوراه

إعداد الطالب

ناصر بن فلاح بن ناصر الشهراني

الرقم الجامعي: (٤٢٢٧٠٠٤٨)

إشراف

فضيلة الشيخ الدكتور: محمد عمر محمد حسن

الأستاذ بقسم العقيدة في جامعة أم القرى

١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

هذه الرسالة عبارة عن أطروحة قدمها الطالب / ناصر فلاح ناصر الشهراني - سعودي الجنسية – لنيل درجة الدكتواره من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

عنوانها : الكونفوشيوسية دراسة تحليلية في ضوء العقيدة الإسلامية .

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على حقيقة الديانة الكونفوشوسية بكل ملامحها ومعتقداتها وأفكارها ومظاهر العودة إليها في الصين ، ومعرفة موقفها من الإسلام والمسلمين وما ينبغي لهم أن يقوموا به تجاه ذلك ،خصوصاً مع ظهور الصين على المستوى العالمي هذه الأيام .

وقد اشتلمت خطة البحث على : مقدمة وأربعة أبواب ، وخاتمة .

وفهارس تقرب محتويات البحث .

- فالمقدمة تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، وخطته التفصيلية .

- والباب الأول الحالة الدينية والاجتماعية والسياسية في الصين إلى ظهور كونفوشيوس .

- والباب الثاني نشأة الكونفوشوسية ، وتطورها وتأثيرها في الحياة الدينية في الصين .

- والباب الثالث معتقدات الكونفوشوسية وأفكارها .

- والباب الرابع الكونفوشيوسية والإسلام .

وكانت أهم نتائج البحث : أن الكونفوشوسية أحدى الديانات الصينية القديمة ، وليست فلسفة أخلاقية كما أشيع عنها مؤخراً ، وهي تجدد نفسها اليوم بإسم (الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة) . أن هناك قصور واضح في العالم الإسلامي والعربي في دراسة الحضارة الصينية وأديانها وفلسفاتها والتي تعد من أعرق وأضخم الحضارات القديمة . أن الإسلام هو الدين الحق ورسالته عالمية وهو رحمة إلهية وفيه تنظيم للحياة في جميع جوانبها وهو الدين الذي ختم ا به الأديان ولا يقبل ا من أحد سواه .

وأما أهم التوصيات : فإن الباحث أوصى بإنشاء مركز للدراسات الصينية يتبع لإحدى الجامعات السعودية ، كما أوصى بالاهتمام بدراسة الفلسفات والأديان في الصين وإثراء المكتبة العربية في هذا المجال ، والاهتمام بأحوال المسلمين في الصين لما عانوه في السابق من تغريب ولما يعانون الآن من جهل وبعد عن الإسلام . وكذلك الاهتمام ببيان الإسلام لأهل الصين ليدخلوا في دين ا .

Summery of Treatise

The treatise is a concept introduced from student / Nasser Felah Nasser Al-Shehrany Saudi national to obtain doctorate degree from belief section in college of Dawah and theology in Um Al.Qura university at Makkah Al-Mukarama

Title: as an analytical study in the light of Islamic beliefs the study aims at revealing the fait of Confucian religion along with its features , beliefs, ideas and evidence of returning to it in china, knowing its situation in Islam and Muslims and what they must do towards it especially with china prominence internationally nowadays.

Research plan includes: introduction, four chapters and conclusion.

Index to show research content

Introduction includes the importance of topic and reasons to choose it, research curriculum and its details plan.

- First chapter the political, social and religions condition in china in confashiosla display.
- Second chapter- the origin of Confucian its development and effects in china.
- Third chapter Confucian beliefs and ideas.
- Fourth chapter: Confucian and Islam.

The most important results in research: Confucian is one of Chinese ancient religions not amoral philosophy ant it is renewed itself today in the name of (contemporary upgraded Confucian)

There is a clear shortage in the Islamic and Arabic world in studying Chinese civilization, its religions, and philosophy as one of the most ancient and huge civilization, Islam is the true religion, its message is international, it is a heaven mercy and discipline for life in all its sides and it is last religion that Allah won't accept other ones.

Recommendation: researcher has called to set up a center for Chinese studies under one of the Saudi universities and also consider the philosophies and religions in china and enrich studying the Arabian library in this field and also Muslims affairs in china for what they suffered in the past from wet life, ignorance and very far from Islam with care for showing Islam for chinese to believe in it.

مقدمة

إن الحمد ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ با من شرور أنفسنا ومـن سـيئات أعمالنا ، من يهده ا فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هـادي لـه ، وأشـهد أن لا إلـه إلا ا وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبـده ورسـوله . ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

أمابعد:

فإن ا بعث نبيه محمداً ﷺ أفضل رسله ، وأنزل عليه اكمل كتبه ، علـى حـين فترة من الرسل ، ودروس من الكتب ، وطموس من السبل ،وأهل الأرض في جاهلية جهلاء ، لا يعرفون من الحق رسماً ، ولا يقيمون له حكماً ، فهم ما بين عابد للأوثـان ، أو عابـد للنيران ، أو عابد للصلبان ، قد استهواه الشيطان وسد عليه طريق الهدى والإيمـان . قـد ((نظر ا إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقـال: إنمـا بعثتك لأبتليك وابتلي بك))[4].

فجاء رسول ا ﷺ والناس احوج إلى رسالته من الأرض الميتة إلى غيـث الـسماء ، ليغيث ا به القلوب ، ويخرجها من الضلمات إلى النور .

---

(1) سورة آل عمران : آية رقم / ١٠٢ .

(2) سورة النساء : آية رقم /١ .

(3) سورة الأحزاب : الآيتان رقم / ٧٠ ، ٧١ .

(4) جزء من حديث يرويه عياض بن حمار المجاشعي رضي ا عنه ، اخرجه مسلم في كتاب الجنة وصـفة نعيمهـا واهلها ح (٢٨٦٥) (٢١٩٧/٤) .

فقام فيهم ﷺ مبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى ا بإذنه وسراجاً منيرا ، حتى تـرك أمتـه علـى المحجة البيضاء والطريق الواضحة الغراء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فجزاه ا عنا خير ما جزى نبياً عن أمته .

ثم إن من الديانات الوضعية المعاصرة (الكونفوشيوسية) التي سادت كل الديانات السابقة والمعاصرة في الصين وأصبحت مرادفةً لكلمة [صيني] على حد قول د/ فؤاد محمد شبل " ليست الكونفوشيوسية مجرد معتقد يقر به المرء أو يلفظه ، فهي قد غدت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع ، وقسماً ملتصقاً بفكر الأمة كمجموعة ، بل لقد أضحت المعنى المقصود من كلمة [صيني] وليست المصنفات الكونفوشيوسية مجرد شريعة طائفة معينة وسننها،لكنها التراث الفكري للشعب بأسره"[١]. إذ الكونفوشيوسية تعتبر أم الديانات الصينية وأكثرها انتشاراً حيث تمثل العمق الديني داخل كيان الفرد الصيني بل والأمة الصينية .

فالمزج بين الفلسفة الخلقية والتعاليم الدينية واضح في التعاليم الكونفوشيوسية التي صاغ مشروعها كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد، ولكنها ليست من ابتكاره بقدر ما هي صياغة لما كان يسود الصين من فلسفات وأفكار ، لهذا التزمها أهل الصين ولا يزالون على مدى خمسة وعشرين قرناً ، وبات يصعب الحديث عن الصين دون الكونفوشيوسية .

وقد سيطرت الكونفوشيوسية سيطرة شاملة على ما يسود في بلاد الصين من سياسة وفكر وثقافة وقيم وطقوس بشكل لم يتحقق مثيله لأي مذهب آخر من المذاهب المماثلة . وكانت مبادئ الكونفوشيوسية أساس التعليم والتشريع ومادة امتحان لدخول الوظائف العامة إلى حين قيام الشيوعية في الصين ، حيث حاول ماوتسي تونغ ومن معه وقف سلطان الكونفوشيوسية ، ولكن ذلك لم يعطل كلياً فكراً ترسخ في مجتمع الصين وحضارة هذا البلد مئات السنين ، وهي دين مئات الملايين في الصين الذين يقاربون خمس سكان المعمورة .

ثم ما لبثت الكونفوشيوسية أن تغلبت على النزعة الشيوعية وانتصرت عليها، كما استطاعت أن تصهر البوذية في القالب الكونفوشيوسي الصيني . ويرى دعاة العولمة

---

[١] حكمة الصين - د / فؤاد محمد شبل - ج١- ص ٦٣ .

هذه الأيام أنه إذا اتحدت الكونفوشيوسية مع الإسلام شكلا سداً منعياً ضد هيمنة سياسة العولمة بقيادة منفردة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .

لما رأيت هذا ورأيت أن من واجبي كواحد من أبناء الأمة الإسلامية التي ناط ا بهم نشر دين الإسلام وبيان زيف وخطأ الديانات الوضعية -التي زينها الشيطان لكثير من الأمم التي انحرفت عن المنهج الحق وانساقت وراء شهواتها سائرةً على غير هدى ا فضلت الطريق وأضلت عن سواء السبيل- عقدت العزم على اختيار [الكونفوشيوسية] موضوعاً لرسالة الدكتوراه حتى أبين ملامحها ومعتقداتها وأفكارها وأظهر ما فيها من انحرافات مخالفة للعقيدة الصحيحة والفطرة السليمة وأعرف بأثرها على الإسلام والمسلمين وما ينبغي لهم أن يقوموا به تجاه ذلك خاصةً في مثل هذه الظروف التي يعيشها العالم في الوقت الحاضر من خواء روحي وانهيار أخلاقي ، مما يدفعه للبحث عن بعض ما يوجد لدى الكونفوشيوسية من تعاليم وأخلاق يظن أنها قد تحل بعض ما لديه من إشكاليات .

ولقد بدا من الملاحظ ظهور بعض ملامح عودة الكونفوشيوسية والاهتمام بها ليس في الصين فحسب بل في أماكن متفرقة من العالم ، كما يلاحظ اهتمام كثير من دول العالم بالثقافة الصينية خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي وقعت في أمريكا، وسارعت كثير من الدول لعقد المعاهدات والصفقات معها كما يلاحظ الاهتمام الإعلامي البارز بمستقبل الصين (وأنها القوة الكبرى التي ستسود العالم) كما ورد في صحيفة عكاظ العدد ١٣٢١٥ يوم الجمعة ١٤٢٣/٨/٢٦هـ في لقاء مع شخصية بارزة ووزير سابق في المملكة العربية السعودية .

ويعترف الباحث أن الموضوع من الصعوبة بمكان وخوض غماره ليس بالسهل ولكن لما رأيت أهميته خاصة فيما يتعلق بعقيدة المسلمين وحاجة الأمة لدراسة مثل هذه الديانة وبيان خطرها ، عقدت العزم بعد توفيق ا على المضي فيه ، وبذل قصارى الجهد ، راجياً العون والتسديد من ا تعالى ، ثم لا أنسى دعم ومؤازرة أساتذتي الفضلاء في قسم العقيدة الذين شجعوني على الإقدام ، لما رأوا حيرتي وترددي لا لشيء ولكن لما لاحظت من عدم وجود مراجع كافية للموضوع باللغة العربية ، ولصعوبة نطق الصينية فضلاً عن تعلمها أو ترجمتها إلى العربية ، وللقصور الواضح من علماء العرب والمسلمين في دراسة وترجمة كتب التراث الصيني ، ولبعد المسافة بيننا وبين الصين ، كل

هذا وغيره جعلني افكر طويلاً هل سأستطيع خوض غمار هذا الموضوع وإخراجه على الوجه المطلوب ، ولا أذيع سراً إذا قلت إنني ترددت حتى بعد أن وافق مجلس القسم الموقر على الخطة ، لأنني إلى وقتها لم أكن قد وجدت من المراجع ما يطمئنني ، فألححت في دعائي لربي ، بين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات ، وفي الملتزم ، وعند شرب ماء زمزم ، وفي الثلث الأخير ، فأذن ا بالفرج ، وهيأ ا لي من السبل ما أعانني على الاقدام ، فارتاحت نفسي واطمأن فؤادي ، فانطلقت أجمع من هنا وهناك شتات هذا الموضوع ، من المكتبات في الجامعات والمراكز ودور النشر ، ثم سافرت إلى مصر عدت مرات أبحث في مكتباتها وفي المعرض الدولي للكتاب ، وراسلت بعض الجامعات والمكتبات ودور النشر في سوريا وباكستان ، ومع ذلك كله لم اجد كل ما ابحث عنه ، فعزمت على الذهاب إلى الصين وقمت – بعد توفيق ا – برحلة علمية إلى بلاد الصين _ على حسابي الخاص _ أتجول في وسط الصين وشرقها وغربها وشمالها أبحث عن كل ما يفيد في مجال موضوعي ، فزرت الجامعات والمراكز والمعابد ، والأماكن التي يجتمع فيها الكونفوشيوسيون وكذا أماكن المسلمين ، وا وحده يعلم ما مر بي من صعوبات في هذه الرحلة لايتسع المجال لذكرها،لكني و الحمد أستفدت فائدة عظيمة ،وانفتحت لي آفاق جديدة ، ونظرت إلى واقع حال إخواننا المسلمين في الصين فتألمت كثيراً لتقصيرنا في حقهم ، ونظرت إلى حال بقية اهل الصين وما يعانونه هذه الأيام من خواء روحي واضطراب نفسي فأحسست بالتقصير الكبير من قبل المسلمين في نشر ما حباهم ا من هذه النعمة العظيمة ، نعمة الإسلام ، وإخراج هؤلاء وأمثالهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق وبؤس ما يعانونه هذه الأيام في هذه الدنيا إلى سعة الآخرة. فكانت رحلة موفقة ، وعدت منها بفوائد جمه ، في مجال البحث وغيره ، فأحمد ا جل وعلا وله الفضل أولاً وآخر .

منهج البحث :

لم يكن منهجي في البحث قاصراً على منهج بعينه حيث اقتضت طبيعة البحث أن أتبع عدة مناهج . من أهمها المنهج التاريخي ، المنهج التحليلي ، المنهج النقدي وأحياناً المنهج المقارن . ففيما يتعلق بتاريخ الكونفوشيوسية والكلام عن أبرز شخصياتها أتبعت غالباً المنهج التاريخي ، وعندما تكلمت عن العقائد اتبعت المنهج التحليلي والنقدي والمقارن احياناً وعندما عرضت لموقف الإسلام من الكونفوشيوسية كان المنهج

النقدي وهو المتبع غالباً والمنهج التاريخي احياناً ، كما انني قد ألتزمت منهج البحث العلمي أثناء كتابة البحث وكنت أنقل المعلومات من مصادرها الأصلية وأحيل إلى ذلك في الهامش وإن كان هناك تصرف مني في النص أشرت إلى ذلك . وعند كتابة المصدر اتبعت طريقة رجحتها وهي أني أكتب اسم الكتاب أولاً ثم اسم المؤلف ورقم الجزء إن وجد ثم رقم الصفحة ، كما عزوت الآيات إلى موضعها في الكتاب العزيز وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية ، وعزوت الأحاديث والآثار الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية فإن كان الخبر في الصحيحين أو أحدهما فإنني أكتفي بعزوه إلى موضعه فيهما فإن لم يكن الخبر في الصحيحين أو في أحدهما فإنني أكتفي بعزوه إلى موضعه في بقية الكتب الستة . كما ذكرت ترجمة موجزة للأعلام غير المشهورين الذين ورد ذكرهم في البحث كما عرفت ببعض الأديان والمذاهب والمصطلحات حسب ما توفر لي من مراجع [1] وقد وضعت فهارس في آخر البحث تساعد القارئ على الوصول إلى محتوياته .

خطة البحث التفصيلية : جاء البحث في مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة

المقدمة: وفيها الكلام عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث

الباب الأول: الحالة الدينية والاجتماعية والسياسية في الصين إلى ظهور الكونفوشيوسية . وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الحالة الدينية

الفصل الثاني : الحالة الاجتماعية

الفصل الثالث : الحالة السياسية

---

[1] ومع ذلك سيجد القاريء كثيراً من المصطلحات التي ينبغي على الباحث أن يعرف بها ، وكثيراً من الأعلام والأماكن التي ينبغي عليه أن يترجم لها ، لكن تعذر هذا بالنسبة لي حيث لم أجد فيما اطلعت عليه تعريفاً لتلك المصطلحات التي تركت . أو ترجمة لما تركته من أعلام أو أماكن أو غيرها مما يستحق الترجمة له .

الباب الثاني : نشأة الكونفوشيوسية . وفيه ثلاثة فصول أيضا :

الفصل الأول : ظهور كونفوشيوس

الفصل الثاني : أبرز الشخصيات بعد كونفوشيوس

الفصل الثالث: تطورالكونفوشيوسية وافتراقها وتأثيرها في الحياة الدينية في الصين

الباب الثالث : معتقدات الكونفوشيوسية وأفكارها . وجعلته في خمسة فصول :

الفصل الأول : كتب الكونفوشيوسية

الفصل الثاني : المعتقدات : ومنها عقيدتهم في

أ- الإله ب- النبوة **ج–** القضاء والقدر د- بعض الأمور الغيبية الأخرى

الفصل الثالث : الأفكار الكونفوشيوسية: ومنها

أ-الأخلاق ب- فكرة العناصر الخمسة ج- المدينة الفاضلة

الفصل الرابع : الجذور العقدية والفكرية لمعتقدات الكونفوشيوسية وأفكارها

الفصل الخامس: حاضر الكونفوشيوسية

الباب الرابع : الكونفوشيوسية والإسلام . وقسمته إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أفكار الكونفوشيوسية ومعتقداتها في ميزان الإسلام

الفصل الثاني: موقف الكونفوشيوسية من الإسلام والمسلمين

الفصل الثالث:موقف المسلمين الصينيين من الديانة الكونفوشيوسية

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث ، وتوصيات الباحث .

وقد ذيلت البحث بفهارس وملاحق توثيقية

الفهارس: وتشمل: فهارس(الآيات ، والأحاديث ،والمصادر والمراجع ،والمحتويات)

شكر وتقدير:

أحمد ربي حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وجمال صفاته ، واشكره تعالى على جزيل نعمه ، وتواتر فضله ، الذي من علـي بإتمـام هـذا البحث وإكماله على هذا النحو .

احمده والتوفيق للحمد من نعمه ، وأشكره والشكر كفيل بالمزيد من فـضله وكرمـه ، وأستغفره واتوب إليه من الذنوب التي توجب زوال نعمه وحلول نقمه ، ثم اتقدم بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى ، ممثلة في كلية الدعوة واصول الدين بخاصة وقسم العقيدة فيها الذي يسر لي بعد ا إكمال هذه المرحلة في السنة المنهجية ، واثناء كتابة البحث .

وأخص بالشكر الجزيل والامتنان الصادق شيخي الجليل واسـتاذي الفاضـل فـضيلة الـشيخ الدكتور: عبد ا بن عمر الدميجي عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة ام القرى ، حيث كان بعد ا سبباً في قبولي لإكمال مرحلة الدكتوراه فـي هـذه الجامعـة ، وغمرني بلطفه ودماثة خلقه ، وشجعني على المضي في هـذا الموضـوع عنـدما لاحظ ترددي ، وحثني على السفر لطلب العلم ، وكان يتابع سير هذا البحث بإهتمام بالغ ، وكنت ألحظ ذلك منه ، فجزاه ا عني خير الجزاء ، واسـأل ا ان يبـارك فـي علمـه وعمله وعمره وولده ، كما اخص بالشكر الجزيل شيخي الجليل واستاذي الفاضل فـضيلة الشيخ: أ.د.محمد عمر محمد حسن الأستاذ بقسم العقيدة في جامعة ام القرى ، الـذي كان بالنسبة لي أباً مربياً قبل أن يكون شيخاً معلما ، فلم تكن استفادتي من حـسن خلقـه بأقل من استفادتي من بحر علمه ، فكم وجه ونصح وصبر وصحح ، فجـزاه ا عنـي وعن طلاب العلم خير الجزاء .

ثم أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخ أ . د . سعود بن عبد العزيز الخلف وفضيلة الشيخ أ.د. أحمد السيد رمضان ، على قبولهما مناقشة هذه الرسالة وتقييمها على ضيق وقتهما وكثرة مشاغلهما،فجزاهما ا عني خير الجزاء واوفاه

كما اتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لي مساعدة اثناء إعداد هذا البحث بكتـاب أو معلومة أو مشورة او دعاء .

واخص في هذا المقام سعادة سفير خادم الحرمين الشريفين في بكين سـابقاً د/ محمد بن عبد الرحمن البشر ، والأستاذ الفاضل / محمد بن ناصر الواهبي المتخـصص فـي اللغة الصينية والملحق بسفارة خادم الحرمين في بكين ، والأستاذ/ أحمـد بـن عثمـان

الغامدي مدير المدرسة السعودية في بكين ، والدكتور/ عبد العزيز حمدي عبد العزيز رئيس قسم اللغة الصينية في كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر ، والأخوين الفاضلين إبراهيم الخثلان وعبد ا الطلحي عضوي البعثة السعودية في الصين ، والشيخ / بهاء الدين بن سليمان (مؤسس وشيخ معهد الدراسات الإسلامية في لنشيا) والشيخ / إبراهيم مو منغ ، والشيخ / عبد العزيز يانق وي والشيخ / أحمد عبد ا الصيني ، والشيخ / يحيى بن صالح (إمام الجامع الكبير في شي آن) والأخت عائشة وجوان ، وأخي محمد داوود وعائلته الكريمة ، والسيد وان (مدير المركز الإسلامي في تشي فو) والصديق الدكتور/ أمين (نائب رئيس قسم اللغة العربية في كلية اللغات جامعة بكين) . كما أخص والدي بشكر خاص فقد كان له الفضل بعد ا فيما وصلت إليه فكم أعطى ودعم وبذل وضحى ، فاسأل ا أن يمتعه بالصحة والعافية وأن يطيل عمره على طاعته ، كما لا أنسى والدتي الحنون التي اشعر بآثار دعائها في حياتي كلها، ولا انسى موقفها عندما جمعت لي مبلغاً من المال لتعطيني إياه قبيل سفري إلى الصين ، كما لا أنسى إخوتي واخواتي وزوجتي وأبنائي الذين دعموني في جميع مراحل دراستي وتحملوا طول غيابي وتقصيري عندهم ، فللجميع شكري وتقديري بعد دعائي .

واخيراً فإن هذا جهد المقل ، فما كان فيه من صواب وتوفيق فمرده إلى ا وحده ، وما كان فيه من خطأ وزلل ، فمني ومن الشيطان ، وعذري فيما أخطأت ، أني لم أتعمده ، وفيما قصرت أني بذلت الوسع والمستطاع ، وما توفيقي إلا با عليه توكلت وإليه أنيب ، إنه حسبي ونعم الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين .

الباب الأول

الحالة الدينية والاجتماعية والسياسية في الصين إلى ظهور الكونفوشيوسية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الحالة الدينية

الفصل الثاني: الحالة الاجتماعية

الفصل الثالث: الحالة السياسية

الفصل الأول

الحالة الدينية

أولاً : بدء الخليقة

ثانيا: عقيدة إتحاد المخلوقات

ثالثا: عبادة قوى الطبيعة

رابعا: عبادة السماء

خامسا: عبادة الأسلاف

سادساً : تأليه الملوك والعظماء

سابعاً: عقيدة العامة وعقيدة الخاصة

ثامناً: الأحداث الكونية تتبع الأخلاق

تاسعاً: عقيدة الخلود

عاشراً: عالم العرافة والتنبؤ بالغيب (التنجيم والكهانة)

الحادي عشر: تقديم الأضاحي للآلهة

الثاني عشر: هل كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر

الثالث عشر: هل حظيت الصين برسالة سماوية

الرابع عشر: (دين أهل الصين قبيل كونفوشيوس)

تمهيد:

من الحقائق الثابتة أن بني آدم انتشروا في الأرض وتفرقـوا إلـى أمـم وقبائـل . ومنهم من ترقى إلى مستوى رفيع من الحضارة والثقافة ومنهم من دون ذلك ولكن التاريخ البشري يشهد أن ظاهرة واحدة كانت تعم جميع البشر من غير تقيد بمدارج الرقي ودركات الهمجية وهي أن نزعة التدين من صميم الفطرة الإنسانية حيث تعتضد بها أرواح الناس وتعتمد عليها نفوسهم .

وقد أثبتت الدراسة الحديثة أنه ما من أمة من الأمم في مشارق الأرض و مغاربهـا قديماً وحديثاً إلا وقد وجدت فيها العقائد الدينية . . . وأننا لا نبالغ إذا قلنا أن الإنسان لـم يخل يوما من التدين منذ أن خلقه ا على وجه الأرض بصرف النظر عن صحة عقيدته أو بطلانها ، وفي هذا يقول العلماء أن فكرة التدين في جوهرها لم تتأخر عن نشأة الإنـسان [(١)]. فظاهرة التدين ظاهرة مشتركة بين جميع الأمم والأجناس . ولاشـك أن الأمـة الـصينية كانت من أقدم الأمم ومن أرقاها حضارة وثقافة وكانت من الأمم التي صاحبتها العقائد الدينية منذ أقدم العصور[(٢)] .

بدأ التاريخ الصيني تسجيله المتصل من سنة ٨٤١ قبل الميلاد[(٣)] وهذا لا يعنـي أننـا جاهلون لما قبل ذلك ، بل نستطيع من خلال دراسة الوثائق التاريخية المنقوشة على الأحجار والعظام أن نعرف أحوال القدامى قبل أربعة آلاف سنة حيـث أن التـسجيلات المتقطعـة والمتفرقة تعطينا صورة واضحة لحياة القدماء مع دلالة ساطعة على أن الحياة الدينية كانت جزءا مهماً من حياتهم اليومية .

فمن المعلومات التي نقلت إلينا من الكتب التاريخية والآثار القديمـة – وإن كانـت غير موثقـة – أخـذنا صـورة الأحـوال الدينيـة والعقائـد عنـد القـدماء قبـل الديانـة الكونفوشيوسية ، وكذلك عما حدث من التطورات في العقائـد الـصينية منـذ العـصور القديمة إلى ما قبل ظهور الديانة الكونفوشيوسية ، وتلك المعتقدات هـي التـي تمثـل الجذور الأولى التي أدت إلى نشأة الكونفوشيوسية .

وسنعرض لهذه المعتقدات بشيء من التفصيل .

---

(١) انظـر . الـدين : البحـوث الممهـدة لتـاريخ الأديـان - د / محمـد عبـد ا دراز (دار القلـم- الكويـت ١٩٧٠) – ص ٨٢ .

(٢) عقيدة الألوهية في الديانة الداوية - أيوب نور الحق - ص ٥٠ بتصرف .

(٣) القاموس المحيط : ألفه جماعة من العلماء (مطبعة القواميس بشانغ هاي . ١٩٧٩م) ص ١٢٣٩.
عن / عقيدة الألوهية في الديانة الداوية - أيوب نور الحق – ص٥ .

أولاً : بدء الخليقة:

انشغل الفكر الصيني منذ القدم ، مثل باقي الشعوب الأخرى ، بالتساؤل عن الطبيعة وتنظيمها . وآمن الصينيون بان الظواهر الطبيعية المختلفة تتحرك وفق إرادة السماء ، وأضافوا بأن ذلك يتم حسب قوانين الـ "التاو" . ولكنهم لم يهتموا كثيراً بالبحث عن أصل الكون والإنسان والغاية من وجودهما . غير أن الأساطير الصينية ، اهتمت كل واحدة منها بقصة الخليقة بنسب مختلفة ، فروت أسطورة الخليقة كيف أن الإله "بان قو" ظل يعمل على فصل السماء عن الأرض بصبر وأناة، مدة ثمانية عشر ألف سنة . ووصفت كيف أنه بعد انتهائه من هذه العمل الجبار ، بدأ يستسلم للموت . وتتابع الأسطورة بأنه حين لفظ أنفاسه الأخيرة ، توزعت أعضاؤه لتكون كل ما في الوجود من شمس وقمر ونجوم وجبال وسهول وأنهار وأشجار ونبات(1).

وبعبارة أوضح يعتقد الصينيون أنه قبل خلق العالم ،لم يكن هناك شيء . . لا شيء على الإطلاق . . واستمر ذلك وقتا طويلا . . ثم ظهر شيء . . ومن هذا الشيء خلق ((بان كو)) أو ((بان قو)) . حيث تذكر الروايات الصينية القديمة أن الدنيا كانت عبارة عن بيضة دجاج كبيرة داخلها مظلم ونام فيها (بان قو) قبل انفصال السماء عن الأرض . وبعد ١٨ ألف عام استيقظ (بان قو) من نومه ، وشعر بضيق التنفس فاخذ فأساً وشق به البيضة ، فصعدت منها أشياء خفيفة صافية إلى الأعلى تحولت إلى السماء ، أما الأشياء العكرة الباردة فهبطت إلى الأسفل وتحولت إلى الأرض .. هكذا انفصلت السماء عن الأرض(2).

ولم يذكر تاريخ الصين كم عاش "بان كو" ولكن قيل إنه كان غاية في القوة، له رأس تنين وجسد أفعى ، وأنه استطاع أن يشكل العالم حوالي عام (٢،٢٢٩،٠٠٠ قبل الميلاد) بعد أن ظل يكدح في عمله هذا ثمانية عشر ألف عام. وعندما مات تجمعت أنفاسه فصارت ريحا وسحبا ، وأضحت أناته الأخيرة الرعد وأصبح الدم في عروقه الأنهار ، وعروقه الأمطار ، وعظامه الصخور ، وأسنانه المعادن ، وشعره

---

(1) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د/ عمر عبد الحي – ص ٥٧ بتصرف .

(2) القصص الصيني القديم – وى تانغ – ص ٧ بتصرف .

الغابات والأشجار ، ولحمه الأرض ورأسه الجبال.. وأصبحت عينه اليسرى الشمس وعينه اليمنى القمر ، أما الحشرات التي كانت تعلق بجسمه فأصبحت آدميين"[١] .

"ثم تعاقب على الأرض ملوك سماويون ، حكم كل منهم أكثر من مائة عام .. جاهدوا أشد الجهاد ليجعلوا من "قمل" "بان كو" -أي البشر- خلائق متحضرين ، بعد أن كانوا كالوحوش الضارية يلبسون الجلود ويقتاتون باللحم النيء ويعرفون أمهاتهم ولكن لا يعرفون آباءهم[٢].

ومن بين هؤلاء الملوك السماويين "فوش" الذي عاش حوالي عام ٢٨٣٨ قبل الميلاد وكانت لفوش أخت سماوية هي "نوكواشى" لها جسم ثعبان ورأس آدمي يعتبرها الصينيون منقذة هذا العالم .

فقد حدث أن رب العقاب (في اعتقادهم وتصورهم) المسمى هونج كنج قد بالغ في القسوة والطمع حتى دخل في صراع دموي مع رب الغابات حيث تغلب عليه ..ثم استمر في عدوانه حتى اصطدم بشوشنج أحد مساعدي هوانج تي الذي أصبح فيما بعد إله النار. وفي هذه المعركة الجديدة هزم رب العقاب فثار غضبه وضرب الجبل برأسه فانشق ..ولم يكد ينهار حتى تساقطت أعمدة السماء وانهدمت أركان العالم!! وهنا نهضت نوكواشي فأذابت أحجار خمسة من ألوان قوس قزح ، وأعادت إصلاح أعمدة السماء، وقطعت أقدام السلاحف لتلصق بصمغها أركان الأرض..وجمعت رماد الهدم وكدسته لتوقف به فيض الماء ..وعادت الحياة من جديد على ظهر الأرض بفضل نوكواشي منقذة العالم"[٣].

وكذلك تحدثت الأساطير الصينية عن قصة خلق الإنسان ضمن أسطورة "نيووا" حيث ذكرت كيفية صنعه البشر من تراب ، وهي تشبه بذلك أساطير الكثير من الشعوب القديمة (كشعوب بلاد ما بين النهرين) التي آمنت بصنع الآلهة للبشر من تراب . غير أن ما يميز الفكر الأسطوري الصيني عن غيره من كثير من أساطير الشعوب ، هو تركيزه الكبير على الآلهة –

---

[١] قصة الديانات د/سليمان مظهر - ص ١٨٦. للمزيد أنظر القصص الصيني القديم – وى تانغ - ص ٧-٩ .

[٢] قصة الديانات - د/ سليمان مظهر - ص ١٨٧ .

وانظر موسوعة الأديان في العالم–الديانات القديمة- دار كريبس- المشرف العام:جميل مدبك-ص٣٤-٣٥.

[٣] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د/ عمر عبد الحي – ص ٥٧ بتصرف .

السماء والأرواح ودورها في تنظيم وترتيب أعمال البشر – إذ آمن الصينيون بأن الأرواح تسكن السماء وبان هناك دائماً علاقات مستمرة بين هذه الأرواح والعالم المادي الطبيعـي الـذي يعيش فيه البشر . كما آمنوا بأن هناك علاقات لا تنقطع بين أرواح الأسلاف والأحياء من بنـي البشر .

وآمن الصينيون بأن البشر يستطيعون معرفة ما تريده الآلهـة والأرواح عـن طريـق السحرة والعرافين وهم الوسطاء بينهم وبينها. إذ اعتقدوا بأن مـصائر البـشر والمجتمعـات خاضعة لما تخطط له الأرواح وتعمل على تنفيذه ؛ أي أنهم ربطوا ما بـين إرادة الأرواح وفعل الإنسان . ومن هذا الاعتقاد ، تكونت عادات وتقاليد وشـعائر وطقـوس تـؤمن – بنظرهم – أفضل وسائل الاتصال بالأرواح لمعرفة رغباتها ، من أجل تحقيق غاياتهـا بـالخير والهناء والسعادة للإنسان وللمجتمع ، من أجل الوصول إلى تأمين المقدرة للحـاكم علـى الاستمرار في الحكم ، بغية نشر هذا الخير وتحقيق هذه السعادة [١].

---

[١] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د/ عمر عبد الحي – ص ٥٨ بتصرف .

ثانيا: عقيدة إتحاد المخلوقات :

يعتقد الصينيون بالاتصال المباشر بين جميع الكائنات والمخلوقـات بعـضها بـبعض في حركة واحدة متناسقة ، وحدة مطلقة تربط بين الإنسان والأرض بما فيها من عـوالم وظواهر ، والسماء وما فيها من إرادة علوية للإله الأعلى فيقولـون:"إن كـل كـائن مـن الكائنات الموجودة حية كانت أو جامدة إنما هـو نتيجـة لإحـدى حركـات الوحـدة المطلقة ، وأن جميع الحوادث الكونية ليست ناشئة إلا عن تغيـر المظـاهر الطبيعيـة، وأن هذه الوحدة هي المنشأ والمراد لجميع الموجودات من غير استثناء" [١].

وكان الصينيون يعتقدون أن السماء نفسها كائن حي متحـرك بـالإرادة ، وأن الأرض وجميع ما عليها من : خصوبة وتناسل ومظاهر أخرى ليست إلا رمزاً تمثيلياً من رموز السماء ، ومظهراً لها ، بحيث يستحيل تصور فصلها عنها ، كما تستحيل تثنيتهما في الحقيقـة ، لأن كل واحدة منهما هي الأخرى ، وهي أصل جميع الموجودات فـي نفـس الوقـت ، وهذا كله يؤكد اعتقاد الصينيين بالوحدة المطلقة أو مذهب وحدة الوجود. ومـذهب الصينيين هذا في الوحدة يخالف ما كانت عليه بعض الشعوب الأخرى من حيث الاعتقاد بأن الكائنات ظهرت في الوجود الخارجي وتناسلت من زواج السماء مع الأرض[٢].

ويصرح الصينيون بان جميع الموجودات نشأت نتيجة حركات الوحـدة المطلقـة وبهذا سبق الصينيون في رؤيتهم الفلسفية هذه الفلاسفة اليونـان وعلـى رأسـهم(هيـر اقليطس) من حيث اعتبار الحركة والتغير المستمرين هما الجوهر الأقوى للوجـود . ولـم يكن الكون الأوحد المؤلف ، عند الصينيين ، من السماء والأرض ماديـا محـضا وإنمـا كـان طبيعيا أي مادة مشتملة على روح ، وأن الجانب الروحي له الدور الأكبر فـي احتفـاظ الجانب المادي في الطبيعة بنظامه كاملا متناسقاً . ويحتل الإنسان في هذا الكون الأوحد أو الوحدة الكونية مكاناً متميزاً بالنظر إلى اشتماله على الروح من بين جميـع الكائنـات . وقد ورد في أحد كتبهم القديمة :

---

[١] الفلسفة الشرقية - د/ محمد غلاب ص ٢٢١

[٢] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/صلاح بسيوني – ص ١٤- ١٨ بتصرف .

" إن السماء والأرض هما أبوا الكائنات جميعها ، وإن الإنسان من بـين جميـع الكائنـات هـو وحده الموهوب حقاً " [١].

وإذا كان الإنسان يؤلف مع السماء والأرض ثالوثا متلازما، فالإمبراطور –والحالة هذه - مسئول عن استبقاء البشرية في حالة تناسق وانسجام مع عـضوي الثـالوث الأخيـرين- السماء والأرض- والتسامي بالناس جميعا بفضل سلطة حكمه لتحقيق عزة البشرية الحقيقية . هذا الاعتقاد هو الذي أعطى للحاكم – عندهم- صفة التفويض الإلهي أو السماوي ، وسنتكلم عنه فيما بعد ، ولا يقصد الصينيون من وحدة الوجود اتحاد الخلق مع الخالق أو حلول الإله في الإنسان أو الطبيعة ، وإنما يقصدون تأثر السماء والأرض بأفعال المخلوقات ،وتأثر الإنسان بمظاهر الطبيعة ولهذا كان الواحد منهم يحرص أن يكـون فاضـلا حتـى لا يكون سبب الوباء والبلاء على الخلق..[٢].

ثالثا: عبادة قوى الطبيعة:

لم يكن دين سكان الصين " البدائيين " يختلف بوجه عام عن دين عبـدة الطبيعـة، وأهم عناصره الخوف من الطبيعة ، وعبادة الأرواح الكامنـة فـي جميـع نواحيهـا [٣] وحسب التسجيلات القديمة كانت عبادة الطبيعة من أقدم صور التدين عند الصينيين فـي حدود ما لدينا من العلم[٤]،حيث شاهدوا القوى الغامضة في الطبيعة دون أن يـدركوا كنهها فبدؤا يعبدون السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم وغيرها من قوى الطبيعـة واعتبروها آلهة لما رأوا فيها من المنافع وما يقع منها على الانسان من أضرار .

ثم تقدموا خطوةً نحو مـا وراء الطبيعـة بمعرفـة الأرواح فاعتقـدوا أن لكـل الظواهر الطبيعية أرواحا خفية . ولها سلطة جبارة على العالم والإنسان فانطلقوا يعبدون هذه الأرواح التي تسمى عندهم (شين) بمعنى الآلهة ، ولذلك تعددت عنـدهم الآلهـة والمعبودات [١] . وتختلف عبادة الملوك لها عن عبادة عامة النـاس ، فـالملوك يعبـدون

---

(١) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ١٨- ١٩ بتصرف .
(٢) انظر الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص٣١ بتصرف .
(٣) قصة الحضارة – ول ديورانت – ت : محمد بدران - ج٤ – ص ٢٥٦ .
(٤) "العقائد البدائية والآلهة القديمة في الصين" - وان شاو دون - مطبعة الكتب القديمة بشانغ هاي – ص ١٠٢
(١) عقيدة الألوهية في الديانة الداوية – أيوب نور الحق – ص ٦ .

القوى الخاصة بكواكب السماء ، وكل ما فيها ، بينما يعبد الصينيون كل قوى الأرض وما يختص بها . . .[٢].

وأهم عناصر تلك العبادة للطبيعة:

. الخوف من خوارق الطبيعة (كالخسوف والكسوف والزلازل)..

. عبادة الأرواح الكامنة في جميع الأنحاء.

. تقديس ما على الأرض من صور رهيبة وما لديها من قدرة على الإنتاج والتوالد.

. وخشية السماء وعبادتها وإجلال ما فيها من شمس منعشة وأمطار مخصبة.

. بل لقد كانوا يعتبرون الشمس والمطر من عناصر الوئام والارتباط بين ما فوق الأرض من حياة ، وما في السماء من قوى خفية قادرة ومن هنا عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعي. وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن تعبد"[٣].

وقد مارست الصين العقيدة المزدوجة ، عقيدة الأسلاف وعقيدة تربة الأرض الإقطاعية يتوارثها الابن عن الأب . ثم ظهرت فيما بعد الأسر العامة بتقليد النمط السلفي واتجهت كذلك إلى توقير أسلافهم واحترامهم كما كانوا يوقرون ويبجلون أربابهم مع الأسلاف ثم يجيء على مستوى مختلف قليلاً وضع أرباب الإقطاعيات المحلية من أرباب كل منزل وأرباب التلال وأرباب ينابيع المياه وأرباب كافة القوى الطبيعية ورب الأرض وكان طبيعياً أن يكون هناك رباً للأموات حيث يحتفظ بهم في سجونه المظلمة [كما يضنون]، كما كان هناك رب السماء الذي فوق ، وأرباب الجبال وأرباب البحار الأربعة وأرباب نهر (هوانج هو) الرهيب وهكذا نجد بقدر أعداد الأرباب الكثيرة آلاف الطبائع والأمزجة والسمات التي يتحلى بها الصيني [٤].

ومما يلفت النظر في أمر الآلهة الصينية على كثرتها ، أنها لا تظهر بالفعل كشخصيات إلهية ذات كيان محدد ووظيفة دائمة ، بل ككائنات شبحية غير محددة الملامح ، تكتسب قوتها من قوة المنصب الذي تشغله ، ذلك أن الوظيفة الإلهية هي الثابتة أما شاغلوها فمتحولون ومنتقلون . ففي كل إقليم من الأقاليم الصينية الكثيرة يجري توزيع الوظائف والاختصاصات (تصريف الرياح أو إنزال المطر أو قدح البرق الخ)

---

[٢] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – فوزي محمد حميد – ص ٢٢٢.

[٣] قصة الديانات - د/ سليمان مظهر - مرجع سابق ص١٨٧ .

[٤] تاريخ وقواعد الحضارات – فرناند بروديل – ص ٢١٨- ٢١٩ بتصرف .

وانظر المذاهب الكبرى في التاريخ – البان . ج . ويد جيري – ص ١١.

والتاريخ وكيف يفسرونه – آلبان ج ويدجري- ج١ – ص ٢٧.

بين الآلهة الصينية نفسها بشكل مختلف عن الآخر تماماً، وقد يتم ترفيـع إلـه إلـى مقـام أعلى أو تخفيض مرتبته أو حتى صرفه عن الخدمة نهائياً. أما المصدر الحقيقـي لقـدرة الآلهة الصينية ، فهو مفهوم غير شخصي للألوهة يتمثل في قوة السماء التـي يـدعونها تي – يين والتي عبدت في الصين منذ القدم [١].

رابعا: عبادة السماء:

عبد الصينيون القدماء السماء باعتبارها الإله الأعظم ، وحاكم الحكّام ورب الأرباب . . ولا يقصدون بها القبة الزرقاء المعروفة لنا ، بل يقصدون بها الأفلاك ومداراتها ، والقـوى المسيطرة عليها والتي تسيرها في مداراتها ، وهم يعبدونها لاعتقادهم أنها عـالم حـي متحرك حسب نظام محكم ودقيق ، وإن كل القوى المسيرة فـي العـالم ، إنمـا هـي خاضعة لسلطان السماء التي لها السيطرة العليا على كل القوى والمادة والأشياء جميعها[٣].

والسماء أو (شانج – تي) سيد كل الآلهة رأى الـصينيون فيهـا وحـدها الـسلطان الأعلى أللامحدود القوة ، إذ تمسك بيدها الكون بأسره ، وتقضي بتعاقب الفـصول فـي مواقيتها ، وتأمر بدورة الموت والتجدد ، وتكفل خـصوبة الرجـال والنـساء والحيوانـات والمحاصيل[٤]، فهي مصدر الخير الذي ينالهم ، فالسماء (الإله الأعظم) مـدبر الأكـوان مصرف الأمور وواهب الحياة ومقدر الأرزاق ، والسماء جوهر حي عليم قادر فعـال لمـا يريد ، ولا راد لإرادته[١].

وقد نشأت فكرة الوجود المتعالي الأوحد باسـم (الـسماء) أو "الإلـه المتعـالي" (شانج تي) تقريباً منذ (القرن العشرين ق.م)[٢] وتشير كلمة (السماء) في التراث الصيني إلى معاني مختلفة منها المادي ، أي ما يقابل الأرض ؛ والمعنوي المتـضمن معنـى الـسمو

---

[١] دين الإنسان – فراس السواح – ص ٢٣٦-٢٣٧ .
وانظر كتاب التاو – لاو تسو – ت / فراس السواح – ص ١٢-١٣ .

[٢] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة - فوزي محمد حميد – ص ٢٢١ بتصرف.
المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ص ٢٧٢.

[٣] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة - فوزي محمد حميد – ص ٢٢١ بتصرف.

[٤] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ص ٢٧٢.

[١] الديانات والعقائد في مختلف العصور – أحمد عبد الغفور عطار – ص ١٤٦ .
وانظر أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة – احمد عبد الغفور عطار- ص ٤٨ .

[٢] الفكر الشرقي – د/ يونج شوون كيم – ج٢ – ص ٩٢.

[٣] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ١

والرفعة وتسامى الشأن كقولنا (الإمبراطور العلوي) ؛ والديني الذي يـشير إلـى معنـى القضاء والقدر ؛ والوجود الطبيعي ؛ والأخلاقي الذي يدل علـى مبـدأ راق سـام فـي علوه وارتفاعه إلى عنان السماء [٣].

يقول مرسيا إلياد : وفيما يتعلق بالحياة الدينية فإن القبور الملكية ترشد إلى بعـض التطبيقات الدينية ، ولكن ما يشكل مصدراً ثميناً للغاية إنما هو ، بصورة خاصـة ، النقـوش الكهنوتية المحفورة على عظام حيوانات وأصداف السلحفاة ، التي تكشف لنا سيادة إلـه سماوي " تي " (سيد) أو شانج تي (السيد في الأعلى). إن تي يأمر بالإقاعات الكونيـة والمظاهر الطبيعية (المطر، الريح ،الجدب ...الخ). إنه يمنح النـصر للملـك ويـضمن وفـرة المحاصيل أو على العكس ، يثير الكوارث ويبعث الأمراض والموت ، ويقدم إليه نوعان من الأضاحي: في معبد الأجداد وفي البرية ، ولكنه ، كما يحصل لآلهـة سـماوية أخـرى قديمة فإن عبادته تدل على تحدرها من الأولية الدينية [٤].

وعلى الرغم من أن أهل الصين القدامى آمنوا بأن لكـل مـن المقدسـات الأرضـية والسماوية روحا يجب أن تعبد ، فتعددت آلهتهم وتنوعت عباداتهم،وتشتت عقولهم بين هذه الآلهة العديدة والأرواح الكثيرة ، إلا أنهم مع ذلك قد آمنوا بوجود حـاكم أعلـى واحد فوق كل الأرواح وفوق كل الناس..إسمه (شانج تي) هو القوة العليـا المـسيطرة على العالم.. وقالوا: إنه عادل لدرجة أنه مهما صلى له الأشقياء فلن يقبل العفـو عـنهم أبدا. ولكن شانج تي- مع كل ذلك- لـم يكـن الإلـه الأعلـى والأعظـم فـي اعتقـاد الصينيين..فالإله الأعلى..سيد كل الآلهة إله اسمه : نيان..هو : السماء"[١].

ومع اعتقاد الصينيين في وجود إله فوق كل الآلة هو "شانج تي" ووجود إلـه أعلى منه هو الآله الأعظم الذي كانوا يطلقون عليه أحيانا:"شنغتاي" إلا أن عبادته والدعاء له وتقديم القرابين إليه كان خاصا بالإمبراطور نائبا عن الشعب ،فهو آله عظيم في نظرهم لا يتوجه إليه ولا يناجيه إلا العظماء بل أعظم العظماء في الدولة وهو الإمبراطور. "ومـن العبادات التي كانوا يرفعونها إلى "شنغتاي"ربهم في فصل الصيف وفصل الـشتاء ،كـان

---

[٤] تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية / ميرسيا إلياد – ج٢ – ص ١٠ ، ١١ بتصرف .
وانظر تاريخ الأديان – د/ محمد الزحيلي و د/ يوسف العش – ص ٢٠٩ .

[١] قصة الديانات - د/ سليمان مظهر- ص ١٨٨ بتصرف.

يتقدم إليه الإمبراطور كرئيس للكهنة نيابة عن الشعب قائلاً: (إليك أيها الصانع العظيم يتجه فكري ..وأنا عبدك..لست ألا قصبة مرضوضة ونبتة هزيلة ..قلبي قلب نملة حقيرة ..ومع ذلك فقد نلت لديك شرفا وحظوة إذ جعلتني حاكما لهذه الإمبراطورية..وها أنا ذا أعترف بجهلي وعمى قلبي.. واخشي أن أكون غير أهل لهذه النعم الوافرة فهبني أن أراعي في وقار الشرائع والأحكام ، باذلا جهدي – على الرغم من صغر شأني- لأن أقوم بواجبي بولاء وإخلاص وعن بعد أتطلع إلي مقامك السماوي ، فتعال في مركبتك الفاخرة إلي هذا المذبح..وهاأنا خادمك أعفر وجهي في التراب متوقعا جزيل نعمتك..لترضى بأن تقبل تقدماتنا وترمقنا بعينيك حين نعبدك يا ذا الصلاح غير المتناهي"[٢].

وهذه العبادة (عبادة الإله الأعظم)كانت موجودة منذ فجر التاريخ الصيني،ولكنها كانت –كما قلنا من قبل-"قاصرة على الإمبراطور نيابة عن شعبه فأدى هذا إلى إبعاد فكرة الإلهية السامية عن محيط العبادة العملية"[٣]كما كانت عبادة السماء أو (شانج – تي) وقفاً على الحكماء والملوك وخاصة الأمراء والعلماء وكبار رجال الدولة ، ولا يجوز بأي حال كشف أسرارها أمام العامة من البسطاء التي تنحصر عقيدتهم الساذجة في عبادة الأجداد وغيرهم من الموتى . لقد اشتملت عبادة السماء أو هذه العقيدة الخاصة ، إلى جانب القيام بالطقوس الدينية ، على التفكير العميق حول الكائن الحي وموقعه من الكون ، وعلى تحليلات للقوى الطبيعية التي كانوا يشاهدون آثارها سواء في السماء أو في الأرض ، ومن هنا كان من الواجب تحريم هذه العقيدة على العامة تحريماً قاسياً حتى لا يساء فهمها ، وهذا هو مضمون فكرة (المضنون به على غير أهله). وفي هذا يقول أحد حكماء الصين وهو (لاو-تسو) :كما أنه من غير الممكن إبعاد الأسماك عن الماء دون أن تموت ، كذلك من المستحيل أن تكشف أسرار الدولة أمام العامة دون أن تفسد الحال)[١].

<u>خامسا: عبادة الأسلاف:</u>

لم يكتف الصينيون القدماء بكل هذه العبادات فعبدوا أرواح أسلافهم الذين مضوا قبلهم ، وقدسوها وعظموها وقدموا لها الأضحيات طلبا لرضاها عنهم، واستمدادا لعونها

---

[٢] أديان العالم – حبيب سعيد - ص ١١٨بتصرف .

[٣] المصدر السابق ص١١٨.

[١] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ١٩بتصرف .

لهم وتأييدها فكان كل من يسبقهم إلى الموت يعبده خلفه من عائلتـه ، وقـد كانـت هذه هي العبادة السهلة الميسورة لكل أفراد الشعب الصيني بل " يقال بأن هذا هو الـدين الحقيقي لشعب الصين، ويرجع تاريخه إلى العصور الخوالي، ومازال شائعا معروفـا إلـى هذا العصر.. ولا يحرص الصيني على شيء حرصه على هذه العبادة ، فأنت قد يباح لك أن توجه الملام إلى أي شيء في الصين، أما أن تمس عبادة الأسـلاف بـسوء فهـذا مـا لا يرضاه الصيني ويصدك عنه في جفاء .. والأرجح أن هذه العبـادة بـدأت أولا ضـربا مـن ضروب التكريم للميت بعد الوفاة ، ثم استحالت إلى عبادة الأبطـال الحكمـاء مـن رجـال الشعب ، وأخذت هذه العبادة تنتشر بين القبائل والأسر تغذوها روابط الأسرة في بلاد الصين ، وهي قوية بطبيعتها في تلك البلاد ، حتى أصبح كل الأسلاف موضع التقدير والتـوقير والعبادة من الجميع على السواء"[٢] وكان لعبادة الأسلاف نظام خاص ، وشعائر معينـة ، تؤدي تقربا إلى أرواحهم بواسطة لوحة من الخشب ، هذه اللوحة " يبلغ علوها ثمـاني بوصات وعرضها بضع بوصات ينقش على وجهها اسم الشخص الـذي تمثلـه" وتحفـظ هذه اللوحة في الأسرة مدى حياة جيل أو اثنين من أجيال الأحياء عقب انتقال المتـوفى، ثم تنقل بعد ذلك إلى مدافن أسلاف القبيلة أو الأسرة ، ومن حين لآخر تقـدم إلـى هـذه اللوحة الخدمات وخصوصا في عيد ميلاد المتوفى أو يوم ذكـرى موتـه مـن كـل سنة"[١].

عبادة أرواح الأجداد:

من معتقدات الصينيين القدماء، أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا مع أسرتهم، لذلك فهم يعبدون أرواح الآباء والأجداد تقديساً لهم ووفاء لعهودهم وشكراً لهم على ما أسدوا من نعم لأبنائهم، ويقدمون لهم القرابين.[٢] وعبادة أرواح الأجداد ، هي أول ديانة صينية قديمة . وذكرى هؤلاء هي التي تستعاد في اللوائح التي توضع على هيكل الأجداد وبهؤلاء كانوا يستعينون في مختلف الظروف المرهقة ؛ وهم الذين يذكرون في كل الاجتماعات الفرحة ، وإليهم يتجه أكبر أفراد

---

[٢] أديان العالم – حبيب سعيد – ص ١١٩ -١٢٠ بتصرف.

وأنظـر– الثـورة الثقافيـة فـي تـاريخ الـصين– عبـد الـرحيم أحمـد حـسين– مجلـة عـالم الفكـر- الكويت - أبريل،يونيو١٩٨٨م– ص١٠١ .

[١] أديان العالم – حبيب سعيد- ص١٢٠ .

[٢] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة - فوزي محمد حميد — ص ٢٢٢ – ٢٢٣ بتصرف .

الأسرة عمراً ، في تقديم القرابين -ولا تشتمل هذه الديانة على كهنة ولا على مراسم خارجة عن نطاق الأسرة – فالأجداد هم الذين يديرون ويجب أن يوجهوا حياة الأحياء كلها. وعندما يقوم أحد الناس بإنجاز ما، فإن المجتمع يرفع قدر أجداده ، لا أحفاده [٣].

وقد مارس الصينيون عبادة جدودهم على مدى تاريخهم كله وعلى نحو شبه عام فكان كل شيء يجري كما لو كانت أرواح الموتى ما تزال تعيش بين الأحياء وتستشعر مثل حاجاتهم . وهذا الاعتقاد وحده يستطيع في الواقع تفسير الأشكال المتخذة فـي القرابين ، وزيارة القبور والطقوس المنزلية . ولقد تبـدو فكـرة الخلـود الشخـصي ، لأول وهلة ، محتواه في هذه العقيدة . ومع ذلك فلا يبدو أنه كان لهـذه الفكـرة نتـائج محسوسة بحيث تمارس تأثيراً على مجرى الوجود اليومي أو على معنى التاريخ[٤].

وكانت الأسرة تنشئ كنيستها الخاصة بها ، لأن تبجيل الأجداد كان عقيدة أقـوى من أي كائن يسمو فوق الطبيعة . وكانت أجساد الأجداد تـدفن فـي قطعـة الأرض الخاصة بالأسرة ، وعادة ما تكون تلك البقعة صغيرة ، ولكن كان يخصص للأجداد أخصب جزء منها باعتبار ذلك أمر مفروغ منه[١]. (وكان الصينيون يقربون في كـل يـوم قربانـاً متواضعاً للموتى، ويكون في العادة شيئاً من الطعام ، ويرسلون الدعوات الصالحات على أرواحهم ، ذلك أن الزارع أو العامل الساذج كان يعتقد أن آباءه أو أسـلافه يعيـشون بعـد موتهم في مملكة غير محددة ، أو واضحة له ، وأن في مقـدورهم أن يـسعدوه أو يشقوه) .

(وما من شك أن هذا الدين كان يسبب للصينيين بعض المتاعب أو المـضايقات ، مـن ذلك انه ملأ البلاد بما لا يحصى من القبور الضخمة التي لا يمكن انتهاك حرمتها ، فعاقـت هذه القبور إنشاء الطرق الحديدية ، وفلح الأرض الزراعية).

(وكانوا يحسون بأن آلافاً من الأرواح الطيبة أو الخبيثة ترفرف من حـولهم فـي الهواء المحيط بهم ، وفي الأرض التي تحت أقدامهم ، وكانوا يحرصون على أن يـردوا عداوة هذه القوى الخفية ، أو يستعينوا عليهـا بالأدعيـة وبـالرقى الـسحرية ، وكـانوا

---

[٣] موجز تاريخ الأديان – فيليسيان شالي – ص ١٠٦ بتصرف.

[٤] المذاهب الكبرى في التاريخ – البان . ج . ويد جيري – ص ١١- ١٢بتصرف .
وانظر التاريخ وكيف يفسرونه – آلبان ويد جري – ج١ – ص ٢٨ .

[١] فلاسفة الشرق – و . ف . توملين – ص ٢٨٠بتصرف .

يستأجرون المتنبئين ليكشفوا لهم عن مستقبلهم ، من سطور أصداف السلاحف ، أو حركـات النجوم)[٢].

معبد الأجداد :

كما حرصت الحكومة على المحافظة على العلاقات الطيبة مـع تلـك القـوى الروحية التي تسيطر على زمام الحكم في الكون وفي كل شئون الحياة علـى الأرض . ونتيجة لهذا الارتباط كان معبد الأجداد الملحق بالقصر الملكي هو أهم مبنى في الصين ،حيث كانت أسلحة الحروب تخزن فيه ، و عندما كان الملك يـشرع فـي القيـام بحملـة تأديبية للمتمردين والغزاة ، فإنه كان يبدأ أولاً بتقديم القرابين إلى أجداده في هذا المعبد ، ويعلن لهم أخطاءه . ويبدو لنا من خلال ما سبق أن صعود الملك إلى العرش وتسلمه مبدأ الحكم ، كان يستمد من عطف أجداده عليه ، وكان لابد للصعود إلى العرش مـن سـند شرعي ، ويستمد هذا السند من أن لهذا النبيل أجداد في السماء يساندونه طبقاً لمراكـزهم في السماء . لذلك كانت الاحتفالات الدينية للأجداد جوهرية وذات انتشار واسـع بوصـفها أساس عقائدي في ديانة تلك الفترة من تاريخ الصين .بـل إن الاسـتخفاف بهـا أو إنجازهـا بطريقة غير لائقة من شأنه أن يجلب الكوارث[١].

وكان كل مظهر تقريباً ، من مظاهر الحياة تسيطر عليه الأرستقراطية الوراثيـة كمـا في عهود (تشو) وربما في عهود (تشانج) أيضاً ، وكان المؤسسون المـشهورون مـن الأسرات الأرستقراطية في كثير من الحالات أبطالاً أسطوريين ، أن لم يكونوا آلهة. وكان مـن المعتقد أن أسرة ملوك تشو قد انحدرت من جد يدعى (هو تشي) والمعنـى الحرفـي لهذا الاسم هو (ملك الذُرة) ويبدو واضحاً أنه كان أصلاً إلها زراعياً ، وعندما شب هذا الجـد صار يعلم الناس كيف يزرعون الحبوب . ولم يكن مؤسس الأسرة الأرستقراطية البعيـد هـو وحده الذي أمدها بقوته، بل أمـدها بـالقوة كـل أسـلافها .وكـان المعتقـد هـو أن الأرستقراطيين بعد مماتهم يحيون في السموات حيث يشرفون على مصير ذرياتهم ، وكان من الطبيعي ما لم يكونوا ساخطين تماماً على حفدتهم ، أن يمنحوهم النصر في الحرب والرخاء في السلم . وفي مقابل هذه كان من المتوقع أن يقوم الأحفاد بتقديم القرابين المعتادة لهم ويحققوا رغباتهم إلى أقصى حد ، وهذه الرغبات قد يتعلمونها بالكهانة

---

[٢] قصة الحضارة – ول ديورانت – ج٤ – ص ٢٥٨- ٢٦٠ بتصرف .
وانظر موسوعة الأديان في العالم–الديانات القديمة- دار كريبس- المشرف العام: جميل مدبك-ص٣٥

[١] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٣٠-٣١ بتصرف.

أو بالوسائل الأخرى . وكان يتضح اعتماد الحكام في كثير أو قليل على أجدادهم ، في عدد كبير من الوثائق .

ويقول مؤلف كتاب (الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تـسي تـونج) أننـا نجد في نقش على وعاء برونزي أن أحد النبلاء يفاخر بأجداده الأعلين البارعين (يفسحون طريقاً لحفدتهم الذين هم على الأرض) وقد ذكرت إحـدى القـصائد الـواردة (فـي كتاب الشعر) [٢] أن قوة بيت تشو في فترة معينة ، كان مردها إلى حقيقة أنـه كـان لها (ثلاثة حكام (سابقين) قد صعدوا إلى السماء) ، بالإضافة إلى الحاكم الذي يحكم على ظهر الأرض[٣] .

ولهذا النظام أثره البارز في تقوية نفوذ الأسرة أو القبيلة على الفرد بحيث يصعب عليه جداً الخروج على العادات والتقاليد المرعية ، ويصعب على الفرد أن يدرك المدى الذي يذهب إليه الصيني في عبادة الأرواح والأسلاف وما تنطوي عليه تلـك العبادة من عطف وولاء ، وفي أغلب الأحيان تمتزج هذه العبادة بكثير مـن العواطـف والحب الخالص للمتوفين أو في أحيان أخرى يخالطها الخوف مما تفعله تلك الأرواح لـو لم يعبدها اللاحقون ، وهي في أحيان أخرى ليست إلا مجرد طقوس وممارسات وضعية جرى عليها العرف والعادة [١]وانبثق عن هذه العبادات بعض المظاهر والاعتقادات التي كان لها أثرها البارز في حياة الصينيين ومن هذه المظاهر : الشعوذة والخرافات والكهانـة اعتقاد أن الحاكم يستمد سلطته من إرادة السماء اعتقاد أن ما يرضي الأسلاف هو خير ومـا يسخطهم فهو شر.

استمداد الحكام سلطتهم من السماء:

آمن العامة من الصينيين بأن الحكام الأباطرة لا يـستمدون سـلطانهم مـن قـوتهم المادية أو العسكرية ، وإنما يستمدونها من تأييد أسلافهم الذين يعيشون في السماء ، حيـث يراقبون مصائر أخلافهم ، فيمنحونهم النصر في الحروب والرفاهية ورغـد العـيش إبـان السلام . ومن هنا كان على الحكام وعامة الشعب تقديم القرابين إلى أرواح هؤلاء الأسلاف وإطاعة رغباتهم التي يسرون بها إلى العرافين والكهان. وكان الحاكم أو الإمبراطور يلقب

---

(٢) من كتب الكونفوشيوسية وسيأتي تفصيل أكثر عنه في الباب الثالث الفصل الأول من هذا البحث بإذن ا

(٣) الفكر الصيني من كنفوشيوس إلى ماو تسي تونج – هـ.ج.كريل- ص٢٥-٢٦ .

(١) أديان العالم – حبيب سعيد- ص ١٢٠.

" ابن السماء " [٢] وفي عهد أسرتي "هسيا" [٣] و"شانج" [٤] تبلور واجب الحاكم البشري في السعي"لتهدئة الأرواح، والجهد لإصلاح ذات البين بينها وبين أفراد الشعب ، وإيجاد التناسق بين أفراده بعضهم بعضا " [٥] " ويتفرع عن الاعتقاد بهيمنة الأرواح على مصاير الناس : الاعتقاد بالعرافة والسحر ، إذ قد آمن قدماء الصينيين إيماناً راسـخاً بوجـود تـأثير مكـين ، متبادل بين الأشياء في الكون والشئون البشرية ، الأمر الذي أوجب عليهم الاستعانة بكافـة ضروب الكهانة ، وبملاحظة الظواهر الطبيعية ، أدعوا القدرة على التنبؤ بالكوارث المقبلة أو الرخاء الآتي "[٦].

[٢] حكمة الصين - د/ فؤاد شبل – ج١- ص ٢٣-٢٤ بتصرف .

[٣] حكمت الصين بين عامي (٢٢٠٥- ١٧٦٦ قبل الميلاد) .

[٤] حكمت الصين بين عامي (١٧٦٥ – ١١٢٣ قبل الميلاد) .

[٥] حكمة الصين- د / فؤاد شبل – ج١- ص ٣١ بتصرف .

[٦] المرجع السابق - ص ٣٢ بتصرف .

أثر قبور الأسلاف في تحديد الطالع :

كما أعتقد قدماء الصينيون أن للقبور دوراً في تحديد طـالع الـشخص. وهـي عقيدة خرافية مؤداها " أن موقع قبور الأسلاف يؤثر على طـالع الـشخص . ويـدعي المنجمون أنهم يعرفون أي مكان يصلح للدفن ، وما إذا كان موقع القبر يجلب الحظ أم لا[1].

سادساً : تأليه الملوك والعظماء:

إن الدور المزعوم للآلهة في حياة الإنسان الصيني وطريقـة تفكيـره ، والمكانـة الكبيرة التي كان يحظى بها في حياته ، دفعت الأرستقراطية العـسكرية ، فـي فتـرة نشاطها ، إلى تمثيل هذا الدور الكبير للآلهة ، من خلال إحلال صفات الآلهة علـى نفـسها ، فأصبحنا نقرأ ، عن آلهة في التاريخ الصيني هم من البشر ، قـادة وساسـة. فقـد أوردت النصوص الصينية أن "المارشال تشاد" ، هو إله المال ، والقيم على السياسة المالية للأمة . حتى أن التقديس نال القادة العظام بعد موتهم . لما لهم من مزايا كبيرة حققوها في حياتهم . تقول النصوص : إن الإله قوان من قادة عصر الممالك الثلاث ، قدسه الشعب بعـد موتـه واتخذه إلها[2]. وقد ظهر في الصين قبـل كونفوشـيوس عـدة ملـوك وكهنـة مـن أقدمهم (فوفى . سنة ٣٤٦٨ ق . م) الذي وضع للصين كتاباً وفلـسفة تـدور فـي معناها حول ثالوث هو نفسه الثالوث الهندي · (برهما ، فيشنو ، سـيفا) وإن كـان فـي شكل آخر .

وهذا الثالوث يتركب من :

١- (تى ين) أو الإله المجهول- الغير منظور ، ثم :
٢- أرواح الآباء والحكماء والملوك (تشانج ، ثم :
٣- الشمس وسياراتها- مظاهر الإله من الأرواح وكائنات الطبيعة .

وبعد أن مات (فوفى) الذي كان حكيم الصين ومشرعها وإمبراطورها في وقت واحد، عبده الصينيون وعدوه إلهاً وعدوا كتابه مقدساً، ويعتبرونـه مـن أقـدم كتـب

---

(١) تيارات الفلسفة الشرقية– محمد سليمان حسن – ص ٥٣ بتصرف .
(٢) المرجع السابق – ص ٥٢ .

العالم. وأضافوا لهيكل مولى السماء هيكلين آخرين ، واحـد لأرواح الأجـداد والحكمـاء، والآخر للشمس والقمر وباقي السيارات والنجوم بموجب الثالوث المتقـدم ذكـره ، ومـن عهد (فوفي) ابتدأت عبادة الأباطرة أبناء السماء في الصين واليابان[١].

وكانت بلاد الصين تعيش ما بين الاضطرابات الاجتماعية والخرافـات الاعتقاديـة وكـان أهلها يعانون من المشاكل في كل ناحية والوضع السيئ يحمل الناس على الملجأ الديني ليجدوا فيه الراحة للقلوب والخلاص لـلأرواح فظهـر عـدد مـن الكهنـة فـي كـل المجتمعات يبثون نوعا من العقائد الدينية والأفكار الفلسفية ويشتغلون بالعرافة والتنجـيم والعلاج والسحر والشعوذة وغيرها .

ومن هؤلاء الكهنة من كان يفسر كل شيء على غرار فلسفة كتابين مشهورين هما:"خوان دى " و "داو _ ده _جين" لما وجدوا فيهما من عمق الفكر ودقة النظر ولما فيهمـا من الغموض والألغاز تعمقوا في دراستهما وربطوا الأحوال الواقعة بمضمونهما، وقاموا بنشر أفكارهما بين الناس وليس هذا فحسب وإنما بمرور الزمان اخـذوا يقدسـون صـاحبي الكتـــــابين وهمــــا خـــــوان دى (الملـــــك الأصـــــفر) والـــــوتس (لاو تس).

وخوان دى شخصية أسطورية حكي أنه كان ملكاً عادلاً يحكم بـلاده بالعـدل والإحسان . ويطبق أوامر الإله في حكمه . وقد وحد بلاد الـصين مـن أيـدي القبائـل المتخاصمة والشعوب المتقاتلة وتغلب على كل من يغزو بـلاده . ودمـر كـل الطغـاة والعصاة امتثالاً لأمر الإله وكان كثير العبادة ووثيق الاتصال بالإله . وبفضله ازدهرت الفنون والصناعات في البلاد وسارت الدولة إلى القوة والعزة والمجد وقضى الملك الأصفر حياته على الأرض مائة عام ثم صعد إلى السماء مع وزرائه السبعين راكبين التنين الأصفر وحكي أنه قبل صعوده إلى السماء كتب كتابا يسمى "خوان دى" الذي ذكر فيه قوانين الصحة البدنية وأساليب العلاج وأسباب الأمراض . كما عالج فيه بعض القضايا الميتافيزيقية وبين أن العالم مكون من العناصر الخمسة[٢]، وأن الكـون نـشأ مـن انفعـال القـوتين المتـضادتين يين(القوة الأنثوية) ويان (القوة الذكورية) . وهما قوتان متلازمتان لكل ذرة مـن المـواد ،وبانفعالهما وجدت الحركات والتغييرات حتى تشكلت الكائنات مـن العناصـر الخمـسة . وقد عبر "خوان دى" عن هذه النواميس الحيويـة بكلمـة "داو". وأراد بـذلك قـوانين

---

(١) الدين والفلسفة والعلم – محمود أبو الفيض المنوفي - ص٩٦ بتصرف .

(٢) التراب والنار والماء والخشب والمعدن . (كما يظنون) .

الوجود ، ثم يطبق هذه القوانين على المجتمـع الإنـساني وأشـار إلـى أسـباب أمـراض المجتمع وإلى علاجها. ولا يزال هذا الكتاب أصل المصادر في الطب الـصيني والفلـسفة الصينية إلى اليوم .

"وكانت فكرته في غاية العمق والدقـة ومحاطـة بـالغموض والإبهـام . ولا يفهم الكتاب دون تفكر وتعمق فيه . وبمرور الزمان رأى الناس من شدة إعجابهم بـه أن صاحب الكتاب لا يمكن أن يكون إلا إلها فقدسوه وألهوه"[(١)] أما لوتس (لاو تـس) فهـو شخصية تاريخية عاش في القرن السادس قبل الميلاد وكان حكيماً ناسكاً وكـان معاصـراً لكونفوشيوس وأكبر منه بعشرين سنة ... ومع مرور الزمن ارتفع مكان لوتس شـيئاً فـشيئاً حتى رفع إلى مقام الإله الأعلى باعتقاد أن صاحب هذا الكتاب الغامض لا يكون إلا إلها أعلى وقد تجسد من داو فصار لوتس إلهاً بعد أن كان فيلـسوفاً ، وأطلـق عليـه الاسـم "تشي شان لوجون" (السيد الشيخ الأعلى)[(٢)].

لقب (ابن السماء) :[(٣)]

روح النظام الإقطاعي في الصين هو أن تدخل في شخصية الزعيم - الذي هـو الصانع والمحافظ على النظام - قوة تسيير مختلف الانسجامات . ولما كان لا يوجـد أي مبدأ مذكر ذي قوة توازي قوة السماء وعظمتها ، فلابد مـن وجـود عاهـل يتـولى التنظيم العالمي ، على أن يكون المؤازر المباشر المستمر للسماء ، ومن هنا جاء لقب ابن السماء الذي يزعمه هذا العاهل للمطالبة بسلطة الإمرة الإلهية . وحسب النظام الـذي سـاد مـن قديم الأزمنة ، كانت وظيفة الملك تشمل قبل كل شيء صنع الفصول وإدخالها في عالم فراغي ؛ فلم يكن بد من إنشاء اعتدال الربيع في الشرق ، وميل الصيف فـي الجنـوب ، واعتدال الخريف في الغرب، وميل الشتاء في الشمال .

وقد سهلت بعدئذ هذه المهمة عن طريق تشييد قصر ذي هندسة دقيقة . ولما كانت السماء تعتبر مستديرة والأرض تعتبر مربعة -كما يزعمون- فقد شـيد سـقفاً دائريـاً والبنـاء مربعاً،وجعلت الواجهات متجهة اتجاهات مناسبة،فما على الإنسان الـسماوي (العاهـل) ،

---

(١) عقيدة الألوهية في الديانة الداوية – أيوب نور الحق – ص ١٠-١١ بتصرف .

(٢) المرجع السابق – ص ١٢ .

(٣) أنظر: حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١- ص٢٤.
و المذاهب الكبرى في التاريخ – آلبان . ج . ويد جيري – ص ١١.
والتاريخ وكيف يفسرونه – آلبان . ج . ويد جري – ج١ – ص٢٧.
و معتقدات آسيوية – د / كامل سعفان – ص٢٤٧ .

صانع الوقت وآمر الفراغ ، إلا أن يحدد محل إقامته في هذه أو تلك من الغرف الاثنتـى عشرة المتساوية لكي يجري تنظيم تعاقب الشهور .

والإنسان السماوي الذي جمع في شخصه المقدرة على مساحة الأرض ووضـع التقويم ، هذا الإنسان الأوحد ،كان مع هذا قابلاً للموت .كذلك أي شخص يتمتع بجزء من السلطة ، ولو كان رب الأسرة الموكل بتنفيذ الطقوس ، يجب علية أن يترك قوته إذا ما ترك الحياة . وذلك تناقض غريب[1]... ومهما يكن من الأمر فإنا نجد أنه لما وافت سنة ١٧٥٠ ق م كانت الصين مكونة فعلاً من مجموعة هائلة مـن الممالـك الـصغيرة ودول المـدن ، وكلها تعترف بولاء مفكك العرى ، وتدفع رسوماً إقطاعية لإمبراطور كاهن واحد هو: (ابن السماء الكاهن الأعظم)[2].

ويعتقد قدماء الصين أن كل الحوادث في الـسماء مقـدرة ومعروفـة ، وقـد أختص بعبادة السماء وتقديم القرابين لها ملكهم الأكبر . (ابن السماء) حتى صار لكل ملك أو أمير الحق في عبادة السماء كالملك الأكبـر ، بينمـا لا يحـق لعامـة الـصينيين ذلـك . . ويعتقدون أنه يجب على الملك أن يحكم بين الناس بالعدل بأمر السماء ، فإن خـالف ذلـك وقسا أو ظلم الرعية ، سلّطت عليه السماء من رعيته من يخلعه أو يقتله ، ومكنـت الـسماء لغيره من العادلين من يستولي على عرشه ويطرده . وقد قيل على لسان أحد ملوكهم كـــــان قــــــد انتــــــصر علــــــى ملــــــك مــــــن بيــــــت (هشيا) كان قبله وقتله : (أعطى الإله لكل إنسان ضمير ، إذا تبعه يحفظه ويقوده إلى الطريق السوي والإله دائماً يبارك الطيب ويعاقب السيئ ، ولذلك أنزل الإلـه المـصائب علـى بيت (هشيا) كي يضع حداً لآلامه)[3].

مبدأ التفويض السماوي :

وضع مؤسسوا " تشو " مبدأ التفويض السماوي لإثبات شرعيتهم في الحكم وذلك من أجل اكتساب تأييد الشعب لهم . وقد كان لمفهوم التفويض السماوي - الذي دعـم العقيدة السياسية لشعب "تشو" - وادعاءهم الثورة المؤيدة من جانب السماء دور كبير في التطور الذي حدث للعقيدة الصينية .

لقد أصبح الحاكم - بناء على مبدأ التفويض – هو النائب البديل للإله على سـطح الأرض والمسئول مسئولية كاملة عن أعماله. وبذلك أصبح الإله مهتماً بأعمال الإنـسان نفـسه

---

[1] الفلسفة في الشرق- بول ماسون – أورسيل - ص ١٦١-١٦٢ بتصرف .

[2] الإنسان في ظل الأديان – د/ عمارة نجيب – ص٢٣٠.

[3] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – فوزي محمد حميد– ص ٢٢١ – ٢٢٢ بتصرف .

وليس بما يقدم إليه من كثرة القرابين والأضحيات فأعمال الإنسان هـي مـصدر التفـويض الذي يمنح أو يحجب عن الأسرة .وبما أن الإله هو الذي أمر بتعيين الأسرة الحاكمة لخدمة الشعب وتحقيق العدالة فإن الواجب الأول والأساسي للحاكم العمل على سـعادة شـعبه والابتعاد عن الظلم حتى يضمن بقاء التفويض في يده.وإن إهمال الحاكم فـي أداء مـا هو مفروض عليه أمر يغضب الإله، ويتمثل هذا الغضب فـي إنـزال الكـوارث الطبيعيـة ، وفوق كل هذا في تمرد الشعب على الحاكم . وفي النهاية يسحب التفويض من هذا الحاكم ومن أسرته ويمنح لملك جديد تكون مهمته الأولى الإطاحـة بالحـاكم الحـالي والعمل على سعادة الشعب [١].

سابعاً: عقيدة العامة وعقيدة الخاصة :

يتكون الفكر العقدي للصينيين منذ أقدم العصور من عقيدتين أساسيتين :

الأولى : عقيدة الخاصة .

الثانية : عقيدة العامة .

وسنتحدث عنهما بشيء من الإيجاز : -

أولاً عقيدة العامة:

تتكون عقيدة العامة كما ألمحت من عبادة الأرواح الخفية والقـوى الغامـضة التي كانوا يشاهدون آثارها دون أن يدركوا كنهها. وهذه المعبودات تنقسم إلى قسمين:-

القسم الأول:- أرواح الموتى من آباء وأجداد وغيرهم وتسمى " كوى ".

القسم الثاني:- القوى الطبيعية ، مثل الشمس والقمـر والنجـوم والكواكـب وغيـر ذلـك وتسمى عندهم "شين"[٢].

والسبب الذي جعلهم يعبدون هذه الأرواح : أنهم كانوا يعتقـدون بقـاء هـذه الأرواح بعد الموت ويشتاقون إلى عودتها بعد الموت إلى أسـرتها ويعتقـدون أن الأرواح تبقى في الدنيا وتعيش مع أفراد أسرتها في الغيب، ويذهبون إلى أكثر من ذلك، فقـد كانوا يعتقدون: أن القرابين موائد يشترك فيها الأحياء والأموات معاً وكان في اعتقـادهم

---

[١] الفلسفة الشرقية - محمد غلاب- ص٢١٧ . وانظر الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبدالرحيم شعبان - ص ٣٢ بتصرف .

[٢] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٣١-٣٢ بتصرف .

وأفكارهم الفلسفية والأخلاقية بأن هناك أرواحاً موكّلة بالمطر وأخرى بالجفاف، وأخـرى بالإنبات، وأن هناك أرواحاً خاصة لحماية ورعاية أفراد الأسر ورعاية المنازل[١].

ثانياً: – عقيدة الخاصة:–

كان الخاصة لهم عبادتهم وفكرهم الخاص فهم يعبدون "الـسماء" ، لمـا يرونـه كامنا فيها من قوة معنوية لها كل السلطان على الأرض وما فيها. وهكذا ظهر الفـرق منذ أقدم العصور واضحاً بين عقيدة العامة التي تأمر بعبـادة الأجـداد وغيـرهم مـن الموتى ، وعقيدة الخاصة التي تحصر العبادة في السماء أو فـي (شـانج- تـي) أي السلطان الأعظم. ولم تكن عقيدة الخاصة هذه مستحدثة في العـصور المتـأخرة وإنمـا هي منذ القدم[٢].

و من العجيب أنك ترى أن هذه الفلسفة أو هذه النظريات محرمـة تحريمـاً قاسـياً على العامة ! ، وظلت هذه التفرقة في الصين حتى العصور الحديثة ولهذا قال الحكيم " لا و تسه" في هذا الشأن مبيناً أن للعامة أخلاق وللخاصة أخـلاق ولا ينبغـي أن تعـرف العامة بعقيدة الخاصة مشدداً على ذلك " كما أن من غير الممكن إبعاد الأسماك عن المـاء دون أن تموت كذلك من المستحيل أن تكشف أسرار الدولة أمام العامة دون أن تفسد الحال "[٣]. من هنا نعرف مقدار حرص الخاصة على عدم تسرب أسرار عقيدتهم إلى العامة.

العبادة الملكية:

تقام العبادة الملكية في معبد الأسلاف – وهو المبنى المركزي في مجموعـة مباني القصر – أمام تخوم القصر التي تواجهها الشمس صوب الجنوب . ويتم الاقتراب من البوابة الجنوبية ، فتفتح على فناء عظيم يقع في الجانب الشمالي منـه ضـريح أسـلاف أسرة (تشو) وفي المؤخرة عبر بوابتين أخريين يوجد الفناء الرئيسي ، حيـث يقـوم فـي جانبه الشمالي القصر الذي يقيم فيه الملك .

ويصف قائد مظفر المراسم النموذجية التي شارك فيها ، وكانت في جانب منهـا عبادة، وفي الجانب الآخر حفلاً ملكياً، فيقول: في اليـوم الأول وقبـل الـشروق يقـوم الكهنة الكبار بتجهيز الملك في قصره، ثم يتقدم الملك إلى معبد الأسلاف ، ويقـف أمـراء الإقطاع العائدون من حملات عسكرية أمام البوابة الجنوبية، ثم يدعون إلى الفناء الكبيـر

---

[١] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية – علي معبد فرغلي – ص ٣٦ .

[٢] الفلسفة الشرقية – محمد غلاب – ص ٢١٩ بتصرف . وانظر المدخل في تاريخ الأديان – د/سعيد مراد – ص ١٧٤-١٧٥ .

[٣] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية – علي معبد فرغلي – ص ٣٨. وانظر ص٢٥من هذه الرسالة .

حيث يعرضون أسراهم، عندئذ يضحى بالأسرى كقرابين في معبد الأسلاف[١]، ويتقدم المشاركون نحو الفناء الرئيسي حيث يتلى تقرير عن الحملة، ثم يسير الملك من الفناء الرئيسي إلى المعبد لتقديم القرابين للأسلاف الملكيين. وفي اليوم التالي تعقد للرعايا المجتمعين وليمة - من اللحوم والخمور التي سبق تقديمها مكافأة لهم من الملك- .

وقد حفظت الطقوس التي كانت تؤدى في مثل هذه الخدمات الدينية في أقدم قسم من (كتاب الأغاني) ، وهو مختارات من الشعر الصيني المبكر ، وهي ترنيمات لملوك أسرة تشو ، وتتألف الترنيمات من تضرعات ، واعترافات موجهة إلى الأسلاف من الملوك وتراتيل تتلى للآلهة عن أعمال البسالة. وقصائد أخرى تحتفي أمام الآلهة بحضور الإقطاعيين وأتباعهم أثناء الاحتفال وتأدية الطقوس . وهناك أغان ترحب بالأتباع وأغان أخرى تعبر عن الإخلاص والولاء ينشدها هؤلاء الأتباع للملك . ومن ذلك كله تتألف طقوس العبادة الملكية[٢]. ويمكن أن نكون فكرة عن المشاعر الدينية التي تنطوي عليها طقوس المعبد من المقتطفات التالية: (بهدوء جليل ، وانسجام مهيب

يسجل الوزراء والفرسان الحاضرون

فضائل سيدهم المنشئ

المتكفل بنا من قبل السماء

الملك العظيم ون

آه يا مولاي لعلك تجد وأنت في جلالك العظيم

في العمل المتزن ، والكلمة المهذبة

مديحاً لا يغضبك من بشر فانين

جليل ولا حد لجلاله

هو تكليف السماء

فضيلتك أيها الملك الشهير ون

---

(١) كان الملك يقوم بسلسلة من الأضحيات : للأجداد ولـ تي وللآلهة الأخرى أحياناً ، والخدمة الطقوسية تمتد من ٣٠٠ إلى ٣٦٠ يوماً. وفي المقابر الملكية الكبرى بالقرب من(آنيان) وجد إلى جانب الهياكل العظمية للحيوانات ، العديد من الضحايا البشرية ، المضحى بها على الأرجح كي ترافق الملك في العالم الآخر .

تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /ميرسيا إلياد – ج٢ – ص١٠،١٢.

وأنظر الأديان في تاريخ شعوب العالم –سيرغي أ . توكاريف – ص ٢٦٦

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ص ٣١٠-٣١١ بتصرف .

وانظر فلسفة الأخلاق والسياسة – د / هالة أبو الفتوح – ص ٢٩ .

تهبط لتغمر بالبركة
خدماً على الأرض
ليس علينا إلا أن نتلقى عطفك وإحسانك
فليحفظها من يأتون بعدنا
إننا نأتي ، بتواضع ، بما لدينا من قرابين
من ثيران وخراف
فلتتبع منها
عناية السماء
ورضا الملك
ليكن علينا على الدوام أن نخشى غضب السماء
حتى نصون عطف الملك
ونحافظ على طريقنا المستقيم
ينبغي علينا ، لكي نجلب السلام على الأرض
أن نطيع أوامر الملك ون
وأن نثق في تشريعاته
وسوف يراقبنا من بعيد ، ويشملنا بالتشجيع والتأييد
ثيابه من الحرير البراق
وقبعته مرصعة بالأحجار الكريمة
خمره معتقة للغاية لكنها لا تسكر
في تواضع جليل يمشي هوناً وبلا صوت !
وسط الركائز المقدسة .
والقرون الخاصة بالشراب . !
يمشي من القاعة إلى العتبة
بخطوات محسوبة
ويمنح عفوه في النهاية للمسيئين)[١].

ولقد أمدت توجيهات ملوك أسرة تشو ، وترنيمات كهنـتهم الدينيـة أثنـاء تأديـة الطقوس – أمدت كونفوشيوس (بوثائق الماضي العتيق) كما أيدت أفكـاره الـسياسية

[١] المرجع السابق – المعتقدات الدينية لدى الشعوب - ص ٣١٢-٣١٣ .

والدينية بسلطات قديمة . فأصبحت أفكـار معينـة مـن الديانـة الملكيـة لأسـرة تـشو ، معتقدات دينية أساسية عند كونفوشيوس وفي الدولة الكونفوشيوسية التي جاءت بعد ذلك . ومن هذه الأفكار الأساسية فكرة (الموجود الأسمى) (تشانج –تي) أو(ا فـي الأعالي) وفكرة الملك الذي تقلده السماء نائباً أو مفوضاً عنها (تكليف السماء) وفكـرة أن السماء تسحب تفويضها من الأشرار وتوافق على خلع الأسرة الحاكمـة عنـدما تنـضب فضائلها ، وتبرر إحلال أسرة أخرى محلها بأنها (مقبولة مـن الـسماء)[٢]. وسـأتناول هـذه الأفكار أو المعتقدات بالتفصيل فيما بعد إن شاء ا تعالى .

ثامناً: الأحداث الكونية تتبع الأخلاق:

من معتقدات الصينيين القدماء ، أن الأحداث الكونية تتبع الأخلاق

التي تسود بين الناس ، وملوكهم فكلما كان العدل والانـسجام والتفـاهم والفـضيلة تسود بين الناس وتربط العلاقات بينهم برباط من المودة والمحبة والرحمة ، فـالكون يـسير في فلكه من غير اضطراب يعيش الناس بسعادة وهناء ، أما إذا حاد الإنـسان عـن جـادة الحق وابتعد عن السلوك القويم ، اضطرب الكون لمخالفة القانون الأخلاقي[٣]، ويعـدون حدوث القحط والزلازل والدمار ، وكسوف الشمس ، وخسوف القمر ، دلالات على فـساد خلقي موجود بين الناس ، أما السلوك الطيب فيجلب الخير والبركات ويجعل كل ما فـي الكون يجيء وفق رغبة الإنسان ، وهم يعتقدون أن المؤثرات في الكون أمور ثلاثة هي :

السماء : ولها السلطان الأعلى . ثم الأرض : لأنها تقبل أحكام السماء ، ثم

الإنسان : بما يؤثره بإرادته ، فإذا أراد الفضيلة وسلك سبيلها يجعل مظاهر الكون لخير الإنسان . .[١].

السماء والأرض والإنسان :

---

[٢] المرجع السابق – ص ٣١٣.

[٣] الديانات القديمة – الشيخ محمد أبو زهرة – ص ٧٤ بتصرف .

[١] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – فوزي محمد حميد – ص ٢٢٣ بتصرف .

يعتقد الصينيون القدماء أن السماء والأرض والإنسان ، بينهم رباط محكـم وأن لكـل واحد من هذه القوى في الظاهر طريقاً خاصاً أو غاية مقصود تحقيقها . وتوضيح ذلك -:

أن غاية السماء تسمى " تيان تو "

وغاية الأرض تسمى " تو تاو "

وغاية الإنسان تسمى " جين تاو "

إلا أن هذه الغايات ليست في الحقيقة إلا غاية واحـدة هـي غايـة العـالم أو " قـانون الطبيعة " أو " واجب الموجودات " . وعن مدى ارتباطهم ببعض :- إذا حدث اضـطراب في أحدهم يرتد صداه في جميع جزئيات الآخرين .

وبناءاً على ذلك إذا حاد الإنسان عن الطريق السوي ، فاقترف جريمة مـن الجـرائم حدث في الحال اضطراب في السماء والأرض وليس الكسوف والخسوف والزلازل والجدب والأوبئة إلا نتائج جرائم الإنسان وحيدته عن الطريق السوي[٢].

ولهذا تقول : " أونج فان " – وهي القاعدة العظمى في فلسفة الصينيين وهي أقدم مستند فلسفي صيني – (إن سلوك احترام من يستحق الاحترام يجلب الغيـث فـي الوقت المراد ، والتبصر يجلب الحرارة في الوقت المـراد ، والتمـرن علـى التأمـل بجلـب البرودة في الوقت المراد ، وحكمة الملك تجلب الهـواء فـي الوقـت المـراد ، ولكـن الفظاظة تديم المطر من غير انقطاع ، والكسل يديم الحرارة من غير انقطاع ، والتهـوس يجلب البرد من غير انقطاع ، واحتقار ما يستحق الاحترام يجلب الجدب ، والحماقة تجلب العاصفة)[٣].

العلاقة بين السماء والأرض:

السماء والأرض مادتان متوازيتان ولهما وجود أزلي وعندما نـذكر الـسماء أو الأرض فليس المقصود هو الجرم الذي يتخذ كمادة صـالحة للإقامـة ولكنهمـا سـكن لكـل العالمين. سكان السماء وهم أرواح الأجداد القدامى هم الذين يطلق علـيهم لفـظ (تـي) وهؤلاء يؤمرون من الأرواح السابقين الأولين الذين يطلق عليهم (سانج تي) أولـئكم الـذين

---

[٢] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية – علي معبد فرغلي – ص ٤٢ .

[٣] الفلسفة الشرقية – محمد غلاب – ص ٢٢٣ – ٢٢٤.

غادروا الأرض وجلسوا على عرش في السماء ولكنهم مازالوا يتـصلون بعـالم الأرض . إن السماء والأرض يشكلان وحدة لا يمكن فصلهما والموت مرحلة تالية للحصول على أعلـى الدرجات ، فالناس في الدنيا تتغير أحوالهم حتى الأبوة العالية مرحلـة الأجـداد فهـي سلطة أعلا . السماء لها سلطة وهيمنة على الأرض،والسماء كذلك تعطي البهجة والسعادة للأرض بل إن السماء في قدرتها أن تحدد أسلوب الحياة للأرض . ولهذا يجب علـى الأرض أن تقدم تضحيات نحو السماء . والأسلوب الأفضل لحديث الأرض مع الـسماء هـو القـرابين والهدايا التي تقدمها الأرض إلى السماء عن طريق الدخان الذي يتصاعد من حريق هـذه القرابين والهدايا فوق جبل معروف . . . وإرسال مثل هذه القرابين يشكل واجباً من واجبات القرى وبخاصة عندما ينصبون رئيساً أو ملكاً لا بد من ممارسة هذه العادة على أن توجه كل الطاعة إلى أرواح الأجداد القدامى وفساد شـيء مـن هـذه العبـادة نحـو أرواح الأجداد يعني ضياع كل الحقوق فلا يمكن لأحد أن يحصل على شيء ما .

تتحدث السماء مع الأرض عن طريق الحدس والتخمين وذلك بتحديد أسلوب العطاء للأرض في الزمن الفائت .

فالسماء تستطيع أن تقدر ما سيحدث في المستقبل للأرض وعنـدما تتعـرف الأرض على ما تحدث السماء به نفسها فإنها تعلم كم يكون نصيبها في المستقبل، فإذا حصلت السماء على هدايا وقرابين طيبة فإن أرواح الأجداد سوف تقدم المعلومات لـلأرض نحـو مستقبلها وذلك عن طريق أحفادها في الأرض .

أما أسلوب الحديث من السماء إلى الأرض فإنه لا يكون بواسطة اللغة التي يتحدث بها الناس ، ولكنه يقع بأسلوب لغة الإشارات ، وهذه أحياناً تقع في شكل جـسد بـشري مثل حركة العينين أو صفير الأذن الخ ... وقد تقع خارج الجسد البـشري مثـل : البـرق ، الرعد ، النجوم ، الزلازل ، حركة الحيوانات ، أو صوت طـائر ... الـخ . وقـد تقـع هـذه الإشارات بواسطة تجارب الإنسان من نفسه وذلك عن طريق قذف حجر إلى أعلا ثم مراقبة جهة سقوطه على الأرض ، بل في كثير من تصرفات الإنسان يـستطيع أن يحـصل علـى الإشارات المعنية مثال ذلك إذا أراد أن يخرج أو يسير أو إذا هم بالركوب أو بالصعود ... الـخ فإنه يستطيع أن يحصل على علامات خاصة [١].

عبادة الأرض:

---

[١] التفكير الديني في العالم قبل الإسلام – د/ رؤوف شلبي- ص ١٠٤-١٠٦ بتصرف .

من ناحية أخرى فإنهم قد أغرقوا في عبـادة الأرض وتقديـسها حتـى كـانوا يطلقون عليها اسم " القوة المحسنة التي تتسلم البذور لتردها ثماراً مضاعفة " وذلك بـالنظر إلى كون الشعب الصيني شعباً زراعياً في المرتبـة الأولـى ، وكانـت الحاصـلات الـصينية وطرق الزراعة ، على الأرجح ، الأفضل من نوعها في العالم، فضلاً عن أن الـصينيين قـد وضعوا الاستغلال والاستنبات في المنزلة الأولى في الحياة [٢].

تاسعاً: عقيدة الخلود:

حب الدنيا وكراهية الموت من طبيعة الإنسان ولكن لا نجد بين الأمم من كان أشـد حبا للحياة وأكثر حرصاً على الخلود مثل الصينيين . فكان أعظم أمانيهم في الحياة هو طول العمر ودوام الحياة وبالتالي ظهرت فيهم فكرة الخلود منـذ العـصور القديمـة وكان الكهنة قد سبحوا بعقولهم في أقصى ميادين الخيال وصـوروا للنـاس أن هنالـك في الدنيا عالم آخر "يدوم فيه الشباب وتخلد فيه السعادة وتنعدم فيه الأمراض وتكثـر فيه الأفراح وأهله أناس خالدون لا يطعمون فيه إلا النسيم والنـدى ويـسوقون الـسحاب ويقودون التنانين الطيارة فيسيحون بين السماء والأرض ولا تنفك الشمس مضيئة والقمر منيرا ، وفيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا أنف شم في العالم البشري . وتنبت فيه عقـاقير الخلود ومن تناول عقاقير الخلود فلن يموت ويخلد في الدنيا .

صدق الناس ما تخيل لهم الكهنة واعتقدوه وخاصة الطبقة العليا الذين يعيشون في الرفاهية والنعمة فكانوا اشد الناس إعجاباً بفكرة الخلود وأحرصهم للوصول إلـى الإنسان الخالد . وافتتنت عقول الملايين بهذه الفكرة عقلاء كانوا أو سـذجاً علـى الـسواء وكان الكهنة يبثون هذه العقيدة بين العوام ويبشرون بوجـود العـالم الخالـد وإمكـان الخلود روحا وجسداً بتناول دواء الخلود فانطلق الناس يبحثون عن هـذا الـدواء بجنـون وكان الملوك أشدهم حرصا عليه فإنهم لا يبالون بدفع أي ثمن كان فـي هـذا الـسبيل وقد أرسل الملك جين شي خانغ (حكم ا ٢٢ق .م _ ٢٠٧ق .م) الكهنة إلى كل صـوب وحدب للعثور على دواء الخلد حتى عندما أخبر بأن الدواء في البحار بعث الصبيان إلـى جزر البحار لتحقيق ذلك الأمل البعيد باعتبـار الـصبيان أنقيـاء وأصـفياء ويجـدون الـدواء

---

[٢] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ص ٢٧٢بتصرف.
وانظر الفلسفة في الشرق – بول ماسون – أورسيل – ص ١٦١ .

بصفائهم وإخلاصهم ولكن انتهت كل المحاولات بالفشل وصارت جهـودهم وجهـود الناس جميعاً هباء منثورا وخاب أمل الجميع أمام دعاية الكهنة [1].

خلود الروح:

يقول ميرسيا إلياد : إن الاعتقاد باستمرار حياة الروح موضحة بـالأدوات والأطعمـة الموضوعة في المقابر . وأن الأطفال كانوا يدفنون بالقرب من المساكن ، في جرار كبيرة مزودة بفتحة في قمتها ، لكي تسمح للروح بالخروج والعودة . وبعبـارة أخـرى ، إن الجرة الجنائزية كانت (البيت) للميت ، وهي فكرة جرى التعبير عنها كثيراً في عبـادة الأجـــــــــــداد فـــــــــــــي العـــــــــــــــصر البرونـــــــــــــــزي و (عصر شانج)[2]. وقد ظل الشعب الصيني بأسره تقريباً على مدى تاريخـه كلـه يمـارس عبادة الأجداد. وعبادة الأجداد تومئ إلى الإيمان بأن أرواح من ماتوا لا تزال تواصل العيش محتفظة بحاجاتها البشرية . ولن تتضح للأذهان أشـكال القـرابين وزيـارات المقـابر وشـعائر الأسلاف المنزلية ، إلا مقترنة بذلك المعتقد ، ويبدوا أن فكـرة الخـود الشخـصي ضـمنية هنا[3].

ويضيف د/ أبو الفيض المنوفي " أن المطلع على كتبهم قد يعثر علـى جمـل تفيد أنهم كانوا يعتقدون في خلود الروح وبقائها بعد الموت كقولهم : (لما يمـوت المرء يعود جسده إلى التراب إنما روحه الحية تتحرك متلألئة خارج القبر وتلقي فينا الهيبة والخوف). ومن التعاليم الدارجة عندهم قولهم : (كن قنوعا في اللذات وديعا مـع الناس فيوافيك روح علوي يملؤك من الخيرات). (إن للملوك الأموات وللآباء والأجداد في السماء مكانا يشرفون منه على أعمالنا وأقوالنا)" [1].

<u>عاشراً: عالم العرافة والتنبؤ بالغيب (التنجيم والكهانة):</u>

آمن الصينيون ، ولا يزالون حتى اليوم يؤمنون ، بأن هناك أرواحاً خيرة تـسهر علـى فصول السنة ، وعلى النشاط الزراعي وعلى حماية المنازل ورعاية أفراد الأسر . ولما كانـت هذه الأرواح بنوعيها ، السماوي والأرضي ، هي التي تحكم الكون ، وتسير كل حركاته ، وتسبغ على البشرية السعادة ، كما أن في استطاعتها أن تتلقى القرابين ، وأن تندمج فـي

---

[1] عقيدة الألوهية في الديانة الداوية – أيوب نور الحق – ص ٨-٩ بتصرف .

[2] تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية / ميرسيا إلياد – ج٢ – ص ٨ .

[3] لتاريخ وكيف يفسرونه – آلبان ج ويدجري- ج١ – ص ٢٨ بتصرف.

وانظر المذاهب الكبرى في التاريخ – البان . ج . ويد جيري – ص ١٢ بتصرف .

[1] الدين والفلسفة والعلم – محمود أبو الفيض المنوفي – ص ٩٥ بتصرف .

الكائنات البشرية ، فقد حرص الصينيون على أن يردوا عداوة هذه القوى والأرواح الخفية ، وان يستعينوا عليها بالأدعية والرقى الـسحرية ، فراحـوا يـستأجرون الـسحرة والعـرافين والمتنبئين من ذوي المواهب ليكشفوا لهم عن المـستقبل باسـتخدام أصـداف الـسلاحف ، وملاحظة الظواهر الطبيعية كحركات النجوم مثلا ، وهؤلاء هم الكهان .

إننا إذا ألقينا نظرة على القسم المسمى " الفكرة العظمى " في " كتاب التـاريخ " يظهر لنا أن حكام أسرة شانج (١٧٦٥ – ١١٢٣ ق . م) - وهي السيرة التي يبتـدئ بهـا التاريخ المسجل للصين والتي استمر حكمها من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عـشر قبل الميلاد – كانوا يهتمون اهتماماً كبيراً بالتنجيم ، وهو أهـم أقـسام الكهانـة ، وأنهـم مارسوا بطرق متعددة . ومن بين تلك الطرق أنهم كانوا يعرضون قطعة من ذيل غطـاء السلحفاة للحرارة، ويجيبون على سؤال السائل من دراسة التشققات التي تظهر فيها.

وفي طريقة أخرى كانوا يحفرون عدداً من الحفرات البيـضاوية الـصغيرة فـي أحد جوانب قطعة من العظم ، وكانت في العادة من عظم كتف شاة ، ثـم يحمـون قضيباً معدنياً في النار حتى يحمر ويضعونه في تلك الحفرة ، ثم يجيبـون علـى سـؤال السائل من تفسيرهم للتشققات التي تظهر على الجانب الآخر لقطعة العظام .

وكان حكام شانج يستوردون ويربون السلحفاوات التي يأتون بها من الجنوب حتى تكون عظام غطائاتها من النوع المطلوب . وفي طريقة التنجيم بواسطة عظام الكتـف كان المنجمون يحفرون على العظمة نصوص الأسئلة المطلوب الإجابة عليها قبل تعريضها للنار بسبب الاعتقاد بأن الآلهة صماء، وأنها لا تفهم المطالب التي ترفـع إليهـا إلا إذا كانـت مدونة كتابة .

وكانت الأسئلة تتعلق قبل أي أمر آخر بشؤون القصر الملكي ،يسألون عن الأوقـات المناسبة لتأدية الشعائر ،والنتائج المحتملة للحروب التي يقومون بها وعما ينتظر المحاصـيل ..[1]وعلى إحدى العظام نقرأ شيئاً يدعوا إلى التسلية ويدلنا على تصرف المنجمين. فقـد كان السؤال كما يأتي : إذا خرج الملك للصيد في التلال الشرقية (في يـوم كـذا)فهـل ستسقط الأمطار ؟ وإلى جانب التشققات التي دلت على الجواب بأنهـا سـتمطر، نجـدهم أضافوا كتابة الجملة الآتية :(وقد أمطرت حقاً) .

إن طبيعة الأسئلة المطروحة ،في هذا الأمر ،تعطينا صورة لمجتمع ينظمه ،فـي كل جانب من جوانب الحياة اليومية ،التنبؤ بالغيب وتحكمه اعتبارات الحظ الحسن أو الفأل

---

[1] أنظر الأديان في تاريخ شعوب العالم – سيرغي أ / توكاريف – ص ٢٦٥ .

السيئ ، كما تؤكد إيمان قدماء الصينيين بوجود رباط وثيق بين أفعال الأرواح وتـصرفات البشر ،وتأثير متبادل بين الأشياء في الكون والشؤون البـشرية،مما أوجـب علـيهم الاسـتعانة بكافة ضروب الكهانة[٢].

وتقسم المراجع الصينية فنون الكهانة ستة أقسام :

الأول :التنجيم –ويعتبر أهمها .

الثاني : التقويم – والغاية منه تعيين الفصول الأربعـة بغيـة ضـبط أوقـات الاعتـدالين والانقلابين، وملاحظة موافقة فترات الشمس والقمر والكواكب الخمسة لتتيسر دراسة أحوال البرد والحر ، والحياة والموت .

الثالث : يتصل بالعناصر الخمسة : التراب ، الخشب ، المعدن ، النار ، الماء .

الرابع : يتعلق بأوراق نبات العرافة وصدفة السلحفاة. ويقصد بنبات العرافة " زهرة القنديل " وتمتاز بكثرة أوراقها. فكان طالب معرفة حظه يقطـع أوراق الزهـرة ورقـة ورقه، وفي الورقة الأخيرة يتمثل الرد على رغبته. أما بالنسبة لصدفة الـسلحفاة. فكـان العراف يثقب حفرة فيها ، وبتعريضها للحرارة ، تظهر عدة شروخ يفسرها العـراف علـى أنها إجابة عن سؤاله .

الخامس : يتضمن الأحلام .

السادس : يتألف من طريقة الأشكال. ومدارها قياس وإحصاء عظـام النـاس والحيوانـات المستأنسة الستة: الحصان ، الثور ، الخنزير ، الغنم، الكلب، الدجاج. وكانـت هـذه الطريقـة تستخدم عند بناء سور المدينة، أو منزل،أو كوخ[١].

بهذه الطرق السالفة الذكر كان السحر والفأل الحسن والفـأل الـسيئ مـن الأفكـار السائدة في الصين قديما، ولكن ما هي القوى التي كان يستمدون منها هذه الإجابات ؟

.

والإجابة : هي أرواح الآباء والأجداد والأسلاف ، كذلك أرواح القوى الطبيعية التـي كانوا يؤمنون بها [٢]والتي كانت تعبد هي أيضاً كما بينا سابقاً .وقد خلع الصينيون على السحرة والعرافين صفة القدسية والتبجيل،باعتبارهم الواسطة بـين عامـة النـاس والأربـاب والأرواح ، فكانوا يقومون للناس بأعمال كثيرة منها " أنهم يعينون أماكن بنـاء المـساكن ،

---

[٢] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ١٦بتصرف .

وانظر – الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة- د/ عمر عبد الحي ص ٥٨.

[١] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١- ص ٣٢ .

[٢] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر- ص ٣٠٧- ٣٠٨ .

وينسقون حجراتها ، يحددون مواضع تقديم القـرابين ، ويرتبـون أسـبقية الأرواح وفقـاً لمكانتها. وساد الاعتقاد بأن في وسع الأرواح أن تسبغ على البشرية السعادة ، وان تتلقـى القرابين وأن تندمج في الكائنات البشرية وادعوا قدرتها علـى التجـسد[٣]. وقـد تطـور التفكير الصيني ، بمرور الأيام ، وأخذ يتحرر تدريجياً من إسار العرافـة والكهانـة ، وقيـود السحر والأرواح ، وهذا ما نطالعه في الأحداث الصينية:

١- ذكرت السجلات - تحت أحداث عام٦٦٢قبل الميلاد – أن أمور الدولة تزدهـر وقتما ينصت الحكام إلى صوت الشعب ، فإذا استمعوا إلـى الأرواح فـسدت الأمور .

٢- وتحت عام ٥٥٤ قبل الميلاد ، قالت : (طريق الـسماء طويـل ، فـي حـين أن طريق الإنسان قريب المنال ، لكن لن يمكننا بلوغ السماء ، إذ لا سبيل إليها).

٣- وتحت عام ٥٠٩ قبل الميلاد ، ذكرت أن مملكة " هسيه " تلجأ إلـى الـشعب، في حين تستعين مملكة " سونج " بالأرواح . وعلقت على ذلك بقولهـا : (إن إساءة مملكة سونج بالغة)[٤].

الحادي عشر: تقديم الأضاحي للآلهة:

مما تقدم يتبين لنا أن عبادة أهل الصين كانـت تـتلخص فـي أن يقيمـوا الـشعائر ويقدموا القرابين للإله الأعظم ، وأرواح أسلافهم ، وقوى الطبيعة المختلفة ، وهذا كـان له أثره في إقامة المعابد والهياكل ، فقد كانت تبنى المعابد في الـصين علـى هيئـة هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة ، لكل معبود هيكل .

١- مذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرضية ، وهذا تقدم فيه القرابين للـشمس والقمـر والكواكب والنجوم والأرض والتلال والجبال والأنهار ، وما إلى ذلك من قوة الطبيعة .

٢- مذبح الأرواح . حيث كانوا يعتقدون أن أرواح آبائهم وأجدادهم وملوكهم تهديهم في تلك الحياة ، وتقف معهم وقت الشدة والرخاء ، فكانوا يقدمون القرابين لهـا فـي هذا المذبح زيادة في إرضائها وليستهدونها في أمورهم الحاضرة والمقبلـة ، ويطلبـون منها السعادة في حياتهم .

٣- مذبح الإله الأعظم : وهو خاص بعظيم السماء ، وهذا المذبح أقدم المذابح وأعظمها وأكبرها ، لا تجد حوله أصناماً أو تماثيل أو دمى لأنه مذبح الإلـه الغيـر منظـور[١]. كمـا

---

[٣] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ – ص ٣١ بتصرف .

[٤] المرجع السابق – ج١ - ص ٣٣ .

[١] الأديان في كفة الميزان – محمد فؤاد الهاشمي – ص ٢٩ بتصرف .

كانت عباداتهم تقوم على تقديم الذبائح الخمس التي ترمز إلى العناصر الخمسة التي يرجع إليها أصل كل الموجودات وهي : المعدن – الخشب – الماء – النار – التراب[٢].

<u>الثاني عشر: هل كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ؟</u>

وإذا كانت الأخلاق الصينية هي محور الدائرة في الفكر الصيني القديم السابق لكونفوشيوس فما هو مقياس الخير والشر عندهم ؟ الخير والشر عندهم هو ما يرضي الأرواح أو يسخطهم من أعمال أبنائهم ،فما أرضى السلف فهو خير، وما أسخطهم فهو شر[٣]. ويقودنا ذلك إلى الحديث عن " القضاء والقدر عند الصينيين " فهل كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ؟ وهل يغير القضاء والقدر عندهم أم لا ؟ والناظر في فكرهم يجد أن القضاء والقدر عندهم على نوعين : -

الأول : الأقدار الناشئة عن الأفعال الصادرة عن الإنسان نفسه وهذا النوع لا يمكن تعديله أو التغيير فيه .

والثاني : هو الحظ الذي تبدأ السماء بتوزيعه على الإنسان ، وهذا يمكن تلطيفه أو تحويل شره إلى خير .

وكان الصينيون القدماء يؤمنون بالقضاء والقدر ويذعنون لأحكام السماء ، ولكنهم كانوا يجعلون للإرادة الإنسانية الشأن الأول ، لأن الإرادة الإنسانية للخير أو للشر لها أثرها في الكون على حسب عمل الإنسان إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والسماء تعطي الإنسان جزاء ما قدم . وأما أفعال السماء التي تكون حظاً من غير تقدم الإنسان بسبب لها فهي تقبل التخفيف بالإرادة الإنسانية الخيرة أو الشريرة .في هذه الحدود الضيقة كان إيمان الصينيين القدماء بالقضاءوالقدر[١].

مصير الإنسان بعد موته:

يعتقدون أن للإنسان مصيرين بعد موته فالروح الصالحة تصعد إلى السماء وتصير شين (الإله) وتضم في جملة الآلهة، والأرواح الطالحة تدخل تحت الأرض وتصير "قوى" (الشيطان) وتقيم في منطقة تسمى "خانغ جوان" : (الينبوع الأصفر) للعذاب[٢]. وكان الناس يعتقدون بأن شين(الأرواح الصالحة أو الآلهة) تحفظ الإنسان وتنفعهم بينما أن "قوى"

---

[٢] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – فوزي محمد حميد – ص ٢٢٤.

[٣] الأديان القديمة – حسن الهواري – دار الطباعة المحمدية – القاهرة – ١٩٩٢م-ط٢ص١١٤.

[١] الديانات القديمة – الشيخ محمد أبو زهرة – ص ٧٥ .

وانظر – عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – فوزي محمد حميد – ص ٢٢٢.

[٢] الفلسفة الشرقية – محمد غلاب – ص ٢١٤ .

(الأرواح الطالحة أو الشياطين) تضر الناس وتعاديهم فكانت العبادة لهما تهدف إلى جلب النافع من الأولى ودفع المضرة من الأخيرة[٣].

الثالث عشر: هل حظيت الصين برسالة سماوية؟:

اتفق علماء مقارنة الأديان على أن الصين على اتساع رقعتها وكثرة شعوبها،قد اختبرت جميع أنواع العبادات ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تحظ برسالة دينية واحدة تنشا فيها [٤]، فلم تخرج للعالم قيماً دينية تصدر منها ، ولكنها حاولت أن ترضي العقل الفطري الباحث عن الألوهية بمعتقدات وردت إليها من الخارج قديماً وحديثاً ...[٥].

تعدد الآلهة والنزعة التوحيدية:

كانت المعبودات على الرغم من كثرتها تنقسم إلى ثلاثة أصناف : آلهة السماء وأرباب الأرض وشياطين الإنس .آلهة السماء هم الذين يدبرون أمور السماء والفضاء مثل إله البرق وإله المطر وإله الرياح و آلهة الكواكب والشمس والقمر وغيرها[١] . أما أرباب الأرض فهم الذين يستوطنون الأرض ويدبرون الأمور عليها
مثل رب الربوات ورب الغابات ورب المياه ورب الأنهار ورب المملكة ورب المدينة ورب المطبخ وغيرها[٢]. وشياطين الإنس بمعنى أرواح الموتى (الأرواح الطالحة) .

وظلت عبادة القدماء على هذا النحو في التعدد عمليا واعتقاديا حتى طرأ عليها التغير في العقيدة . ففي القرن الثالث عشر قبل الميلاد تطورت العقيدة تطورا عظيما نحو النزعة التوحيدية حيث توصل الناس إلى معرفة الإله الواحد الأعلى وأطلق عليه الاسم "شأن دي" بمعنى السلطان الأعلى كما دلت عليه الوثائق التاريخية القديمة، وفى ضوء ما أكتشف من الآثار القديمة نلاحظ أن القدماء كانوا يعبدون هذا الإله الأعلى كرب السماوات والأرض وخالقهما وهو الملك الأعلى في الكون يسيطر على الآلهة

---

[٣] عقيدة الألوهية في الديانة الداوية – أيوب نور الحق – ص ٦-٧ .

[٤] قد تكون الصين حضيت برسالة سماوية لقوله تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) ولقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) الآية .

[٥] الإنسان في ظل الأديان – د/ عمارة نجيب – ص٢٣٠ بتصرف.

[١] الديانة الصينية والمسيحية – جين جايى وهنس كن - ص : ٢٢. (عقيدة الألوهية في الديانة الداوية – أيوب نور الحق – ص ٦).

[٢] الفلسفة الشرقية – محمد غلاب - ص : ٢١٤.

الطبيعية الكثيرة ، وما الآلهة الأخرى إلا وزراء ورسل له تدبر الأمور في السماء والأرض نيابة عنه وفقا لإرادته بحيث أن الملكوت السماوي مثـل المملكـة الإمبراطوريـة علـى الأرض ويكون الإله الأعلى ملكا يخدم له الوزراء والموظفون والخدام [٣]. ولكـن بمـا أن الإلـه الأعلى لم يحكم العالم مباشرة لم يتمتع بالعبادات والقرابين من قبـل النـاس . فكانـت العبادات كلها تبدو موجهة إلى الآلهة الصغرى . أما الدعاء والمدح فيوجه إلـى الإلـه الأعلى[٤].

هنا لا ضرر علينا أن نتصور أن عبادتهم لـ شان دى حق العبادة ، تختلف عن عبادة آلهة قوى الطبيعة إذ أن عبادة "شأن دى" كانت عبـادة روحانيـة وباطنيـة كالـدعاء والمدح بينما مظاهر عبادة الآلهة الأخرى كانت جسمانية ظاهريـة كالـسجود وتقـديم القرابين ، والانتقال إلى نزعة التوحيد أمر عظيم ولا نعرف كيف تم ذلك الانتقال اللهـم إلا أن يكون قد أرسل إليهم رسل من عند ا تعالى ودعوا بدعوة التوحيد .

وبعد القرن الحادي عشر قبل الميلاد حل الاسم تيان (بمعنى السماء) محـل الاسـم شان دى وجعله الناس أحد معبوداتهم حيث بدءوا يقدمون القرابين إليـه باعتبـاره الإلـه الأعلى يراقب الدنيا من فوق[١] ويجازى المحسنين ويعذب العـصاة ويختـار مـن النـاس أحسنهم يكون أبنا له وملكا للناس[٢]فصارت عبادته أعلى صور العبادة ولا تـزال عبادتـه مغايرة عن عبادة سائر الآلهة إذ أن الملك يخرج من المدينة إلـى ضـاحيتها فـي وقـت معين كل سنة ومعه الأشراف والمواطنون ثم يقيمون مراسيم العبادة تحت رئاسـة الملـك في مكان خال .

وكانت الرياسة في هذه العبادات محصورة على الملك فقط .

ثم تطورت هذه الرياسة في العصور المتأخرة فتجاوزت الملك إلى حكام المقاطعات والأقاليم [٣]وكانت عبادة تيآن عبارة عن مراسيم رسمية للدولة وصار "تيان" إلهـا للحكـام والأشراف والخواص . وأما عامة الناس فلا يزالون بجانـب عبـادة تيـان يعبـدون الآلهـة الطبيعية والأسلاف . ويبدو من هذا أن الخواص منهم كانوا على عبادة الإلـه الواحـد – تيان- بينما العوام كانوا على التعدد .

---

[٣] الديانة الصينية والمسيحية - ص ٢٢ .

[٤] العقائد البدائية والآلهة القديمة في الصين –ص ١٤٩ .

[١] الديانة الصينية والمسيحية ص ٢٢ ، و الديانة الداوية ص ٣٢ .

[٢] قصة الحضارة – ول ديورانت – ت : محمد بدران - ج ٤ ص ٣١ .

[٣] الفلسفة الشرقية- محمد غلاب - ص ٢١٦ .

وبعد القرن الثامن قبل الميلاد ظهرت نزعة الشك بين العوام[٤] في الإله الأعلى وبدأ النـاس يشكون في وجود هذا الإله الغيبي إلا قليل منهم . وبهذا اشتد ميل العوام إلى عبـادة الآلهة المتعددة وأرواح الأسلاف حتى ما إذا اقترب عصر ظهور كونفوشيوس كان الـشرك والوثنية سمة سائدة في المجتمعات الصينية [٥].

الرابع عشر: (دين أهل الصين قبيل كونفوشيوس) :

في نهاية هذا الفصل وبعد دراسة الحالـة الدينيـة فـي الـصين قبـل مجـيء كونفوشيوس نقول: أن قدماء الصينيين كانوا يعتقدون أن السماء جوهر حي علـيم قـادر مدبر الكون نافذ الإرادة في النفوس وسائر الكائنات ، واعتقدوا بالقضاء والقدر وقـالوا أن العاصفة والطوفان والقحط والزلزال والمجاعة كلها آيات السماء تنذر بها الملوك إذا جـاروا على الرعية أو قصروا في حقوقهم ، وعبادة السماء خاصة للملوك ولا تتعدى غيرهم .

كما يعتقد قدماء الصينيين أن للكائنات السماوية والأرضية آلهة أو ملائكة أو أرواحاً تدبرها وتصرفها كيفما تشاء ، فالشمس والقمر والسحاب والمطر والجبال والأنهار وما شاكلها من الكائنات يكون لكل واحد منها إله أو ملك أو روح يعبده الناس ، ولكن عبـادة آلهـة الأرض والجبال والأنهار مخصوصة للأمراء وحدهم .

وكذلك يعتقدون أن في المنزل آلهة للغرف وأرواحاً للأموات ، ويزعمـون أن روح الإنسان تبقى في الدنيا بعد موته ، وتشتاق للعودة إلى أسرته والعيش مع أفرادها فـي الغيب ، فهم يعبدونها ويقدسونها ويقدمون إليها القرابين – وهي عبارة عن أنواع الأكل والشرب المشتهيين على مائدة منسقة – وهذه العبادة يشترك فيها الشعب والملك والأمراء لا فرق بينهم إلا بالكثرة والقلة .

والصينيون القدماء لا يعتقدون بوجود الجنة والنار ، وإنما يعتقدون بـالجزاء فـي الدنيا إن خيراً فخير وإن شراً فشر . وقد يتعدى جزاء شخص على أبنائه أو أحفاده والكـل يرجع إلى السعادة والشقاوة في الحياة الدنيا..[١].

الشرائع الصينية القديمة قبل كونفوشيوس .

لابد لنا في البداية أن نعرف ماهية تلك الشريعة والثقافـة القديمـة التـي أحياهـا كونفشيوس ، وجدد روحها وجمع وحرر أسفارها. وذلك يتطلب منا أن نمر مـرورا سـريعا بتلك المرحلة التاريخية الصينية التي وضعت فيها هذه الشريعة قبل عـصر كونفوشـيوس ،

---

[٤] تاريخ لوتس – (باللغة الصينية) المطبعة الشعبية – بان خو ١٩٩٢م – ص ١٤٧ .

[٥] عقيدة الألوهية في الديانة الداوية – أيوب نور الحق – ص ٦-٨ بتصرف .

[١] نظرية كونفوشيوس الدينية– أ. أبو بكر غانجين الصيني– م الرسالة ص ١٠٣١بتصرف

والتي جاء بعدها كونفوشيوس ليحييها بعد انحطاطها في عصره ، فأقول: إن المرحلة الأولى من التقسيم المفصل للمراحل التاريخية التي مرت بها الكونفوشيوسية ، هي: ما تسمى عندهم بمرحلة السلسلة الأصيلة للطريقة ، وتشمل هذه المرحلة - ما يسمونه - عصر الأنبياء[٢] الملوك الخمسة ، والعهود الملكية الثلاثة من التاريخ الصيني القديم: عهد أسرة شيا الذي بدأ من القرن الواحد والعشرين ق. م وانتهى عند القرن السادس عشر ق.م ، وعهد أسرة شانغ الذي بدأ من القرن السادس عشر ق.م وانتهي عند القرن الحادي عشر ق.م ، وعهد أسرة تشو الذي بدأ من القرن الحادي عشر ق. م وانتهى عند القرن الثالث ق.م وقد كان بلا شك لكل عهد من هذه العهود الملكية الثلاثة شعائرها وطقوسها و أحكامها، ونظمها الدينية والاجتماعية والسياسية، وكانت تسمى بـ "لي" في اللغة الصينية ومعناها الشريعة أو الآداب . وقد أجاب كونفشيوس عندما سأله تلميذه عن إمكانية معرفة شرائع العهود العشرة المقبلة قائلاً: "لقد اتبع عهد(شانغ) شريعة عهد (شيا) ، وعرفنا ما طرأ عليها من الزيادة والنقصان ؛ وقد اتبع عهد (تشو) شريعة عهد (شانغ) ، وعرفنا ما طرأ عليها من الزيادة والنقصان ؛والذي سيأتي بعد عهد (تشو) يمكننا أن نعرفها ولو كانت بعد مائة عهد "[١]. وقد قال أيضا: لقد اتبع عهد (تشو) شرائع العهدين السابقين مع النقصان والزيادة، فما أزهر ثقافته وأنا تابع لشريعة (تشو)[٢].

لقد أثبت كونفوشيوس بهذين الحوارين أنه كانت هناك شريعة يتبعها كل عهد من هذه العهود الثلاثة، وأن أصل شريعة كل عهد واحد لم يتغير ، ولكن كانت هناك زيادة ونقصان على الشريعة في كل عهد ، وأن شريعة عهد (تشو) هي أزهر الشرائع ، وأنه يعتبر نفسه تابعا لشريعة (تشو) . وقد أخبرنا التاريخ أن (تشو قونغ)[٣]كان واضعا ومنظما لشريعة (تشو) التي كان يعظمها كونفوشيوس كل

---

[٢] وإن كنا لا نفضل إطلاق هذا الاسم إلا أننا نتكلم عنهم فنستخدم اصطلاحاتهم وتعبيراتهم .

[١] كتاب الحوار – الفصل الثاني – الحوار رقم ٢٣ .

[٢] كتاب الحوارات – الفصل الثالث – الحوار رقم ١٤ .

[٣] (تشو قونغ) : كان يعيش في بداية عهد (تشو) ، يعتبر من الأنبياء الملوك القدامى كما تزعم الكونفوشيوسية . وقد كان أخاً شقيقاً للعاهل الثاني من أسرة (تشو) الملكية (تشو وو وانغ)، وقد مات هذا العاهل وابنه ما زال صغيراً لا يصلح للحكم على البلد ، فتسلم (تشو قونغ) السلطة من أبن أخيه وحكم البلد بالنيابة عنه حتى أصبح كبيرا فرد إليه السلطة . ويحكى أنه كان واضعا لشريعة (تشو) وناظما للموسيقى. وقد سجلت أقواله وأعماله في سفر التاريخ وسفر الشريعة . (ملخصا من المعجم المحيط الصينى ، ص٢٠٠) وقد كان كونفوشيوس يعظمه تعظيماً شديداً ، ويرى أنه وارث له حتى قال يوما: "اشتدت المصيبة! ولقد عجزت ! لقد مضى من الزمن طويلا لم أكن أرى (تشو قونغ) في منامي"(كتاب الحوار-الفصل السابع - الحوار رقم ٥)

تعظيم ، ويعمل بها بكل إخلاص ويدعو إلى التمسك بها. فما هي الملامح العامة لهـذه الشريعة ؟كانت تشتمل هذه الشريعة في عهد أسرة (تشو) على خمسة أقسام من الأحكام والآداب والنظم ، وفق ما سجل في سفر الشريعة :

القسم الأول : يسمى: قسم التبركات ، وهي عبارة عن الشعائر والطقوس والعبادات الدينية في تقديم القرابين للإله السماوي والملائكة و أرواح السلف ؛

والقسم الثاني : يسمى: قسم المصيبات ، وهي عبارة عن المراسم المتعلقة بتشييع الجنـازة والرثاء عند نزول المصائب مثل القحط والحرب والفساد ؛

والقسم الثالث : يسمى: قسم الجنديات ، وهي عبـارة عـن المراسـم والآداب المتعلقـة بالجيش والحرب ، مثل عرض القوات المسلحة وطلب المعونة من "تيان" للنـصر ومعاملـة الأسرى والصيد .

والقسم الرابع : يسمى: قسم الضيافات ، وهي عبارة عن المراسم والآداب المتعلقة باللقـاء الرسمي بين الأمراء والوزراء للميثاق ، وتعيين الموظفين على المناصب ؛

والقسم الخامس : يسمى: قسم المرغوبات ء وهي عبـارة عـن المراسـم والآداب اليوميـة المتعلقة بكل فرد عند الفرح والسعادة ، مثل الزواج ولبس الطاقيـة عنـد بلـوغ الرجـل والجلوس على المائدة ، وتبادل التهاني. قال الأستاذ ما جشونغ بعد ما شرح الملامـح العامة لشريعة (تشو) معلقا عليها: " نعرف من هنا أن ما يسمى بالـشريعة فـي الـزمن القديم هو: قواعد الحياة الاجتماعية العامة المتمركزة حول المراسم والطقوس المتعلقـة بتقديم القرابين ، وهذه الشريعة تشتمل في مفهومها الواسع كل ما يتعلق بالإنـسان مـن أصول تنظيم الدولة حتى قوانين السلوك ، والمعاملة اليومية ، والمبادئ الأخلاقية ، وروح الأخلاق الفاضلة تتخللها بداية ونهاية"[١].

بعد ما شرحنا الملامح العامة لشريعة (تشو)،لا بد أن أشـير إلـى نقطـة مهمـة، وهي: منبع هذه الشريعة ، إنها من وضع الأنبياء الملـوك القـدامى ، وبـالأخص (تـشو قونغ) منهم ، هذا على الرغم من وجود بعض النصوص في سفر القصائد التي تـدل على أن الحاكم السماوي الأعلى (شانغ دى) هو اسم آخر للإله السماوي كـان يكلـم الأنبياء الملوك القدامى مثل تشو وون وانغ . "قـال دي (أي شـانغ دي) للملـك (وون وانغ):عليك أن تحضن الأخلاق المشرقة، ولا تتكلم بصوت كبير لتظهر هيبتك"[٢]. على هذا،

---

[١] الخطوط الفكرية العريضة لحكماء الصين – أ. (ما جشونغ)٤٦٥ .

[٢] سفر القصائد ، القسم الثاني (دايا) الفصل (هوانغ أي).

فإن الشريعة (تشو) ليست شريعة منزلة من عند ا تعالى ، بل هي كما تقول الكونفوشيوسية من وضع الأنبياء الملوك[٣].

وقد مر على التاريخ الصيني المسجل أكثر من عشرين قرنا من الزمن إلى العصر الذي ولد فيه كونفوشيوس كما يزعم علماء تاريخ الصين ، والوثائق التاريخية القديمة تؤكد على أن العصور الأولى من التاريخ الصيني كانت تزدهر بالأنبياء الملوك ء وفضائل الأخلاق ، وسياسة الرحمة ، وهي تبالغ في ذكرها للملوك الأنبياء الخمسة بالمدح والتعظيم والتمجيد مبالغة شديدة ، كما تخص بالذكر منهم النبي الملك (ياو) لكونه مثلا أعلى للأخلاق المشرقة ، الذي أقام السلسلة الأصلية للطريقة الكونفوشيوسية ، وقد استمر الأمر في تعظيمه حتى جاء كونفوشيوس بعد ألف وخمسمائة سنة تقريبا ، وقال عنه في إحدى حواراته المشهورة: (ما أعظم حكم (ياو) كملك حاكم ! وما أجله ! إنما العظمة للإله السماوي وحده ، ولا يماثله في عظمته إلا (ياو) . وما أوسع (أخلاقه) حتى لم يكن للقوم قدرة على وصفه . وما أجل الأعمال التي أكملها ، وما أزهر الشرائع والموسيقى والنظم التي وضعها!)[١].

وبانقراض عصر الملوك الأنبياء الخمسة جاءت العهود الملكية الأسرية الثلاثة ، وهي عهد أسرة (شيا) ، وعهد أسره (شانغ)، وعهد أسرة (تشو) . وتمتد هذه العهود الثلاثة أقل من عشرين قرنا من الزمن تقريبا، وهي تبدأ من القرن الحادي والعشرون ق- م وتنتهي في (سنه ٢٥٦ ق- م)، عند ما قضى الإمبراطور (تشين شي هوانغ) على الإمارة الأخيرة بعد حروب متتالية ، ووحدت الصين في نفس السنة تحت حكومة مركزية قوية[٢].

---

(٣) كتاب المعرفة الكبرى – د / زهرة الدين طيب – ص ١٧ بتصرف .

(١) كتاب الحوار ، الفصل الثامن ، الحوار رقم ١٩.

(٢) كتاب المعرفة الكبرى – د / زهرة الدين طيب – ص ٥٠-٥١ بتصرف .

الفصل الثاني

الحالة الاجتماعية

وفيه:

١- المجتمع البدائي العشائري

٢- التطور الاجتماعي

٣- نظام الأسرة

٤- العادات والتقاليد العشائرية

٥- التربية والتعليم في الصين القديمة

٦- تأثير الأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة على الثقافة والفكر

٧- الحالة الاجتماعية وقت ظهوركونفوشيوس

١- المجتمع البدائي العشائري

تشير بعض مصادر التاريخ الصيني إلى أنه قد عاش قبل (٧٠٠٠ عـام)جمـع مـن القبائل المتناثرة في الصين ، وسادت بينهم ثقافة "يانغشاو" ،ثـم ثقافـة "لونغـشان" قبـل (٥٠٠٠ عام)، وهي ثقافة تتناسب مع الأسلوب العشائري السائد في تلـك المرحلـة،وكان أهم العشائر السائدة في تلك الحقبة عشيرة "بانبوه" وهي تلك التي كانـت تعتمـد علـى المرأة في العمل واتخاذ القرار ،كما ينسب إليها الأبناء ، وقد استخدمت هذه العشيرة الفأس لقطع الأشجار ، والسهام في الصيد ، والمخرز في الحياكة ،كما عرف أبناؤها الزراعـة ، واستخدموا البذور ، وقاموا بتنظيف التربة من الحشائش ، وتربيـة الحيوانـات مثـل الأغنـام والأبقار والدجاج ، إضافة إلى الكلاب والخنازير ، وقاموا بصناعة الفخار وحـاولوا الكتابـة عليها .

وانتقل الإنسان من حياة الكهوف إلى حياة البيوت ، التي كانت عبارة عن أكـواخ ليس لها نوافذ ، ويعتبر ذالك حدثاً كبيراً في النمط المعيشي للإنـسان ، وبعـد أن أخـذت الزراعة في الانتشار انتقلت القيادة العشائرية والأسرية في الصين إلى الرجل ، والتي امتـدت إلى يومنا هذا ، كما أنها أدت إلى حق التملك الفـردي بعـد أن كـان المأكـل البـري ، والمشرب النهري ، والمسكن في الكهوف مشاع للجميع ، وهذا الأمـر أدى إلـى حـب الاقتناء ، ومن ثم التنازع ، مستخدمين ما هو متاح من وسائل القـوة فـي ذالـك العـصر ، وهكذا كثر الغزو ، والسلب ، والنهب ، طبقاً للقدرات الفردية ، واسـتمرت الحـال كـذالك(٢٠٠٠سنه).

وتطورت الأمور بعد ذالك في الصين ، وتكاثرت القبائل حول النهر الأصفر، وظهرت قبيلة قوية قادها رجل شجاع ، يعتقد أنه أب الأمة الصينية ، نسجت حولـه الكثيـر مـن الأساطير والخرافات يقال له "هوانج دي " ، ويوصف بأنه كان ذكياً يجيد الحساب والفلك ، حيث وضع أول تقويم ،كما قام ببناء السفن ، وصنع العربات ، إضافة إلى معرفته بالطب . وكلف زوجته بتعليم الناس صناعة الحرير ، محاكية بذالك دودة القز ، فكان له مـا أراد. واستمرت مراحل التطور المختلفة خلال السنين المتعاقبة ، وابتكر الإنـسان الـصيني الأوانـي

الفخارية ، والأدوات الحجرية ، كما تعلم قنص الحيوانات ، وصيد السمك ، وعرف الزراعـة، وتربية المواشي ، لكنه لم يصل إلى تكوين دولة أو نظام ذي خصائص محددة[١].

٢- التطور الاجتماعي :-

إن دراسة التطور الاجتماعي للصين القديمة صعب بطبيعة الكتابات التي وصلت إلى ايدي المؤرخين . كثير من النصوص ضاع نهائياً ، أو تعرض لكثير من التحوير والتحريف، بل التفسير ، الخ ، انسجاماً مع مصالح الشرائح الحاكمة ...[٢] بدأت أولى بوادر الاستقرار ومعرفة الزراعة في الهضاب الغربية من الأودية النهرية في شمال غرب الصين ، وذلك بعد نزوح الكثير من الجماعات والشعوب من جهات منغوليا ، إثر بدء مرحلة الجفاف فيها ، وهو ما دفع مناطق شمالي الصين لأن تكون الأسبق في مجال التطور الحضاري .

ويظهر من خلال دراسة التطور الاجتماعي والاقتصادي الصيني ، أنه منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد ،كانت الجماعات في الشمال تنزع دائماً ، تحت ضغط الأقوام البدائية ، إلى النزوح نحو مناطق الجنوب ذات التربة الخصبة . وظل هذا الزحف نحو الجنوب مستمراً ، إلى أن كان الانتشار الكامل في مناطق الصين في أواخر الألف الأول ميلادي . ويظهر من متابعة التاريخ الصيني ، أن المجتمعات الزراعية الكبيرة ذات المناطق الواسعة والمأهولة بأعداد كبيرة من السكان ، هي التي تسيطر على المناطق الأخرى .كما يظهر أن مختلف المجتمعات عرفت نوعاً متماسكاً من سيادة العادات والتقاليد التي تتميز بها عموما المجتمعات الزراعية المستقرة المتقوقعة على ذاتها والمؤسسة على المفاهيم القائمة على تماسك الأواصر العائلية والعشائرية وسيطرة أساليب الزراعة التقليدية البدائية البسيطة [٣].

---

[١]حضارة الصين – د/ محمد البشر – ص٢٠٦ بتصرف .

و- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية – ميرسيا إلياد – ت/عبد الهادي عباس-ج٢-ص٧-٨.

و - الشرق الأقصى " الصين واليابان" – د/ فوزي درويش – ص ١٣-١٤.

[٢]الحضارات القديمة – إشراف:ف.دياكوف / س.كوفالين – ت/ نسيم واكيم اليازجي- ج١– ص٢٢٥ بتصرف .

[٣] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة _د/عمر عبد الحي _ص٣٠ بتصرف .

ويبدو جلياً أن كل النمو الحضاري الصيني قد تأثر بسيطرة العناصر الفعالـة عـادة في نمو المجتمعات الزراعية المنغلقة على الذات ،كما تأثر أيضاً بالضغط الـدائم للأقـوام البدوية البدائية ، القاطنة في شمالي وغرب الصين ، والتي استطاعت في أكثر الأحيـان أن تتغلغل في المناطق الصينية وتسيطر على الحكم ، بحيث كان يوجد سلطات تستند دائماً إلى المفاهيم العشائرية والقبلية. بالتالي ظهرت المجتمعات الصينية المختلفـة علـى أنهـا مجتمعات قائمة على أساس الاقتصاد الزراعي التقليدي المتوارث والذي أثر بشدة ، مـع مجمل الظروف الاجتماعية والسياسية ،في تكوين المفاهيم الأسـرية التـي قامـت عليهـا المجتمعات الصينية .

ضغط الأقوام البدائية :-

كانت الجماعات الزراعية المستقرة في مناطق الشمال والغرب ، على مدى تاريخ الصين القديم والمتوسط ، تخشى دوماً من غزوات وهجـرات الأقـوام البدائيـة الهمجيـة القادمة من مناطق منغوليا في الشمال ومن مناطق السهول في الغرب ، وهي أقـوام لم تعرف الزراعة والاستقرار ؛ بل كانت ترى في أماكن الاستقرار الزراعـي ، مراكـز جـذب شديدة الإغراء ، وخاصة مراحل الجدب والجفاف. لذالك كانت الجماعـات الزراعيـة تتجـه دوماً نحو التوسع في الزراعة على ضفاف الأنهر الصغرى ؛ ثم كانت في مراحل لاحقة ، نتيجة زيادة عدد الأفراد في المستقرات الزراعية وتلافياً لغزوات الأقوام الهمجية ، تتجه نحو الاستقرار على ضفاف الأنهر الرسوبية الكبرى،كلما وجدت إلى ذالك سبيلا[١] [١].

والجدير بالذكر أن الخشية من هجمات الأقوام البدائية ، هي التي كانت وراء بنـاء الصين لصورها العظيم في القرن الثالث قبل الميلاد وذالك من أجل صـد غـارات وغـزوات الشعوب البدوية القادمة من الغرب ومن السهول الآسيوية .

---

[١] المرجع السابق ص ٣٣ .

وانظر- الشرق الأقصى – الصين واليابان- د/ فوزي درويش – ص ١٤

التقسيم الطبقي :

أما عن التنظيم الداخلي للمجتمع الصيني ، فمن الواضح أن هذا المجتمـع كـان مجتمعاً طبقياً ، وأنه كان يوجد فرق كبير بين النـبلاء (الطبقـة الأرسـتقراطية) والعامـة. وكان حكم النبلاء هو طابع الحكم الغالب في الصين القديمة . وكانوا يحصلون علـى إقطاعياتهم من الإمبراطور أو (الملك) مباشرة،لا من النبلاء الآخرين الأسمى منهم . لقد كان النبلاء في حقيقة الأمر ، أصحاب السيطرة السياسية ومحتكري التعليم ، بحكـم مـا كـان في حوزتهم من ثروة مادية .

ويلي النبلاء جماعة من موظفي البلاط والإداريين الذين يعتمدون اعتمـاداً مباشـراً على الملك ، لأنهم كانوا يحصلون على دخلهم كمرتبات ، أومن الضياع التي كان يمنحها لهم . ويلي أولئك الموظفين بورجوازية قليلة العدد من التجار والصناع المهرة ، ثم يـأتي الفلاحون في آخر الصف . وكان هناك فاصل واضح المعالم بين النـبلاء والعامـة . فكـان النبلاء وحدهم هم الذين يلتحقون بالمدارس العليا ويتلقون تعليماً كاملاً في الفنون العقلية الستة الراقية وهي :الشعائر الدينية ، الموسيقى ، الرمايـة ، قيـادة العربـات ، الرياضـيات ، والكتابة. أما العامة فقد التحقوا بالمدارس العامة لتلقي التعليم الضروري اللازم لحيـاتهم اليومية. وقد تميز النبلاء عن العامة ، بميزة الحصانة من قانون العقوبات ، وفي ذلك تقول أحد أمثالهم التي تعود لذلك العهد "إن الشعائر الدينية لا تنزل إلى مستوى الـشعب،كما أن قانون العقوبات لا يرتفع إلى مستوى النبلاء". فالنبيـل لا يمكـن أن يقتـل إذا اقتـرف أي جريمة ، ولكن إذا ثبتت إدانته في جريمة كبيرة كانوا يضطرونه لينتحـر بيـده ، وكـان الكثيرون منهم ينتحرون بالفعل . أما عامة الشعب ، فكانوا معرضـين لأن يوقـع علـيهم قانون عقوبات صارم ، سواء في أشخاصهم أو ممتلكاتهم .

وفي مقابل ما يقدمه عامة الشعب لسادتهم من أعمال السخرة ودفع الـضرائب أوقات السلام ، وحمل السلاح وقت الحروب والتضحية بالحياة في سبيل مصالح سـادتهم ،كان النبلاء يتعهدون بالدفاع عن رعاياهم وتقديم القرابين نيابة عنهم إلى أرواح الأسـلاف والأجداد . لقد كان في هذه الشرائع محاباة للنبلاء ، إذ أعفتهم من كثير مـن الواجبـات المفروضة على العامة [1].

---

[1] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ٣٣،٣٤ .

مجتمع السادة والعبيد:

بدأ المجتمع العبودي في بلاد الصين بأسرة (شيا) . والطبقتان الأساسيتان في هذا المجتمع هما ملاك العبيد والعبيد ، وثمة إلى جانبهما طبقة العامة المنحدرة من أعضاء المشترك العشائري وهي تزاول الإنتاج الزراعي والحرف اليدوية . ومن المعروف أن التناقض بين ملاك العبيد والعبيد هو التناقض الرئيسي في هذا المجتمع العبودي .

كان القائد الأعلى لملاك العبيد الارستقراطيين ملك شيا . ومن أجل حماية مصالح هذه الطبقة وقمع معارضة العبيد والعامة ظهرت الدولة ، ونظم ملك شيا مع الارستقراطيين أجهزتها القمعية ، الجيش ، والسجون ، وشرعوا القوانين الجنائية وبنو الأسوار حول المدن. وقد امسك ملك شيا بسلطة الدولة العليا ، وفرض مع الارستقراطيين الديكتاتورية على العبيد والعامة .

ولم يتوقف الصراع الطبقي قط خلال أربعمائة سنة استغرقها حكم شيا ، فكان العبيد يهربون أو يتمردون كلما سنحت لهم الفرصة . وكان آخر ملوك هذه الأسرة شيا جيه الذي اعتلى العرش في القرن السادس عشر ق. م ، وقد شدد هذا الملك في اضطهاد الشعب ونهبه وعاش مع الأرستقراطيين البذخ والترف مما سبب تدهور الإنتاج وضعف الدولة . وقد جابه العبيد اضطهاد هذا الملك بالتسيب في العمل الزراعي. وكانت عشيرة شانغ في المجرى الأسفل للنهر الأصفر تتحين الفرص بهذه الدولة فانقضت عليها بقيادة شانغ تانغ الذي قاد تجمعاً من العشائر للهجوم على شيا جيه وانتصر عليه وتلاشت بذلك أسرة شيا[٢].

وفي أسرة شانغ حقق العبيد الثروات الوافرة بأعمالهم الشاقة ، فدفعوا التطور الاقتصادي والثقافي في المجتمع العبودي . وكانت الزراعة هي القطاع الإنتاجي الرئيسي ، وكان العبيد يعملون جماعات في أشق الأعمال مستخدمين ابسط الأدوات فيحفرون الخنادق والقنوات ويسقون الحقول ويصرفون مياه الفيضانات ، وغير ذلك من الأعمال المرهقة . وتذهب ثمار كدهم إلى بيوت سادتهم الذين يبتزون كل ما تنتجه هذه الأدوات البشرية المسلوبة الإرادة .

وفي هذا المجتمع لم يستول ملاك العبيد على وسائل الإنتاج فحسب بل استحوذوا على العبيد ، الذين كانوا بمثابة (أداة ناطقة) وكانوا يسمونهم بالنار في جباههم لمنعهم من الإباق ويربطونهم من أعناقهم عند العمل.

وانظر : حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١- ص ٢٣ .

(٢) تاريخ الصين – ج١ – مجلة بناء الصين – سلسلة سور الصين العظيم– ص ١٠ -١١ بتصرف.

وكان يحق للسيد قتل عبده كما يقتل حيوانه ، أو يقدمه قرباناً للموتى بدلاً مـن الماشية . وقد جاء في سجلات (لغة العظام الكهنوتية) أن أحد السادة قتل ٢٦٥٦ عبداً في إحدى المناسبات الطقوسية . ويدفن العبيد مع سيدهم بعد أن يقتلوا لهذا الغرض . وقد كشف في قبر أحد ملوك شانغ عن أربعمائة عبد قدموا قرباناً لـه. وكـان العبيـد يجابهون هذا الاضطهاد البشع بالإهمال المقصود فـي العمـل وتخريـب أدوات الإنتـاج والهرب كما قاموا بالعديد من الانتفاضات ، التي ضعضعت حكم هذه الأسـرة وحرمتـه طعم الاستقرار[1]. وفي أسرة تشو الغربية تقدمت الحرف اليدوية عما كانـت عليـه فـي أسرة شانغ ، وصارت أكثر تعقيداً . وكانت المشاغل تقوم على أكتاف العبيد الذين وقـع عليهم عبء الإنتاج في الريف والمدينة .

ونجد في كتاب (الأغاني) وهو من أقدم دواوين الشعر الصيني ، وصفاً مفـصلاً لأحوال العبيد في تلك الدولة ومن ذلك قصيدة بعنوان (في سبعة شهور) تحدثت عـن عبيد منطقة جبل تشيشان بمقاطعة شنشى ، فقالت إنهم يخرجون للصيد في الشتاء وسط الرياح الثلجية ، فإذا صادوا الثعلب قدموا جلده إلى الارسـتقراطيين وإذا صـادوا الخنـازير أعطوهم أكبرها ، ويجمعون الجليد ويدخرونه كي يتمتع به الارستقراطيون في الصيف . وفي الربيع يصلح الرجال الأدوات الزراعية ويحرثون الحقول تحت إشراف الـوكلاء ، أمـا النساء فينهمكن في جمع أوراق التوت وتربية دودة القز للسادة ، عـلاوة علـى طـبخ الأطعمة وإرسالها مع أولادهن إلى الذين يعملون في الحقول . وفـي الخريـف يمهـد الرجال مكان البيادر ثم يحصدون المحاصـيل وفـي آخـر المطـاف يـأتي الأرسـتقراطيون فيأخذون الحبوب ، أما العبيد فيدخرون النباتات البرية ليقتاتوا بها فـي الـشتاء . وعنـدما تنتهي الأشغال الزراعية يأخذون في بناء القصور وترميمها لأسيادهم .

تكشف هذه القصيدة عن سوء حال العبيد في أسرة تشو . والواقع أن هؤلاء المنتجين لم يكن لهم ما يستر أجسادهم لقاء الثروات الهائلة التي كانوا ينتجونها . وكانت منـزلتهم الاجتماعية أدنى من المواشي ، فكان كل خمسة عبيد يقايـضون بحـصان ورزمـة مـن الحرير[1].

انحلال المجتمع العبودي :

---

[1] المرجع السابق – ص ١٣ بتصرف .

[1] المرجع السابق – ص ١٥-١٦ بتصرف .

وأنظر : حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١- ص ٢٣-٢٤ .

و كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - د/ صلاح بسيوني- ص ٣١ بتصرف.

في نهاية سلسلة طويلة من الأحداث والأحداث المضادة استمرت طوال عصر (الربيع والخريف) جاء هذا التحول وقد أنهمك الأمراء في حروبهم الابتزازية وتفاقم شغفهم بالقصور ووسائل البذخ ولجئوا في سبيل ذلك إلى مضاعفة استغلال العبيد واعتصار المزيد من جهودهم . ففي إمارة ليانغ مثلاً أرغم العبيد على تشييد مجموعات من القصور والمباني على مدى سنوات متتالية حتى أخذ الإعياء منهم كل مأخذ وكلت قواهم ، ثم أجبروا (سنة ٦٤١ق.م)على حفر الخنادق حول القصور لحمايتها من غزو مزعوم . فلم يكن أمام العبيد إلا التمرد والهرب مسببين بذلك خللاً في وضع الإمارة تحينته إمارة تشين فانقضت عليها وابتلعتها .

وفي إمارة تشنغ أخذ العبيد يهربون تباعاً . ثم تجمعوا(عام ٥٢٢ ق.م)في مستنقعات (هوان فو) التي سيطروا عليها وأخذوا باستصلاحها لأنفسهم ، ونظموا في أثناء ذلك قوة مسلحة لمقاومة الملاك السابقين . لكن الأمراء لم يمهلوهم فقد جهزوا لهم حملة عسكرية أطاحت بهم .وفي أواخر هذا العصر تصاعدت مقاومة العبيد في شتى الإمارات ، وأخذوا بتنظيم حملات مسلحة ضد قصور وقلاع الأمراء مستخدمين في سبيل ذلك مختلف الوسائل كالتسميم والإغراق والإحراق ،حتى تزعزع حكم طبقة ملاك العبيد وأصبحت حقولهم قاعاً صفصفا لا تنبت غير الأعشاب البرية .

وكان من نتائج ذلك زوال نظام المربعات التسعة التي كان زراعها من العبيد المسخرين وحلت محلها الإقطاعيات التي يعمل فيها الفلاحون. ومن هنا تفكك المجتمع العبودي وآذن بالزوال ليحل محله مجتمع جديد يقوم على الإقطاع[٢].

<u>٣- نظام الأسرة :</u>

قام المجتمع الصيني لعدة قرون قبل كونفوشيوس على أساس الأسرة بل إنها كانت محل قداسة واحترام شديدين.ففي الفترات الأولى لأسرة"تشو"كان يتم توزيع الإقطاعيات على الزعماء الإقطاعيين وفقاً لنظام المستعمرات المحدد. ويبدو أن هؤلاء الزعماء قد ارتبطوا مع بعضهم البعض ومع البيت الملكي بروابط الزواج ، فأخذوا أسرهم وأتباعهم وجنودهم ليشكلوا مستعمرات مكتفية بذاتها ومؤسسة على الاقتصاد الزراعي . وقد استمرت هذه المجموعات الكبيرة من الأسر النبيلة مستقرة طالما أن لعلاقات

---

[٢] تاريخ الصين – ج١ – مجلة بناء الصين – سلسلة سور الصين العظيم – ص١٨-١٩ بتصرف.
وانظر التجربة الصينية - د/ عبد العزيز حمدي - ص١٩-٢٠.

الآباء والأبناء والأخوة ، وعلاقة السيد بأتباعه ، فعاليتها وسيطرتها . وبذالك أصبحت فضيلة طاعة الأبناء والأخوة شيئاً لابد منه لاستمرارية الوجود الأسري من حيث أنه نواة المجتمع [1].

والاهتمام البالغ بالأسرة من الأفكار التي لها أهميتها في الفكر الصيني ، نقرأ في كتاب الشعر :

من بين جميع الرجال في العالم

لا يوجد ما يعادل الأخوة

إن الإخوة يتعاركون بين الجدران

لكنهم يقفون متحدين ضد إهانة تصدر من الخارج

في حين أن أفضل الأصدقاء

مهما يكن من كثرتهم ،لن يقاتلوا من أجلك.

وقد نظر الصينيون إلى الأسرة باعتبارها صورة مصغرة للدولة ، الأب فيها هو الحاكم ، وسلطته مطلقه ، وقد كانت تشكل بالمثل ، وحدة اقتصادية ،كل فرد يعمل على إسعاد الجميع ، وله مهمته الخاصة التي يجب أن يحققها. وإذا كان مبدأ تعدد الزوجات غير شائع من الناحية النظرية ، إلا أننا نلحظ أن المرأة من النبلاء عندما كانت تذهب إلى بيت زوجها ،كانت تصحبها أخت أصغر منها ، وبعض الخادمات ، ويصبحن كلهن وفي نهاية الأمر وبصورة آلية محظيات للزوج. وقد تبوأت المرأة في ذالك الوقت ، مركزا عاليا ، وكان من حقها تعلم القراءة والكتابة ، حتى أن الأزواج كثيراً ما كانوا يستشيرون زوجاتهم حتى في شئون الدولة [1].

---

[1] فلسفة الأخلاق والسياسة - د/هالة أبو الفتوح - ص٣٣.

[1] شجرة الحضارة – رالف لنتون- ٣٢٥/٣ .
أنظر كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني- د/ صلاح بسيوني – ص ٣٢-٣٣ .

الرابط الأبوي:

تقوم الأسرة في الصين منذ القدم ، على الروابط الأبوية ، بمعنى أنها تخضع لسلطة الأب وعدالته ،وترتكز على مبدأ البر الأبوي أي بر الأبناء بالآباء ، ويعتبر هذا المبدأ من أهم خصائص التقاليد الأسرية الأخلاقية في الصين . وكان لرب الأسرة في الصين حق الحياة والموت على جميع أفرادها بدون استثناء ودون أي تذمر أو اعتراض ، وكان رؤساء الأسرة في الصين تفيض الرحمة من قلوبهم،وينبع الحنان من بين جوانبهم ، ولا يسلكون مع جميع أفراد أسرهم إلا سبل العدالة والاستقامة ، ولا يتخذون في معاملاتهم إياهم رائداً غير الفضيلة ، وإن كانوا لا يتوانون لحظة واحدة في اتخاذ أقسى أنواع الحزم إذا تطلبت الحالة الأخلاقية أو الاجتماعية ذالك[٢].

كما تقوم الأسرة الصينية على أساس محبة الأم التي يتوجب عليها الخضوع التام لسلطة زوجها ، وعلى محبة وطاعة الصغار للأخوة الكبار وبخاصة الأخ الأكبر ويدخل ضمن عادات وتقاليد الأسرة الصينية الرغبة الدائمة في زيادة عدد الأبناء ، بالإضافة إلى حق الرجل الدائم في تعدد الزوجات "وإن كان غير شائع كما ذكرت آنفاً " وحقه في الحصول على المحظيات وحقه المطلق في الطلاق . ومع زيادة مفاهيم الأسرة الأبوية الصينية حيث يسيطر الأب ويتميز الذكور بحقوق خاصة بهم، ظهر الكره الشديد للبنات حيث سادت في الماضي ولفترة طويلة من الزمن ، عادة وأد البنات وهن أحياء.

إن المفاهيم الأسرية في الصين ، ظهرت كنقطة ارتكاز أساسية في تحديد معنى القيم الخلقية والسلوك الفردي السليم ، حتى باتت المفاهيم الأخلاقية المرتكزة على المفاهيم الأسرية ، وهي أساس الثقافة الصينية ، إما من حيث النشاط العام والخاص أو من حيث تشكيل البنية الثقافية عامة . وهكذا نشأت القناعة بتمجيد لا بل بتقديس الأسلاف ، وسادت عادات احترام الكبار وتبجيل العشيرة وتقدير الرجال واستصغار النساء ، وسيطرت تقاليد الخضوع الكامل لرب الأسرة والأخوة الكبار، وعمت مشاعر البر بالوالدين .

وانتقلت هذه المفاهيم الأخلاقية المتعلقة بالأسرة لتتجسد في الدولة،بشكل اعتبر فيه الصينيون الأسرة النموذج الأصلي للدولة التي باتت تمثل في نظرهم ، صورة مجسمة للأسرة .لذالك فقد وجدوا بأن التنظيم في الدولة ، يماثل ما يجري لهذه الناحية داخل

---

[٢] الفلسفة الشرقية – د/محمد غلاب – ص ٢٢٨ بتصرف .

الأسرة والعشيرة ، بحيث تكون سلطة الحاكم مطلقة تماماً كسلطة رب العائلة ؛ويكون واجب عامة الناس في الدولة ،أن يخضعوا خضوعاً مطلقاً للحاكم ، تماماً كما يخضع الأبناء للآباء في الأسرة . وعلى هذا النحو ، أخذ الصينيون المفاهيم الأخلاقية السائدة في الأسرة وعملوا بها في تنظيم مسائل السلطة والحكم في الدولة [1].

الالتزام الأسري :

ومما يتميز به الفكر الاجتماعي الصيني القديم (الالتزام الأسري) فهو يتحدد بقوانين أخلاقية لا يمكن لأحد أن يتجاوزها ، ومن هذه القوانين :أنه ليس للابن أن يبدأ بالكلام في وجود أبيه ، وإذا دخل أبوه الغرفة ينبغي أن يتنحى ويتوارى بطريقة ما ، وليس له أن يترك الغرفة دون إذن من الأب . ومنها أيضاً : أنه على الابن إذا مات الأب أن يعلن الحداد لمدة ثلاث سنوات ، وأن يمتنع عن أكل اللحم وشرب الخمر وتتعطل أعماله كلها حتى ولوا كان وزيراً أو حتى كان إمبراطوراً ،كما لا يجوز أن يعقد قران في الأسرة طوال مدة الحداد ، باستثناء بعض الشيوخ .

ومنها أيضاً: أنه يجب على الابن أن يقوم بزيارة أبيه المتوفى سيراً على قدميه تعبيراً عن احترامه له ، والعجيب أن الإمبراطور نفسه لا يمكن أن يتلقى الطاعة والولاء من نبلاء القصر إلا إذا قدمها هو بنفسه للأم ،كما تظل الأم هي المستشار الدائم لابنها ، وتعلن جميع المراسم الخاصة بالأسرة باسمها[1].

ومن أخلاقهم أيضاً :-أنه لا تنسب فضائل الابن لنفسه بل تنسب لأبيه ، فينسب للآباء الأعمال البطولية والشرف الذي قام به الأبناء . . . ولكن المؤسف حقاً هو : أنه في مقابل ما سبق إذا أخطأ الابن يتحمل الأب خطأ أبناءه ، والواجبات تقدم من أسفل إلى أعلى وليس من أعلى إلى أسفل ، وهناك مطلب أساسي كان موجوداً في الصين القديمة وهو : زيارة قبر الوالدين بعد فترة الحداد كل عام ، ويقيمون عند القبر أحياناً شهراً وأحياناً شهرين ، وقد يحتفظ بجثة الأب المتوفى في المنزل لمدة ثلاثة أشهر ، وعلى مثال ما سبق من

---

[1] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د/ عمر عبد الحي- ص ٣٥-٣٦ بتصرف .

[1] محاضرات في فلسفة التاريخ - هيغل - ج٢- ت : وتقديم د/إمام عبد الفتاح إمام - ص.٧٠.
وانظر الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس - عبد الرحيم شعبان - ص ٤١ .

علاقة الابن بالأب والأم ، تكون أيضاً علاقة الأخ الأكبر بالأخوة الـصغار ، فعلـى الأخـوة الصغار احترام الأخ الأكبر وإن كان بدرجة أقل من احترام الوالدين [٢].

بهذا الفكر الأخلاقي ظلت الصين القديمة فترة طويلـة يـسودها الأمـن والأمـان وظلت هذه القوانين هي التي تحكم الصين والصينيين لمدة طويلة موغلة فـي القـدم وإذا أخل أحد بهذه القوانين فإنه يعاقب بطريقة خارجية . ومن أمثلـة ذالـك :- أنـه إذا أشتكى أخ أصغر من ظلم وقع عليه من أخيه أو من أبيه كان جزاؤه مائة ضـربه بعـصا من" الخيزران " وينفى ثلاث سنوات ، هذا إذا كان معه الحق في شكواه أما إذا لم يكـن معه الحق في شكواه فيشنق هذا إذا قدم شكواه !! أما إذا رفع ابن يده على والده ، فإنه يحكم عليه بأن يمزق لحم جسده بكماشة من حديد محماة في النار !

فبقدر ما كانت هذه القوانين قاسية ،كان لها الفضل في تماسك أفراد المجتمـع بالفضيلة . ومن فكرهم الأخلاقي حثهم على التـضامن الأسـري ، فالتعـاون والتـضامن الأسري في الصين له وجود منذ زمن غارق في القدم ، لا يعرف العـالم الغربـي عنـه شيئاً ،لقد كانت الأسر في الصين القديمة تشكل صوراً مـصغرةً للـدول ، فيهـا الأب هـو الحاكم ، وبالمثل كانت الأسرة تشكل وحدة اقتصاديه كل فرد يسهم في إسعاد الجميع وله مهمته الخاصة التي يجب أن يحققها حتى المسنين منهم[١].

الأسرة والاقتصاد الزراعي :-

شكل الاقتصاد الزراعي الطبيعي القائم على الإنتاج العـائلي والعـشائري وعلـى الحرف المنزلية ، القاعدة الأساس لإنتاج الصين على مـدى تـاريخ الـصين وبدايـة حركـة التصنيع الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر . وقد ابتدأت هذه القاعدة الإنتاجيـة مـع بداية نمو المستقرات الزراعية البدائية البسيطة القائمة على الإنتاج الزراعي والمؤمنة للاكتفاء الذاتي الأسري . ثم استمر مع تأسيس الأسرة الحاكمة، منـذ أسـرة"شـانغ" وبعـدها أسـرة "تشو"وغيرها ، ولكن الطبقات النبيلة للأسر الحاكمة كانت في المراحل الأولـى ، تـستولي

---

[٢] محاضرات في فلسفة التاريخ - ج٢- مرجع سابق - ص ٧١-٧٣.

[١] فلاسفة الشرق - أوف توملين – ت : عبد الحميد سليم مراجعة . عادل أدهم – ص ٢٨٠
وانظر الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ٤٢

على فائض الإنتاج ؛ ثم راحت في المراحل اللاحقة تـسيطر علـى كامـل الإنتـاج وتتـرك للمنتجين المزارعين ما يكفيهم للبقاء على قيد الحياة .

كما ساعدت الظروف التي مرت بها المناطق الزراعية الصينية على اسـتمرار الإنتـاج الزراعي الأسري وعلى شد الأواصر الأسرية ، مما جعل من الأسرة العنصر الأساس في وجود المجتمعات الصينية المختلفة . فقد شكل الغزو الخارجي عاملاً هاماً في تماسـك الأسـرة الصينية ، إضافة إلى العامل الهام الآخر الذي أفرزته أجواء المشاحنات التنافسية مابين النبلاء . فالمستقرات الزراعية كانت دوماً معرضة للهجمات من الأقوام الهمجية ، مما أوجب على جميع الأفراد التعاون من أجل صد هجمات المغيرين ، لذا تشاركوا في العمل على إقامة أنواع من الأسوار حول مستقرات سكنهم ، تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم . وهكذا فإن ما قاموا به من أعمال مشتركة ومن تعاون في سبيل تحقيق غاية أمنية واحدة ، قربتهم من بعضهم البعض وشدت الأواصر الأسـرية فيمـا بيـنهم ،كـذالك فـإن أجـواء التنـافس والصراعات مابين الطبقات النبيلة ساهمت من ناحيتها أيضاً ، في تقوية التعاضد الأسري . إذ ما أن سيطرت أسرة "تشو" وأقامت نوع من الأرستقراطية العشائرية ، حتى دخلت الطبقـات النبيلة في صراعات عنيفة فيما بينها ، لكنها لم تدخل الفلاحين في دائرة صراعاتها هذه ؛ فانكفأ الفلاحون في مزارعهم منطوين على أنفسهم بعيداً عن صراعات النبلاء . وهكذا فإن هذه الظروف قد ساعدت في الواقع ، أفراد الأسرة والعشيرة الواحدة على زيـادة التماسك إلى حد التلاحم فيما بينهم [1].

٤- العادات والتقاليد العشائرية :

كونت العادات والتقاليد العشائرية ، التي سادت في عهد اسـرة "تـشو" ، الأسـاس في تكوين المفاهيم الأسرية والعشائرية الصينية عامة ؛ إذ قامت سلطة "تشو" على أسـاس مبدأ سيادة الأسرة والعشيرة الأبوية الذي يقضي بتوريث السلطة للابن الأكبـر مـن الزوجـة الأولى ، بينما يتولى باقي أفراد الأسرة من الذكور الألقاب النبيلة والمناصب . بذلك تميـزت أسرة "تشو" الحاكمة بتمثيلها السلطة الأبوية ، وكانت طبيعة العلاقات القائمة بينهـا وبـين العائلات النبيلة الإقطاعية الأخرى ، لا تختلف عن تلك القائمة ما بين الأسر الفلاحية العادية.

---

[1] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة- د / عمر عبد الحي- ص ٣٣ -٣٤ بتصرف .
وانظـر: المـذاهب الكبـرى فـي التـاريخ مـن كونفوشـيوس إلـى تـوينبي- البـان ج.ويـد جيـري- ت: ذوقان قرقوط- ص ١٣-١٤ .

أي أن نظام علاقات الأفراد والجماعات ومجمل الحياة الاجتماعية ،كان يقوم على مبدأ رابطة الدم الذي ، على أساسة ، اهتم الصينيون بتسجيل روابط القرابة الأسرية في أشجار نسب عائلية وعشائرية تعود إلى أبعد الجدود من الأجيال الأقدم عهوداً .وهذا الاهتمام بالأنساب لم يقتصر على الأسر الحاكمة فقط ، بل تعداه أيضاً إلى أسر الفلاحين العاديين .

بمرور عدة قرون على سيادة المفاهيم الداعية إلى التضامن الأسري الضيق، باتت العادات والتقاليد المبينة لأهمية الوحدة والتماسك داخل الأسرة ، المرتكز الأساس في تأمين حياة الأفراد وسؤددهم . واعتبر مفهوم قرابة الدم ، إن على صعيد العائلة أو العشيرة أو القبيلة ، هو الأساس في كل العلاقات الاجتماعية الضيقة والواسعة . وأصبح الصيني ينظر إلى الأسرة نظرة القداسة ، بحيث أن وجوده كفرد إنما يكون من أجل العمل بعيداً عن المصلحة الخاصة الفردية أي في سبيل الأسرة أو العشيرة باعتبارها الممثلة للمصلحة العامة المتضمنة للمصلحة الخاصة . ومن خلال هذا المفهوم الأسري ، طغى الشعور الصيني العام القائم على أساس العادات والتقاليد التي ترفع من شأن الأسرة وتشيد بدورها ، حتى باتت كل القيم والمعايير والمعاني تؤكد على واجب التفاني في سبيلها[1].

خصائص العشيرة الصينية:

يرى عالم الاجتماع سون بين وين أن خصائص العشيرة الصينية تظهر في:

١- النظام الأبوي ، سلطة الأسرة ، والتركيز على رب الأسرة ، ويجب على الأبناء الطاعة العمياء لرب الأسرة ، واحترامه .

٢- توارث النظام الأبوي ، واحترام الرجال ، وعدم المساواة بين الرجل والمرأة .

٣- تطبيق نظام إعلاء شأن الزوجة الأولى ، وعدم المساواة بين الأشقاء ، وقصر الإرث على الابن الأكبر من الزوجة الأولى .

٤- الاهتمام بالعلاقة التي تربط بين أقارب العشيرة .

٥- بر الوالدين ، وحب الأخوة ، وعبادة الأجداد .

---

(١) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د/ عمر عبد الحي – ص ٣٥ .

وأكثر الأدبيات الصينية تؤكد هذه القيم ، باعتبارها وسيلة الأمـان النفـسي وتـرابط الكيـان الصيني [٢].

[٢] معتقدات آسيوية – د / كامل سعفان – ص ٢٥٨ .

٥- التربية والتعليم في الصين القديمة :

اهتم الصينيون القدماء بالتربية والتعليم اهتمام كبيراً ، كما يؤكد بعـض المـؤرخين من أمثال ديديرو ، بأن الصينيين القدماء كانوا أكثر الشعوب مدنية فـي التـاريخ والـدليل على هذا أنهم اعتبروا العلماء منهم أبطالهم المفضلين.[1] لقد كـان التعلـيم هـو أفـضل طريق للوصول إلى الثروة الاقتصادية والمكانة الاجتماعية والسلطة الـسياسية ، ومـن هنـا كانت دعوة ملوك الصين ، في العصر الـسحيق ، النـاس إلـى شـغل أوقـاتهم بـالتفكير والدراسة ، باعتبار التعليم أهم عامل في سبيل نجاحهم في وضع اجتماعي صالح وسليم .

وقد رأى الصينيون أن فائدة التعليم تشمل المتعلمين والمعلمـين معـاً ، إذ يحـاول المعلمون ، عند قيامهم بتعليم الآخرين ، تدارك أوجه الـنقص فـي معلومـاتهم ، ومـا يشوبها من أخطاء ، فيعملون على تدارك هذا بتنمية معلوماتهم والاستزادة من المعرفـة الصحيحة والعلم السليم . وفي ذالك يقول المثلان الصينيان القـديمان :"إن التـدريس نـصف التعليم " و" أن عمليتي التعليم والتعلم تذكي كـلاً منهمـا الأخـرى ". ويتفـق النظـام التعليمي ، سواء في ذالك السابق على كنفوشيوس أو في عصر كنفوشيوس نفسه ، مع أحدث نظم التعليم السائدة في عصرنا الحالي[2].

الفلسفة بين الشرق والغرب

كشفت الدراسات الحديثة أن للصين فلسفة عميقة مبتدعـة جـديرة بـالاحترام يرجـع تاريخها إلى عشرين قرناً قبل المسيح ، وأنها استطاعت أن تلون الحياة العملية العامة للأمـة جمعاء بلونها ، وأنها استطاعت أن تحافظ على الكيان الخلقي لهذه البلاد مدى أربعـة آلاف سنة ، بل إن بعض العلماء يعتقد أن الفضل في هذا التماسك الاجتمـاعي والمقاومـة

---

(١) أنظر أعلام الفلاسفة - كيف نفهمهم – د/ هنري توماس – ت/متري أمين – ص ٤٧.
و محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة – د/ محمد جلال شرف – ص ٢٧ .

(٢) انظر كونفوشيوس النبي الصيني - د/حسن شحاته سعفان - ص٩٨ وما بعدها بتصرف .
و- كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني –د/ صلاح بسيوني – ص ٥٧ .

السياسية واحتفاظ الصين باستقلالها إلى الآن يرجع إلى تمسكها بـالأخلاق العاليـة المـسجلة في فلسفتها .....[١].

يقول صامويل هنتنجتون في كتابه صدام الحضارات : "يقر جميع الباحثين بوجود حضارة صينية واحدة متميزة ترجع على الأقل إلى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد وربما قبل ذلك بـألف عـام ، أو بوجـود حـضارتين صـينيتين تلـت إحـداهما الأخرى ...[٢]وكثيراً ما ينسب المشتغلين في حقل الفلسفة والأخلاق أصل الفلـسفة والفكـر الأخلاقي إلى العالم الغربي معتقدين أن الدول الشرقية القديمة بما فيها "الـصين" ليـست من الأمم التي لها نتاج فكري أخلاقي ، ولكن الدراسات العصرية الحديثة كشفت أن ذلك نوع من التحيز وثبت العكس ، وإن الباحث ليدهش: إذ يجد أن الفلاسـفة الـشرقيين علـى وجه العموم والفلاسفة الصينيين على وجه الخصوص قد تعرضوا لنقاط فلسفية أخلاقية هامه ، ودراسات اجتماعية وسياسية لازالت حتى اليوم تشغل بال العلماء والفلاسفة ، فكـان يعتقد لوقت قريب أن الفلاسفة اليونانيين هم أول من صاغ نظريات فلـسفية يعتـد بهـا ، وهذا الرأي جعل من اليونانيين القدامى "عمداء الفلسفة" بلا منازع ، ولا يخلو هذا الـرأي من التعصب لأصول الحضارة الغربية على أن كثيراً من علمـاء الغـرب لـم يتـرددوا فـي اعترافهم صراحة بما للفكر الشرقي القديم من أهمية بالغة ، بل يحاول بعضهم رد كثيـر من مبادئ الفلسفة اليونانية القديمة إلى أصول شرقية .

يقول فيهم (ديدرو): (أولئك قوم يفوقون كل من عداهم مـن الآسـيويين فـي قدم عهدهم ، وفي فنونهم ، وعقليتهم ، وحكمـتهم ، وحـسن سياسـتهم ، وفـي تذوقهم للفلسفة ، بل إنهم في رأي بعض المؤلفين ليضارعون في هذه الأمـور كلهـا أرقى الشعوب الأوربية وأعظمها استنارة). وقال فولتير:(لقد دامت هـذه الإمبراطوريـة (الصين) أربعة آلاف عام دون أن يطرأ عليها تغير يـذكر فـي القـوانين، أو العـادات ، أو اللغة،أو في أزياء الأهلين ...وإن نظام هذه الإمبراطورية لهو في الحق خيـر مـا شـهده العالم من نظم) .

---

[١] الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٢٠٩ بتصرف .
وانظر: من قراءاتي في الأدب العالمي- محمد بن احمد العقيلي – مجلة المنهل – العدد/٥١٣- المجلد/٥٥ رمضان ١٤١٤هـ فبراير – مارس ١٩٩٤م

[٢] صدام الحضارات – صامويل هنتنجتون – ت : طلعت شايب - ص ٧٥.

وقال الكونت كيسر لنج : (لقد أخرجت الصين القديمة أكمل صـورة مـن صـور الإنسانية ، وكانت فيها صورة مألوفة عادية ... وأنشأت أعلى ثقافة عامة عرفـت فـي العالم كله ... وإن عظمة الصين لتتملكني وتؤثر في كل يوم أكثر من الذي قبله ... وإن عظماء تلك البلاد لأرقى ثقافةً من عظماء بلادنا ؛ ... وإن أولئك السادة لهم طراز سـام مـن البشر ... وسموهم هذا هو الذي يأخذ بلبي ... إن تحية الصيني المثقف لتبلغ حد الكمـال! ... وليس ثمة من يجادل في تفوق الصين في كل شأن من شئون الحياة ... ولعل الرجـل الصيني أعمق رجال العالم على بكرة أبيهم)[١].

ويقول جفرى بارندر: (تقف الصين وحدها وسط حضارات العالم العظيمـة، قـد تطورت في عزلة تامة ، تقريباً ، عن بقية الحضارات ، ولهـذا كانـت إنجازاتهـا فريـدة ، وهذه الخاصية الفريدة جعلتها في آن معاً ممتعة لمن يشاهدها، محيـرة لمـن يحـاول فهمها ، أجل فقد تطورت الصين بنفسها وساعدتها على ذلـك عزلتهـا الجغرافيـة عنـد النهاية الشرقية القصوى (في الطرف الشرقي الأقصى) مـن العـالم الأوربـي الآسـيوي القديم ، تحيط بها جبال وصحراء ولا تمر بها أية طرق تجارية)[٢].

وقال جون كولر : (تقوم الحضارة والثقافة الصينيتان على أساس فلسفي تـشكله في المقام الأول ، مبادئ الكونفوشية والتاوية والكونفوشية الجديـدة ، وقـد قامـت هذه الفلسفات الثلاث بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته ، وكانت مصدر إلهام لها عبر ما يزيد على خمسة وعشرين قرناً من الزمان ، وكانت الفلسفة الصينية، التي أكـدت عـل أهميـة المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها مرتبطة أوثق الارتباط بالسياسة والأخلاق ، واضطلعت بمعظم وظائف الدين ، ومن هنا فإن دراسة الفلسفة الصينية هي دراسـة لهـا قيمتها ، ليس بسبب جدارتها الجوهرية فحسب ، وإنما كذلك بسبب الاستبصارات التي تجعلها ممكنة للعقل الصيني)[٣].

هذه خمس شهادات لمفكرين غربيين تجمع على قيمة الفكـر الـصيني القـديم وتصور عظمة النتاج الحضاري ومكانته في التاريخ .[١]كما قرر أحد البـاحثين المعاصـرين

---

[١] قصة الحضارة - ول ديورانت - ت : محمد بدران - ج٤ - ص ٩- ١٠ .

[٢] المعتقدات الدينية لدى الشعوب - جفرى بارندر – ص ٢٦٧ .

[٣] الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ص٣٢٥ .

[١] المدخل في تاريخ الأديان – د/ سعيد مراد – ص ١٧٠ بتصرف .

،بعد دراسة للفلسفة اليونانية لمدة بلغت أكثر من عشرين عاماً ، وكانت تخصصه الدقيق ، ما يلي :-

أولاً:- أن الفلسفة اليونانية ليست معجزة لا في نشأتها ولا في تطورها ، وإنما هي مرحلة في سلسلة طويلة من تاريخ الفلسفة ، وقد تأثرت بالفلسفة الشرقية سواء حين ظهورها في القرن السادس قبل الميلاد أو في تطورها منذ "طاليس "وحتى العصور الحديثة .

ثانياً :- إن مصادر الفلسفة اليونانية الحقيقية في الفكر الشرقي وخاصة في الفكر المصري والصيني والبابلي والهندي والفارسي .

ثالثاً :- أن الفلسفة اليونانية تأثرت بالفلسفة الشرقية القديمة في الحضارات الخمس الكبرى وهي :- [الحضارة المصرية – الحضارة الصينية – الحضارة الهندية – الحضارة الفارسية – الحضارة البابلية - حضارة مابين النهرين] . و من المعلوم أن التفكير الفلسفي لم يكن وقفاً على أمه دون أمه وإنما كان وسيظل حقاً من حقوق الإنسان ، لا علاقة له بمسائل الجنس واللون والدين . ومما يؤكد أن الفلاسفة اليونانيين قد تأثروا بالفلسفة الشرقية . يقول أحد الباحثين "وليس هناك شك في أن اليونانيين قد تعرفوا على ما كان للشعوب الشرقية من حكمة وديانات وأخلاق ، وأنهم قد استفادوا من التراث الذي خلفته هذه الشعوب ، ويؤيد ذالك رحلة كل من "طاليس"و"أفلاطون"إلى مصر وما يروى من رحلات"فيثاغورس" إلى البلاد الشرقية، فالفلاسفة الشرقيين هم الذين فجروا الينابيع التي هبط منها الوحي(كما يزعم) على الفلاسفة اليونانيين ومن جاءوا بعدهم"[٢]. ولقد أجمعت المراجع التاريخية على أن اليونان قد استمدوا مبادئ فكرهم وحضارتهم من الأمم الشرقية وهذا أمر لاشك فيه، إن اليونان قد اكتسبت بذور دينها وفكرها وحضارتها عن مصر والهند والصين وفارس،فالأصول شرقية،ولكن جاءت الصياغة في أسلوب يوناني ميثولوجي خاص يمازجه الخيال والشعر اللذان اشتهرت بهما اليونان ولها من جوها الشاعري ما يساعد على ذالك [١].

---

[٢] تمهيد للفلسفة – محمود حمدي زقزوق – ص ٣٩ .

[١] الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة –إبراهيم محمد إبراهيم - ص٢١٣ ، عن الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص٢٣ .

وتأثر اليونانيون بهذا الفكر عن طريق نمو العلاقات التجارية والسياسية والثقافية بين اليونان وكل أمم الشرق وهذا مالا يمكن إنكاره [٢].

وقد شهد القرنان السادس والخامس قبل الميلاد في بلاد الصين عاصفة قوية من العبقرية الفلسفية بالأصالة ، والأخلاقية بالتبع ، وقد بدأت هذه العبقرية في الصين كما بدأت في اليونان بعصر من "التنوير" العقلي . ولعل الفرق الأساسي بين الفكر الصيني والفكر الغربي أنه بينما الأخير يخطط ويعمل لغزو الشعوب ، فإن الأول يعمل ويخطط لجذب العقول والقلوب ، وبينما يحاول علماء الغرب اكتشاف طرق جديدة لاستغلال الشعوب وامتصاص دمائها ونهب خيراتها ، فإن فلاسفة الصين يدأبون للكشف عن الجسور التي تصل بين الأمم والشعوب فشتان ثم شتان بين مشرق ومغرب ![٣].

٦- تأثير الأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة على الثقافة والفكر :

في الفترة التي سبقت مجيء كونفوشيوس كانت المنافسات بين الأمراء على السلطة عنيفة وكثيراً ما أدت إلى حروب دامية . وقد برز في هذه الفترة ما يسمى بالسلاطين الخمسة (وو با) في التاريخ الصيني نتيجة للمنافسة بين الأمراء وقد دارت الحروب بينهم ، وفي داخل أسرهم ، للحصول على السلطة طويلاً وأدى ذلك إلى ضياع النفوس وجلب البأساء والضراء على الشعب .

وكانت لهذه الأوضاع السياسية والاجتماعية المضطربة تأثيرها على الثقافة والفكر فالشرائع والآداب والأخلاق القديمة التي كان يتبعها ويعظمها ويتمسك بها الحاكم والشعب على حد سواء أهملت وتركت أو لعب بأشكالها بدون الالتفات إلى روحها ومعناها .

ومن يقرأ الفصل الثالث من كتاب الحوار سيجده صورة واضحة للانحطاط الثقافي والخلقي ، والخروج على الملك ، واللعب بالشرائع من جانب الأمراء لهذه الفترة . وقد وصل الأمر إلى حد ظهور التفكك الاجتماعي الواضح ، أن أناساً يئسوا من الإصلاح فلجئوا

---

[٢] مشكلات فلسفية – إبراهيم عبد المجيد اللبان- وآخرون- ص ١٩٨ .
وانظر الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ٢٢-٢٣.

[٣] المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد عبد الرحمن مرحبا – ص٢٤٦ بتصرف .

إلى الكهوف للزهد والتقشف والرهبنة ، والهروب من ميدان الحيـاة وهـؤلاء هـم أوائـل الطاويين .

وأناساً آخرين اشتغلوا بدراسة القوانين راجـين إصـلاح الأمـر بالقانون،وفئـة اشـتغلوا بالحروب يريدون حل المشكلة بالحروب، وهؤلاء هـم الحربيـون. وفئـة يعيـشون علـى التنبؤات للأحداث عن طريقة (يين _ يانغ) وطبقة "رو" وهم المحافظون على الـشرائع والآداب والأخلاق الذين لا يجدون من الناس من يتعلمها منهم . وفئات كثيرة لا تحصى ، حتى قيل أنه كان هناك مائة مذهب تقريباً ، كل يدعون إلى مذهبه .

وكانت فترة الربيع والخريف حقا فترة فوضـى سياسـية وفكريـة ، وانحطـاط ثقافي واضطراب اجتماعي ، وقد استهزئ بالشرائع والآداب القديمة ، وفسدت الأخـلاق بعد ازدهارها في عصر الملوك الأنبياء الخمسة ، والعهـود الملكيـة الثلاثـة . وقـد جـاء كونفوشيوس في أثناء هذه الفترة المضطربة التي لم يشهدها الشعب الصيني مـن قبـل في تاريخه ، والتي سوف تمتد إلـى مئـات الـسنين بعـده - فتـرة الإمـارات المتحاربة - وقد جاء ليلعب دوره المؤثر على التاريخ الصيني فيما بعـد ، وإن لـم يكـن الرجل ناجحا إلى حد مرموق في محاولاته السياسية في حياته [١].

---

[١] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب– ص٥٢-٥٣ بتصرف . و – الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي – د/ جمال المرزوقي – ص ٢٤٤.

٧- الحالة الاجتماعية وقت ظهور كونفوشيوس:

بعد أن وقفنا على الملامح العامة للحالة الاجتماعية في الصين إلى ظهور كونفوشيوس نحاول هنا أن نذكر بعض المظاهر الاجتماعية في الوقت الذي ظهر فيه كونفوشيوس لنتعرف على البيئة الاجتماعية في ذلك الوقت تحديداً .

كانت هناك عدة مظاهر اجتماعية منها :

١- الغالبية العظمى من الصناع والحرفيين والفلاحين يعملون كأرقاء لدى الأرستقراطيين ، وكان هؤلاء الصناع والفلاحون ليس لهم حقوق تجاه أسيادهم إلا ما يكفيهم من الطعام والشراب فقط ، وكان بمرور الزمن يزداد الأغنياء غنا وثروة ، ويزداد الفقراء فقراً وحاجة . "ففي ظل النظام الإقطاعي للصين القديمة كان الإمبراطور (ابن السماء) والسادة الإقطاعيون والوزراء وكبار موظفي الدولة كانوا جميعاً سادة الشعب الأعليين ، لا سياسياً فحسب ، ولكن اقتصادياً كذالك ، فلقد انقسمت ملكيات الأرض وفقاً لتوزيع الإمبراطور مناصب الدولة على أفراد عائلته وعلى أصدقائه المقربين . وتولى الإقطاعيون توزيع الأراضي على أقربائهم ، وهؤلاء بدورهم وزعوها على عامة الناس لزراعتها ، وما كان ليأتي لهؤلاء العامة من الناس امتلاك الأرض إذ كانوا مجرد أرقاء زراعيين في حوزة سادتهم الأعلين[١].

وبحكم ذلك ، نجد سجلات حكومات ذلك الزمان تصف أوجه نشاط العائلة النبيلة القليلة ، أما بالنسبة لعامة الناس ، فكانوا يطالبون بالعمل لسادتهم أوقات السلام ، ويحملون السلاح وقت الحروب ويضحون بالحياة في سبيل مصالح سادتهم"[٢].

٢- وفي هذا الجو الاستعبادي والاستغلالي نشأت الخرافات والخزعبلات والدجل والشعوذة فكان الصينيون يجملون الحقائق الواقعية المادية بخوارق الطبيعة ، فكانوا

---

[١] في لقاء أجريته مع الدكتور/ يانغ لي وانغ – عضو هيئة التدريس في كلية الفلسفة والأديان في جامعة بكين يوم الخميس ١٤٢٥/٢/١١هـ، وكان اللقاء في قاعة الاجتماعات في الكلية، وهو متخصص في الفلسفة الصينية القديمة – ذكر أن من العوامل التي أثرت في منهج كونفوشيوس تردي الأحوال الاجتماعية في العصر الذي ظهر فيه . . .

[٢] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل _ ج١- ص٢٦ .

يحسون أن آلافاً من الأرواح الطيبة والخبيثة ترفرف من حولهم في الهواء المحيط بهـم ، وفوق الأرض التي تحت أقدامهم ،وكانوا يحرصون على أن يردوا عداوة هذه القـوى الخفية ، وأن يستعينوا عليها بالأدعية والرقى السحرية .

وكان ينتابهم فزع عند رؤيتهم الخسوف والكسوف ، وراحوا يـستأجرون المتنبئـين ليكشفوا لهم عن المستقبل باستخدام أصداف السلاحف ، وتأمل النجوم،كما استأجروا السحرة ليوجهوا منازلهم نحوا الريح والماء ، ويحددوا أماكن بنائها وينسقون حجراتها ، ويحددون مواضع تقديم القرابين ، ويرتبون أسبقية الأرواح وفقاً لمكانتها. كما تعاملوا مع العـرافين لينزلوا بهم نور الشمس وماء المطر . بل لقد بلغ بهم الأمر حد أنهم يعرضون للمـوت مـن يولدون من الأطفال في أيام النحس .

٣- "أما البنات فكن إذا توقدن حماساً وغيرة يقتلن ليجلبن الخير لآبائهن "[١]وكانـت المـرأة في الصين القديمة _ مهانة ، يفضل عليها الرجل وتختص بالخشن من الفـراش و الثيـاب ، والحقير من الأعمال . . .[٢] .

٤- "وكانوا يربطون المظاهر الطبيعية بالفضائل والأخلاق ، وكان الواجب هـو الـذي لـه القيادة العليا في هذا الشعب ، وكان كل فرد يحاول بقدر طاقته أن يكون فاضلاً حتى لا يكون مجلبة للوباء أو للجدب فتشقى بسببة الأمة ... وعندهم أن الإنسان خير بفطرته ، لأنه جزء الطبيعة ، والطبيعة هي الإله ، ولكن الإنسان ليس مجبراً على طبيعتـه الخيريـة مثل النبات أو الحيوان ،وإنما هو كائن له كسب واختيار قد يبعدانه عـن الطريـق الـسوي الذي هو صوت السماء أو صوت الطبيعة .أما الخير الموجود في نفـسه ، فلـيس كامـل التكوين ، وإنما هو موجود على هيئة استعداد فقط ، وعليه هو أن يحققه حتى تصبح الفضيلة طبيعة عملية له. وكانوا يوجبون الرحمـة : رحمـة الكبيـر بالـصغير ، والقـوي بالضعيف والغني بالفقير "[١].

٥- أما عن علاقة الوالد بأولاده فإنهم كانوا يهتمون بها اهتماماً بالغاً يؤدي في بعـض الأحيان إلى الضحك والعجب وكانوا يعتبرونها أشد القوى الأدبية لدرجـة أن:"الرجـل قـد

---

(١) قصة الديانات – سليمان مظهر – ص ١٧٤ .

(٢) أديان العالم الكبرى – حبيب سعد- ص٤١ .

(١) الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٢٢٤-٢٢٥.

يذبح ابنه ولا يعتبر في فعلته ألا متطرفاً في استخدام الحقوق الأبوية .أما إذا قتل الابـن أباه ، فهذه جريمة فظيعة يعاقب عليها العرف والقانون ، بأقصى صـنوف التعـذيب . وكان يقال: أن التشدد في رعاية هذه الرابطة كان لخير البلاد ، ويروى عن أحـدهم أنـه "كان يخشى أن يدرك أبواه حقيقة تقدمـه فـي الأيـام وبلوغـه سـن الـسبعين فيرهبـا شيخوخته ، لذالك كان يرتدي ثياب الأطفال ويظهر أمام والديه كصبي صغير "[٢].

٦- كما عرف العصر الذي ظهر فيه كونفوشيوس ،بعصر "التدهور الأخلاقي إلى حد أن جميع الفلاسفة الذين اشتغلوا بالسياسة العامة كانوا يجهدون أنفسهم فـي البحـث عـن علاج لهذا الوباء الفتاك بل إن (لاو تس) قدصرح بأنه بقدر ما تكثر القوانين تتضاعف الآثـام والجرائم في البلاد. . والسبب في ذلك هو أن الأرستقراطيين قد فسدوا ،وأن النبلاء بالفعـل فقدوا نبل قلوبهم وأصبح هذا الاسم غير منطبق على مسماه ،ومن هنا اندفعوا في تيار الرذائل والآثام . ورآهم الشعب على هذا الحال فحاكاهم ولهذا تم التدهور وساءت الحـال في تلك الفترة "[٣].

كما كان عصر كونفوشيوس مليئاً بالشواهد والأمثلة على كثيـر مـن الأسـر التـي دمرت لافتقادها الفضائل ، فخرج الأبناء يتقاتلون في حـروب داميـة أدت مـع مـرور الوقت إلى تفكك الأسر والمجتمع ثم فساد الإمبراطورية كلها .

"إن ما شهده عصر كونفوشيوس من تمزق وانتشار للفساد والمنافسات غير الـشريفة واختفاء الولاء والاحترام ، وظهور قوى العنف البهيميـة ،كـل هـذا أدى إلـى ضـرورة استدعاء القيم الاجتماعية ذات الطابع العملي التي لا تحكم فقط علاقة الفرد بذاته بـل علاقته بالآخرين في المحيط الاجتماعي الذي يحيا فيه"[١] .

---

[٢] أديان العالم الكبرى – حبيب سعد – ص ٤٧ .

[٣] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية- د/ علي معبد – ص١٦٦- ١٦٧ بتصرف.

وانظر الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ٢٤-٢٧ .

ولقاء أجريته مع الدكتور / يانغ لي وانغ – أستاذ الفلسفة والأديان- جامعة بكين (سبق ذكره) .

[١] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٣٤ .

الفصل الثالث

الحالة السياسية

وفيه:

١- تاريخ الصين
٢- مواصفات الحاكم في الصين القديمة
٣- النظام السياسي
٤- سيادة العائلات المالكة
أولاً :- مرحلة حضارة يانغ شاو وأسرة هسيا (٢٢٠٥-١٧٦٦ق.م)
ثانياً :- مرحلة أسرة (شانغ) (١٧٦٥-١١٢٣ق . م)
ثالثاً :- مرحلة أسرة تشو (١١٢٢-٢٥٦ق . م)
٥- الحالة السياسية عند ظهور كونفوشيوس

١- تاريخ الصين :

تاريخ الصين مدون في مؤلفات تحمل اسم السجلات التاريخية . والرائد فـي هـذا المضمار المؤرخ الصيني (سيما تشيان) المولود (عام ٩٠ ق . م)، ويعتبرونه أبـو التـاريخ في الصين . وقد ألف مجلداً ضخماً اختصه بهذا الاسم أرخ فيه للصين منذ الألف الثالث ق . م حيث يرد ذكر الإمبراطور هوانغ دي ، وهو الأب الخرافي للدولة الصينية [١] حتـى الإمبراطور التاريخي وو دي من أسرة الهان . ونسج اللاحقون على منـوال المـؤرخ الأول . وكان تاريخ كل أسرة منقضية يسجل في الأسرة اللاحقة من جانب مـؤرخين يـستخدمون أرشيفات الأسرة المؤرخ لها . ولأهل الصين منذ فجر دولتهم عناية بالأرشفة . وعليها اعتماد سجلاتهم التاريخية . وقد اعتمد المؤرخون الإسلاميون علـى أرشـيفات الخلفـاء الأمـويين والعباسيين كواحدة من مصادر التأريخ . ولعل أهل الصين والإسلام أكثر الأمم القديمة عناية بهذا الجانب من حضارتهم . وقد وصلتنا تواريخ الحضارتين شبه كاملة نظراً لهذه العناية .

الأباطرة :

نظراً لاتساع مساحة الصين يتلقب حاكمها بالإمبراطور . وهو بالصيني هوانـغ دي ويرتبط الاصطلاح بمفهوم الكائن الأعلى . ومن ألقاب الإمبراطور ابـن الـسماء (تيـان زه) . وترجم إلى الفارسية القديمة : بغ بور واستعمله العرب للدلالة على ملك الـصين فقـالوا : بغبور وقفقور .

ويغلب لقب هو آن دي على حكام الأسرات لاسيما التي شمل حكمها جميـع الـصين أو أجزاء كبيرة منها،أما حكام الدويلات فتسموا بالملك (وانغ).

الإدارة :

يستعين الإمبراطور بعدد من الأعوان التنفيذيين من مرتبة الوزراء ويتصدر الوزراء وزير أكبر يختص بالإمبراطور ويكون الواسطة بينه وبين الوزراء . وقابـل وظيفـة الـوزير الأكبـر وظيفة الحاجب في نظام الأندلس الذي تشكل من وزراء اختصاصيين يتقدمهم وزير أكبـر هو الحاجب ويكون الواسطة بينهم وبين الخليفة أو الملك الأندلسي . ويقابل وظيفة الوزير الاختصاصي وظيفة صاحب الديوان في الحكومة العباسية .

واعتمد الحكم على جهاز بيروقراطي ضخم ، وكان الموظفـون يعينـون مـن الفئــات الحاكمــة والتنفيذيــة والارســتقراطية ، وتنتقــل الكثيــر مــن المناصــب بالوراثة [١].

---

[١] أنظر: تيارات الفلسفة الشرقية – محمد سليمان حسن - ص ٤٧ .

[١] المستطرف الصيني – هادي العلوي – ص٢٦ و ص٣٥ بتصرف .

٢- مواصفات الحاكم في الصين القديمة:

كان الحاكم في الصين القديمة له مكانته السامية ،وهناك المواصفات التي يجب توافرها في الحاكم المثالي ؟ . فيجب أن يكون الإمبراطور أو الحاكم سلوكه طيب ويتسم بالزهو الصامت ويجب أن يكون خالي من الغطرسة ، سواء في الكلام أو الفعل أو العادات فيعيش وهو يشعر بقيمته الخاصة التي تربى على شعائرها منذ نعومة أظافره وعليه أن يمارس واجباته بكل دقة وإحكام ، ولهذا يجب أن يكون فاضلاً مستقيماً حكيماً ، بل قديساً منزهاً عن النقص ، ومن هنا لا يكون هناك طبقة مميزة سوى الإمبراطور ووزرائه الذين تربوا بطريقة صارمة حتى يتعودوا على الخشونة وضبط النفس ، وشغلهم الشاغل هو دراسة العلوم، فيتعلمون وهم صغار أن الإمبراطور هو رأس الدولة ولهذا ينبغي أن يظهر على أنه الأول والأحسن في كل شيء ، فالحاكم ووزرائه لهم أولوية خاصة ، يتمتعون بذلك بحكم منصبهم لا بحكم مولدهم وما عدا الحاكم ووزرائه فالكل متساوٍ في جميع الحقوق والواجبات [٢].

و من الممكن أن يصل إلى الحكم من اتصف بهذه الصفات السابقة وهو وحده الذي يسمو ولو كان من أقل الناس .

ورد في أحد كُتبهم وهو "شو كينج" "إن من يستضئ بالفضيلة الساطعة هو وحده الذي يمكن أن يسمو ولو كان ابن فلاح " وإذا حاد عن الصراط السوي فإن السماء تسلب منه السلطة .

وأقنعت هذه النظرية الملوك والحكام بأن الحكم بحد السيف والخنجر مستحيل وأن السلطة الوحيدة الدائمة هي المنبثقة من الفضيلة ولهذا يقول كتاب " إي كينج " إن القوانين القاسية لا تستطيع أن تحقق الرخاء ، وإن نصيب الحزم يساوي نصيب الخيرية ، وأن القسوة يجب أن تقف عند التوسط، فإذا ما تعدته فقدت نتيجتها النافعة، ومن يطبق القانون بوداعة مع حزم،وبخيرية مع قسوة معتدلة، يفز بالشهرة . . ."[١].

٣- النظام السياسي :

قوام النظام الحكومي ، عند الصينيين ، إمبراطور ، يحكم نيابة عن الإله الأعلى ، فهو وصي السماء على الأرض ، بل ابنها في حقيقة الأمر ؛ ونبلاء ، بعضهم بحكم

---

[٢] محاضرات في فلسفة التاريخ – هيجل – ج ٢ – العالم الشرقي – ت . وتقدم : د/ إمام عبد الفتاح إمام - ص٧٤،٧٥ بتصرف .

[١] الفلسفة الشرقية - محمد غلاب – ص ٢٢٨-٢٢٩ .

والفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس- شعبان عبد الرحيم – ص ٤٣-٤٤ .

مولدهم ، وبعضهم بحكم تربيتهم وتدريبهم ، ومجلس من ستة وزراء ، يختص كل واحد منهم بناحية من النواحي الآتية وهي : حياة الإمبراطور وأعماله ، ورفاهية الشعب وزواج أفراده المبكر ، والمراسيم والتنبؤات الدينية،والاستعداد للحرب والسير فيها، وتوزيع العدالة بين السكان ، وتنظيم الأشغال العامة [٢]. ثم يأتي بعد ذلك الكهنة الذين يساعدون الملك في التأدية الصحيحة لواجباته عن طريق المراقبات الفلكية التي يقومون بها وتجعل إعداد التقويم ممكنا .

كما أن سيادة الإمبراطور أو الملك الحاكم تعتمد على أن السماء هي التي قلدته "مهام منصبه " ومنحته مسئولية تنظيم الكون ، ولهذا يجب أن يكون حكيماً، مستقيماً ، فاضلاً ، لأنه الابن الحقيقي للسماء أو للكائن الأعلى ، ولكنه في الوقت ذاته يمثل دور الأب بالنسبة إلى شعبه . ومن هنا كان من الواجب عليه أن يعمل على تربية أفراد شعبه وإعالتهم في رحمة ورفق ، وإجبارهم على التحلي بالخلق الحسن . فإذا أهمل الحاكم في تأدية واجباته أو حاد عن الطريق المستقيم ، واستبد بالشعب، فإن السماء تسلب منه السلطة ، إذ أضاع حقه في حكمهم ، وأصبح أشبه ما يكون بالحاكم اللص ، عندئذ تبدي السماء غضبها بأن تقلب الجو في غير أوانه ، أو ترسل علامات أخرى خارقة كالصواعق ، والأعاصير ، والفيضانات المدمرة ، والزلازل وكل ما من شأنه أن يدل على أن الملك قد فقد صلته بالسماء[٣].

لقد كانت نظرية : "تفويض السماء" في الواقع ، هي رخصة الملك إلى الحكم والسيادة ، وهي التي تمنحه النفوذ السياسي القوي على رعاياه ، بما يلزمهم الولاء له وإطاعة أوامره .

وقد تفرعت عن نظرية " تفويض السماء" فكرة تغيير التفويض بما يفيد حق الشعب في الثورة على النظام القائم إذا حاد عن الصراط السوي وأن الحاكم لا ينبغي أن يبقى في الحكم دوماً فالصين لم تعرف نظرية سلطان الملوك المطلق أو الإلهي الذي انتحله ملوك أوربا وغيرهم لأنفسهم ، وبرروا به القهر والتعسف حيال الشعوب . فسلطة الملك الحاكم ، إذن عند الصينيين ليست مقدسة ، وبالتالي فلسلطانه ليس مطلقاً .

إن سلطة الملك الوحيد الدائمة ، إنما هي المنبعثة من الأخلاق الفاضلة التي تتمثل في العدل والأمانة والاستقامة والاعتدال والوادعة والحزم المعتدل .

---

[٢] انظر قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج ٤ – ص ٢١ – ٢٢ .

[٣] كونفوشيوس - رائد الفكر الإنساني - د/ صلاح بسيوني – ص ٣٦ بتصرف .

= و مقدمة في الفلسفة السياسية - د/ صلاح بسيوني – ص ٤٥ .

ومن الأشياء التي كان لها دور في الحد من سلطان الملك المطلـق نظـام الرقابـة الإمبراطورية[1] الذي يعطي الرقباء الحق في ملاحظة تصرفات الإمبراطور ومعاونيه من موظفي الدولة ومعارضة أوامر الحاكم التي تجافي الصالح العام[2].

متى كانت البداية ؟

ليس هناك اتفاق أو إجماع بين المؤرخين على تحديد البدايات الأولى للفكر الصيني . وعلى الرغم من ذلك فقد بذلت محاولات لتحديد نشأة هذا الفكر تعتمد على الترجيح لا على القطع واليقين . فالحضارة الصينية ترجع إلى أحقاب سحيقة تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ ، ويرمزون إليها بقولهم " سان خونغ ووتى " ومعناها ثلاثـة ملـوك وخمـسة سلاطين . أما أول الملوك الثلاثة فهو " صوى تشين " الذي عاش قبل التاريخ وينـسبون إليـه اكتشاف عنصر النار بنظره إلى النجوم ، وعاش الثاني" فـوهى " مـن سـنة (٢٨٥٢ ق.م) حتى سنة (٢٧٣٨ ق.م) ، وقالوا إنه منظم علم التقويم ، وأكبر رجال الثقافـة الـصينية ، فقد شرع نظام الزواج ، وابتكر لأهل الصين ما يأكلون وما يشربون ، وابتكـر لهـم آلاتهـم الموسيقية ، وغرس أشجار التوت ، وعلمهم صناعة الحرير ، واستأنس الحيوانات الضاربة ، كما أنه أول من عرف عبادة الإله . وعاش بعده الملك " شين فونغ " فيمـا بـين سـنة (٢٧٣٧ ق.م) ،وسنة
(٢٧٠٥ ق.م) ، وقالوا إنه اخترع الآلات الزراعية واستخرج خواص النباتات الطبية .

وبموت " شين فونغ " انتهى عصر الملوك الأولـين ، فـورث هـذا الملـك خمـسة سلاطين ضعاف ، وصارت البلاد في عهـودهم مطمـع الغـزاة الطـامعين مـن القبائـل الهمجية،فصدهم أول سلاطينهم وهو " خوانغ لى " ومدته من سنة (٢٦٩٧ ق.م) إلـى سنة (٢٥٩٧ ق.م) ، ويقال إنه اخترع الإبرة المغناطيسية وهو في ميدان القتـال ، وفـي عهده تعلم أهل الصين غزل الحرير و استكثروا من زراعة شجر التوت وتربية دودة القز[1] . ويتوالى بعد ذلك على الترتيب : " جوانغ صو " و " تى كو " و " ياو " و " شون " ، وقد حظي الأخيران من " كونفوشيوس " بالتقديس ، فجعلهما مثال الفضيلة والحكمة ، واعتبر عصرهما العصر الذهبي للصين .

---

(١) أنظر : حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١- ص٢٩ - ٣٠ .

(٢) كونفوشيوس - رائد الفكر الإنساني - د/ صلاح بسيوني - ص ٣٧ بتصرف .

[1] الصين والعرب عبر التاريخ - محمد محمود زيتون ، ص٢١،٢٢ .

لقد خطا الصينيون خطوات مطردة نحو المدنية . وبدءوا ينشئون نظاماً سياسياً خاصاً بهم ، حتى ظهر في تاريخ الصين عـصر الأسـاطير مـن سـنة (٢٢٠٠-١٧٠٠ ق.م) ، ثـم عـصر الأسرات[٢] القديمة [٣].

يقول الأستاذ فؤاد شبل: " يبدأ تاريخ الصين بظهور خمسة أبـاطرة أسـطوريين [٤]، اعتبـرهم الصينيون أنصاف آلهة وعبدوهم ، ونسبوا إليهم كـشف الزراعـة وتنظـيم الـري ، وابتكـار الأدوات الزراعية ، والمركبات ذات العجلات ، والقوارب ... وغيرها من المنجزات الحـضارية [٥]، واعتبرهم كونفوشيوس ومريدوه أبطال أزهر عصور الماضي المجيد" .

ثم تلاهم الإمبراطور (ياو) أول حاكم بشرى ! حكم الصين (٢٣٥٧- ٢٢٥٦ ق.م.) .... وخلف هـذا الحـاكم وزيـره القـدير(شـون) (٢٢٥٥-٢٢٠٦ ق.م.) الـذي خلفـه الإمبراطور (يو) مؤسس أول أسرة مالكة صينية عرفت باسم (هسيا) لبثت تحكم حتى (عام ١٧٦٦ ق.م) وخلفتها أسرة (شانج) (وتعرف كذلك بأسرة (ين) التي بدأ حكمهـا (عام ١٧٦٦ ق.م) وانتهى (عام ١١٢٣ ق . م) هذا هو الرد المـأثور للتـاريخ الـصيني العتيق كما يورده المؤرخون الصينيون ، لكن ما برحت التواريخ السالفة الذكر محل نقـاش وجدل[١] .

وقد كثرت السجلات التاريخية التي خلفها مؤرخو الصين القدماء ، وإن كانت هذه السجلات القديمة لا تخضع ، أو لا تثبت أمام النقد التاريخي فيما قبل عام ٧٧٦ ق.م ، أي فيما قبل عهد الإقطاع ، في عهد أسرة تشو[٢]. فالتاريخ الذي يجمـع عليـه البـاحثون في الصين هو عام ٧٧٦ ق . م إذ يسجل الصينيون وقت ذاك حدوث كسوف شمـسي ، كما ظهر في هذا العام أول كتاب من المأثورات الصينية يعرف باسم كتاب الأغاني . . . . [٣].

---

[٢] وإن كنت أرى أن هذا العصر متداخل مع العصر الذي سبقه (عصر الأساطير) إلا أني أنقل ما كتب وما وجدت غير هذا فاليلتمس لي القارئ العذر إن بدى له ما بدا لي .

[٣] الشرق الأقصى - تشسترا ، بين – ت : حسين الحوت ، ص ٢-٣ .

عن المدخل في تاريخ الأديان- د/ سعيد مراد – ص ٤٠ بتصرف .

[٤] (هوانج دي ، وجوان شي ، ودي كو ، وتانج ياو ويوشون)

انظر كتاب التجربة الصينية – د/ عبد العزيز حمدي - ص١٠ .

[٥] للمزيد انظر : قصة الحضارة – ديورانت – ت : محمد بدران - ج ٤ - ص ١٥-١٧ .

[١] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل - ج١ - ص٢٠ .

[٢] معتقدات آسيوية – د / كامل سعفان – ص ٢٥٢ بتصرف .

[٣] المدخل في تاريخ الأديان- د/ سعيد مراد – ص١٧٠ – ١٧١بتصرف .

البنية السياسية للصين القديمة :

بدأت مراحل الاستقرار في شمال غرب الصين ، في أودية الأنهر العديـدة ، حيـث بدأت أولى القرى الزراعية بالتحول كنقاط جذب للجماعات البدائية . وظهرت مـع كبـر المستقرات الزراعية المتحولة إلى قرى ، بوادر التمايز بين الأفراد . ولقد أخـذ هـذا التمـايز بالتزايد ، حتى تحول إلى نوع من الهيمنة والسيطرة لبعض الأفراد، على نحو ما حـدث في بلاد ما بين النهرين ووادي النيل في بداية تطور مجتمعاتها الزراعية المبكرة . ونشأت بالتالي قيادات أو زعامات عملت على تنظيم المستقرات والقرى ، بشكل سمح بنموها عن طريق استصلاح الأراضي وريها والعمل على تأمين الدفاع عنها . وتحولت هذه القيـادات أو الزعامات إلى نوع من الفئة المهيمنـة المـسيطرة . وكبـر حجـم وحـدات الأراضـي المزروعة ، نتيجة التوسع في الزراعة والزيادة في عدد أفراد المستقرات والقرى الزراعية ، ولكن الأمور لم تتطور إلى حد ظهور سلطة محلية قوية تنزع إلى الـسيطرة الكاملـة على المستقرات وتتحول بذلك إلى سلطة شبيهة بالملكية ، وذلك إلى أن جاء الغزو البدوي بقيـــــادة أســــــرة "شانغ" (٤).

<u>٤- سيادة العائلات المالكة :</u>

تميزت الصين منذ بداية تطورها الحضاري ، بسيادة العائلات المالكة المعتمدة على سيطرة العشائر والأسر ، كما تميزت بعدم استقرار حكم هذه العائلات وبالانتفاضات الفلاحية الناشبة ما بين مرحلة وأخرى . ولذلك أمكن تقسيم تاريخ الصين إلى محطات رئيـسية تمثّـل كل واحدة منها مرحلة حضارية مرتبطة بحكم عشيرة أو عائلة معينة ، نذكرها بإيجاز :

أولاً :- مرحلة حضارة يانغ شاو وأسرة هسيا (٢٢٠٥-١٧٦٦ق.م) :

استدل بعض المؤرخين من الآثار المكتشفة والعائدة إلى العصر الحجـري الحـديث وإلى منتصف الألف الثالث ق.م ، على وجود حضارة "يانغ – شاو" (نسبة إلى القرية التي وجدت فيها هذه الآثار) في "هونان" الحالية في حوض النهر "الأصفر" وقـد اسـتنتجوا بأنها حضارة متوارثة عن حضارة أسبق منها وهي المسماة "ككانـسو" أو "كـان – سـو"

---

(٤) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د/ عمر عبد الحي – ص ٣٨ - ٣٩ .

وكانت في أقصى ولاية في شمال غرب الصين الأصلية . كما قالوا بأن الجماعات التي انتشرت شرقاً وغرباً ، نقلت معها الزراعة وتربية المواشي من جنوب غرب آسيا أي من الشرق الأدنى إلى الصين في العصر الحجري الحديث[1] . وفي مرحلة الربع الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد والربع الأول من الألف الثاني قبل الميلاد ، حكمت أسرة "هسيا" او "شيا" ومؤسسها حسب الروايات الصينية ، هو الإمبراطور الأسطوري "يو" .

وقد استطاعت أن تضم تحت لوائها عدداً من الأسر ، واستمر حكم هذه الأسرة نحو ٥٠٠ عام لكنها لم تبسط سيطرتها على عموم الصين ، وتنفرد هذه الأسرة بأنها التي أدخلت نظام العبودية في الصين ، والذي لم يكن معروفاً أثناء النظام القبلي السائد في معظم مناطق الصين ، ولاسيما حول النهر الأصفر ، فأصبح المجتمع مكوناً من طبقات ثلاث ، ملاك العبيد ،والعبيد ،وأبناء العشائر .

وتأرجح نفوذ هذه الأسرة خلال هذه المدة من الزمن ، إلى أن بدأ عودها بالذبول ، وأوراقها بالتساقط ، فظهرت أسرة أخرى يقال لها " شانغ " حلت محل سابقتها [2].

ثانياً :- مرحلة أسرة (شانغ)[1] (١٧٦٥-١١٢٣ق . م) :

تبعت مرحلة حضارة يانغ – شاو (في الربع الأول من الألف الثاني ق . م) مرحلة حضارية أخرى وهي "لونغ - شان" . وبعده ، ظهرت مرحلة مدنية إقليمية حوالي العام ١٥٥٠ ق . م سميت باسم الأسرة المؤسسة لها " شانغ "، ثم أُطلق عليها فيما بعد تسمية "وين" . اقتبست هذه المرحلة المدنية عناصرها الحضارية من المراحل السابقة ، ولم

---

[1] حول هذا الرأي راجع كتاب "أرنولد توينبي" : تاريخ البشرية – الجزء الأول – ص: ٨٩ .
أنظر الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د / عمر عبد الحي – ص ١٢.

[2] حضارة الصين – د/ محمد البشر – ص ٢٠٨ بتصرف .

[1] بعض المصادر تسميها شانغ والأخرى شانج ولعل هذا بسبب صعوبة الترجمة من اللغة الصينية وقد لاحظت هذا في كثير من الأسماء والمصطلحات - عندما قابلت بعض الأساتذة المتخصصين في بعض الجامعات الصينية - حيث أن كثيراً من الأسماء التي نقلت إلينا مترجمة من اللغة الانجليزية إلى العربية فوقع فيها كثير من التحريف أو التغيير بسبب الترجمة وهذا يبين لنا أهمية وجود متخصصين في الترجمة من الصينية إلى العربية والعكس حتى يستفيد كل من الطرفين مما لدى الآخر من العلوم والمعارف

[2] أنظر : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى – د/ عبد العزيز شعبان – ص ٤٢٠ .
و الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ص ٣٣١ . و الفلسفة الشرقية – ريتشارد – وبورن – ص ١٠٤ .

[3] أنظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين – جوزيف نيدهام – ت: محمد غريب – ص ٥٩ ، و موجز تاريخ الصين – جيان بوه وآخرون – ص٧ .

تعرف الحكم المركزي القائم على الرقابة والإشـراف الإداري للمنـاطق الخاضـعة لهـا . والبعض يرى أن الفترة التي سبقت أسرة شانغ اختلط فيها التاريخ بالأسطورة في الوقـت الذي غاب فيه التمحيص التاريخي الحق . لذلك فإن المعرفة المؤكدة بالتـاريخ الـصيني تبـــــدأ بدولــــــة أو أســــــرة "شـــــانغ" فـــــي عـــــام (١٧٦٥-١١٢٣ ق.م) [٢].

وقد اتخذت أسرة شانغ عدة عواصم قبل أن تستقر أخيراً في مدينة " هونان " . وأصـل أسرة شانغ غامض ، ويبدو أن أجدادهم وصلوا للصين من الشمال الغربي ، ولعل هذا الأمـر شائع في الصين القديمة وليس فقط قصراً على تلك الأسرة . فالصين بمساحتها الشاسعة لم تكن تحتوي شعباً واحداً متجانساً ، ومن خلال العديد من الوثائق والاكتـشافات الأثريـة[٣] يتضح أنها كانت تمثل حضارة متقدمة على نحو ملحوظ ، فقـد تكونـت مـن طبقـة أرستقراطية حاكمة ، وأسر نبيلة ، وكان لهم أتباعهم الذي اعترفوا بسيادة مطلقة وسلطة عليا للملك القائم بهذه الأسرة . وكـان هـذا المجتمـع الـذي تحكمـه هـذه الطبقـة الأرستقراطية مكوناً من طبقة الخاضعين لهؤلاء السادة والمرتبطين بالأرض كالأرقاء ، أو من رعاة الماشية ، أو من خدم المنازل ... إلخ . وكانت الطبقات العليـا فـي المجتمـع هـي حاملة لواء الثقافة التي كانت متمثلة في العلوم أو الفنون التي تشكل أهم مـا أبدعتـه العقلية الصينية .

واستطاعت أسرة شانج أن توحد القبائل المفككة المستقلة في الحكـم آنـذاك،والتي كانت تعيش في حوض النهر الأصفر، تحت رئاسة واحدة، وبمرور الوقت وبواسطة العمل الجماعي تم السيطرة على مساحات كبيرة من الأرض ، إلا أنهم كانوا دائماً في حرب ضد القبائل غير الصينية المحيطة بهم . لذلك لجئوا إلى تدعيم نفوذهم بكل الوسائل ، فلجئـوا إلى توسيع رقعة الأرض الزراعية بإزالة الغابات، وتجفيف المـستنقعات ، والـسيطرة علـى الأنهار ، ووضع نظام للري . وقد عمل ذوو النفوذ على تقوية أساليب الدولـة القهريـة وتدعيمها لتحقيق مصالحهم الخاصة ، وكان لجهود العبيد الـشاقة دور بـالغ الأهميـة في دفع حركة التطور الاقتصادي والثقافي . وفي ظل هذا المجتمع العبودي لـم يستول الأرستقراطيون على وسائل الإنتاج فحسب بـل اسـتحوذوا علـى الأيـدي العاملـة المستعبدة وكان العبيد يجابهون هذا الاضطهاد البشع بالإهمال المقصود فـي العمـل ،

وتخريب أدوات الإنتاج، والقيام بالعديد من الانتفاضات التي أضعفت في النهايـة نفـوذ هذه الأسرة [1].

وفي حوالي عام ١١٢٢ ق . م حدث أن تعاهدت قبيلة قوية تقطن فـي الغـرب تدعى "تشو" على ولائها لأسرة شانغ القائمة آنذاك . إلا أن هذه القبيلة المكونة من اندماج رجال القبائل قد استوطنت في وادي " وي " وازدادت في النمـو بالتـدريج اقتـصادياً وعسكرياً ، وقد مكنهم هذا من الاستيلاء على أغلبية القبائل الصينية المجاورة لهم، وكـان لابد لهم من مواجهة أسيادهم في حروب مريرة . وشب صراع طويل ظل بدون حسم ، ولكن في النهاية تمكنت هذه القبائل من الإطاحة بآخر ملوك أسرة شانغ ، وتأسيس أسـرة جديدة . اتجهت للاستيلاء على جميع أجزاء الصين الـشمالية بقيـادة الملـك "و و" وأخيـه "دوق تشو"[2].

---

[1] تاريخ الصين – مجلة بناء الصين- سلسلة كتب "سور الصين العظيم"- ج١- ص ١٣ .

[2] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة ابو الفتوح – ص ١٦ - ١٧ بتصرف .
وانظر: الحضارات القديمة – دياكوف – كوفالين – ج ١ – ٢٣٠ .
و موجز تاريخ الصين – جيان بوه وآخرون – ص ٩ .

ثالثاً :- مرحلة أسرة تشو (١١٢٢-٢٥٦ق . م) :

تنقسم هذه المرحلة إلى فترتين ، وقد حكمت أسرة "تشو" الغربية الفترة الأولى منها (١١٢٢-٧٧١ق . م) ، بينما حكمت أسرة "تشو" الشرقية الفترة الثانية (٧٧٠ - ٢٥٦ق . م) .

١- تبدأ مرحلة حكم أسرة "تشو" مع تأسيس الملك "وينوانغ" مملكة"تشو" وعاصمتها هاو وذلك بعد أن تمكّنت جماعات "تشو" (القادمة من سهل يقع في شمالي الصين في حوض "الواي" أو "وي" – وهو أحد روافد النهر "الأصفر") في (عـام ١١٢٢ق . م) (أو في عام ١٠٢٧ق . م . أو ١٠١١ق . م .)وفق حسابات تاريخية أخرى) مـن القـضاء على أسرة "شانغ" في حوض النهر "الأصفر" . وكانت جماعات الـ "تشو" تابعة أصلاً لأسرة شانغ ، ولكن مجيئها إلى السلطة لم يؤد إلى أي تبديل في البنية السياسية ، لأنها لم تحمل معها أي تجديدات حضارية ، والسبب هو أنها كانت أقل حضارة من مرحلة أسرة "شانغ" . ولم تدفع أسرة "تشو" الواقع السياسي والإداري إلى التطور ، إذ لم تحصر السلطة فـي يديها، بل وضعتها بين أيدي أمراء المناطق ، مما أدى بالنتيجة إلى تخلّف الإدارة ونظـام الحكم . وبالرغم من ذلك بقي آل "تشو" ، حوالي الثلاثة قرون ، يحكمون أقوى مملكة بين الممالك التي أنشاؤها ، ويخوضون المعارك مع الولايات القوية المجاورة التـي تتقاسـم المناطق الزراعية المتقدمة على جوارها البدائي الهمجي .

وكان إشراف أسرة "تشو" على المناطق التابعة لها ، فعالاً في كثير مـن الأحـوال في الربع الأول من الألف الأول ق . م ، بالرغم من عدم تركيز السلطة في قبـضتها، لأن حوالي ثلثي أمراء الولايات ، البالغة سبعين أو تسعين ولاية تقريباً ، كانوا من فـروع أسـرة "تشو" نفسها . وقد اضطروا إلى أن يبقوا علـى تـضامنهم وتحـالفهم ، لكـي يـديموا سيطرتهم على العائلات المغلوبة وعلى بقايا أسرة "شانغ" . إذ عندما سيطرت أسرة "تشو" ، قامت بتوزيع حكم المناطق المختلفة على القواد والزعماء المقربين منها [1]، وهذا ما أدى إلى نشوء شكل من أشكال النظام الإقطاعي الذي هدد وحدة الحكم في المراحل اللاحقة ، حيث تجزأت الولايات قبل حلول نكبة عـام ٧٧١ق.م ، حتـى بلـغ تعـدادها حوالي الثلاثمائة ولاية . وكان الأمراء ، بتمتعهم بكامل السلطة والسيادة على مناطقهم ، كثيراً ما يدخلون في حروب مستمرة ضد بعضهم البعض ، مما قلّص عدد الولايـات أو الدويلات إلى أقل من عشرين ، نتيجة ضم المناطق المقهورة إلى الولايات المنتصرة .

---

[1] أنظر الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي – د/ جمال المرزوقي – ص ٢٤٣ .
والفكر الشرقي القديم – جون كولر– ص ٣٣٢، والفكر الصيني- هـ . ج . كريل- ص٣٥.

٢- بدأت الفترة الثانية من حكم أسرة "تشو" إثر النكبة الكبيرة التي أصابتها في العـام ٧٧١ ق.م ، عندما قام البدو المغول بالسيطرة على "هاو" عاصمة هذه الأسرة ، وقـضوا على سلطتها في المنطقة . فقامت الأسرة بنقل مركز حكمهـا إلـى مدينـة "لويـانج" الحالية في إقليم "هو- نان" [1]، مما أضعف هيمنتهـا الاسـمية علـى مختلـف الأمـراء والولايات . وعرفت هذه المرحلة ، بعد انتقال الحكم إلى "لو يانج" ، بفترة حكم "تـشو" الشرقيين ، وذلك تمييزاً عن حكم "تشو" الغربيين . وساد هذه الفترة شيء من الفوضى بـين المناطق والولايات المختلفة ، مما حدا بالمؤرخين إلى تقسيم هذه الفترة إلى فترتين :

١- الفترة الأولى وقد عرفت في التاريخ الصيني بفترة "الربيع والخريف".

٢- الفترة الثانية بفترة "الدول المتحاربة" .

الفترة الأولى أو فترة الربيع والخريف (٧٢٢-٤٨١ق . م) :

سادت في هذه المرحلة* الممتدة بين عامي "٧٧١ و ٥٠٦ق . م ، حروب داخليـة بين الدويلات المختلفة ، تميزت خلالها دويلة "تشي" أو "تشأن" التي ، بسبب نظامها الـذي وضعه الوزير "جوان جونغ" المقرب من الملك ، أصبحت دولة ذات نظـام إداري فاعـل ولها عملة مستقرة وحياة ثقافية مزدهرة . أفضت هـذه الحـروب الداخليـة المـستمرة (وخاصة أثناء الفترة التي سميت في التاريخ الصيني بفترة "الربيع والخريف" والممتدة بـين عامي ٧٢٢-٤٨١ق.م.) إلى نشوء الحكم الملكي المطلق القائم على السيطرة الكاملـة على الإنسان وعلى الأرستقراطية المتوارثة . إذ كان في الصين في أواسط القرن الخـامس ق.م . ثماني دول كبيرة متنافسة ومتحاربة ، الأمر الذي جعـل الحكّـام يلجـأون إلـى أفضل الطرق التي تمكّنهم من السيطرة الكاملة والقوية ، وذلك بإتباع وسـائل جديـدة لا تقيم وزناً للعادات والتقاليد السائدة . فقاموا مثلاً بتعيين أفضل الرجال الذين أثبتوا كفاءتهم في شؤون الإدارة والحكم والحرب، من دون الأخذ بمعيار الأصل ، أي بغض النظر عمـا إذا كانوا من الأرستقراطيين أم من أفراد الشعب العاديين . وهكذا نشأت طبقة جديدة من القادة العسكريين والموظفين ، بدأت تتلقى العلم والتدريب من طبقة أخرى قائمة بذاتها من المدرسين التابعين للسلطة . وفي تلك الفترة ، ابتدأ توسع الصين باتجاه الشمال والجنـوب .

---

[1] أنظر: موجز تاريخ العلم والحضارة فـي الـصين – جوزيـف نيـدهام – ت : محمـد غريـب – ص ٦٥ ، والـشرق الأقصى – الصين واليابان - د/ فوزي درويش – ص ١٥ .

* وهي الفترة التي كان يعتبرها كونفوشيوس المرحلة الذهبية من تاريخ الصين .

الفترة الثانية أو فترة الدول المتحاربة (٤٥٣–٢٢١ق.م.) وحكم أسرة "تشين" (ما بين عامي ٢٥٥–٢٠٦ق.م.) :

عرف تاريخ الصين في القرنين الرابع والثالث ق.م. مرحلة من الحروب الطاحنة بين مختلف الممالك والولايات ، تسببت عامة بإنهاك النظام الاقتصادي الزراعي التقليدي ، غير أنه كان لها الفضل في تطور النظام السياسي والإداري في بعض الممالك ، لاسيما في مملكتي "تشين" أو "تشن" و "تشأن" ، اللتين تمكنتا من السيطرة على القسم الأكبر من الصين . وانتهت هذه المرحلة ، عندما استطاع "شيه هوانغ – تي" ملك "تشين" ، أن ينهي الحروب الداخلية سنة ٢١١ق.م. ، بعد حروب خاضها خلال عشر سنوات ، قضى خلالها على الدول الست المتنافسة الواحدة بعد الأخرى وضمها إلى مملكته ، وأقام عاصمته في مدينة "سيان فو" الحالية غرب حوض النهر "الأصفر" . وهكذا توحدت الصين لأول مرة (٢٢١-٢٠٦ق.م) ضمن إمبراطورية واحدة استمرت عموماً حتى القرن العشرين ، وذلك بالرغم من العثرات ومن التفكك الذي ظهر في بعض الفترات وأدى أحياناً إلى إنشاء ممالك وإمبراطوريات عديدة متنافسة لا بل متحاربة في أغلب الأحيان[1] بعد هذا السرد الموجز لفترات حكم العائلات المالكة في الصين القديمة لابد لنا من العودة بشيء من التفصيل لفترة حكم أسرة تشو لنقف على الحالة السياسية التي سبقت مجيء كونفوشيوس والتي كان لها أكبر الأثر على حياته وفكره . . .

أسرة " تشو " وعصر الاستنارة الفكرية :

تجمع قوائم الأسر الملكية عادة على أن زمن أسرة تشو يبدأ من عام ١١٢٢ ق.م إلى ٢٢١ ق.م ، رغم ما تخللها من فترات طويلة عانت فيها من التمزق والضعف وعدم الاستقرار المتمثل في نقل العاصمة من ولاية إلى أخرى ، وعلى الرغم من أن هؤلاء المنتصرين لم تكن لديهم ثقافة خاصة بهم مما جعلهم يقتبسون أنظمة أسرة شانغ الثقافية ، إلا أنهم تمكنوا من إدخال العديد من التطويرات التي كان لها أثر ملحوظ في حياة مفكريها بما فيهم كونفوشيوس . وتصور الوثائق التاريخية هؤلاء الملوك على أنهم أفضل النماذج التي ينبغي أن يكون عليها الحكام ، وبذلك يكون كونفوشيوس قد تربى في ظل تلك المثالية التي اتصف بها كل من الملك "ون" و "وو" وأيضاً "دوق تشو" الذي بموت أخيه الكبير لم يسع للاستيلاء على العرش لنفسه بل تصرف كوصي على ابن أخيه

---

(١) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة - د/عمر عبد الحي - ص ١٤- ١٨ بتصرف .
وأنظر : قصة الحضارة – ديورانت – ت : محمد بدران - ج ٤ – ص ١٩ .

الصغير وحكم البلاد بيد من حديد ، وبذلك برهن على أنه رجل ذو أخلاق سامية . ورغم أن "دوق تشو" [١]عاش قبل كونفوشيوس بعدة قرون إلا أن هذا الأخير كان ينظر إليه ولفترة تشو المبكرة على أنها الفترة المثالية لوحدة الصين ، ولإحلال العدل والسلام فيها وسيادة القيم الأخلاقية في كل مجالات الحياة . ومما لا شك فيه أن تلك اليقظة للوعي الأخلاقي الذي ساد الفترة الأولى لحكم أسرة تشو قد نما نتيجة الحاجة الضرورية التي تبرر غزوها للأسرة السابقة [٢].

أسرة تشو ومبدأ التفويض الإلهي :

كانت هذه الأسرة في أشد الحاجة إلى استمالة الشعب ، وكان من أهم الوسائل التي استخدمتها في الدعاية أنها عملت على تصوير ملوك أسرة تشو وأنصارهم على أنهم يعملون لصالح الأمة ، ويهدفون لتحرير الشعب من حكامهم الظالمين الفاسقين . ولكي يتقبل الشعب تلك الرواية لجأت أسرة تشو إلى ما يمكن أن يسمى برؤية جديدة لتاريخ الصين . فقد ادعوا أن كلاً من أسرة "هسيا" وأسرة "شانغ" اللتين سبقتا "تشو" كان لها في البداية حكام صالحون ، ولكن انتهى الأمر بصعود بعض الحكام غير المؤهلين لإدارة شئون البلاد . " ونشرت الإشاعات ضد آخر ملوك شانغ أنه كان وغداً ظالماً ، يتهكم على الآلهة ، ويغش في تقديم القرابين[٣]، مع أنه كان حريصاً على أداء الطقوس الدينية ، ولم يكن ضالاً متلافاً . لكنها حجة الذئب الذي تهيأ لابتلاع الحمل"[٤] .

ووفقاً لمبدأ " التفويض الإلهي " شرعت السماء تبحث عن نبلاء جدد ، لتفويضهم بإدارة شئون الشعب والبلاد ، رحمة بهذا الشعب الذي عانى الكثير تحت قيادة أسرة "شانغ" وانتقاماً من الإدارة الغاشمة . ويتضمن التفويض بالحكم سحب السلطة من تلك الإدارة والقيام بثورة للإطاحة بها لتأسيس أسرة جديدة عادلة . ومن هنا عرف تاريخ الصين لأول مرة نظرية " الثورة الحقة " لإصلاح الأوضاع ، وهي نظرية ليست صحيحة فقط بل

---

(١) يعظم الصينيون "دوق تشو" باعتباره مؤسس التراث الكونفوشيوسي ، بصرف النظر عن أن هذا الدوق قد عاش قبل كونفوشيوس بعدة قرون ، بل اعتبره البعض أسمى مرتبة من كونفوشيوس . ففي معترك الأحداث التي جرت في عهده ، تشكلت آراء معينة كانت لها أهميتها الكبرى في التفكير الصيني منذ ذلك الوقت . (كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني- د/ صلاح بسيوني- ص ٢٩- ٣٠ ،و الفكر الصيني- هـ . ج . كريل – ص ٢٥).

(٢) فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة ابو الفتوح – ص ١٩ .

(٣) للمزيد انظر: قصة الحضارة – ديورانت – ت : محمد بدران - ج ٤– ص ١٨، و الفكر الصيني - هـ . ج . كريل – ص ٣٠ - ٣١ . و تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية – ميرسيا إلياد – ج ٢ – ص١٣ .

(٤) معتقدات آسيوية – د / كامل سعفان – ص ٢٥٦ بتصرف .

إنها واجب مقدس مفروض من السماء على عاتق أسرة جديدة . ولكن كيف تتسلم الأسرة الجديدة التفويض ويحق لها القيام بالثورة ؟

تبدأ الثورة بتذمر الشعب الواقع تحت الظلم ، فتدرك السماء حقيقة الأمـر الواقـع على الأرض ، فتأمر بسلطة جديدة ، وملك جديد ، وتمنحـه الحـق للإطاحـة بالـسلطة القائمة ، وإحلال العدل والسلام على الأرض ، فصوت الشعب هو صـوت الـسماء ، ودائمـاً تأتي أوامر السماء معبرة عما يعتمل في قلوب الجماهير .

ما الذي تسمعه السماء ؟ هو ما يسمعه عامة الشعب .

ما الذي تراه السماء ؟ هو الذي يراه عامة الشعب .

ما الذي تكرهه السماء ؟ هو ما يكرهه الشعب .

وهكذا صور ملوك أسرة "تشو" أنفسهم على أنهم مجـرد أدوات فـي يـد الإلـه الأعظم ، فقد تسلموا منه هذا التفويض السماوي دون أن يكون لديهم القوة التي تتـيح لهم أن يرفضوا قرار الإله الأعظم أو يعارضوه [1].

تغير البنية الاجتماعية والإدارية :

ظهر التنافس والصراع ، منذ وصول أسرة "تشو" إلى السلطة ، ما بين أطـراف الأسـر النبيلة المنتصرة وبقيا الأسر النبيلة المغلوبة ؛ كما بدأ التنافس أيضاً ، ضمن الأسر النبيلة المحليـة فيما بينها ، على احتلال المناصب العامة وفي الحصول على نتاج الأراضي . غير أنه بعـد استمرار الحروب الأرستقراطية بين مختلف الولايات وضم المنتصرين للدويلات المغلوبـة إلـى مناطقهم ، وخاصة بين (عامي ٧٧١ و ٥٠٦ ق . م) حدث تناقص في عدد الدويلات المحلية حتى بلغ العشرين، ورافقه تغيير عميق داخل المجتمع الصيني القـديم . إذ لـم يعد الأمر يدعو للاستقرار، لا بالنسبة إلى الطبقة الأرستقراطية ولا إلى العامة من الشعب التي كانت محلاً للسيطرة المتغيرة من حين إلى آخر بحسب الأسر الغالبة . فالتبدلات الاجتماعيـة كانت عميقة جداً ، بحيث أنها ولدت شعوراً عاماً بعدم الاطمئنان والاسـتقرار ؛ إذ تغيـرت الأحوال كثيراً بعد القرن الخامس (ق . م)، نتيجة أطماع الملوك فـي التوسـع الكبيـر باتجاه الشمال والجنوب وحتى باتجاه الشرق ، وفي الاحتكـاك بالـشعوب البدويـة فـي السهول من الغرب . كما تغيرت الأوضاع بكاملها ، نتيجة لجوء الحكـام إلـى اسـتخدام السلطة المطلقة لتأمين قوتهم في الحكم ، ولو على حـساب الخـروج عـن العـادات والتقاليد المتوارثة والتي على أساسها كان يتم مثلاً اختيار القادة العسكريين والإداريـين مـن

---

[1] المرجع السابق - ص ١٩ - ٢٠ بتصرف .

وانظر: حكمة الصين - د/ فؤاد شبل – ج١- ص٢٣ .

أبناء الطبقة النبيلة؛ لكن الحكام تنكروا لهذا العرف التقليدي ، وقاموا باستخدام الرجال الذين أثبتوا الجدارة في توليهم شؤون الحرب والإدارة حتى ولو كانوا من عامة الشعب ، متخطين في ذلك العادات والتقاليد المتوارثة منذ القدم .

وكان من نتائج تطوير وتحديث الإدارة في دولة "تشين" في أواسط القرن الرابع (ق . م) ، أن زالت البنية الأرستقراطية الموروثة ، وفتح المجال واسعاً أمام العامة للوصول إلى تبوء أعلى المراكز العسكرية والإدارية ، وقد حدث كل ذلك بهدف تعزيز قوة السلطة العسكرية . كان لا بد لمجمل هذه التبدلات والتغييرات ، من أن تؤدي إلى تحول جذري في كامل البنية الاجتماعية ، وإلى تبدل في العلاقات القائمة ما بين الأفراد والجماعات . وبالنتيجة أحدثت هذه التحولات تغييراً نوعياً وكمياً في التراكمات المعرفية ، كما ألحقت تغييراً هاماً في البنية الذهنية للإنسان الصيني وللمجتمع برمته . وهذا ما أوصل بالنتيجة، إلى أن تصبح أواخر هذه المرحلة ، المعروفة بفترة الربيع والخريف (٧٢٢-٤٨١ ق.م.) ، بداية مرحلة إبداعات الفلسفة الصينية التي ولد وعاش فيها "كونفوشيوس" (٥٥١ - ٤٧٩ ق.م.)[١] .

٥- الحالة السياسية عند ظهور كونفوشيوس :

قامت دولة تشو على نظام الإقطاع ،ولم تمض غير قرون قليلة حتى أخذ البيت الحاكم يفقد سلطانه بالتدريج ، وأخذ الحكام الإقطاعيون يقومون أنفسهم على حساب الإمبراطور ، وأخذوا فيما بينهم في التنازع ، كل منهم يود أن يوسع رقعة ملكه ، ويبسط نفوذه على ما جاوره من المدن والأقاليم ، ولم تقف متاعب الإمبراطورية عند ذلك ، بل زادت في متاعبه تلك الهجمات التي كانت القبائل ، المقيمة على الحدود ، تشنها خارج البلاد وداخلها أيضاً ،وكان السكان الصينيون مكونين من طبقتين ، هما طبقة الأغنياء الأرستقراطيين ؛ وطبقة الفلاحين الذين يزرعون الأرض ، وكانت بينهما طبقة أخرى قليلة العدد كان أصحابها من الكهنة وبعض ذوي الحرف وكان إمبراطور " تشو " يقيم في عاصمته الغربية منذ نشأة الأسرة وبحلول (عام ٧٧٠ ق . م) كانت الأمور قد تردت إلى حد تمكنت معه بعض الدول الإقطاعية شمال الصين من شن هجوم على الإمبراطور في عاصمته وقتله واغتصاب سلطته[١].

---

[١] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة - د/عمر عبد الحي - ص ٤٠- ٤٣ بتصرف
وانظر - حضارة الصين – د/ محمد البشر – ص ٢١٠ – ٢١١ .

[١] انظر – الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي – د/ جما المرزوقي – ص٢٤٣ .

ثم تلت ذلك فتنة كبيرة لعب فيها بعض الأمراء الإقطاعيين الصغار دوراً هاماً في مساعدة البيت المالك وإعادته ثانية إلى الحكم ، فاختاروا أميراً من العائلة في مدينة " لويانج " شرقي العاصمة الجديدة ونصبوه إمبراطوراً وكان صاحب الفضل الأكبر في ذلك أمير دولة " تشين " الذي أصبح منذ ذلك الوقت أعظم الأمراء الإقطاعيين . كان الإمبراطور الجديد يدين بمركزه للأمراء الإقطاعيين،ولم تكن لديه القوة الكافية لإخضاع أية ثورة عليه . فكان يكلف أقوى الأمراء بذلك وما هي إلا فترة أخرى حتى أصبح الإمبراطور زعيماً يحوطه شيء من التقديس ، ولكن ليست لديه سلطة سياسية قوية وبعبارة أخرى أصبح الإمبراطور رمزاً أكثر من شخص له سلطان ونفوذ .

وكان جميع الأمراء الإقطاعيين يؤمنون بعبادة السماء ولهذا كان من الضروري وجود حاكم أعظم ليقوم بتقديم القرابين الرئيسية بوصفه " ابن السماء " ليضمنوا الخير لبلادهم ، ويجنبوا ما يحيق بها من كوارث إذا غضبت عليهم السماء ، كانت هذه الصلة الدينية الروحية هي كل ما بقي للإمبراطور ، أما فيما عدا ذلك فقد كان لكل دولة جيشها وبلاطها وحكومتها الخاصة .

ومنذ بداية القرن السابع ق . م أصبح من عادة الإمبراطور أن يتحالف مع أقوى الحكام الإقطاعيين في زمانه ، ويصبح لزاماً على ذلك الأمير أن ينفذ ما يطلبه منه الإمبراطور ، وبعبارة أخرى يصبح ذلك الحاكم ديكتاتوراً قوياً ، ولكن هذا النظام لم يستمر إلا نحو قرن من الزمان ، ثم فقد أهميته لأنه لم يوجد حاكم واحد من الحكام الإقطاعيين يستطيع أن يفرض سلطانه على الحكام الآخرين ، فانتهى ، ذلك العصر ، ودخلت الصين في عصر آخر هو ما سماه الصينيون (عصر الدول المتحاربة) الذي كانت فيه البلاد فريسة لأطماع أولئك الإقطاعيين يحارب كل منهم الآخر ، ويبذل كل ما في وسعه ليقوي نفسه [1].

تشو الشرقية ومظاهر الترف والحروب

بعدما تمكن بعض الملوك المنتمين للأسرة من نقل العاصمة إلى الشرق معلنين بذلك بداية مرحلة جديدة للأسرة تسمى "تشو الشرقية" شهدت هذه الفترة تشييد العديد من القصور ، وتنافس الأمراء فيما بينهم في الترف " واقتضى تكالب النبلاء على الاستمتاع

---

(1) أنظر كونفوشيوس حكيم الصين – د / أحمد فخري – مجلة المجلة – العدد ٧ ذو الحجة ١٣٧٦هـ يوليو ١٩٥٧م ص ٤٤ - ٤٥ .
و الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ص٣٣٢ .
و معتقدات آسيوية – د . كامل سعفان – ص ٢٥٩ .

بأطايب الطعام وإغراق أنفسهم في ألوان الترف ، ابتزاز أموال الشعب وتسخير العاملين في تشييد مشروعات رفاهة عيشهم ورغدهم، وفوق هذا كله كان النبلاء يمارسون رياضـتهم المحببة إلى نفوسهم وهي الحرب ، فطفق بعضهم يعتدي على البعض الآخر دون أية مصلحة تجنى من وراء ذلك سوى الطمع وقتل الفراغ ، وكانـت فـي نفـس الوقـت جمهرة الشعب تقاسي وحدها من حماقات هذا العدوان والهلاك المستمر[٢] .

وانقسمت الإمبراطورية في ذلك الوقت إلى عدد كبير من المقاطعات وصل إلـى مائتي مقاطعة ، ثم تقلص عددها في عصر كونفوشيوس إلى خمس عشرة مقاطعـة في تنافس مستمر بحيث أصبح دور إمبراطور "تشو" في هذا الوقت يشبه إلـى حـد مـا إمبراطور الرومان في العصور الوسطى الأوروبية . حيث حددت سلطته السياسية وقصرت سيطرته على دولة واحدة ، وانحصر دخله في الضرائب التي يدفعها له الفلاحون .

وتغيرت الحدود الخاصة بالمقاطعات ،وظهرت أقاليم واختفت أخـرى وكانـت أسعد المقاطعات في تلك الفترة هي الصغرى التي كانت بعيـدة عـن المركـز، ولكـن بتدهور الأمور تغير الحال واضطرت في معظم الأحوال لمناصرة مقاطعة ضـد أخـرى . وكانت جيوش المقاطعات الكبيرة لا تتصارع مع بعضها البعض فقط بل أيـضاً تعاقـب المقاطعات الأخرى المرتدة وتجبرها على الدخول معها في معاهدات تدين لها بـالولاء [١].

المعاهدات المقدسة:

كانت المعاهدات تتم في احتفال ديني مقدس وتكتـب بـدماء الـذبائح خـلال تقديم القرابين ، وعلى كل حاكم مشترك في المعاهدة أن يقرأها جهاراً ، ثم يلوث شفتيه بدماء الأضحية وتدفن نسخة مع الأضحية من أجل أن تعمل الأرواح على تدعيم شـروط المعاهدة . وكان لابد لكل معاهدة من خاتمة يتم التعرض فيها للعقوبات التـي تقـام على من ينقض شروط المعاهدة أو يخل بها .

ورغم هذا القالب الديني المقدس الذي يتم من خلاله صياغة المعاهدات نجد أنه لا يكاد تمر بضعة شهور إلا وتنقض المعاهدة ليتحول الولاء إلى جهة أخرى ، ويتم عقد

---

[٢] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية – د/ علي معبد - ص١٣٦ بتصرف .
و انظر: الحكماء الثلاثة – د/ أحمد الشنتناوي – ص ١١٨ .
و الدين والفلسفة والعلم – محمود ابو الفيض المنوفي – ص ٨٨ .

[١] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة ابو الفتوح – ص ٢٣ بتصرف .

معاهدة جديدة . وبذلك أصبحت القوة والحرب ، والاغتصاب ، والمؤامرات العائلية داخل الأقاليم المختلفة أمراً طبيعياً بل كانت معيار الصواب والخطأ .

ولقد قضى كونفوشيوس حياته في الجزء الأخير للفترة المعروفة بـ " الربيع والخريف " والتي بدأت حوالي ٢٠٠ سنة قبل ميلاده ، حيث كانت البلاد في حالة اضطراب دائم والسلطة في تغير مستمر . وعلى الرغم من ظهور بعض المحاولات لتهدئة الموقف إلا أنه سرعان ما كان يتم إجهاضها . وبذلك فقد وصلت الصين في عصر كونفوشيوس إلى مفترق الطرق [٢].

وأصبح الصراع والحرب يفرضان حضورهما ، وشكل العنف والتآمر الطابع السائد للساحة السياسية ، وتغلبت النفعية على الأخلاق ، وشكل الغش والخداع أساس المؤامرات التي حلت محل الحكم السياسي ، وكانت عواقب هذه المؤامرات والحروب التي نجمت عنها مما يتجاوز القدرة على التخيل ، مما تمثل في الفقر والمعاناة والموت [٣].

---

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ بتصرف ،

= ولقاء أجريته مع الدكتور / يانغ لي وانغ – أستاذ الفلسفة والأديان- جامعة بكين (سبق ذكره) .

(٣) الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ص ٣٣٣ بتصرف ، وانظر ص ٣٤٨ .

و الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي – د/ جمال المرزوقي – ص٢٤٣ .

وللمزيد انظر: معتقدات آسيوية – د / كامل سعفان – ص ٢٩٥-٢٦٠ .

الباب الثاني
نشأة الكونفوشيوسية

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : ظهور كونفوشيوس

الفصل الثاني : أبرز الشخصيات بعد كونفوشيوس

الفصل الثالث : تطور الكونفوشيوسية وافتراقها وتأثيرها في الحياة الدينية في الصين

الفصل الأول

ظهور كونفوشيوس

وفيه:

أولاً: اسمه
ثانياً: مولده ونشأته
ثالثاً: الصين عند ولادة كونفشيوس
رابعاً: حياته الأسرية
خامساً: من صفاته وأخلاقه
سادساً: عقيدته و عبادته
سابعاً: طلبه للعلم
ثامناً: مدرسة كونفوشيوس
تاسعاً: كونفوشيوس والفيلسوف (لاو- تس)
عاشراً: تقلب كونفوشيوس في المناصب الحكومية
الحادي عشر: التنقل والترحال
الثاني عشر: مؤلفاته
الثالث عشر: وفاته
الرابع عشر: أثر وفاته على أهل الصين
الخامس عشر: من أقواله
كلمات ينشدها الصينيون سنوياً في عيد ميلاد كونفوشيوس

لإجلاء الحقيقة :

تواجهنا في سعينا لمعرفة كونفوشيوس ، صعوبات كبيرة تتبلور فيما أضفاه الصينيون على شخصيته من أساطير ، وحاكوه من أقاصيص ، ونسبوه إليه من روايات ؛ الأمر الذي يعرقل جهود الباحث لإجلاء حقيقة هذه الشخصية الفذة واستكشاف أبعادها الواقعية . خاصة وأن هناك من أثنى عليه بل ومن رفعه إلى درجة التقديس ، وفي المقابل وجدنا من شوه شخصيته وحط من شأنها .

ومن خلال دراستي لشخصيته وجدت أن ثمة باعثان لتشويه شخصية كونفوشيوس وتحريف معالمها :

الأول : تطور إعجاب مريديه به إلى التقديس دفعهم إلى افتعال سلسلة نسب محكمة تصل بين أجداده وأباطرة الصين .

الثاني : سعي من هدد مصالحهم هذا المفكر إلى إبطال مفعول هجماته على الامتيازات المتوارثة ، عن طريق تحريف أقواله وإساءة عرضها .

فمن ثم ، لن نذكر جميع الروايات المأثورة عن حياته وفكره، ونكتفي بإيراد حياته وتراثه ؛ بعد انتزاع ما علق بهما من الأساطير والخرافات [(1)] بقدر المستطاع ، مستفيدين مما سجله اكبر مؤرخ صيني في العصر القديم (سي ما تشان) في كتابه سجل التاريخ في الفصل الخاص بسيرة أسرة كونفوشيوس .

تذكر السجلات التاريخية الصينية في فصلها السابع والأربعين أن كونفوشيوس قد ولد عام ٥٥١ قبل الميلاد بإمارة (لو) قرب مدينة (تشي فو) بولاية شانتونج . وتقول أن أجداده ينتسبون إلى البيت الملكي لدولة (سونج) لكن جده الأعلى قد انتقل إلى (لو) حيث حل الفقر بالعائلة . فكونفوشيوس – وفقاً لهذا الرأي – قد انحدر من طبقة اجتماعية نبيلة المجد ، لكن انحطت بها تصاريف القدر إلى الفقر والمسغبة .

[(1)] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ ص ٦٣ بتصرف .

و أنظر: تاريخ الأديان – د/ محمد الزحيلي و د/ يوسف العش – ص ٢١٣ .

أولاً: اسمه

كونفوشيوس اسم لاتيني مأخوذ من اللفظ (كون فو تـزو) ويعنـي الأسـتاذ (كون) أو المعلم (كون) وكنيته (تشونج - نى) ومن ذلك اللفظ الصيني " كون – فو – تزو "اشتق في اللاتينية اسم "كونفوشيوس " [١].

ولم يكن يدعى من قبل "كونفوشيوس"بل ولم يكن أحد في حياته يناديه بهـذا الاسم . فمن أين أتت هذه التسمية ؟

أ- قيل: إنه قد صاغها القساوسة الذين كانوا يعيشون فـي الـصين فـي القـرن الـسادس عشر،وهم الذين أوصوا البابا في روما بأن يدرج أسم كونفوشيوس في قائمـة قديـسي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وكان يسمى"كنج فو تسي " ومعناهـا الـسيد أو "كـنج" المعلم ومن ثم كانت الصيغة "كونفوشيوس" هي أقـرب الـصيغ اللاتينيـة التـي ارتآهـا القساوسة لهذا الاسم الصيني . وقد أطلق عليه عند ولادته " كن " أي التل الصغير،وربمـا أطلق عليه بسب وجود تل صغير إلى جوار البقعة التي ولد فيها،أو يكون بـسبب شـكل رأسه الذي يشبه التل[٢].

ب- وقيل: إن الاسم المشهور في الصين "كونغ_فوتس" ومعنـى"فـوتس" الحكـيم أو الأستاذ ،وكونغ هو الاسم ومعنى التركيب هو: الأستاذ أو الحكيم كونغ ،وان الغربيين هم الذين حرفوا الاسم إلى كونفوشيوس [٣].

ج- وقيل: معنى "كونج"اسم القبيلة التـي ينتمـي إليهـا و"فـوتس" معنـاه الـرئيس أو الفيلسوف فهو بذالك رئيس كونج أو فيلسوفها [٤].

د- وقيل: إن الاسم الذي أطلق عليه عند ولادته "تشيمو" وظل يطلق عليه إلـى أن كبـر وجلس يعلم الناس ويرد على أسئلتهم واستفساراتهم . . . وكان الكثير من الناس الذين يـأتون

---

(١) راجع: حكمة الصين - د/ فؤاد شبل - ج١- ص ٦٤ .
والفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة - د / عمر عبد الحي - ص ١٥٥ بتصرف .
والفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي - د/ جمال المرزوقي - ص ٢٤٤ .

(٢) الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي - ص ١١٦ - ١١٧ بتصرف .
وموكب الفلاسفة – محمود عزة موسى - ص ٢٧ .

(٣) مقارنات الأديان - الديانات القديمة - الأمام محمد أبو زهرة - ص ٦٨ .

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - ص ٧٤٨ .

إليه يسمونه "كونج_فو_تس" أي كونغ الفيلسوف . ومن هنا بداء تحريف الاسم ليطلق عليه الناس بعد ذالك كونفوشيوس[١].

ومن هذه الاختلافات حول اسم كونفوشيوس نستطيع أن ندرك أن الأصل الحقيقي لاسمه هو ما أطلقه عليه تلاميذه ومريدوه من أسم "كونغ فو تس" أو" كون فو تزو " وصار علماً عليه ونسي الناس اسمه الحقيقي الذي أطلقه عليه أبواه[٢] .

ثانياً: مولده ونشأته

في عام ٥٥٢ قبل الميلاد أخذ القلق يساور جندياً عجوزاً من أهل إقليم شانتونج من أعمال الصين إذ شعر بدنو أجله وليس له ولد . وكانت الطقوس الجنائزية الصينية الصحيحة لا تتم على الوجه الأكمل إلا إذا كان للمتوفى ولد يقوم على هذه الطقوس . وكان لهذا الجندي البالغ من العمر أكثر من سبعين عاماً تسع بنات ، وكان له إلى جانبهن ولدان من إحدى المحظيات ولكنة كان يريد له ابناً شرعياً تعترف به الجماعة . لذلك عقد العزم على أن يتخذ له زوجة أخرى غير زوجته الأولى التي لا تلد له إلا البنات .

وكان هذا الرجل سليل أسرة صينية قديمة شريفة هي أسرة (كنج) لذلك كانت رغبته أن يصاهر أسرة تعادل أسرته صيتاً وشرفاً . فاتجهت أنظاره إلى أسرة (ين) وسأل أحد أفراد هذه الأسرة أن يزوجه إحدى بناته الثلاث فجمع هذا الرجل بناته وأوضح لهن مزايا الزواج من هذا الرجل المسن ، وما قد يكون في ذلك من عيب أو نقص ثم سأل عن أية واحدة منهن ترغب في الزواج منه . فصمتت الابنتان الكبيرتان عن الجواب ، أما الابنة الصغرى (شنج – تسي) فتقدمت نحو والدها وانحنت أمامه انحناءة طويلة تنطوي على الاحترام والتبجيل وقالت :

(لم تسألنا يا أبت ؟ لك أن تقرر ما تراه في هذا الشأن) .

قال: (حسناً إنك سوف تتزوجين هذا الرجل) .

وبعد ذلك بعام واحد أنجبت هذه الزوجة الصغيرة – التي لم تكن سنها تزيد في ذلك الوقت على ثمانية عشر عاماً – غلاماً جلب معه البهجة والسرور إلى قلب زوجها العجوز [٣].

---

[١] قصة الديانات - د/ سليمان مظهر- ص ١٩٢ ١٩٣ .

[٢] انظر الكونفوشيوسية - سليم المسلمي - ص ٣٩ - ٤٠ .

[٣] الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي – ص ١١٤-١١٦ بتصرف .

وقد ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ ق . م في مدينة " تشي – فو " في إمارة " لو " بولاية " شانتونغ " الحالية. حيث تذكر الروايات الصينية الكثير من الحكايات الأسطورية عن ولادته ومنها أن الأرواح عطرت لأمه الكهف الذي ولدته فيه ، كما تروي حكايات أخرى بأنه جاء من صلب غير بشري . وتروي إحدى الروايات بأنه يتحدر من نسل الإمبراطور التاريخي " هوانغ - دي " وكانت مختلف تلك الروايات تنطلق لتؤكد على تقدير الناس لهذا المفكر الكبير حتى القداسة . وهذا أمر شبيه بالذي حصل مع الكثيرين من المفكرين المبدعين في العصور القديمة من أمثال " بوذا" في الهند و " زرادشت " في بلاد فارس ، إذ تروي الحكايات الشعبية والأسطورية بأنهم لم يتكونوا في بطون أمهاتم نتيجة اتصال بشري ، بل نتيجة رغبات الآلهة [(١)] .

وتذكر بعض المصادر الصينية بأن والد كونفوشيوس كان ضابطاً ، مات عن عمر يناهز الثالثة والسبعين ، فيما كان كونفوشيوس يعمل ، بعد الفراغ من المدرسة ، في حرف وضيعة ، ليساعد على إعالة والدته .

وهو ينحدر من أسرة نبيلة ، و له أحفاد كثيرين ، ونسله لم ينقطع إلى وقتنا هذا . ولا تزال البلدة التي ولد فيها كونفوشيوس ، أي مدينة تشي فو ، بولاية شانتونج ، يعمرها حتى الآن نسل ابنه الوحيد ، ومنهم وزير المالية في الحكومة الصينية التي كانت قائمة في منتصف الثلاثينيات[(٢)]. وإن كان هذا قد يكون مستبعداً إلا أنها رواياتهم من مصادرهم .

ومما يذكر عن كونفوشيوس أيضاً عند مولده : " أنه لما ولد كان كبير الأذنين جداً ، واسع الفم ، وكانوا يعتقدون أن كبر حجم الأذنين يدل على ثبوت الحكمة في رأسه ففرح به والده فرحاً كبيراً ولهذا سماه : كونج ـــ فو ـــ تسى " [(٣)]

لكن هذا الوالد العجوز لم تدم فرحته بولده طويلاً ، فما هي إلا سنوات قليلة وفارق العجوز الحياة ، وخلف ولده الصغير يواجه قسوة الحياة وشظف العيش ، وألم الكد والتعب فقد توفي الوالد " تشوليانج هيه " لما بلغ ولده " كونج ـــــ فو ـــــ تسي " الثالثة من عمره ، فغير ذلك مجرى حياته في فجرها وتغير الحال إلى فقر مدقع وحاجة شديدة ، فاضطر إلى العمل بيده ليكسب قوته وقوت والدته ، وهذه الظروف

---

(١) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة - د/ عمر عبد الحي – ص ١٥٥-١٥٦ بتصرف .

(٢) انظر : قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج ٤- ص٤٠ بتصرف .

(٣) عظماء قادة الأديان - د/ عبد الجليل شلبي - ص ٧٧

التي اجتمعت لكونفوشيوس جعلت منه إنساناً نازعاً إلى معالي الأمور من غير استعلاء أو تكبر "[١].

وحكي أنه كان في صغره ،وهو يلعب مع الأطفال ، يضع الآنية على صورة توحي إلى المحافظة على الآداب والشرائع [٢]. وكان كونفوشيوس في طفولته يقضى وقت لعبه وفراغه في تقديم القرابين المقدسة وحضور الحفلات الدينية . ولما شب كونفوشيوس أحاطه منزل تشي أحد أمراء المملكة برعايته ، فاشتغل عند هذا الأمير برعي الماشية والأغنام ، واهتم كونفوشيوس بحرفته مما أدى إلى زيادة نتاج هذه الثروة الحيوانية فرقى بعد ذلك مشرفاً على الحدائق والأشغال العمومية [٣].

وقد ولد كونفوشيوس في ظل أحداث جسام عاشتها مقاطعة " لو " ورغم أن التاريخ يذكر لنا أنه من أسرة نبيلة إلا أنها فقدت امتيازاتها أثناء الحروب،ومما زاد من قسوة الظروف موت والده وهو مازال في مهده الأمر الذي ترتب عليه أن ينشأ في ظروف متعثرة . وكان عليه منذ نعومة أظافره أن يتولي الأعمال المتواضعة والتي بالطبع أكسبته مهارات عديدة . وقد أيقن كونفوشيوس أنه في ظل هذه الظروف السياسية لا مخرج له ولا لأمته من هذه الفوضى إلا بالعلم . فحرص على تهذيب وتثقيف ذاته بـ(الفنون الكلاسيكية) السائدة والتي كانت تمثل الإرث الخاص بطبقة النبلاء وحدها[٤].

وبنظرة عاجلة إلى التهيئة التي أحاطت بها العناية ذلك الشاب[كما يقولون]، دم نبيل يسري في عروقه ، وأسرة سامية ذات شهرة ومجد ، وفقر شديد ، ،تلك العوامل مجتمعة من شأنها أن تكون في الشخص نزوعاً إلى معالي الأمور من غير استعلاء، وذلك إذا صادفها مواهب عالية ، ونفس سامية . فإن شعور المرء بمجد أسرته . . . ، من شانه أن

---

(١) الديانات القديمة - الأمام أبو زهرة - ص ٦٨ .
وانظر: قصة الديانات - سليمان مظهر - ص ١٩١ .

(٢) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية - د / زهرة الدين طيب–ص ٥٤ بتصرف .
و فلاسفة انسانيون - كارل يا سبرس- ت: عادل العوا – ص ١١٦ .

(٣) كونفوشيوس النبي الصيني - د/ حسن شحاتة سعفان - ص ٤ بتصرف .

(٤) فلسفه الأخلاق والسياسة - د/ هالة أبو الفتوح - ص ٢٤ – ص٢٥ بتصرف .

يجعل في المرء اتجاها إلى معالي الأمور وتجافياً عن سفاسفها وإن الحد من الرزق قـد يوجد في نفس الشخص العطف والرفق بالضعفاء والتواضع ومحبة الناس"[١].

ثالثاً: الصين عند ولادة كونفشيوس

ولد كونفوشيوس في منتصف القرن السادس قبل الميلاد وكانت الصين في ذلـك العهد تمر بعهدها الإقطاعي إذ كان حكامها الإقطاعيون قد وطدوا إقـدامهم فـي مدنهم المسورة الحصينة . وكان كل منهم يحكم مدينة أو أكثر وينوب عنه في حكم المدن البعيدة أتباع خاضعون له . وكان يعيش هؤلاء الحكام والأمراء والأتباع في قصور فسيحة داخل أسوار مدنهم يحتقرون عامة الشعب الذين لا يهتمون إلا بمأكلهم ومشربهم وليس لهم أي نصيب في الثقافة والمعرفة .

وكانت الثقافة السائدة بين أهل هذه القصور ثقافة دينية في مبناها وجوهرها . فـبلاط الحاكم الإقطاعي هو المكان المقدس وقبلة أهل الورع والدين . والضرائب التـي تقـدم إلى الحاكم الإقطاعي هي بمثابة القرابين التي تقدم على مـذابح المعابـد والهياكـل الدينية . وكلمة الحاكم هي الكلمة المقدسة الواجب على أفراد الشعب جميعاً طاعتهـا دون اعتراض أو مناقشة .

وكان الأتباع والأمراء ورجال الدولة بحكم اشتراكهم في حيـاة الـبلاط الـصيني عليهم أن يكونوا على معرفه تامة بالطقوس والشعائر المرعية في البلاط ، وأن يـدركوا تماماً ما تنطوي عليه جميع الرموز والإيماءات من دلالات ومعان . وللوصول على هـذه الغاية كان هؤلاء الأمراء والأتباع يحيطون أنفسهم بالمستشارين والمعلمـين يتلقـون عـنهم أصول هذه الطقوس والشعائر ودلالاتها المختلفة ، ومن ثم نشأت مـن بـين صـغار النـبلاء بالمدن طبقة خاصة أخذت على عاتقها دراسة هذه الطقوس والشعائر دراسة مستفيضة ، لكي تقوم بخدمة الأمراء والأتباع في هذه الناحية الخاصة . وأفراد هذه الطبقة هـم من المعلمين والفلاسفة ورجال الأدب . ثم نشأت بعد ذلك مدارس خاصـة لإعـداد صـغار الأتباع ونحوهم للخدمة بالبلاط أو لتولى الخدمة العامة في الحكومة . وبدأت هـذه المدارس عملها متنقلة - أساتذة وطلابا- من بلاط إلى آخر ، ثم اتسعت برامجها مع مضي الزمن فأصبحت تشمل الفنون العسكرية والاقتصاد والفلك والقانون وعلم الأخلاق . فغدت بذلك بمثابة جامعات متنقلة . غير أن النزاع والنقاش ما لبث أن دب بـين هـذه المـدارس ،

---

[١] مقارنات الأديان- الديانات القديمة - الإمام: محمد أبو زهرة – ص ٦٨ بتصرف .

وذلك بسبب نفوذها وسلطانها على الأمراء وكبار رجال الحكم ، فكانت سبباً في قيام كثير من الفتن والقلاقل في البلاد بل أصبحت آخر الأمر مصدر قلق وانزعاج في ربوع الصين كلها . ولم يكن غريباً والحال على هذا المنوال أن ضربت الفوضى أطنابها في طول البلاد وعرضها [١].

رابعاً: حياته الأسرية

عندما بلغ كونفوشيوس التاسعة عشرة من عمره ، أراد أن يتزوج فخطب امرأة ثرية وقدم هدية لزوجته مبلغاً كبيراً وأشياء فاخرة [٢]، ولأنه كان يتمتع باحترام كبار معاصريه ، فقد قدم له دوق المدينة هدية ثمينة فاخرة عبارة عن زوج من السمك نادر الوجود نوع يقال له "الشبوط" وبعد عام من الزواج أنجب ولداً فسماه " بو ــــ يو " أي السمكة الجميلة تقديراً لهدية الدوق [٣].

وقد تكون هذه التسمية " بو ـــ يو " كنية لهذا الولد،أما اسمه الأصلي فقد أطلق عليه أبوه اسم " لي " بمعني آداب اللياقة التي كان يهتم بها كونفوشيوس كثيراً ويدعو إلى وجوب الالتزام بها . وقيل أن هذه الهدية أرسلت لكونفوشيوس الشاب لتقديمها بين ألوان الطعام في الحفل الذي أقيم بمناسبة ولادة أبنه . وتذهب الروايات إلى أنه قد ولد لكونفوشيوس أيضاً بنتان وذلك قبل أن تعصف الأحداث بحياته الزوجية السعيدة [٤].

أما كونفوشيوس الذي نجح في تثقيف نفسه ، وتعليم غيره فقد أخفق في حياته الزوجية العائلية ، ولم يستمر زواجه طويلاً بل فارق زوجته بعد سنوات قليلة من زواجه .وقد اختلفت الأقوال في وقت وسبب الفراق بين كونفوشيوس وزجته :

١– فقيل : " أنه فارقها بعد سنتين من الزواج لعدم استطاعتها تحمل دقته الشديدة في المأكل والمشرب "[٥].

---

(١) الحكماء الثلاثة – د/ أحمد الشنتناوي – ص ١١٨- ١٢٠ .

(٢) لا يتفق الفقر الشديد[كما سبق] مع تقديمه لزوجته مبلغاً كبيراً وأشيا فاخرة ولكنها الأساطير الصينية ...؟

(٣) عظماء قادة الأديان - عبد الجليل شلبي - ص ٧٧ .

(٤) الحكماء الثلاثة –د/ أحمد الشنتناوي- ص ١٢٨ .ك

(٥)الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ــــ ص ٤١٧ .

٢– وقيل : قد يكون سبب انفصاله عن زوجته هو انـشغاله بمهنـة التـدريس والتعلـيم وهذه المهنة التي أخذها على عاتقه تسبب له الغياب كثيراً عن المنزل ، وعدم الاهتمـام بشئون الأسرة ومصلحة الأولاد فلعلها " اشتكت طول غيابه عن المنزل تاركاً جميع الأعبـاء المنزلية على عاتقها وحدها . ولعل احتجاجها كان منصباً بصفة خاصة علـى قلـة مـا يحصل عليه من المال من مهنه التدريس إذا قيس الحال بما كان يحصل عليه عـن طريـق عمله في الحكومة مما جعل الحياة أمامها شاقة وعسيرة ، خصوصاً وأنها كانـت مـن أسرة ثرية وقبلته زوجاً لها على أساس وظيفته الحكومية وعراقة نسبه .

٣– وقيل : إن الطلاق قد وقع بينهما بعد أربع سنوات من زواجهما وقد يكـون ذلـك بسبب طول حزن كونفوشيوس على وفاة أمه ، ومبالغته في هذا الحـزن إلـى درجـة أنسته بيته وزوجته وأولاده . " وقد كانت عادة الصينيين وتقاليدهم تقضى باعتزال الـشاب الحياة مدة طويلة عند وفاة أحد والديه . ومعلوم أن كونفوشيوس كان شديد التمسك بتلك التقاليد والعادات الصينية القديمة ، والواقع أن وفاة أمه قد تركت في نفسه أثرا عميقا لا يمحى ، مما جعله يتصرف تصرفاً الحق الضرر بزوجته لأنه انصرف عنها كلية وتفرغ لحزنه الطويل على أمه . . . وقد يكون كونفوشيوس قد أهمل واجبات أمه بعـض الـشيء وهو في غمرة النشوة بالزواج ثم بإنجاب الأولاد ، ثم لما توفيت أمه أخذ ضـميره ، يؤنبـه على ما بدر منه فسلك هذا المسلك تكفيراً عن خطئه ، ولكنـه أدى فـي آخـر الأمـر إلـى انفصاله عن زوجته "[١]. وقيل أنه عاف الزواج وهو في الثالثة والعـشرين ،وحقـد علـى النساء من خلال تجربته معهن . . .[٢].

" وعندما انتهت أيام الحداد التي كتبها كونفوشيوس على نفسه وحـددها بـثلاث سنوات لم يعد إلى وظيفته الحكومية . بل مضى في دراسته وبدأ يعلـم التلاميـذ هـذه المرة كوسيلة لكسب العيش ، وانتشرت شـهرة كونفوشـيوس كمعلـم عظـيم . . . وأخـذ تلاميذه يزدادون يوماً بعد يوم ، حتى إذا بلغ الرابعة والثلاثين من عمره ، أصبح له أكثر من ثلاثة آلاف تلميذ ومريد "[٣].

---

[١] الحكماء الثلاثة – د/ أحمد الشنتناوي – ص ١٢٨-١٢٩ بتصرف.

[٢] كتب غيرت الفكر الإنساني - أحمد محمد الشنواني - سلسلة الألف كتاب (الثاني) ٨٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٠ - ص ٢١ .

[٣] قصة الديانات ـــــ سليمان مظهر ـــــ ص ١٧٩ بتصرف .

ووجد كونفوشيوس في هؤلاء التلاميذ والمريدين عوضاً عن زوجته التي لم تواصل معه مشوار الحياة ، ولم تشاركه نجاحه وشهرته [١].

خامساً: من صفاته وأخلاقه

كان يوصف بأن له قلباً رقيقاً ، وعقلاً يفيض بالعلم والحكمة ، كما أن لـه وجهـاً ينم عن الجد والرهبة ، ولم يكن يتورع من أن يعلم الكسول بضربه من عكـازه وبطـرده من حضرته دون أن تأخذه به رأفة . ويروى عنه إلى جانب ذلك ، بأنه كـان يـسلك سـبيل التواضع والمجاملة ، كما قيل أيضاً بأنه ما من موضوع إلا سمع به . وكان يتمتع بذاكرة قوية ،بحيث لا ينسي ما يسمع ، وكان علمه بالأشـياء لا ينـضب . وكـان شـديد المراعـاة للمراسم ، بشكل كان يؤمن معه بضرورة عدم الاختلاط بالتلاميذ ، لأن فـي ذلـك إعاقـة لنجاح التعليم . وكانت قواعد الآداب والمجاملة محل اهتمامه الأول . وكان يبـذل كـل الجهد للحد من الغرائز والشهوات، بعقيدته المتزمتة الصارمة . وقال عنـه تلاميـذه بـأن " المعلم كان مبرئاً من أربعة عيوب : كان لا يجادل وفي عقله حكـم سـابق مقـرر ، ولا يتحكم في الناس ويفرض عليهم عقائده ،ولم يكن عنيداً أو أنانيا". كما قيـل عنـه بأنـه كان شديد الرغبة في حسن السمعة والشهرة ، والرغبة فـي الحـصول علـى المناصـب الرفيعة . وقد قال كونفوشيوس في هذا الصدد متباهياً: "لو وجد من الأمراء من يوليني عملاً،لقمت في اثني عشر شهراً بأعمال جليلة ، ولبلغت (الحكومة) درجة الكمال فـي ثلاث سنين"[٢].

كما قيل عنه: انه كان هيناً سهلاً في سلوكه ، يبدو على سيماه البهجة والمرح . وكان حسن المعشر ولكن في حزم ، عزيز النفس دون تعال ، مترفعاً مع العـزوف عـن استغلال من هم دونه . وهو القائل : " الاكتفاء بتناول الطعام الغليظ ، وشرب المـاء القـراح والاضطجاع على وسادة عالية يبعث في النفس البهجة والسعادة ، إن الثـروات ومراتـب الشرف التي تنال بوسائل غير مشروعة هي عندي كالسحب التي تسوقها الرياح "[١].

---

[١] الكونفوشيوسية - سليم المسلمي - ص ٤٥- ٤٨ بتصرف .

[٢] قصة الحضارة - ديورانت - ت : محمد بدران - ج٤ - ص ٤٤ .
وانظر: كتب غيرت الفكر الإنساني - احمد الشنواني – ج ١ – ص ٢١ .

[١] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١- ص ٨٦ .

كما قيل عنه أنه: دمث ، مرح ، مؤدب ، يحب النكتة ، يتأثر لبكاء الآخـرين ، وقـد كان تأثره عجيبا وإذرافه للدموع سريعاً عندما كانت تمر به جنازة ،وقد بكى أحد تلامذيه المفضلين عندما توفي بكاء مراً . . .[٢]. وكان كونفوشيوس : " طويلاً دقيقاً فـي المأكـل والمشرب والملبس ، مولعاً بالقراءة والبحث والتعلم والتعليم والمعرفة والآداب ، وكان أكثر ما يقلق باله أن تأتى ظروف تحول بينه وبين الاطلاع ، وكان يقول : إنه لـيس شخـصاً والـد عارفاً للحقيقة ولكنه شخص لا يمل القراءة والتعلم والبحث والوصول إلى المعرفة ما وجد إلى ذلك سبيلا " . وكان كونفوشيوس : خطيبا بارعاً لا يميل إلـى الثرثـرة وعباراتـه مـوجزة تجرى مجرى الأمثال القصيرة والحكم البليغة . وكـان يجلـس إلـى تلاميـذه ويحـادثهم ويستمع إليهم ولا يوبخ رأيا ولا رغبةً لأحد منهم . وكان كونفوشيوس يميل إلى فن " النكتة " وكانت موهبته في هذا المجال لا تبارى وانتقلت منه إلى تلاميذه[٣].

تواضعه :

ومن أخلاقه: التواضع ، وعدم الزهو بنفسه ، يقول :

" كيف أستطيع أن أشبه نفسي بالحكيم أو بالرجل الذي يعمل الفضيلة ؟ إن كل ما أستطيع أن أقوله عن نفسي هو أنني أقهرها على محاولة مساواتهم بدون ملـل وعلـى تعلـيم الآخرين دون انفكاك "[٤].

عطفه ورحمته :

وكان كونفوشيوس شديد العطف على الحيوان ، لدرجة ربما تثير الضحك حتى إنه " كان " لا يتخذ إلا الملابس المصنوعة من الكتان على الرغم من انتشار الأقمـشة الحريريـة ، وعندما سأله أحد تلاميذه في ذلك قال: " أنا لا أستبيح لنفسي أن أقتل دودة القز لأستولي على نسيجها وأصنع منه ردائي " .

وسأله تلاميذه : لماذا لا تشرب اللبن ؟ فأجاب :

" لأن اللبن من حق الرضيع من البهائم والسائمة " .

---

(٢) كونفوشيوس النبي الصيني- د/ حسن شحاته سعفان – ص ١٧ بتصرف .

(٣) المرجع السابق - ص ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ . بتصرف .

(٤) الفلسفة الشرقية - د / محمد غلاب - ص ٢٥١ .

وقال لتلاميذه ذات مرة :

" أنا أفخر بأني لم أستعمل قط شبكة لصيد السمك ، ولم أرم طائرا بسهم إلا إذا كان هذا الطائر محلقاً في الفضاء ، حتى تكون لديه فرصة الهرب أو النجاة "[١] وكان يظهـر عطفا شديداً على معاناة البشر ، مقرونا بالتعبير العملي عنه ، إذ كان يمقـت العواطـف النظرية ، ويفضل أن يكون تعاطفه مع الآخرين عملياً . فقد حدث أن عانى واحـد مـن أصدقائه من خسارة شخصية وكان أن سارع كونفوشيوس إلى نجدته بإهداء أسرته جواداً من جوادي عربته ، وقال في ذلك : " إنني أكره فكـرة ألا تكـون دمـوعي يعقبهـا تعاطف عملي "[٢].

عنايته بمظهره ومأكله:

وكان شديد العناية بهندامه والتحلي بكل ما من شأنه أن يحافظ على كرامتـه ، فلم يكن يجلس على حصير قذر ، أو يأكل طعاماً غير طازج ، كما كان متأنقاً في ملبسه حتى أنه كان يعتبر مجدداً في فن الملبس ، يقلد الجميع ذوقه ، وانتقل هذا الميل منه إلى أولاده وأحفاده الذين سلكوا مسلكه وكذلك تلامذته من بعده الذين نـسجوا علـى منوال أستاذهم [٣].

شدته على المنافقين :

كان كونفوشيوس ، شديد القسوة على المنـافقين ، أصـحاب الـوجهين ، الـذين وصفهم بأنهم " لصوص الفضيلة " وكان يسخر من الحكـام والمـوظفين الـذين جعلـوا همهم الوحيد هو ملء بطونهم بالطعام ،وكـان ينعـتهم بـأنهم "حقائـب أرز " وقـال لتلاميذه ، عنهم ذات يوم : " ما أشقي الرجل الذي يملأ بطنه بالطعام طوال اليوم ، دون أن يجهد عقله في شيء...لا يتواضع في شبابه التواضع الخليق بالأحـداث، ولا يفعـل في رجولته شيئاً خليقاً بأن يأخذه عنه غيره ، ثم يعيش إلى أرذل العمر ، إن هـذا الإنـسان وباء "[٤].

ومن أقواله ، أيضاً:

"لا يقلقني في حياتي إلا الأمور الآتية : أن أنسى تقويم سلوكي وأخلاقي ،

---

[١] قصة الديانات - سليمان مظهر - ص ١٨٢.

[٢] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ٥١ .

[٣] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاتة سعفان - ص ١٨ بتصرف .

أنظر الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ٥٣ -٥٤ .

[٤] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ٥١ .

وأن أهمل دراساتي ،وأن أخفق في إتباع الطريق السليم الذي عرفته ورأيتـه ، وإن أعجـز عن تصويب أخطائي . . . إن الذي لا يصلح خطأه وقد عرفه ، إنما يرتكب خطأً جديـداً ".[1]

سادساً: عقيدته و عبادته

عقيدته لم تتجاوز عقيـدة الـصينيين القـدماء ، المتمثلـة فـي الـسماء ، والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء ، وأرواح الآباء [2]. وكانت عبادة الجدود والأضـاحي فـي نظره واقعاً أساسياً . . .[3] وبالرغم من تأثير كونفوشيوس الجسيم وأهميته الهائلـة ،لا نجـد في مجرى حياته شيئاً غير عادي ،ولا نقع – عند بحث سـيرته – علـى أحـداث غيـر مألوفة . . .[4].

كما أُعتبر كونفوشيوس من القلائل الذين (وهبوا أنفسهم) لهداية الناس وإرشادهم ، وهذا هو المعني الذي يفهمه الصينيون ، من كلمة نبي أو رسول ، وهو بهذا كان نبيـا عند الصينيين . وقد أخذ يؤلف الكتب وينشر تعاليمه منتقلا من ولاية إلـى أخـرى ،حتـى أطلق عليه معاصروه :(معلم الجنس البشرى)،بل أعظم معلم عرفه العالم – عند الصينيين - الذين عدوا كتابه (المنتخبات) أو (الحوار) كتاباً مقدساً .

فقد كان حكيماً أكثر منه رجل دين ، وكان لديه من الشعور الديني ما أدى بـه إلى المداومة على أداء الشعائر والطقوس الدينية ، وكان يعترف دائمـاً بأنـه يعبـد الإلـه الأعظم والآلهة الأخرى على غير معرفة بهم ، ولم يكن يتثبت من حقيقـة الآراء الدينيـة التي يستطيع الإنسان أن يبرهن على صحتها بشكل قاطع ، كما كان يؤدي الصلاة وهـو صامت لا ينطق بالكلمات ، على غير عادة الناس في عصره ، وكان يكـره أن يـصلي أو يرجو الإله أن يشفيه أو أن ينعم عليه بنعمه أو أن يغفر له بصوت أو مراءاة ، إذ أن الصلاة - فيما يرى - غايتها تنظيم سلوك الأفراد والتأليف فيما بينهم ، كما يرى في الدين كله هذا

---

[1] المرجع السابق ص ٥٢ .

[2] معتقدات آسيوية – د/ كامل سعفان – ص ٢٦٨ .

[3] فلاسفة انسانيون – كارل يا سبرس- ت : عادل العوا – ص ١٥٩ .

[4] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١- ص ٦٥ .

الرأي ، ويقول في هذا المعنى: (إن الفرد الذي يرتكب خطأ ضد السماء لـن يجـد مـن يغفر له زلته ، فالصلاة عنده لا تمحو ذنباً . . . وقد أو جب الاستحمام قبل الصلاة [١].

يقول الأستاذ محمد مكين[٢] عن كونفوشيوس : ويحترمه الصينيون احترام المسلمين لأنبيائهم –عليهم السلام- ويبنون له الهياكل في البلدان ويقدمون إليه القرابين ، ولذلك تعد مبادئه ديناً من اديان الصين . ولم يكن في الحقيقة ملياً فإنه لم يدع النبوة ولـم تـصدر عنه معجزات كالأنبياء عليهم السلام ومصداق ذلك ما ورد في كتـاب الحـوار نفـسه ان بعض تلاميذه سأله عن الأرواح والممات فقال:"لم نقدر على خدمة الأحياء فكيف نقـدر على خدمة الأموات ، ولم نعلم الحياة فكيف نعلم الممات ؟" [٣].

سابعاً: طلبه للعلم

نجد أساطير كثيرة كلها تشهد بطموح هذا الـشاب وسـعيه إلـى طلـب العلـم والمعرفة . وتذكر الروايات أن كونفشيوس كان يسهم وهو في الرابعة عشر مـن عمـرة في تعليم أنداده من الصبيان لأنه كان قد وعى وهو في هذه السن كل مـا يـستطيع المعلم تلقينه للتلاميذ . غير أنه لم ينصرف كلية إلى تحصيل العلم دون شيء آخر من شئون الحياة بل إنا نعلم مما وصل إلينا من تاريخ حياته انه كان صياداً مـاهراً كمـا أجـاد قيـادة المركبات على اختلاف أنواعها وكان موسيقياً . . . وكان يعمل في غير أوقـات الـدرس أعمالا تدر علية بعض المال يستعين به على تدبير شئون أسرته . فقـد تـوفي أبـوه بعـد مولده بثلاثة سنوات فاضطر هذا الشاب – وهو بعد في مرحلة الـتعلم _ إلـى كـسب معاشه عن طريق العمل . بل إن لحوم الطير والأسماك التي كان يصيدها بنفسه كانت تؤلف ركناً هاماً من الأطعمة التي تقدم على مائدة أسرته .

والواقع أن كونفشيوس لم يدخر وسعاً في سبيل زيادة دخل أسرته والعمل على إسعادها بمختلف الوسائل [٤] ولقد وصف كونفوشيوس نفسه بأنه وقتما كان شاباً يافعـاً ،

---

[١] الإسلام والمعتقدات الدينية القديمة - أحمد إسماعيل - ص ١٢٦ - ١٢٧ بتصرف .

[٢] من علماء المسلمين في الـصين ، تـرجم القـرآن الكـريم إلـى اللغـة الـصينية ، كمـا تـرجم كتـاب الحـوار إلـى اللغة العربية له العديد من المؤلفات عن الإسلام والمسلمين في الصين وسيأتي المزيد عنه بإذن ا . . .

[٣] نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين – محمد مكين – ص ١٤ .

[٤] الحكماء الثلاثة –د/ أحمد الشنتناوي – ص١٢١.

كان (لا شأن له ولا مكانة ، يعيش في ظل ظروف ذليلة) . فكان عليه أن يعمل ليقـيم أوده في حرف أغلبها حقير وضيع ، إلا أنه دأب على تثقيف نفسه ذاتياً[١].

تعلقه بالمعرفة

انصرف الغلام كونفوشيوس منذ حداثته إلى الدرس والبحـث وخـصوصاً دراسـة آداب القدماء . فدرس كتب السابقين في التاريخ والتغيرات التي تطرأ علـى الأرض ومـن عليها ،كما درس الموسيقي . وقد اهتم كثيراً بالتعلم على أشهر كتـب التـراث الـصيني . وهو المعروف بكتاب"التغيرات " وقد استمر سنين عديدة يدرسه ، وبلغ من إعجابه به أن قال " أعطني سنين قليلة أكثر لأدرس هذا الكتاب وأنا أستطيع أن أكون عالمـاً فيلـسوفاً ، خبيراً بحوادث التغيرات في الطبائع الإنسانية " كما درس كذلك فروع المعرفة الستة التي كانت سائدة في عصره وهي : الطقوس أو الرسم والموسيقي والرماية وقيادة العربـات والقراءة وأخيراً الرياضة أو الحساب[٢].

وقد تقلب في المناصب الحكومية (وقتما كان يعمل فيها) بكفـاءة نـادرة ، وكان خلال تلك السنوات يفكر تفكيراً عميقا في أحوال بلاده ، ويكون فلسفته الاجتماعية والسياسية ، ويحزنه ما آل إليه الحال في بلاده فهجر الوظيفة الحكومية في نهاية الأمر ، وانقطع إلى وظيفة التعليم ، وجلس للناس يعلمهم الحكمة والفلسفة وعلا شأنه وكـان تلاميذه من العلماء المبرزين ، ونظروا إليه نظرة إكبار وإجلال واحترام تكاد تفـوق عبـادة الأبطال الأفذاذ ، وفي هذا دليل على علو كعبه في التعليم والحكمة [٣].

ومن أكثر الأعمال التي كان لها تأثير كبير عليه عمله في مخازن القصور التي يـتم فيها حفظ المخطوطات والوثائق التاريخية وقد أتاح له ذلك فرصة الاطلاع على الكثيـر من تراث شعبه . وقد واصل طلب العلم حتى بلغ الثلاثين من عمره ،عندئذ شعر وكأنـه يقف على أرض ثابتة . وفي هذه المرحلة بدأ يتجول خارج مقاطعته حيـث إنـه كـان شديد الطموح نحو إصلاح الأوضاع القائمة بعد الانتهاء من سنوات الدراسة . وقد رأي أنه في الإمكان الوصول إلى تحقيق نموذج الحكومة الصالحة في الواقع وذلـك بإتبـاع تعاليمه ، إلا أنه قد أدرك أن ذلك لن يتحقق بدون توليه منصباً سياسياً يتمكن من خلاله مـن

---

[١] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١- ص ٦٥ .

[٢] فلاسفة أيقظوا العالم د/ مصطفي النشار - ص ٥٣ بتصرف .

[٣] أديان العالم الكبرى – حبيب سعيد - ص ٤٢.

و- عظماء قادة الأديان - عبد الجليل شلبي - ص ٧٧.

إخراج تعاليمه إلى حيز التنفيذ . ولعل هذا كان من أهم الأسباب التي دفعته إلى التجـول بين المقاطعات المختلفة بحثا عن الحاكم الذي يمنحه المنصب لإصلاح المجتمع . وكانت رحلاته دائماً تواجه بالفشل ، فقد كانت المناصب الهامة آنذاك وقفاً على أعضاء الطبقـات الأرستقراطية [١].

وأثر عنه انه وصف نفسه بأنه مجرد ناقل وليس مبدعاً ، وأنه يتحمس كثيراً لقـدماء المفكرين ، وكان يؤثر الاطلاع على الطعام والنوم ، وكثيراً ما أمضى أياماً وليالي يـستزيد من المعرفة ، متغاضياً عن طعامه وراحته . وكان يبدي تصميمه على العمل على إزالـة شرور أربعة اعتبرها أمهات الكبائر : عقلية مغرضة ، أحكام جائرة ، العناد ، الأنانية وكـان يقدس الحقيقة ، وفى هذا يقول: (أولئك الذين يدركون الحقيقة لا يصلون إلـى مرتبـة أولئك الذين يحبونها ، لكن من يحب الحقيقة لا يرقى إلى مرتبة من يفرح بها)[٢] .

اهتمامه بتطبيق ما تعلمه

بدأ بالتعليم وهو في الثانية والعشرين من عمره ، حيـث درس التـاريخ ، والـشعر ، وآداب اللياقة . وانتهج في تعليمة أسلوب الشفاهة ، مثلما فعل سقراط اليونان . وتحلـق حوله العديد من التلاميذ ، حتى أنه فاخر في أواخر حياته ، بأن أكثر من ثلاثة آلاف شـاب غادروا منزله ، ليشغلوا مراكز هامة في الصين [٣]. كما تمنى كونفوشيوس أن يستعين به أحد الأمراء في حكم دولته ، وكان يؤكد لمستمعيه أنه بعد مضى عام واحد يـتم – بفضل آرائه – إصلاح الكثير من الأخطاء ، وبعد انقضاء ثلاثة أعوام يتم إنجاز جميـع مـا يقتضيه الحكم من إصلاح . وفى مجلس ضم طائفة من مريديه ، تنهد وقال ليس هنـاك من يعرفني . فسأله أحدهم عن السبب فأجاب : إنني لا أجأر بالـشكوى ضـد الـشعائر ولا ألقي باللوم على الناس . إن مطالعاتي ودراساتي – وإن كانت متواضعة – تخترق أعلى مكان ، ولعلي – قبل كل شيء – معروف لدى السماء[١].

ثامناً: مدرسة كونفوشيوس

---

[١] فلسفه الأخلاق والسياسة - د/ هالة أبو الفتوح - ص٢٥ بتصرف .

[٢] حكمة الصين - د/ فؤاد شبل - ج١- ص ٨٧ بتصرف .

[٣] ولا ندري هل كان هذا اثناء تقلبه في المناصب الحكومية إلى سن الحادية والخمسين كما سيأتي أم أنه كان متفرغا ؟ لكن متى كان هذا التفرغ ؟ لا ندري

[١] حكمة الصين –د/ فؤاد شبل – ج١- ص ٨٧ .

كانت المدارس وقتذاك ملحقة بقصور الأمـراء والحكـام ، ويلتحـق بهـا أبنـاؤهم لتؤهلهم لشغل الوظائف الكبرى ، واقتصر أسلوب الدراسة فيها على تدريب الطلاب علـى تنفيذ الأعمال التي يرتئيها الأمراء والحكام [٢].

وكانت أول مدرسة حرة خاصة في التاريخ الصيني مدرسة كونفوشـيوس والتـي منهـا نشأت طبقة جديدة ثالثة بين الشعب والحكام ، تعمل على تنبيه الحكومـة إذا خرجـت عن الحدود المرسومة والقوانين العامة ، وتساعد الشعب لتيسر له الحـصول علـى العلـم والحكمة. وكان من مميزات هذه الطبقة الجديدة أنها لم تنغمس قط في أي نشاط غير هذا النشاط المرسوم لها . . . وقد نجح كونفوشيوس - فيما بعـد- فـي رفـع هـذه الطبقة إلى مكانة مرموقة لها نفوذها وأثرها في الحياة الصينية [٣].

البداية من البيت

في سن الثانية والعشرين من عمره قرر كونفوشيوس الاشتغال بالتعليم واتخـذ مـن بيته مدرسة ، يلقى فيها الدروس على مريديه من مختلف الأعمار،ومن جميع أنحاء إقليم (لو) ومن الأقاليم البعيدة عنه . وقـد أخـذ علـى نفـسه تعلـيم تلاميـذه ومريديـه موضوعات التاريخ والشعر وآداب اللياقة والموسيقي، بصفة خاصة ، والتـي كـان يـؤمن بتأثيرها الفعال في الصقل الأخير لشخصية الإنسان . وكان يتقاضي من تلاميذه ما يستطيعون دفعه من مصروفات تحدد على أساس قدرة التلميذ على الدفع. وكان لا يقبـل فـي مدرسته إلا التلاميذ الذين يجد عندهم ميلاً صادقاً إلى هـذه الدراسـات ، وشـغفاً بـالعلم والمعرفة[٤].

مقررات الدراسة

كانت برامج الدروس التي يلقيها كونفوشيوس على تلاميذه تـشمل : الموسـيقي والشعر ، والتاريخ ، والآداب والتربية الوطنية والأخلاق ، وقليل مـن العلـوم التـي كانـت معروفة إلى ذلك العهد . وقد استبعد مـن برامجـه الدراسـية : الموضـوعات المتـصلة

---

[٢] المرجع السابق – ج١- ص ٦٦ بتصرف .

[٣] الحكماء الثلاثة – د/ أحمد الشنتناوي – ص ١١٤ بتصرف .

[٤] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ٤٥ .
و قصة الديانات – سليمان مظهر – ص ١٩٢ .

بتمجيد البطولات الجسمانية والأعاجيب والثورات وخوارق الطبيعة . كما كـان نـادراً مـا يتحدث عن الكسب المادي أو القضاء والقدر . وكان يعنى عناية خاصة بالتربية الوطنيـة ونظام الحكم وما يجب أن تكون عليه الحكومة الصالحة والحاكم الصالح . لـذلك كـان يؤثر بعنايته الخاصة كل تلميذ تظهر عليه علامات النجابة في هذا الفن (أي فن الحكـم). كما كان يدرس ما يسمي في عـصره بـالفنون الـستة وهـي : الطقـوس أو الرسـم ، والموسيقي والرماية ، وقيادة العربات والقراءة وأخيراً الرياضة أو الحساب [١].كما ذكـرت سابقا .

طريقته في التدريس

كان يضع أمام تلاميذه مثلاً حية من أخلاق الحكمـاء والملـوك الـسابقين أو مـن المأثورات الدينية العالية ، أو القصائد الشعرية المفعمـة بالفـضيلة أو الحـوادث التاريخيـة والمواقف الهامة فيها [٢]. كما أنه لم يعتمد على التلقين فقط ، بل على طريق البحـث الشخصي الذي يتدرج من المحسوسات إلى المعقـولات ، ويـصعد مـن الماديـات إلـى المعنويات [٣].

وكان من المعلمين الجوالين ، يتنقل من بلد إلى آخر ،وحوله عـدد مـن التلاميـذ والمريدين يستوحون آراءه وتعاليمه وكان يحرص على الاتصال الشخصي بهـم .. وكـانوا يستفيدون من الأحداث التي تمر بهم .. [٤].

وكان يشحذ عقول تلاميذه بأن يعرض بأخطائهم في رفق ويطلب منهم شـدة اليقظة والانتباه .. وكان يقول : " إذا لم يكن من عادة المرء أن يسأل نفسه: ماذا أرى في هذا الشيء ؟ فإني لا أستطيع أن أفعل له شيئاً ".

وكان كونفوشيوس معلما من الطراز الأول يعتقد أن التنائي عن تلاميـذه وعـدم الاختلاط بهم ضروريان لنجاح التعليم . كما رأى ضرورة تعليم الشعب عن طريـق وضـع

---

(١) الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي - ص ١٢٩- ١٣٠ بتصرف .
و الأديان الحية نشوؤها وتطورها – أديب صعب – ص ٨٤ .
(٢) الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية ـــ د / علي معبد ص ١٣٢ بتصرف.
(٣) الفلسفة الشرقية ـــ د / محمد غلاب ـــ ص ٢٥٥ بتصرف .
(٤) الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي ـــ ص ١٢٦ بتصرف .

فلسفة التعاليم الصينية في صورة قواعد مبسطة يسهل على العامة استيعابها وإدراكهـا [١] .

تلاميذه

بلغ عدد الذين تلقوا الحكمة وتخرجوا على يديه ثلاثة آلاف تلميـذ ومريـد - كما ذكرت سابقا- من بينهم حوالي اثنين وسبعين كان كونفوشيوس يصفهم " بأن لهـم مواهب عظيمة وعقليات جبارة " وقد شغل الكثير من هؤلاء العباقرة مراكز قيادية في الدولة . كما كان لهؤلاء التلاميذ دور كبير في نشر مذهبه في البلاد ، حتى صار مـذهباً رسمياً منذ أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى أوائل القرن العشرين،يضاف إلى ذلـك قيـامهم بصياغة فلسفته على الصورة التي نقلت بها إلى العالم الحديث [٢].

---

[١] قصة الديانات - سليمان مظهر - ص ١٩٦ - ١٩٧ بتصرف .
وانظر: كتب غيرت الفكر الإنساني - احمد الشنواني - ج ١ - ص ٢٠ .

[٢] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - د/ صلاح بسيوني - ص ٤٦ .

تاسعاً: كونفوشيوس والفيلسوف (لاو– تس)

وقد حدث لكونفوشيوس ، بعد ذلك ، أن التقى في إحدى أسفاره بأشهر فلاسفة الصين القدامى ، وهو الفيلسوف (لاو - تس)[1] صاحب كتاب (الطريق إلى الفضيلة) ،وكان وقتذاك في السابعة والثمانين من عمره ويقيم منفياً في (تشو) عاصمة الإمبراطورية الصينية ،أما عمر كونفوشيوس ،فكان أقل بكثير من نصف عمر (لاو - تس) ،وقد تأثر كونفوشيوس الشاب كثيراً بمبادئ فلسفه هذا الفيلسوف ، الذي ذهب إليه في آخر حياته ليستشيره في أقوم السبل لكي يكون الإنسان رائداً ناجحاً في هذه الحياة . فكانت إجابة (لاو - تس) فظة غامضة قصيرة:

" إن الذين تسأل عنهم قد أصبحوا عظاماً نخرة ولم يبق إلا ألفاظهم . وإذا حانت ساعة الرجل العظيم قام من فوره ليرتقي قمة الريادة أما قبل أن تحين هذه الساعة فإن جميع العقبات تعترض طريقه . ولقد سمعت أن التاجر الناجح يحرص على إخفاء ثروته ويعمل عمل من لا يملك شيئاً من حطام الدنيا ، وأن الرجل العظيم بسيط في سلوكه ومظهره رغم ما يقوم به من جلائل الأعمال . فتخلص من كبريائك ومطامعك الكثيرة ، وابتعد عن التصنع والأحلام والآمال العريضة التي لا سبيل إليها . فلن تنال شيئاً من هذه الأمور كلها ، وهي أمور لا تشرفك قط ولا ترفع من أخلاقك . هذا ما أشير به عليك لكي تظل رجلاً صالحاً لا لكي تصبح رائداً عظيماً [٢].

ويقول المؤرخ الصيني الذي يروي هذه القصة إن كونفوشيوس أحس من فوره بسداد هذه النصيحة ولم ير في هذه الألفاظ ما يسيء إليه بل لقد أعجب

[1] هو صاحب النحلة الصينية التي تعرف في الصين بـ(الطاوية) ولد في إمارة جشوو قبل كونفوشيوس بأكثر من خمسين سنة . وقد عمل كمؤرخ في الديوان الملكي لمدة من الزمان ، ثم ترك عمله وخرج من الصين إلى حيث لا يعرف أحد وذلك لما شعر بأن الصين قد دخلت في فترة خطيرة من التاريخ لا نجاة منها . فاعتزل في آخر حياته وعكف على حياة الزهد والتأمل الفلسفي ، وقبل خروجه من أرض الصين ترك عند محافظ ثغر الحدود الصينية الغربية كتابا باسم " داو ده جينغ "(الطريق إلى الفضيلة) الذي أصبح الوثيقة العلمية الوحيدة عن الرجل نفسه ، ومذهبه وفلسفته ويشتمل هذا الكتاب الذي أصبح أهم كتاب مقدس في الديانة الطاوية على ثمانين فصلا من الحكم والنصوص الفلسفية . ويعتبر هذا الكتاب من أول الأسرار الثلاثة بين الكتب الصينية القديمة مع كتاب جشوانغ تس وهو ثاني الكتب الطاوية المقدسة وسفر التغيرات للكونفوشيوسية .(المعجم المحيط الصيني- ص ١٢٣٥) .

[٢] قصة الحضارة - ديورانت - ت : محمد بدران - ج ٤- ص ٣٨ .

وأعلام الفلاسفة - د/ هنري توماس - ت : متري أمين - ص ٤٨ - ٤٩ بتصرف .

بها إعجاباً شديداً تعبر عنه هذه الكلمات التي قالهـا لتلاميـذه بعـد أن عـاد مـن عنـد الفيلسوف المحتضر .

"إني أعرف كيف تطير الطيور ، ويسبح السمك ، ويجري الحيوان .كما أعـرف أيـضاً كيف يمكن أن يقع العداء في الشرك ، وكيف يمكن صيد السباح بالشص ، وكيف يمكـن إصابة الطائر بالسهام . غير أن هناك شيئاً واحداً لا أعرفه: وهو كيف يركب التنين متن الريـاح ويخترق السحاب ثم يصعد إلى السماء ؟ لقد قابلت اليـوم ؟ لاو - تـس ، ولا أسـتطيع أن أجد له مثيلاً غير التنين"[1]!!.

ولقد كان الحكيم الصيني لاو – تس المعاصر لكونفشيوس هـو أول مـن قـال إن الإنسان عليه أن يرد الإساءة بالإحسان . غير أن كونفوشيوس لم يرض عن هذا المبدأ إذ كـان من رأيه أن يكون الجزاء من جنس العمل فقد قـال : (رد الإسـاءة بالعـدل ورد الإحـسان بالإحسان) .

وتذكر بعض الروايات من ناحية أخرى أن لاو – تس قد انتقد كونفوشيوس أثنـاء مقابلته له لأن كونفوشيوس كان يهتم كما ذكرنا من قبل بالتقاليد القديمة التي أُثرت عن حكماء الصين الأقدمين، وكان يعمل جهده على إحياء هذه التقاليد وكـان يأمـل مـن ناحية أخرى أن يجد عند لاو – تس ما يعينه على إدراكها إدراكاً صـحيحاً ولكـن هـذا الفيلسوف العجوز قال له : (إن الرجال الذين تتحدث عنهم قد ماتوا واستحالت عظـامهم إلى تراب فاصرف النظر عن مسعاك لإحياء سنن الآباء والأجداد)[2].

---

[1] المصدران السابقان صفحة ٣٨ - ٣٩ ، ٤٩ - ٥٠ .
انظر - المرجع في تاريخ الأخلاق - محمد عبد الرحمن مرحبا - ص ٢٥٦ .
و كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية - د / زهرة الدين طيب - ص٥٤ .

[2] الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي – ص ١٣٢- ١٣٤ بتصرف .

عاشراً: تقلب كونفوشيوس في المناصب الحكومية

١- منصب خازن الحبوب: عندما بلغ السابعة عشر من عمره عين خازنا للحبوب في إقليم " لو " الذي كان يعيش فيه ،وكان أول منصب حكومي شغله ، فأدخل عليه الكثير من التحسينات .

٢- منصب قاضي القضاة : فقد فكر الناس في مدينة " شانجتو " في علاج الشر الذي يحيط بهم والفساد الذي يتغلغل في ربوعهم ، فلم يجدوا إلا أن يكون الحكيم كونفوشيوس قاضياً للقضاة على هذه المدينة فاستقامت الأمور في المدينة بعد ذلك واختفت الخيانة واستحت أن تطل برأسها ، وأعجب المجاورون بأحوال تلك المدينة السعيدة "[(١)].

٣- منصب وزير الجريمة : بتوليه له بدأ يدرس أحوال المسجونين وأسباب سجنهم فوجد أن الفقر والجهل هما أكبر العوامل التي تؤدى بالناس إلى الجريمة ، فخلص إلى وجوب القضاء على الجهل والفقر ، " وسأله أحد القضاة : وكيف نقضى على الفقر والجهل ؟ أجاب كونفوشيوس : طريق القضاء على الجهل هو التعليم ، فإذا علمنا جميع الناس قضينا على الجهل ، ونستطيع القضاء على الفقر بتعليم الناس الصناعات والحرف بحيث يمكن أن يكسبوا عيشهم بشرف "[(٢)].

٤- وبعده تقلد عدة مناصب وزارية ، كوزارة العدل ووزارة الأشغال العمومية ، نتج عنها شيوع العدل ، والشرف والأمانة وزيادة رقعة الأرض الزراعية وتحسن إنتاجيتها ٥- منصب رئيس الوزراء: في سنة ٤٩٦ قبل الميلاد ، رقي كونفوشيوس إلى وظيفة رئيس وزراء الدوق " كنج " ولقد سر كونفوشيوس لهذه الترقية سروراً لم يستطع أن يخفيه عن تلاميذه ، وعندما لا حظ أحد هؤلاء سروره بالمنصب قال له : " إنني سمعت أن الرجل المهذب لا يحزن عند نزول المصائب كما لا يفرح بالنجاح " فرد كونفوشيوس قائلا : هل هذا صحيح ؟ أما قيل : إن الإنسان يسعد عندما يرتفع إلى درجة فوق درجة عامة الناس ؟

---

(١) الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوى - ص ١٢٥ .
و- قصة الديانات . د/ سليمان مظهر - ص ١٨٣ .

(٢) قصة الديانات - د/ سليمان مظهر - ص ١٨٤ بتصرف .
والتفكير الديني في العالم قبل الإسلام – د/ رؤوف شلبي – ص ١٠١ – ١٠٢ بتصرف .

وما إن تولى هذا المنصب حتى قام بإعدام بعض السابقين من الوزراء ورجال السياسة الذين كان يعتقد أنهم سر الشغب وسبب إثارة الاضطراب في البلاد "[1]. وكان وقتذاك في السنة الحادية والخمسين من عمره . وقد مكنه هذا المنصب الجديد من أن يترجم مبادئه عملياً وأن يحقق أفكاره ، وكان نجاحه ساحقاً . وفي ذلك تقول السجلات الصينية: " لقد استحت الخيانة واستحى الفساد أن يطلا برأسيهما واختفيا وأصبح الوفاء والإخلاص شيمة الرجال ،كما أصبح العفاف ودماثة الخلق شيمة النساء . وجاء الأجانب زرافات ووحدانا من الولايات الأخرى ، وأصبح كونفوشيوس معبود الشعب "[2].

عندما استقامت الولاية في طريق التقدم والبناء ، كانت هذه الحال مما يقلق بال أهل ولاية " تشي إي ". . . وكانت في نزاع دائم مع ولاية "لو" فخافوا من تحول ولاية " لو " إليهم واحتلالها لهم .

فأرسلوا مكيدة لدوق ولاية " لو " يصرفوا بها وجهه عن تعاليم كونفوشيوس وآرائه ، هذه المكيدة عبارة عن : ثمانين فتاة من أجمل الفتيات الراقصات ، وألبسوهن أجمل الملابس وأكثرها إثارة ، ومعهن مائة وعشرون جواداً (حصاناً) تفوق الفتيات جمالاً. ورقصت الفتيات وتسابقت الخيول ، وشغل الدوق بهذا اللهو والمرح عن كونفوشيوس وتعاليمه ، ولم يستطع كونفوشيوس مقابلة الأمير العابث اللاهي !! وبعد فترة عاد الإقليم إلى الفقر والجريمة مرة أخرى[3].

فأصيب كونفوشيوس بقنوط بالغ ،وقرر الرحيل بعد أن قضى سنوات خدمة رائعة ، ولكنه قبل رحيله قال كلمات نابعة من الموقف الذي عجل برحيله ومعبرة عن تفضيل البعض الجمال على الواجب والكمال فقال :

احذر لسان المرأة إنك ستلدغ إن عاجلاً وإن آجلا

واحذر زيارة المرأة

إنها ستصيبك إن عاجلاً وإن آجلاً

هي هو !! هي هو !!

إنني سأرحل إلى مكان آخر[1].

---

[1] كونفوشيوس النبي الصيني - د / حسن شحاتة سعفان - ص ٩ بتصرف .

[2] انظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي – د/ جمال المرزوقي – ص ٢٤٥ .

[3] الحكماء الثلاثة - د / أحمد الشتناوى - ص ١٢٥ .

و. أديان العالم الكبرى . حبيب سعد - ص ٤٢ و قصة الديانات – سليمان مظهر – ص ٢٠٦ .

[1] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص٤٨ - ٤٩ .

ثم غادر ولاية (لو) علّه أن يجد في الولايات الأخرى من يتبنى فكره . . .

الحادي عشر: التنقل والترحال

منذ أن غادر كونفوشيوس ولاية لو ، أخذ يرتحل من بلد إلى بلد حتى أواخر حياته – حتى قيل - أنه لم يقيم في بلد أكثر من ثلاثة أعوام [٢]، وقضى ما تبقى من حياته متنقلاً بين الولايات الصينية داعياً لوحدتها وإصلاح ما فسد من أمورها فقد رحل إلى ولاية "واي" فعينه حاكمها وأعطاه نفس المرتب الذي كان يتقاضاه في "لو" ولكن خصومه ثاروا ضده ما جعله يرحل إلى ولاية "تشن" حيث استقر ثلاث سنوات رحل بعدها عائداً مرة أخرى إلى ولاية "واي" طامعا في العودة إلى الحكم مرة أخرى ، ولكن واليها لم يمكنه من ذلك رغم سروره بمقدمه ، فغادرها إلى الولايات المجاورة واحدة بعد الأخرى دون أن يستقر في إحداها حيث استشعر أن عليه مهمة مقدسة في الدعوة إلى وحدة الصين وإصلاح الأخلاق في كافة ولاياتها[٣].

وذات مرة ، التقي كونفوشيوس وأتباعه أثناء تجوالهم في البلاد بناسك طاعن في السن ، اعتزل الشئون العامة ،وآثر عليها الحياة الزراعية البعيدة عن جلبة المدينة ،وعندئذ قال الناسك لـ(تسي لو) تلميذ كونفوشيوس : " إن الاضطراب يجتاح البلاد اجتياح السيل الجارف، ومن ذا يستطيع أن يبدل لكم هذه الحال ؟ أليس خيرا لكم أن تتبعوا أولئك الذين يعتزلون العالم كله ، بدل أن تتبعوا ذلك الذي يخرج من ولاية إلى ولاية " .

وقد فكر كونفوشيوس طويلاً في كلام الناسك (شانج جو) وقال: " إن شانج جو مخطئ فيما يقول ، فإنه ليس بالهرب من الشر يستطيع المرء أن يغيره إلى الأحسن . لو كان الناس جميعاً خيرين سعداء لما كانت بي حاجة إلى تقويمهم . إنه من واجب كل إنسان أن لا يحاول الهرب من حيث توجد المتاعب ، بل إنه من الجبن أن يرى الإنسان ما هو صواب ، ولا يحاول أن يفعله [١].

وانظر: موسوعة الأديان في العالم – دار كريبس أنترناشيونال – ص ٤٤ .

[٢] الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٢٤٩ .

[٣] فلاسفة أيقظوا العالم - د/ مصطفي النشار ص ٥٥-٥٦ .

و انظر: الفلسفة في الشرق – بول ماسون – أورسيل – ت: محمد يوسف موسى – ص ١٦٨ .

[١] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ٤٩ بتصرف .

- وقد ظل على هذا الحال من التنقل والترحال من السادسة والخمسين مـن عمـره إلـى الثامنة والستين [٢]- عاد كونفوشيوس بعد هذه الرحلة الطويلـة إلـى مقاطعـة " لـو " فأكرم أميرها وفادته ، ولكنه لم يطعه كسائر الأمراء ، فكرس بقية حياته فـي التعلـيم والدراسة ، وتعليم أصدقائه ومدارستهم .. وكانت السن قـد تقـدمت بـه حيـث تجـاوز السبعين خريفاً من عمره ، ونزل به وهو في تلك السن المتقدمة ما حز في قلبه وقطـع نياطه ، فقد مات اثنان ، كلاهما قطعة منه :

أما أولهما :

فابنه الوحيد الذي كان يسمي " لي " وقد أثر موته في نفسه تأثيراً بالغاً - خاصـة أنـه في هذه السن – وقد توفي هذا الولد عن خمسين سنة .

وأما ثانيهما :

فهو تلميذه الأثير عنده المحبب لديه وقد كان قطعة من روحه ونفسه واسمه " هووى " وكان تلميذه الفذ . وقد بكى عليه بكاء شديداً عند احتضاره [٣].

---

(٢) فلاسفة انسانيون – كارل يا سبرس – ت: عادل العوا – ص ١١٧ .

(٣) مقارنات الأديان - الديانات القديمة ـــ الإمام محمد أبو زهرة – ص ٧١ بتصرف .
و انظر: موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين – جوزيف نيدهام – ت: محمد غريب – ص ١٣٥ .

الثاني عشر: مؤلفاته

هناك تسعة كتب صينية قديمة ، يرتبط اسم كونفوشيوس بها أشد الارتباط ، وقد ظلت هذه الكتب قرونا عدة لها أكبر الأثر في توجيه حياة أهل الصين ، بل كان طالبوا الالتحاق بالوظائف الحكومية يؤدون اختباراً دقيقاً فيما تتضمنه هذه الكتب .

وإذا كان لا ينسب إلى كونفوشيوس إلا كتاب واحد من هذه الكتب التسعة ــــ هو كتاب المنتخبات "الحوار" إلا أنه قد أحاط بتلك المؤلفات ، واستطاع أن يستخلص منها تلك الحكم والأقوال المأثورة التي بقيت على مر التاريخ .

هذه الكتب التسعة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يتضمن خمسة كتب تعرف باسم: الكلاسيكيات الخمس " كنج " وهي الكتب القديمة السابقة على عصر كونفوشيوس واستمد منها إلهامه وأعاد صياغتها بلغة تناسب العصر وهي :

١- " شو كنج " أي كتاب الوثائق التاريخية .
٢- " شي كنج " أي كتاب الأشعار القديمة .
٣- " يي كنج " أي قانون التغير .
٤- " لي كي كنج " أي كتاب الشعائر والطقوس القديمة .
٥- " شن شو كنج " أي كتاب الربيع والخريف .

أما القسم الثاني : وهو أربعة كتب وتعرف باسم " شو " ويرجع تاريخها إلى عهد متأخر من عهود الكتب الخمسة الأولي ،وقد قام بكتابتها تلاميذ كونفوشيوس ومريدوه ، ويكاد يجمع الباحثون على أن الحكيم كونفوشيوس أملي بعض هذه الكتب على تلاميذه إملاءً ، كما حاورهم أو حاضرهم بالبعض الآخر ، فأخذوه عنه وأثبتوه مقترنا باسمه دون تغيير ولا تبديل وهذه الكتب هي :

١- " تاهسيو " أي المعرفة الكبرى .
٢- " شونج يونج " أي مذهب الوسيلة الوسطى .
٣- " لون يو " أي المنتخبات .
٤- " منج تسي " أي كتاب منشيوس [1].

وسيأتي المزيد من التفصيل حول هذه الكتب في الباب الثالث الفصل الأول بإذن ا .

---

(1) الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي - ص ١٣٨- ١٤٠ بتصرف .
و الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ت/ كامل يوسف – ص ٣٣٤ – ٣٣٥ بتصرف .
وانظر: المدخل في تاريخ الأديان – د/ سعيد مراد – ص ١٨٠ – ١٨١ .

الثالث عشر: وفاته

لما بلغ التاسعة والستين من عمره ، وبعد أن أنهكتـه الأسـفار المختلفـة ، حظـي كونفوشيوس في النهاية بكل تقدير وترحاب وإجلال من دوق مدينة (لـو) الجديـد ، ولكنه أوضح له أنه سيقضي ما تبقي له من أيام حياته في تقديم النصح لزعماء (لـو) ووزرائها ،وجمع ونسخ الكتب القديمة المقدسة [(١)]- التي سبق أن أشرنا إليهـا - باعتبارهـا مصادر الفلسفة الصينية ،كما اهتم في سنوات عمره الأخيرة بنشر الروائع الـصينية وكتابـة تاريخ البلاد ، حتى مماته . وفي تلك الفترة، قال واصفاً نفسه بأنـه "لـيس إلا رجـلاً ينـسيه حرصه على طلب العلم الطعام والشراب، وتنسيه لـذة طلبـه أحزانـه، وبأنـه لا يـدرك أن الشيخوخة مقبلة عليه "[(٢)].

كما قال في الأيام الأخيرة من حياته:

" لقد كنت في الخامسة عشرة من عمري مكبا على العلـم ،وفـي الثلاثـين وقفت ثابتاً لا أتزعزع ، وفي سن الأربعين زالت عنى شـكوكي ، وفـي الخمـسين مـن عمري عرفت أوامر السماء ، وفي الستين كانت أذني عضواً طيعاً لتلك الحقيقـة ، وفـي السبعين كان في وسعى أن أطيع ما يهواه قلبي دون أن يؤدي بي ذلك إلـى تنكـب طريق الصواب والعدل "[(٣)]. اشتكي قبل مماته بأيام ، لأحد تلاميذه من أن الموت سيدركه ، ولم يجد ملك ذكي أريب ، وليس في الإمبراطورية رجل يستطيع أن يتخذه معلمـاً لـه ،ثم قال: "لقد تصرم أجلي وحان يومي"[(٤)].

" ولما حضرته الوفاة ارتدى بعض تلاميذه أردية النبلاء ووقفوا حول فراشه فـي هيئة وزراء ، وهي الصورة التي طالما تاق إلى تحقيقها أثناء حياتـه ، فلمـا أفـاق أنكـر عليهم ذلك وقال : " لن يخدعني هذا التمثيل المضحك الصامت ، ولـن يخـدعكم، فمـن تخادعون ؟ السماء ؟! أو ليس الموت بين أيديكم أيها الأصدقاء أفضل

---

(١) انظر: كتاب الحوار – كونفوشيوس- ترجمة: الأستاذ/محمد مكين – ص ٨ – ٩ .

(٢) قصة الحضارة - دبورانت – ت : محمد بدران – ج٤- ص ٤٨ .

(٣) المرجع السابق - ص ٤٨ .

و انظر: الفكر الشرقي – د/ يونج شوون – ت: د/طلعت مراد و د/ حميد علي – ص ٩٧ .

و المذاهب الكبرى في التاريخ –البان ج ، ويد جيري – ت: ذوقان قرقوط – ص ٢٩ .

(٤) أعلام الفلاسفة – د/ هنري توماس – ت: متري أمين – ص ٦٢ بتصرف .

من الموت بين أيدي وزراء[1] ؟

استشعر ذات صباح دنو أجله فأنشد يقول :

آه ! إن تايشان (الجبل) ينهار
والعمود يسقط إلى أسفل
والفيلسوف سيذهب [2].

ثم أوى إلى فراشه ومات في نهاية ثمانية أيام عام ٤٧٩ قبل الميلاد ، وكان قد بلغ وقتها الثالثة والسبعين من عمره ، ودفن بمقاطعة (تشي فو) في دولة (لو)[3] بعد حياة حافلة بالعطاء في كثير من الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والسياسية . . .

---

(1) حكمة الصين- فؤاد شبل - ص ٨٣ - ٨٤ .

وانظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج – هـ ج كريل - ت : عبدالحميد سليم – ص ٦٤- ٦٥

(2) كونفوشيوس النبي الصيني - د/ حسن سعفان - ص ١٢.

(3) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ٥٠ .

وفلاسفة انسانيون – كارل يا سبرس- ت: عادل العوا – ص ١١٩ .

الرابع عشر: أثر وفاته على أهل الصين

وعندما ذاع نبأ موته عم الحزن لوفاته جميع أنحاء الصين . حتى الحكام الـذين أهملوه حيا احتفلوا بإحياء ذكراه .

فقد أرسل دوق " لو " رجلاً ليصلي عليه فقال بلسان الدوق :

" وا أسفاه !! إن السماء لم ترحمني ولم تبق لي الرجل الشيخ العظيم ، لقـد تركنـي تعـسا وحيداً بلا مساعد ، على رأس الولاية مع أنني رجل مريض الآن . يا للأسف !! أيها الأب ني (وهو من الأسماء التي كان يسمي بها كونفوشيوس) إن حزني لجسيم فلا تنسني "

وما إن سمع تلاميذه وأتباعه ذلك حتى راحوا ينقدون حاكم الولاية الدوق (أي) لأنه لم يمكن كونفوشيوس كسلفه الدوق " تنج " من الإسهام في حكم " لو " وتطبيق أرائه ومبادئه [(١)].

أما تلاميذ كونفوشيوس فأقاموا حول قبره في أكواخ صغيرة ثلاثة أعوام كانوا خلالها يؤدون له كل يوم ما يجب أن يؤديه الأبناء نحو والدهم . . . وبعد الأعوام الثلاثـة هذه وارتحال التلاميذ والمريدين من حول القبر ،ظل ثالث تلميذ أحبه كونفوشيوس وهـو " تسي كنج " ظل ثلاثة أعوام أخرى .. وانتقل أكثر من مائة أسرة من أسر التلاميذ وأهـالي " لو " لتسكن بجوار القبر على نهر استس ، فنشأت من هذه الجماعـة قريـة تـسمى قريـة كونج أو كنج نسبة إلى أسرة كونفوشيوس . . .

وهذا القبر لا يزال إلى اليوم مزارا للعبادة والتقديس سواءً من أتباع الكونفوشيوسية أو من المؤيدين للتعاليم التي جاء بها كونفوشيوس [(٢)]. وقد بنوا حول القبر بوابة كبيرة ، وممراً فخماً تعلوه أشجار السرو على الجانبين [(٣)]، وعلى القبر لوحة من عهد أسرة " سنج " عليها لقبه الذي خلعته عليه ملوك تلك الأسرة : " هذا قبر أحكم معلمي الصين القديمة ، الملك الكامل العالم بكل شيء "[من وجهة نظرهم] - والكمال المطلق والعلم الكامل لا يكون إلا سبحانه وتعالى - .

---

(١) كونفوشيوس النبي الصيني - د / حسن شحاتة سعفان - ص ١٢.

(٢) شاهدتهم يتجمعون عنده ويركعون ويسجدون ويضعون الورود علـى القبـر ورأيـت شـيخا مـسناً سـجد باتجـاه القبر ولما سألته قال انه من أحفاد كونفوشيوس وكان يظهر عليه الفقر . . . الإثنين ١٥ / ٢ / ١٤٢٥ هـ

(٣) أصبحت (مقبرة آل كونفوشيوس) والتي يدفن فيها أحفاده إلى وقتنا الحاضر معلماً بارزاً من معالم مدينة تـشي فو ومزاراً للأتباع والسياح لما فيها من آثار قديمة من البنيات والمجسمات والأشجار. . . ولجمـال التنـسيق فيهـا . . .كمـا وضع على كل قبر لوحة باسم صاحبه .

وهناك قريباً من القبر معبد حفظت فيه الأشياء الشخصية التي كان يمتلكها كأغطية الرأس والآلات الموسيقية والعربات والكتب .

وأخذ أتباعه يقدسونه حتى عبدوه في عهد الإمبراطور الأول لأسـرة " هـان " حوالي سنة ٢٠٦ قبل الميلاد ، إذ كانوا يعبدون كونفوشيوس ويقـدمون القـرابين عنـد معبده من أبقار ونعاج وخنازير ، وأصبح لزاماً على الوزراء وكبار الموظفين ورجال الدولة أن يـــــزوروا قبـــــره ومعبـــــده قبـــــل أن يتـــــسلموا مهـــــام وظائفهم [١].

لقد كانت شهرة كونفوشيوس بعد موته عالية كبيرة ، كما كـان إهمالـه فـي حياته شديداً كبيراً .. ولم يمض على موته زمن طويل حتى ميزوه بلقب " الإله الأسمى " [٢].

" ولكن في هذه العبادة الجنونية نسى معظم عبـاده كلماتـه : والتـي كـان يقول فيها "كل ما يمكن أن أدعى به أو أسمى ، هو أنني تلميذ طموح لا يشبع ومعلـم لا يمل التعليم هذا فقط ولا شيء أكثر" [٣]ولكنه الشيطان الذي زين لهم عبادته مـن دون ا .

---

(١) هداة الإنسانية في الشرق - سهير القلماوي وأخرون - ص ١٢١ - ص ١٢٢

(٢) كونفوشيوس النبي الصيني - د / حسن شحاتة سعفان - ص ١٢ - ١٣.

(٣) عظماء قادة الأديان - عبد الجليل شلبي - ص ٨٢ .
و الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ٧٤ – ٧٥ .

الخامس عشر: من أقواله

من الأقوال والحكم المأثورة عن كونفوشيوس والتي جمعها تلاميذه في كتاب الحوار وغيره ، أنتقي جملة منها لأدلل بها على مدى ما كان يتمتع به كونفوشيوس من حكمة متعددة الجوانب أخلاقياً واجتماعياً وسياسياً . . . يقول:

١- أتولى اختبار نفسي كل يوم في نقاط ثلاثة : هل قصرت في أن أكون حي الضمير في نصح الآخرين ؟ وهل قصرت في أن أكون مخلصاً في معاملة الأصدقاء ؟ وهل عملت بما علمت به ؟

٢- ما لم يكن العظيم جديا فلن يكون محترما ولا راسخا في العلم .

٣- اجعل للولاء و الإخلاص أرفع منزلة .

٤- الإنسان الرفيع لا يتخم نفسه إذا أكل .

٥- لا تألم لجهل الناس لك ، بل تألم لأنك تجهل الناس .

٦- تفقه بالحكمة القديمة ووطن نفسك على الحديثة منها ، حينئذ يحق لـك أن تصير أستاذاً .

٧- عندما تعلم شيئاً أكد علمك به ، وإذا جهلته اعترف بذلك فهذه هي طبيعة المعرفة .

٨- جانب المشكوك فيه فيما تسمع ، وتحدث بحذر فيما يتعلق بالباقي وبذلك تقل هفواتك .

٩- تبين الحق وتجنب العمل به جبن .

١٠- إصابة الهدف في الرماية هو المهم ، لا ثقب الهدف .

١١- إن الشعور الاجتماعي الطيب يجعل للجوار جمالاً .

١٢- الحكم بالقانون فقط أو حفظ النظام بالعقوبات فقط يسبب مراوغة الناس وتجردهم من الحياء .

١٣- المخطئ في حق السماء ليس له من يتوجه إليه بالصلاة .

الرفيع يفكر في أخلاقه والوضيع يفكر في مركزه .

١٤- الرفيع يتلمس ما هو حق ،والوضيع يتلمس ما هو مربح .

١٥- الرفيع بطيء في الوعود سريع في الإنجاز .

١٦- الفضيلة لا تثوي مفرده وإنما لا بد لها من جيران .

١٧- إغراق الناس بسيل من البلاغة طريق لأن يمقتوك .

١٨- الخشب النخر لا يمكن حفره .

١٩- هذه هي الصفات الأربع للإنسان الرفيع: متواضع ، مكرم لمن هم أكبر منه ، وكثير البر ، عادل دائماً .

٢٠- الإنسان الرفيع من يسعف ذوي الحاجة الملحة ، لا من يساعد الأغنياء ليزدادوا غناً .

٢١- أفضل ممن يعرف الحق من يحب الحق .

٢٢- الفضيلة أن تكافئ المجهود بأكثر من المكافأة .

٢٣- الرفيع هادئ دائماً ، والوضيع (محدود الذهن) مرتبك دائماً .

٢٤- لا تبد للآخرين ما تعافه نفسك .

٢٥- الرفيع من يقدر فضائل الآخرين لا أن يشهر برذائلهم .

٢٦- إذا كان الحاكم محباً للعدل تذعن له الرعية [١].

٢٧- في التعليم تنتفي الاختلافات الطبقية .

٢٨- إذا ما بلغ امرؤ سن الأربعين أو الخمسين ولم يسمع الناس عنه شيئاً فإنني أسلم بأنه لن يكون شيئاً جديراً بالاحترام .

٢٩- أولئك الذين يولدون حكماء أسمى أنواع الناس ، ويتلوهم من ينالون الحكمة بالدراسة والإطلاع . ويتبعهم من يتغلبون على بلادتهم بالإطلاع ، أما من يظلون على بلادتهم فأوطأ الناس .

٣٠- طوبى للمرء الذي لا يؤثر الفقر في مرحه وغبطته .

٣١- واجب الشاب أن يكون باراً بوالديه داخل داره ، محترماً لمن هم أكبر سناً خارجها ، وأن يتصف بالحذر والإخلاص ، وأن يحب الناس جميعاً ، وأجدر به أن يقف بعض وقته على دراسة الفنون الجميلة .

٣٢- عندما أكون في جماعة تتألف من ثلاثة ، أسعى إلى محاكاة الصفات الطيبة التي أجدها في أحد صاحبي ، وأتجنب الصفات القبيحة التي ألمسها في صاحبي الآخر [٢].

٣٣- لا تتخذ أصدقاء غير أكفاء لك .

٣٤- إذا كانت لك أخطاء فلا تخشى التخلي عنها .

٣٥- إن الرجل المتفوق هو الذي يعمل قبل أن يتكلم ، ثم يتكلم بعد ذلك وفقاً لأفعاله.

---

[١] حكمة الأديان الحية- جوزيف كاير – ت المحامي: حسين الكيلاني .
مراجعة: أ/ محمود الملاح - ص ٩٨ - ١٠٤ .

[٢] حكمة الصين - د/ فؤاد محمد شبل – ج١- ص ٨٧ – ٨٨ .

٣٦- الرجل المتفوق حر التفكير وليس متعصباً ، أما الرجل الوضيع فمتعصب تفكيره غيـر حر .
٣٧- قد يكون هناك أناس يعملون دون معرفة السبب الذي من أجلـه يعملـون ، إنـي لا أحب أن أفعل ذلك ، استمع كثيراً وانتق ما هو حسن ثم اتبعه ، وانظر كثيراً واختزن ما تراه في مخيلتك ، ذلك هو الأسلوب الثاني في طلب العلم والمعرفة
٣٨- الرجل الكامل الفضيلة من طبعه الحذر والتمهل في حديثه ، لأنه إذا شعر بـصعوبة العمل فهل أمامه من شيء آخر غير التمهل في القول ؟[١].
٣٩- من المحال على المرء أن يكون متفوقاً دون التسليم بشرائع السماء[٢].
٤٠- المتكبر والبخيل مهما تكن مزاياهما لا يستحقان الاهتمام .
٤١- في ظل حكومة فاضلة الفقر عار ، وفي ظل حكومة سيئة الغنى هو العار .
٤٢- الحكمة هي أن تميز بين الذي تعرفه والذي تجهله .
٤٣- قلّما يخطئ من كان حذراً .
٤٤- الصمت صديق لا يخون أبداً .
٤٥- العدالة أسمى ما في الحكم .
٤٦- كلمة تفيد خير من ألف كلمة لا تفيد [٣].
٤٧- إذا كان الإنسان يستذكر معارفه القديمة ،ويضيف إليها معارف جديدة ،فإنه يكـون عندئذ جديرا بأن يكون معلما للآخرين .
٤٨- قلما يخطي من يحكم نفسه ويضبط شهواته".
٤٩- المعلم الفاضل يلتفت إلي ثلاثة أشياء:وهي العبادة والسلام والصحة .
٥٠- وسئل يوما من هو الرجل الفاضل ؟ فأجاب :
ذلك الذي لا يشغل باله هم أو خوف لأنه لا يجد في قلبه شراً .
٥١- ثلاثة أشياء على الرجل أن يجانبها:
"الشهوة مدة الشباب ، والتنازع مدة الرجولة ،والشره مدة الشيخوخة".
٥٢- اثنان لا يغيران رأيهما: أعقل الناس وأسخف الناس ؛أعقل الناس لثقته بعقله وأسخف الناس لضعف ذلك العقل[١].

---

[١] الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي - ص١٥٠ - ١٥١ بتصرف .
[٢] المرجع السابق ص ١٥٤ .
[٣] من أروع ما قال حكماء العالم – إميل ناصيف – ص ٣٩- ٢٠٠.
[١] الدين والفلسفة والعلم - السيد محمود أبو الفيض المنوني - ص ٩٢- ٩٣ بتصرف .

كلمات ينشدها الصينيون سنوياً في عيد ميلاد كونفوشيوس:

- ما أجمل السماء ! لا تترك شيئاً غير مستور
- ما أعمق الأرض ! لا تترك شيئاً غير مسنود
- ما أسطع الشمس والقمر ! لا يتركان شيئاً غير مستضيء
- ما أعظم البحار والأنهار ! لا تفرطان في الأرض من شيء
- ما اسماها وما أرحبها تعجز الكلمات عن وصفها
- هو هو سيدي !في تاوه تتاوج الحكمة كلها
- الذي ينشر أشعة الفضائل الساطعة تحت السماء
- ويدفع الدنيا نحو الانسجام العظيم
- هو مثال المعلمين لآلاف السنين
- وتبقى إلى الأبد روحه التي لا تموت [٢].

---

[٢] المستطرف الصيني - هادي العلوي – ص٥ .

الفصل الثاني

أبرز الشخصيات بعد كونفوشيوس

١- منشيوس (٣٧٢ – ٢٨٩ ق.م)
٢- هسون تزو (٢٩٨ - ٢٣٨ ق . م)
٣- تس سي (٤٨٣ – ٤٠٢ ق . م)
٤- جشاو تشي (٢٠١ – ١٠٨ ق . م)
٥- دونغ جشونغ شو (١٧٩ – ١٠٤ ق . م)
٦- وانغ تشونغ (٢٧-١٠٠ للميلاد)
٧- تشنج هزيوان (١٢٧ - ٢٠٠ م)
٨- تسي هسيا (ولد سنة ٥٠٧ م)
٩- تسي كنج (ولد سنة ٥٢٠ م)
١٠- هان يو (٧٦٨ – ٨٢٤ م)
١١- شاو يونج (١٠١١ – ١٠٧٧ م)
١٢- شوتون – آى (١٠١٧ – ١٠٧٣ م)
١٣- سي ما قوانغ (١٠١٩ – ١٠٨٦ م)
١٤- تشانج تسيه (١٠٢٠ – ١٠٧٦ م)
١٥- الأخوان : تشنغ هاو (١٠٣٢-١٠٨٥م) و تشنغ يي (١٠٣٣-١١٠٧م)
١٦- جو شي (١١٣٠ – ١٢٠٠ م)
١٧- لو جيو يوان (١١٣٩ – ١١٩٣ م)
١٨- مو زونغ سان (١٩٠٩ – ١٩٩٠ م)

توطئة :

حفلت الفترة اللاحقة لـ " كونفوشيوس " بظهور مفكرين كبار كونـوا المـدارس الفكرية المتعددة التي عرفت بـ-" المائة مدرسة " ومع هذا بقي تـأثير كونفوشـيوس كبيراً على الفكر الصيني ،لأن فكره كان قد تشكل إلى حد بعيد من الثوابت الفكريـة ، المستمدة مباشرة من القناعات العامة السائدة والقائمة على العادات والتقاليد والمفـاهيم المتوارثة . لذلك كان الفكر الكونفوشيوسي حاضراً دائماً لإمكانية تجديده بأثواب عديدة .

وقد ظهر مفكرون كثر رددوا أفكار كونفوشيوس بقوالب مختلفـة إلا أن أهـم المفكرين الذين أثروا التراث الكونفوشيوسي والصيني القديم، هو المفكر الكونفوشيوسـي الكبير ومعلم الكونفوشيوسية الثاني : "منشيوس " [1].

وقد تفرق تلاميذ كونفوشيوس بعد موته، وأسسوا مدارس كونفوشيوسية وكان من أهم الشخصيات التي عرفتها الصين بعد كونفوشيوس ، منشيوس ، وهسون تسو ، ويشكلان مع كونفوشيوس نوعاً من الثالوث المؤسس للكونفوشيوسية ، وقد اعتبرا بمثابة شراح لمـذهب كونفوشيوس .

حيث انقسمت الكونفوشيوسية بعد كونفوشيوس إلى اتجاهين :-

١- مذهب حرفي متشدد ، ويمثله " منشيوس " إذ يدعو إلى الاحتفاظ بحرفيـة آراء كونفوشيوس وتطبيقها بكل دقة .
٢- مذهب تحليلي ويمثله " هسون تزو " ويقوم مذهبه على أساس تحليل وتفسير أراء المعلم واستنباط الأفكار باستلهام روح النص الكونفوشيوسي[2] .

وإلى جانب هاتين الشخصيتين سنعرض لذكر عدد من أبرز مفكـري الكونفوشيوسـية الذين كان لهم دور في إثراء التراث الكونفوشيوسي . . .:

١- منشيوس (٣٧٢ – ٢٨٩ ق . م)

---

(١) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة – د/ عمر عبد الحي- ص ١٩٨ بتصرف .
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – ج ٢ – ص٧٥٠ بتصرف .

أ– حياته :

منشيوس : التحريف الأوربي لاسم الفيلسوف الصيني " منج تزو " أو "مانغ تزو" وتعني كلمة " تزو " المعلم . يعتبر منشيوس من كبار فلاسفة الفترة المعروفة بعصر الدول المتحاربة (٤٠٣- ٢٢١ ق . م) وهي المرحلة الذهبية للفلسفة الصينية . يطلق عليه الصينيون لقب " المعلم الثاني " . ويعتبر أكبر أساتذة الكونفوشيوسية بعد مؤسسها كونفوشيوس .

ومركز منشيوس - بالنسبة لكونفوشيوس - كمركز أفلاطون بالنسبة لسقراط ، لأن منشيوس طور اتجاهات كونفوشيوس المثالية وأكملها وجلاها. . . ويفصل ميلاد منشيوس عن وفاة كونفوشيوس(عام ٤٧٩ ق . م) مائة وسبع سنوات .

حيث ولد هذا الفيلسوف حوالي (سنة ٣٧٢ ق . م)في مدينة " لو " التي ولد فيها " كونفيشيوس " من قبل ، وكان هو أيضاً من أسرة عريقة في الشرف والنبل والجاه وتوفي والده وهو في حداثة سنه فاعتنت والدته بتربيته عناية فائقة،وقد خلد المؤرخون الصينيون ذكر هذه الأم وجعلوها نموذجاً للأمهات وذلك بما قصوه عنها من القصص الكثيرة الممتعة . فهم يقولون إنها بدلت مسكنها ثلاث مرات من أجله ، بدلته أول مرة لأنهما كانا يسكنان بجوار مقبرة فبدأ الصبي يسلك مسلك دافني الأموات ، وبدلته في المرة الثانية لأنهما كانا يسكنان بجوار مذبح ، ولذلك بدأ الغلام يجيد محاكاة أصوات الحيوانات المذبوحة ، ثم بدلته في المرة الثالثة لأنهما كانا يسكنان بجوار سوق فشرع الصبي يسلك مسلك التجار ، ثم وجدت آخر الأمر داراً بقرب مدرسة فرضيت بها [١].

وكانت إذا أهمل الغلام دروسه تقطع خيط المكوك - فإذا سألها عن سبب هذا الإتلاف أجابت بأنها إنما تفعل ما يفعله هو نفسه بإهماله وعدم مثابرته على الدرس والتحصيل [٢]. وبذلك أصبح الصبي طالباً مجداً ، ثم تزوج وقاوم في نفسه الميل إلى تطليق زوجته ، وافتتح مدرسة لتعليم الفلسفة جمع فيها حوله طائفة من الطلاب ذاع صيتهم في الآفاق ، وبعث إليه الأمراء من كافة الأنحاء يدعونه ليناقشوه في نظرياته عن الحكم .

ولم يكن يجد غايته المنشودة في تعليم الطلاب ، بل إن الهدف الذي كان يرمي إليه هو أن ينال في الدولة منصباً سياسيا عاليا ، ليستطيع أن يسدى النصائح إلى الأمير الحاكم بتجديد الدولة وإعادة إقامة صرح الأخلاق وتأسيس القواعد السياسية على أسس

---

[١] قصة الحضارة – ديورانت – ت : محمد بدران - ج ٤ - ص ٧٨ .

[٢] فلاسفة الشرق – و . ف . توملين – ت: عبد الحميد سليم - ص ٣٠٥ .

الفضيلة . . . وكان يقول: " أصلح ما في عقل الأمير من خطأ، فإنك إن قومت الأمير ، استقرت شئون الدولة "[١].

ولما احتلت هذه الفكرة رأسه ، وملكت عليه أمره خرج من مسقط رأسه وجعل يطوف المدن عارضا تعاليمه ونصائحه على الأمراء وحكام المقاطعات واحدا بعد واحد حتى انتهى به الأمر إلى مملكة " تشي" فوجد فيها عملا حكومياً كبيراً بعد أن وجد من ملكها استجابة لنصائحه ، ولكن هذا لم يدم طويلا ، إذ لم يلبث الملك أن حاد عن نصائح الفيلسوف وحول سياسته عن خط الفضيلة المستقيم ، فلم يسع " منشيوس " إلا أنه سخط على سياسته وأعلن له هذا السخط . . . ثم ترك العمل معه [٢]. وإذا نظرنا إلى الحالة السياسية في الفترة التي عاش خلالها (منشيوس) وجدناها تتسم باضطراب أحوال الصين السياسية والثقافية والاجتماعية .

وكان النظام الإقطاعي قد تداعي على عصره ، وقد استطاعت سبع من الدول الصينية الكبرى ابتلاع جيرانها الصغار والتحمت الولايات السبع في صراع وحشي خطير في سبيل فرض سلطانها أو ذوداً عن كيانها ذاته . فكان طبيعيا أن يعزف حكام ذلك العصر - عن أي وقت مضى - عن الاهتمام بالاستماع إلى العظات المتصلة بفاعلية الفضيلة وأساليب القدماء الحكيمة . فكان فشله في الظفر بالتعضيد السياسي أبعد مدى من فشل كونفوشيوس فكان أن انحصر نجاح منشيوس في ميدان التعاليم والتثقيف ، وركز جانباً عظيماً من جهده لتفنيذ أفكار المدارس التي ظهرت تنافس الكونفوشية (مثل مدرستي "موتزو" و "يانج شو")[٣].

وأخيرا توفي هذا الحكم في سنة ٢٨٩ ق . م عن ثلاثة وثمانين عاما قضاها في التأليف والشرح والتعليق ونشر الفضيلة ومحاولة إعلاء السياسة واستغلالها في خدمة العدل والسلام [١].

وقد ظل اسم (منشيوس) خافتا وظلت مؤلفاته خاملة حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، وقبل ذلك حاول بعض أتباع الكونفوشيوسية إطلاق بعض الأسماء والألقاب

---

[١] المرجع السابق – ص ٧٩ . وانظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج – هـ ج كريل – ت : عبدالحميد سليم – ص ٩٩ .

[٢] الفلسفة الشرقية - د / محمد غلاب – ص٢٧٧ – ٢٧٨ بتصرف .
وانظر: قصة الديانات – سليمان مظهر – ص ٢١٥ .

[٣] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ - ص ٩٤ - ٩٥ بتصرف .

[١] الفلسفة الشرقية - د / محمد غلاب – ص٢٧٧ – ٢٧٨ .

عليه في القرن التاسع الميلادي، ولكن لم يستطيعوا بسبب قوة المعارضين . وفي القـرن الحادي عشر هب بعضهم فأطلقوا عليه أسم " الدوق الحكيم " ولكن هذا لم يدم طويلا ، إذ لم يكد كوكبه في هذه المرة أن يسطع حتى هوى وبقى كذلك حتـى القـرن الرابع عشر الميلادي حيث ذاع صيته في هذا الوقت المتـأخر فعـرف القـوم مكانتـه وأطلقوا عليه اسم (الحكيم الثاني أو الأستاذ الروحي الأعظم للمدرسة الكونفوشيوسية) وقد ظلت هذه الأسماء حتى الآن(٢).

ب- منشيوس وكونفوشيوس

آمن منشيوس بأنه حامل رسالة كونفوشيوس في عصره ، وأن معتقداته وآراءه وأفعاله تنسجم تماماً مع ما أثر عن المعلم الكبير .

إلا أن هناك اختلافات بين الحكيمين ، ترجع إلى اختلاف طبيعة الرجلين وإلى تبـاين العـصر الذي ظهر فيه كل منهما .

ففي المختارات الأدبية ، يصرح كونفوشيوس عدة مرات بأنه أخطأ فـي بعـض الأمور ، في حين لا يسلّم منشيوس أبداً بالخطأ .

ولهذا دلالته التي لا تخفي ، من ناحية اتصاله التام بأسس المنحى التفكيـري للحكيمـين، وارتباطه كذلك باختلاف الظروف التي في ظلها عاشا .

فأولاً : كان كونفوشيوس أهم فلاسفة عصره ، إلى درجة أمحت معها شخـصية كل فليسوف آخر . في حين انتمى منشيوس إلى مدرسـة فلـسفية مـن ضـمن مـدراس فلسفية عديدة قامت على أيامه ، ونازع بعضها البعض الآخر.

وثانياً : كان الهدوء طابع مناقشات كونفوشيوس مـع مريديـه ، وكـان هـدفها السعي للوصول إلى الحقيقة ودراستها . أما مناقشات منـشيوس فمـدارها الـدفاع عـن مذهب معين مسلم بصحته سلفاً ، والعمل على نشره وإذاعته بين الناس والفارق جـسيم ، كما نرى . ومهما تكن الحال فإن محاورات منشيوس ومناظراته- في مجموعها- تتـسم بالمزايا التالية :

الأولى : تتجه إلى الإقناع . وتسيطر عليه هذه النزعة تماماً .

الثانية : لا مكان فيها لإيضاح نقاط الاختلاف أو بالأحرى - بيان وجهة النظر المعارضة .

---

(٢) انظر المرجع السابق – ص ٢٧٩ بتصرف .
والتفكير الديني في العالم قبل الإسلام – د/رؤوف شلبي – ص ١٢٥ .

الثالثة : تركز اهتمام منشيوس في الخروج من محاوراته منتصراً ، غير ملق كثير بال إلى أن تكون محاوراته سبيلا للعثور على الحقيقة . ولا نعني بذلك عـدم اهتمامـه بالحقيقـة ، لكنه آمن بأن الحقيقة لديه بالفعل وأن ما يعوزه إقناع خصمه برأيه . كما أن هناك جانب مهم في منهج منشيوس يتجلى في إعلائه من شأن رجال العلم ، ووضعهم في مرتبة أسمى من مرتبة الأمراء والحكام . .[1].

ج – مؤلفاته

حفظ التاريخ عن هذا الحكيم سبعة مؤلفات منها ثلاثة ،كتبها هو بقلمه لا يختلف في ذلك أحد من الباحثين . أما الأربعة الأخرى فلم تثبت نسبتها إليه والصحيح أنها من عمل تلاميذه ، مقتبسين تعاليمه وأرائه . ولما أحرق الإمبراطور " تـشين شـي هوانـغ " الكتب[2] لم تكن مؤلفات " منشيوس " معروفة مشهورة، بل كانت لا تزال غامضة خاملة لا يعرفها إلا الخاصة من أصدقائه . ولهذا نجت من الإحراق وظلت فـي حالـة جيـدة حتى وصلت إلى أيدي الباحثين ولكن هذه الكتب لم تفـز فـي ذلـك العـصر بالنجـاح والذيوع الجديرين بها ، والسبب في ذلك هو ما اشتملت عليه تلك المؤلفات من الثورة ضد الملوك وطغيانهم ونبذهم اشتراك الارستقراطيين معهم في الحكم ، ولم تكن هذه الثورة في كتب " منشيوس " وحده، بل جميع مؤلفات الأسرة (الكونفوشيوسية) المكونة من كبار تلاميذ (كونفيشيوس)، وكلهم من الارستقراطيين والنبلاء[3].

وقد جمعت مؤلفات منشيوس في كتاب " مـصنفات منـشيوس " ويعتبـر هـذا الكتاب من أعظم كتب الفلسفة الصينية القديمة على حد تعبيـر ول ديورانـت وإن كـان مختلفاً مع د/ غلاب في عدم ثقته بنسبة الكتاب إلى منشيوس حيث يقول عن منشيوس وكتابه: " وقضى أيام شيخوخته وضعفه في تعليم الطلاب وتأليف كتاب وصـف فيـه أحاديثه مع ملوك زمانه ولسنا واثقين من أن هذا الكتاب من تأليف منشيوس نفسه ، أو مـن تأليف تلاميذه ، أو أنه هو وتلاميذه قد اشتركوا في وضعه ، أو أنه مدسـوس علـيهم ، وكل ما نستطيع أن نقوله واثقين أن كتاب منشيوس من أعظم كتـب الفلـسفية الـصينية القديمة وأجلها قدراً " [1].

---

[1] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١- ص٩٦ -٩٧ بتصرف .

[2] سيأتي الكلام عن حادثة الإحراق هذه في الفصل الثالث من هذا الباب بإذن ا .

[3] الفلسفة الشرقية - د / محمد غلاب – ص ٢٧٨ – ٢٧٩ بتصرف .

[1] قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج٤ - ص ٨٠ .

كما ركز منشيوس في كتاباته على الرجل النبيل الذي رأى فيه الرجل الحقيقـي الفاضل الذي يصل إلى مرتبة السماء وقد وصفه منشيوس قائلاً: " إن من يطلق عليه الرجل الحقيقي هو الذي يقطن أوسع بيت تحت السماء ويتبوأ المراكز الوسطية الصحيحة ويـسير على أعظم درب في البلاد . وعندما يحقق طموحاته ورغباته الذاتية يسير مـع عامـة الشعب على ذلك الدرب ، وعندما يخفق في تحقيق طموحاته فإنـه يتمـسك بمبادئـه الذاتية بصورة منفردة ، ولا تجعله الثروة والجاه ماجناً مبذراً ولا يجعله الفقر والبؤس يغير عزيمته وإرادته، ولا يمكن أن تجعله القوة والسلطات يستسلم "[٢].

د – خلاصة منهج منشيوس :

انطلق منشيوس في فكره الاجتماعي والسياسي من صلاح الفطرة البشرية القائلـة بأن الإنسان خير بطبعه ، إلا أنه دعا الإنسان إلى العمل على تنمية نـوازع الخيـر ، بـالتثقيف والإرادة والصبر ، للوصول إلى سيطرة الكفايات الفكرية العقلية علـى كفايـات الطبيعـة العاطفية ، وهذه السيطرة العقلية على الطبيعة العاطفية لا تعني على الإطلاق كبتهـا بل قيادتها وتوجيهها الوجهة الحسنة لتكون مبعث خير للإنسان . وهـذا الخيـر للإنـسان لا يتحقق برأي منشيوس ، إلا بالتقيد بالمبادئ الخلقية الصالحة وبالـسلوك القـويم وبالتقاليـد القديمة التي اختطها الصالحون الأولون . وبذلك يظهر منشيوس تمسكه الـشديد بالمبـادئ وبالتقاليد القديمة المأثورة الصالحة ، على نحو أشد مما فعلـة أسـتاذه كونفوشـيوس . لذلك كان تأثيره كبيراً على الفكر الفلسفي الكونفوشيوسي على مدار التاريخ الصيني ، لما أتى به من إضافات –رئيسة وهامة - على فكر " كونفوشيوس " إذ إن فهمـه وشـرحه لآراء كونفوشيوس ، قد سيطر سيطرة كبيرة على كل الفكر الكونفوشيوسي[١].

كما تظهر إضافات منشيوس على الفكر الكونفوشيوسي في المجال السياسي عبر تطويره فكرة تفويض السماء للملوك ، إلى حد القول بحق الشعب في مقاومة الطغيان أي بحق الثورة . فضلاً عن ذلك ، تبدو إضافات منشيوس بوضوح عبر توسيعه فكرة تقييد الحكام بمبدأ تحقيق الرفاهية للشعب . [٢]

وأنظر المدخل في تاريخ الأديان – د/ سعيد مراد - ص١٩١ .

[٢] الصينيون المعاصرون – وو بن – ت: د/ عبد العزيز حمدي – ج ١ – ص ١٢٩ .

[١] انظر: الفكر الشرقي – يونج شوون – ت : د/ طلعت مراد ، و د: حميد علي – ص ١٠٢ .

[٢] انظر: الأخلاق والسياسة – د/ إمام عبد الفتاح إمام – ص ١٤٥ .

وهكذا فإن الأثر الفكري الكبير الذي قدمه منشيوس ، تجلى في عملية ربط التقاليد الأخلاقية والآداب وسلوك الحكام ، بتحقيق غايات تتعلق بمصالح العامة من الناس وليس بطبقة معينة . فأمور الخير والصلاح لم تعد عند منشيوس قواعد خلقية فاضلة فقط . بل أصبحت أيضاً مرتبطة ومحددة بغايات عامة يتوجب على الحكام إتباعها ، وإلا حل بهم غضب السماء التي سرعان ما يتغير عندئذ تفويضها في حق الحكم ، من خلال ثورة الشعب [٣].

يقول ديورانت: "وعقيدته عقيدة دنيوية خالصة ولا يكاد يوجد فيها شيء عن المنطق أو فلسفة المعرفة أو ما وراء الطبيعة وكان الذي يهم " منشيوس " هو أن يرسم طريقة للحياة الصالحة وتولى خيار الناس مقاليد الحكم ، وكان مبدؤه الأساسي أن الناس أخيار بطبيعتهم " [٤].

ومن أقوال منشيوس: " إن نزوع طبيعة الإنسان إلى الخير هو مثل نزوع الماء للحركة إلى أسفل ، وليس هناك أحد تنقصه هذه النزعة " [٥].

ويقول أيضاً : " إذا صار الناس أشراراً فهذا ليس من خطأ في طبيعتهم الأصلية والحق أن حس الرحمة موجود في جميع الناس ، وكذلك الحياء والاحترام وحس الصواب والخطأ ، وإن المحبة والإصلاح والضمير الخلقي لا تأتينا من الخارج لكنها تأتينا من فطرتنا "[٦].

وكان يرى أن الشر الموجود في العالم له ثلاثة مصادر:

١- الظروف الخارجية .
٢- التخلي عن الخير الفطري .
٣- عدم تغذية المشاعر والحواس بالمعرفة .

ومن أقواله : (لو أن شخصاً بذر بذوراً مثالية في أماكن متفرقة ، فإن البذرة التي تقع على تربة غنية مشبعة برطوبة كبيرة ستغل محصولاً وفيراً ، في حين أن التي تنمو

---

[٣] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة –د/ عمر عبد الحي- ص ٢٢٨ بتصرف .

[٤] قصة الحضارة – ديورانت – ت : محمد بدران – ج ٤- ص ٨٠ بتصرف .

[٥] انظر أديب صعب : الأديان الحية ، ص ٨٨ .

[٦] المرجع السابق - ص ٨٩ . هذه الفكرة سوف يأخذ بها فيما بعد الفيلسوف الفرنسي "روسو" ويبني عليها " العقد الاجتماعي " . أنظر: الديانات الوضعية الحية – د/ محمد العريبي-ص٢٤٣.

في تربة فقيرة ، ويصيبها قدر يسير جداً من المطر ، يكون محصولها سيئاً ، والناس كذلك يختلفون باختلاف البيئة التي ينشئون فيها) .

وقال: (الحاكم العاقل الذي يرغب في أن يكون شعبه فاضلاً عليه أن يهتم بالبيئة التـي ترعى الفضيلة ، لأن الفقر المدقع يترك ندوباً في عقول الناس وقلوبهم ، فضلاً على أنه يضنى أجسادهم) [١].

فلا عجب والحالة هذه إذا غضب هونج وو ، مؤسس أسرة منج ، حين قرأ الحديث الذي دار بين منشيوس والملك شوان ، فأمر أن يمحى أسم منـشيوس مـن مكانـه فـي هيكـل كنفوشيوس . وكانت لوحة تذكارية قد وضعت له في هذا المعبد بأمر ملكـي فـي عام ١٠٨٤ ، ولكن اللوحة أعيدت إلى مكانها ولم يمض عام واحد على إزالتهـا ، وظـل منشيوس من ذلك الوقت إلى ثورة عام ١٩١١م يعد بطلا من أبطال الصين وثاني اثنين ذاع صيتهما في جميع عهود تاريخها،وكان لهما أعظم الأثر في فلسفتها[٢].

---

[١] معتقدات أسيوية – د/ كامل سعفان - ص ٣٠١ .

[٢] قصة الحضارة – ديورانت – ت : محمد بدران – ج ٤ - ص ٨٣ بتصرف .

٢- هسون تزو (٢٩٨ – ٢٣٨ ق . م)

أ- حياته

تجمع المصادر الصينية على أن " هسون تزو " قد عاش بين عامي (٢٩٨ و ٢٣٨) قبل الميلاد . وكان من مواطني مملكة " تـشاو " (ومكانهـا جنـوب ولايتـي خـوبي وشانسي الحاليتين) . ودرس الحكمة في مملكة " تشي " . وهناك نبه ذكره وطار صيته ، فقلدته حكومة تلك المملكة منصباً رفيعاً . وكان بلاط هذه المملكة يضم ممثلين لكثير من المدارس الفلسفية ، فكان طبيعياً أن يحتدم الجدال بينهم . وقد أثار هسون تزو عداوة المفكرين الآخرين ، فاندفعوا للكيد له، فاضطر لمغادرة هذه البلاد إلى مملكة " تـشيو " جنوب الصين ، حيث عين قاضياً ، فما لبث أن عزل من منصبه ، ثم أعيد إليه بعـد فتـرة . وفي أخريات أيامه ، كرس معظم وقته للتدريس .

وتتلمذ على هسون تزو كثير من أقطاب الفكر الصيني في طليعتهم " هان فـي تزو " زعيم المدرسة التشريعية الفكرية القديمة ، و " لي سسو" رئيس الوزراء الذي عاون أول أباطرة " تشين " في توحيد الإمبراطورية وقد عاش حتـى رأى تـولى دولـة " تـشين " القوية تدمير الممالك الإقطاعية ، وما تلا ذلك من توحيد الصين بأسرها في ظـل حكومـة قوية[1].

توفي سنة ٢٣٨ وقيل ٢٣٥ ق . م وهو في سن السبعين .

ب- منهجه الفكري:

يعتبر هسون تزو من أكثر الفلاسفة الذين شهدهم العالم تألقاً . لكن أعـوزه الإيمـان بالجنس البشري [بمعنى أنه آمن بعجز الناس عن التفكير في قضاياهم الأساسية بمفـردهم وبدون توجيه وتعليم الحكماء لهم] . وانبنى على هذه الثلمة في منحاه التفكيـري ، إحباط أبدع جهوده وإبطال تأثيره الفكري إلى حد بعيد [2].

وهو لم يتجه إلى إنكار الغيبيات ، بل اقتصر على تجاهلها ، يقول: (إن طريق السماء ، وإن يكن عميقاً ، فإن هذا الإنسان يأبى أن يركز عليه عميق التفكير ، وهـو - وإن يكـن شـيئاً

---

[1] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل - ج ١ - ص ١٢٢ بتصرف .

وانظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج – هـ ج كريل – ت : عبدالحميد سليم – ص ١٤٧ و ١٦٦ .

[2] انظر: حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل - ج ١ - ص ١٢٣ .

عظيماً - لن يستخدم قدرته في تفحصه وبحثه ، وهو - وإن يكن حافلاً بالأسرار- يـأبى أن يتقصى أسراره)[١].

وأدان بعض الممارسات الدينية ، وعدها من قبيل الخرافات ، ومـن ذلـك : الـصلاة استجلاباً للمطر ، وطرد المرض بالرقى والتعاويذ، وقراءة بخت المرء من ملامح وجهـه ، لكنه أباح التنبؤ بالغيب ، شريطة أن تقوم التأويلات على العقل البـشري ، وأنكـر وجـود الأرواح الشريرة والأشباح الضارة .

وأصبحت أرواح الأسلاف وقوى الطبيعة عنده تجليات للسمو الخلقـي ، وبـالفهم الكامل للطبيعة يستطيع الناس في رأيه أن يسيطروا على الكون وعلى بيئـتهم[٢]. كـان يهاجم ميول منشيوس المثالية ، مفضلاً النظرة الواقعية للمشكلات

وقد رفض مبدأين أساسيين في فلسفة منشيوس : المبدأ القائل بالصلاح الفطري للطبيعـة البشرية ، والمبدأ القائل بأن السماء تراقب الأرض وتهتم بحياة الأفراد ، ومن ثم تفوض الملوك الصالحين لرعايتهم والاهتمام بهم .

هذا وقد كان من الملامح المميزة للفلسفة الصينية القديمة "تصحيح الأسماء" التي كانت تتعلق أساساً بأسماء الأعلام ومشكلاتها وكان هسون تزو واحداً من كبار الذين تصدوا لقضية تصحيح الأسماء ودعاء إلى جمع الأشياء معاً حسب درجة تشابهها وفصلها علـى حسب درجة إختلافها " وفي ظل هذا المناخ كان الاتجاه نحو التنظيم ، والذي قاد إلى أول أعظم نظام تصنيف للكتب في القرن الأول قبل الميلاد [٣].

ويعزو المؤرخ " سي ما - تشين " إقبال " هسون تزو " على الكتابة ، إلى الحـرص على مناهضة الخرافات والسحر والشعوذة التي سيطرت على أذهان معاصريه ، والمطالبة بالاحتكام للعقل وحده ، والاستناد إلى الأحكام التي تمليها طبيعة الكون وفطرة الإنسان . ولقد كره حكومات جيله وازدرى أمراء بلاده الأشرار، وانتقد تعلـق العامـة بـضروب السحر ومعرفة الطالع ، وخلف تراثاً ضخماً من مؤلفاته ، ويعتبر مجدداً لـشباب مدرسـة كونفوشيوس الفكرية [٤].

---

[١] معتقدات أسيوية - د / كامل سعفان - ص٣٠٢ .

[٢] المرجع السابق – ص ٣٠٣ .

[٣] الكتب والمكتبات في العصور الوسطى- د / شعبان عبدالعزيز- ص ٤٦١ .

[٤] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج ١ - ص ١٢٢ – ١٢٣ بتصرف .

=الإنسان شرير بالطبع :

يرى " أن البشر ولدوا شريرين ، وإن النفس البشرية أمارة بالسوء ، وإن ما تفعله من خير ليس مصدره الطبع بل التطبع " فما ينسب إلى الإنسان من خير ، هو شيء غير أصيل فيه ، شيء فيه تكلف وتصنع أكسبته إياه التربية والنظم التي إنما نشأ في أحضانها "[1].

لكنه في الوقت نفسه يؤكد أن في استطاعتهم أن يصبحوا أخياراً بالتربية والتهذيب الأخلاقي ، وتستمد التربية والتهذيب الأخلاقي في النصوص الكلاسيكية ومن النظر إلى حكماء الماضي ، باعتبارهم قدوة وهؤلاء الحكماء لا يختلفون عن سائر البشر في طبيعتهم ومواهبهم الأساسية، وإنما هم نماذج لما يمكن بلوغه بالفهم والبصيرة الأخلاقية ، إذا تم استخدام العقل استخداماً سليماً .

ومن الملاحظ أن الكونفوشيوسون الأوائل امضوا حياتهم في ظل دول إقطاعية متحاربة وتأثر منحاهم التفكيري بأوضاع عصرهم ، وصاغت المبادئ المثالية فلسفتهم ،أما هسون تزو فإن الحال يختلف فقد عاين استقرار أحوال البلاد، ولمس رسوخ الحكم – خصوصاً في آخر حياته - لكن الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشها قبل ذلك قد أثرت بشكل واضح على المنحى الذي اتخذه في فهمه لأفكار كونفوشيوس ، وقد طبعت تفكيره عموماً بطابع التشاؤم ، فخلال فترة الحروب الداخلية الطويلة ما بين الدويلات الصينية المختلفة ، انتهج الحكام سياسات غير أخلاقية ، بهدف تأمين مصالحهم الخاصة بأي شكل من الأشكال ، ولو أضر ذلك بالناس وقضى على مصالحهم العامة مما جعل الناس بالمقابل، يلجأون في سبيل تأمين حاجاتهم والدفاع عن مصالحهم، إلى إتباع مختلف الوسائل والأساليب المتاحة، ضاربين بعرض الحائط كل القيم الأخلاقية .

ومجمل هذه الوقائع هي التي حملت هسون تزو ، على الاقتناع بأن الإنسان مجبول بفطرته على سوء الطوية وعلى الشر ، وهي التي جعلته أيضاً ، يعتقد بأن القيم الأخلاقية الفاضلة التي يجب أن تسود المجتمع ، لا تنبثق تلقائياً من نفس الإنسان الخيرة ، كما يقول منشيوس ، بل تأتي من خلال التدرب والتعلم والتقيد بالسلوك المهذب القويم وبالآداب الفاضلة ،وذلك من أجل اقتلاع جذور الشر الكامنة في نفس الإنسان وإحلال بذور الخير مكانها[1].

---

[1] المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد مرحبا – ص ٢٨٢ .

و انظر: الفكر الشرقي – يونج شوون – ت: د/ طلعت مراد ، و د/ حميد علي – ص ١٠٧.

[1] انظر : الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ت: كامل يوسف – ص ٣٦٧- ٣٧ .

و التاريخ وكيف يفسرونه – آلبان . ج . ويد جيري – ت: عبد العزيز توفيق – ص ٤٩ .

وبذلك يكون هسون تزو قد أعطى للعقل والعلم والتدرب ، أهمية كبـرى فـي عملية تطوير الإنسان للذات البشرية .

ج- خلاصة منهج (هسون تزو)

لقد ألف كتاباً أطلق عليه اسمه ، يحتوي على اثنين وثلاثين فصلا تتـسم بـالترابط . والتناسق ، عكس كتاب " المختارات " الـذي يـضم أحاديـث كونفوشـيوس ومحاوراتـه وكتاب " منشيوس " .

وقد اعتنى علماء العصر الذي ظهر فيه هسون تزو بتأليف الكتب والمقالات ، رغبة في الحفاظ على المذاهب الفكرية سليمة للأجيال التالية .

وإن مما يجب تأكيده، هو أن مبدأه القائل بعجز الناس عن التفكير بالقضايا الأساسـية بمفردهم وبدون توجيه وتعليم الحكماء لهم ، يعني الاستسلام لفكرة إعاقة العقل عـن الوصول ذاتياً ومن خلال التجربة ، إلى تحقيق فعل التقدم والتطور ، كما يعني أيضاً ربط الفكر الإنساني بقيود الفكر السابق ، مما يحول دون التطلع إلى حل مـشاكل المجتمـع المتغيرة ، إلا من ضمن القوالب الفكرية السابقة . وهذا ما يحتم العجز عن إيجـاد الحلـول المناسبة للمشاكل الطارئة ، ويضع الفكر الإنساني في حالة تقوقع واجترار ، كمـا يمنـع قدرات الإنسان الفكرية من الإبداع المؤسس لكل تقدم وتطور ، صحيح أن هسون تزو طور الفكر المنطقي الفلسفي الكونفوشيوسي ولكنه بالمقابل ، قيـد هـذا الفكـر بالقوالـب الفكرية الجامدة .

يبقى القول بأن هسون تزو قد أوصل الكونفوشيوسية ، من خلال استخدامه أسلوب تفكير عقلي ومنطقي صارم ، إلى نوع من الفلسفة العقلية والمادية ، بحيث بات العقل البشري ، بالنسبة إليه ، مركزاً للكون . فقد قال بقدرة العقل على الوصـول إلـى الفهـم الكامل للطبيعة ، مما يجعل الإنسان قادراً على أن يسيطر على الطبيعة ويسخرها لخدمتـه عن طريق التنظيم الاجتماعي . ولذلك يمكن اعتبار هسون تزو من أكبر الفلاسـفة العقليـين في تاريخ الفلسفة الكونفوشيوسية ، بالرغم من نظرته القائلة بقصور العقل عـن الوصـول إلى معرفة الخير والأخلاق الفاضلة ، إلا بوجود أستاذ حكيم يدلّه على ذلك [١].

وبعد أن بينا مركز "منشيوس" و"هسون تسو" كشارحين من شراح منهج كونفشيوس وكممثلين لاتجاهين مختلفين من الاتجاهات الكثيرة التي انقسمت إليها الكونفوشيوسية [٢]،

---

[١] الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة –د/ عمر عبد الحي- ص ٢٥١- ٢٥٢ بتصرف .

[٢] ولكونهما أبرز الشخصيات ذكرناهما في البداية . . .

نذكر نخبة من أبرز مفكري الكونفوشيوسية الذين كان لهم دور في إثراء التراث الكونفوشيوسي ، ومنهم:

٣- تس سي (٤٨٣ – ٤٠٢ ق . م)

ولد سنة ٤٨٣ ق.م وتوفي سنة ٤٠٢ ق.م ، اسمه (كون جي) وهذا لقبه ، عارف كونفوشيوسي ، وهو حفيد كونفوشيوس ، وقد تلقى تربيته وتعليمه عند الأستاذ (تسنغ تس) - احد النوابغ الأربعة من تلاميذ كونفوشيوس – وذهب أكثر العلماء والمؤرخين إلى أنه مؤلف كتاب (سنة التوسط) ، وقد سمي بالنبي المعلق في العصور المتأخرة[٣].

٤- جشاو تشي (٢٠١ – ١٠٨ ق . م)

ولد في سنة ٢٠١ ق . م تقريبا وتوفي سنة ١٠٨ ق . م ، كان عالما متبحرا في الأسفار والكتب الكونفشيوسية وشارحا مدققا لكتاب منشيوس ، ومن أشهر مؤلفاته الجمل والفصول في كتاب منشيوس[٤].

٥- دونغ جشونغ شو (١٧٩ – ١٠٤ ق . م)

ولد سنة ١٧٩ ق . م وتوفي سنة ١٠٤ ق . م ،كان حكيماً كونفوشيوسياً وأستاذاً متبحراً في علم الأسفار والكتب الكونفوشيوسية ، ووزيراً مؤثراً، وفي عهد أسرة " هان " قبل العاهل الصيني " هان وو وي " اقتراح " دونغ " في أن تكون الكونفوشيوسية وحدها ديناً رسمياً تعتنقه الحكومة ومنع الأديان الأخرى ، فسيطرت الكونفوشيوسية على الحياة الدينية والفكرية والسياسية في الصين أربعة قرون من الزمان . ومن أهم نظرياته التفاعل بين " تيان " والإنسان والوحدة بينهما[١].

---

[٣] (المعجم المحيط الصيني– ص ١١١٨) .
أنظر:كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية - د / زهرة الدين طيب – ص ٧ .

[٤] القاموس المحيط الصيني – ص ١٩٤٤ .
أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١٧١.

[١] المعجم المحيط الصيني – ص ٥٩٩ .
أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١٤ .

وقد جاءت فلسفتة ردا على فلسفة "هسون تزو" بكون الفطرة في الإنسان ليست خيرة وهو ينطلق من مادة خام غير محددة يسميها (الـشينغ = القلـب) فلـيس كـل الأسماء تنطبق على المسميات فالشينغ ليس هو الخير المطلق ولا الشر المطلق وفوز الخيـر على الشر يتم بالعقل وفوز الشر على الخير يتم بالغريزة . فالـشر يوجـد بوجـود العقـل ففعل العقل يعني الدفاع عن الخير ضد الشر ، ولولا ذلك لما كانـت هنـاك حاجـة إلـى العقل .

وهناك من يرى أن (دونغ جشونغ شو) في نظريته الأخلاقية هذه يغلّب موقف البطالة والسلبية على الإنسان . . .(الفطرة الشريرة = الأفعال الشريرة) فمـا دام المجتمـع يتمتع بالفضيلة فلا لزوم لدفع العقل للبحث عن الخيـر وبالتـالي فـإن حركـة الحـدث الاجتماعي تحدده حركة الحدث الفردي وفعله ، وهذا قمة التفكير الذاتي (الأنـاني)[٢].

<u>٦- وانغ تشونغ (٢٧-١٠٠ للميلاد)</u>

من المفكرين اللاحقين الذين عرفتهم الكونفوشيوسية وانغ تـشونغ ولـد عام ٢٧م وتوفي عام ١٠٠م . وهو مفكر واقعـي عملـي ، مقـت التنظيـر ورفـض الخوارق التي ينطوي عليها الدين وكتب بأسلوب بسيط وفصيح معبراً عن نزعـة إنـسانية قوية ، حاول أن يصد نزوع الناس نحو تأليه كونفوشيوس واعتباره معصوماً عن الخطأ[٣].

---

[٢] تيارات الفلسفة الشرقية - محمد سليمان حسن – ص ٧٢ بتصرف .

[٣] الأديان الحية نشؤها وتطورها - أديب صعب – ص ٩١ بتصرف .

٧- تشنج هزيوان (١٢٧ - ٢٠٠ م)

عاش في عصر أسره هان ولد عام ١٢٧ وتوفي عام ٢٠٠ ميلادية ، كان لـه دور بالغ الأهمية في تفسير تعاليم الكونفوشيوسية ونشرها .[١]

٨- تسي هسيا (ولد سنة ٥٠٧ م)

ولد سنة ٥٠٧ م وأصبح فيما بعد من كبار المتفقهين في الدين الكونفوشيوسـي .[٢]

٩- تسي كنج (ولد سنة ٥٢٠ م)

ولد سنة ٥٢٠ م ، من كبار ممثلي الكونفوشيوسية في عصره ، كما أصبح فيمـا بعد من أعظم رجال السلك السياسي الصيني .[٣]

١٠- هان يو (٧٦٨ - ٨٢٤ م)

ولد سنة ٧٦٨ م وتـوفي سـنة ٨٢٤ م ، كـان أديبـاً وشـاعراً كبيـراً ، وحكيمـاً كونفوشيوسـياً ، مــن أشــهر مؤلفاتــه كتــاب (البحــث عــن الطريقــة) وكتــاب (العودة إلى الفطرة) ، وكان يدعو إلى التمـسك بالسلـسلة الأصـيلة التـي بـدأت مـن (ياو) وجددت في يد كونفوشيوس ، كما يدعو للدفاع عن الكونفوشيوسـية ضـد البوذية والطاوية[٤].

كان كونفوشيوسياً متحمساً ، وكان شديد العداء للطاوية والبوذيـة اللتـين كتـب ضدهما خطباً شهيرة ، كما أبدع في الجدليات والأبحاث الفلسفية الدينية . وعرف بدقة عباراته واستخدام قواعد اللغة ببراعة . كان هان يو مهووساً في تنصيب نفسه فيلـسوفاً .[٥]

---

[١] كونفوشيوس النبي الصيني . حسن سعفان ص ١٣١ بتصرف .

[٢] المرجع السابق – ص ١٣١ .

[٣] المرجع السابق – ص ١٣١ .

[٤] المعجم المحيط الصيني – ص ١٩٩٢ .

أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١٤ .

[٥] الأدب الصيني - أوديل كالتنمار – ت/ د . هنري زغيب – ص ٩٣ بتصرف .

١١– شاو يونج (١٠١١ – ١٠٧٧ م)

فيلسوف صيني كان له الأثر الكبير في تطوير الجانب المثالي من الكونفوشيوسية ، ويقال أن أبحاثه في الرياضة أثّرت في الفيلسوف الألماني ليبنتز ، انتمى في بداية حياته إلى الطاوية ، ورفض جميع المناصب الحكومية مفضلاً الاعتزال في صومعة متواضعة قرب مدينة " لويانج " يناقش الأصدقاء ويعكف على النظر الصوفي ، ثم اهتم بالكونفوشيوسية من خلال دراسته للكتابات الكلاسيكية الكونفوشيوسية ، فطور نظرياتها على نحو رياضي عندما ذهب إلى أن الأعداد هي أساس الوجود كله[١].

١٢– شو تون – آى (١٠١٧ – ١٠٧٣ م)

فيلسوف صيني يعد من المبشرين بالكونفوشيوسية الجديدة ، وهو المذهب الذي أصبحت أفكاره الأخلاقية والميتافيزيقية ممثلة للفكر الصيني لما يقرب من ألف عام[٢].

١٣– سي ما قوانغ (١٠١٩ – ١٠٨٦ م)

سي ما قوانغ ولد سنة ١٠١٩ م وتوفي سنة ١٠٨٦ م ، عارف كونفوشيوسي ومؤرخ كبير ووزير مهم في حكومة أسرة سونغ الإمبراطورية ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (الجامع للعبر في السياسة والحكم) وقد جمعت مقالاته في كتاب (الجامع لمؤلفات سي ما قوانغ)[٣].

١٤– تشانج تسيه (١٠٢٠ – ١٠٧٦ م)

ولد هذا الحكيم سنة ١٠٢٠ م وبدأ شبابه بالانخراط في سلك الجيش . ولما بلغ العشرين من عمره انكب على العلم في حماس شديد فدرس الكونفوشيوسية والبوذية دراسة عميقة انتهت به إلى تفضيل الأولى واعتناقها . ولما كان من المقربين من الإمبراطور فقد أتيحت له فرصة إلقاء المحاضرات فبرزت عبقريته بين مواطنيه ولكن هذا المجد لم يدم طويلا إذ لم تلبث صراحته واحتفاظه بكرامته أن دفعاه إلى الاختصام مع

---

[١] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ت: د/ إمام عبد الفتاح - ص ٣٦٠ .

[٢] المرجع السابق – ص ٣٦٠ . وسياتي المزيد حول الكونفوشيوسية الجديدة عند الحديث عن تطور الكونفوشيوسية

[٣] القاموس المحيط الصيني – ص ١٠٦ .

أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١٨١ .

وزير الدولة . وعلى هذا اعتزل مجال السياسة واعتكف في بيتـه يـدرس ويؤلـف حتـى توفي سنة ١٠٧٦م .

وقد كان له كتاب اسمه(تشينج - مونج) ومعناه: (الطريق الحق) وقد أشـتمل على مذهبه ويمكن تلخيصه فيما يلي :

أن الوجود مكون من الثنائية:

١- " كي " أي المادة المصقولة المزودة بالقدرة على الخلق . وتعرف علمياً بأنهـا مـا تقع تحت الحس وتقبل تعاقب الصور المختلفة عليها .

٢- "شين" أي الروح وتعرف بأنها " ما لا تحس ولا تقبـل الـصور " وينبغـي أن يلاحـظ أن المادة تحتوي على الروح في داخلها ، وأن لكل منهما اعتبارين متباينين ، أحدهما لكـل واحدة على إنفراد ، والثاني لها وهي مع الأخرى . كما يلاحظ أن اجتماعها هو الـذي تنشأ عنه الكائنات وانه بدون هذا الاجتماع لا ينشأ شيء منها.

وعنده أن المادة نشأت من كائن غير قابل للصور ولا تدركه حواسنا ، وهو الـذي يـسميه بالجوهر في ذاته ن وهو مرادف لما تسميه البوذية بالكل العام .

أما الأخلاق: فيرى أن الخير منحصر في الانسجام مع طبيعتنـا والتعـاطف مـع نزعاتنـا الفطرية التي هي خيرة بطبيعتها ولا ينالها الشر إلا عرضا[1].

١٥- الأخوان : تشنغ هاو (١٠٣٢-١٠٨٥م) و تشنغ يي (١٠٣٣-١١٠٧م)

"تشنغ هو" ولد في مدينة ليانج (عام ١٠٣٢م وتوفي بها عام ١٠٨٥ م)،وولد "تشنغ يي" (عام ١٠٣٣ م وتوفي ١١٠٧م)،وقد عملا معاً على تطوير الكونفوشيوسـية الجديدة في صورة مدرسة فلسفية منظمة ،وعلى الرغم من أن فلسفتهما تكاد تكـون واحدة ، فإن الأول اثر في الجانب المثالي من الكونفوشيوسية الجديدة ، في حين كـان للثاني أثره في تطوير مدرسة عظيمة تلخصها حكمته الشهيرة " المبدأ واحد لكن تجلياته متعددة "[2].

من أهم مؤلفات (تشينغ هاو): كتاب " تحديد الفطرة " ورسالة " معرفة الرحمة " وشرح كتاب " سنة التوسط " . ومن أهم مؤلفات (تشينغ يي): شرح كتاب " التغيرات "

---

[1] الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .

[2] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر - ت / د: إمام عبدالفتاح - ص ٣٦٠ .

. وقد جمعت أقوالهما ومؤلفاتهما في (الكتاب الجامع لمؤلفات الأخوين الشقيقين مـن أسرة تشينغ)[١].

١٦- جو شي (١١٣٠ – ١٢٠٠ م)

ولد سنة ١١٣٠ م وتوفي سنة ١٢٠٠ م واسمه جو شي ، وأشتهر بـالحكيم "جـو" كان حكيماً كونفوشيوسياً ، ومؤلفاً موسوعياً ، وشارحاً للكتـب الأربعـة المقدسـة فـي الكونفوشيوسية ، كان من اكبر مؤسسي مدرسة معرفة الفطرة والحقيقة التـي أحيـت الكونفوشيوسية في وقت ضعفت فيه كثيراً تحت هجوم البوذية والطاويـة ، وكانـت روحاً جديدة ، اعتبرت بعده مدرسة رسمية كونفوشيوسية ، سيطرت علـى الـصين إلـى سقوط المملكة المانشورية في مستهل القرن العشرين[٢]وهو من أعظم الفلاسـفة الـصينيين أثراً طوال ألف عام حيث سادت الكونفوشيوسية الجديدة التي طورهـا وسـيطرت علـى الحيـــاة العقليـــة فـــي الـــصين ثـــم أمتـــد أثرهـــا علـــى كوريـــا واليابان [٣].

وهذا الفيلسوف معدود مع "كونفيشيوس" و "منشيوس" من فلاسفة الصف الأول ، حيث يقول د/ محمد غلاب: "وفي الحق أن نظرة واحدة إلى أثر هذا الحكيم أو إلى عدد أنصاره الذين اعتنقوا مذهبه تجعلنا نوافق على رفعه إلى مرتبـة[منـشويس]. . . " [٤]. كان والده من ذوى المناصب الكبيرة في الحكومة ، فاعتنى بتربيته عنايـة فائقـة إلى حد أنه كان يتولى بنفسه الإشراف على سير منهجه الدراسي الذي كان كبار الأساتذة يباشرون تطبيقه .

وقد نجم عن هذه العناية أنه لم يكد يبلغ التاسعة عشرة من عمـره حتـى نـال شهادة العالمية من جمعية الأساتذة . وعلى أثر انتهاء ثقافته المدرسية ألقى بنفـسه بـين أحضان الثقافة الحرة فدرس جميع المذاهب والفروع " الكونفوشيوسية " و" البوذيـة " و" الطاوية " دراسة عميقة انتهت به إلى تكييف حياته على النحو الذي صح في نظره

---

[١] المعجم المحيط الصيني – ص ١٧٥٢.
أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ٢٩ .
[٢] المعجم المحيط الصيني – ص ٨١ .
أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١٢ .
[٣] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر - ت : د/ إمام عبدالفتاح - ص ٣٦٠ .
[٤] الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٣٠٨ .

بعد النقد الحر النزيه فرأى أن خير هذه المذاهب كلهـا هـو مـذهب " كونفيـشيوس " فاعتنقه بعد اقتناع ملك عليه مناحي نفسه .

ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين من عمره حتى عين مفتشا للوزارة، ولكن الإمبراطور أراد أن لا يحول بينه وبين مواصلة مجهوده في التأليف فأسند إليه رعاية أحـد المعابـد ، وهو في ذلك الحين منصب شريف ضخم المرتب قليل العمل . وبهذا أتيحت للشاب النـشط فرصة العكوف على البحوث العلمية فأنشأ في ذلـك العهـد مـن حياتـه أهـم كتبـه وأجدرها بالعناية . وفي (سنة ١١٧٨م) دعاه القصر وأسند إليه وظيفة المحافظ ولكنه لم يبقى في هذا المنصب إلا خمسة أعوام ، إذ أوحى إليه واجبه في (سـنة ١١٨٣م) بكتابة تقرير إداري فكتبه ثم أحس بعد كتابته أنـه أسـخط الإمبراطـور فـاعتزل منـصب المحافظ وعاد إلى رعاية معبده كما كان .

وفي (سنة ١١٨٨م) دعاه الإمبراطور وعرض عليه منصب وكالة وزارة الحربيـة فأراد أن يذعن لأمره ، ولكنه اكتشف في الحال مؤامرة تدبر ضده في القـصر فاعتـذر عن قبول هذا المنصب .

وبعد عام واحد من هذا التاريخ اعتلى العرش إمبراطور جديد فدعا ه وأسند إليه منصب المحافظ من جديد فقبله شاكرا وظل فيه إلى(سنة ١١٩٢م) حيث توفي ابنـه فحطم هذا الحادث قلبه واعتزل جميع المناصب وانسحب إلى مقسط رأسه وظل بعيـداً عن ضجيج الإدارة والسياسة ولكن إمبراطوراً ثالثاً صعد على العـرش فـي (سـنة ١١٩٤م)فدعاه إلى العاصمة وأسند إليه منصباً كان شاغله في تلك العصور يـدعى: " أول رجـال الدولة " وهو أفخم مناصب الحكومة على الإطلاق،فقبله وأخذ يـؤدي واجبـه خيـر تأدية حتى حقد عليه أحد أمراء البلاط في (سنة ١١٩٧م)فاتهمه بالزندقة والمروق عن المذهب القديم وتوصل بهذه التهمة إلى إقالته للمرة الأولى من منـصبه فـصعب ذلـك على نفس الحكيم وارتحل في الحال إلى مدينة " كيانج - يانج " وتبعه إليها نحو مائـة من أصدقائه وتلاميذه الذين ظلوا يتلقون عنه العلم غير مبالين بذلك الاتهام السخيف الـذي وجه إليه .

وفي (سنة ١١٩٩م)صدر قرار رسمي من القصر ببطلان الاتهام وبراءة الحكيم من كل ما نسب إليه . وبعد عام واحد من صدور هذا القرار توفي هذا الفيلسوف الكبير بعد

تلك الحياة الحافلة بالعلم والفلسفة . وقد سـار فـي جنازتـه عـدة آلاف مـن الخاصـة والمثقفين المعجبين به والعارفين بقدره . . .[١]

وقد كانت له عدة مؤلفات منها الكتب الأساسية ومنها الشروح والتعليقات علـى الكتب القديمة ، ومنها المحاضرات التي كان يلقيها على الطلاب في ظـروف مختلفـة والمحاورات التي كانت تدور بينه وبين تلاميذه أو بينه وبين خصومه . ومنها كتبه فـي النقد والطعن على المذاهب الأخرى أو الدفاع عن مذهبه ضد ما يوجهه إليه خصومه .

ومن حسن حظ هذا الفيلسوف في العصر الحـديث أن الإمبراطـور"كـانج - هـي" الملقب بحامي الأدباء قد أمر بطبع مجموعة من هذه
المؤلفات في (سنة ١٧١٣م) .

أكمل في (عام ١١٨٩م) شروحه الأربعة للنصوص الكونفوشيوسية وقد عرفـت هذه الشروح باسم " الكتب الأربعة للكونفوشيوسية الجديدة "[٢].

وهو الذي نشر الكتب الأربعة في المدارس الأولية والابتدائية فـي الـصين، وكـان يعتبـر الحجة الوحيدة في الآراء الكونفوشيوسية ،كما كان يعهـد إليـه بتـصحيح الامتحانـات المدنية التي كانت تؤهل للوظائف[٣].

كما قام بإيضاح المذاهب القديمة وجعلها في متناول أذهان جميـع المثقفـين على السواء فهو يقرر أن " كي " وهي المادة مشتملة على الروح ويسميها " سين " وليس " شين " كما سماها أسلافه ، وأن هذين العنصرين لا يخلو منهما أي كائن ، وأن الأول منهما خاضع للتطورات والاستحالات بينما الثاني ثابت لا يتطور ولا يتحول ولا تتعاقب عليه الصور ، وأنه هو عنصر حياة المادة وسبب قيامها بوظيفتها إلى غير ذلك مما قرره مؤسسو هذه المدرسة من قبل [٤].

---

[١] الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٣١٠ - ٣١١ بتصرف .

[٢] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر - ت : د/ إمام عبدالفتاح - ص ٣٦٠ .

[٣] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاتة سعفان – ص ١٣١ .

[٤] الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٣١٢ بتصرف .

وللمزيد انظر: المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد مرحبا – ص ٢٨٧- ٢٨٨ .

١٧- لو جيو يوان (١١٣٩ - ١١٩٣ م)

ولد سنة(١١٣٩ م وتـوفي سـنة ١١٩٣ م) ولقبـه (سـيانغ شـان) ، فيلـسوف كونفوشيوسي من عهد أسرة سونغ ، ومن أهم آراءه أن القلب هو الحقيقة ، وان القلـب وجود حقيقي وحيد ، وان العالم هو قلبي وقلبي هو العالم ، وقد جمعت آراءه في كتاب (الجامع لمؤلفات الحكيم سيانغ شان). وقد كان مخالفاً للحكـيم " جـو شـي "ومجادلاً له لمدة طويلة ، ومن ابرز تلاميذه " وانغ يانغ مينغ " وهو مؤسس مدرسـة (لو - وانغ)[1].

١٨- مو زونغ سان (١٩٠٩ - ١٩٩٠ م)

ولـد سـنة (١٩٠٩م وتـوفي سـنة ١٩٩٠م)، كـان أعظـم ممثـل للمدرسـة الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة ، وقد عمل مدرساً وأستاذاً في عدد من الجامعـات الكبيرة منها جامعة تايوان وجامعة هونغ كونغ ، وقد كان أول من أخترع مصطلح " المرحلة الكونفوشيوسية الثالثة " أي الكونفوشيوسية المحدثة المعاصـرة ، ولـه مؤلفـات كثيرة تبلغ ثلاثين كتاباً ، بين تأليف وترجمة ،ومن أشهرها الذات القلبيـة والـذات الفطريـة ونظرية تكميل الخير . وقد ادخل أسمه في موسوعة بريطانيا المختصرة[2].

هؤلاء ثمانية عشر شخصية من أبرز الشخصيات الكونفوشيوسية التـي جـاءت بعـد كونفوشيوس في أزمنة متفرقة ، وهؤلاء الأبرز وإلا فغيرهم كثيـر . وقـد حاولـت جهدي أن يحوي هذا الفصل أبرز الشخصيات وذلك من خـلال البحـث فـي عـدد مـن المراجع العربية والصينية-المترجمة- المتوفرة وأعترف أنني مهما بذلت من جهـد فلـن أحيط بجميع الشخصيات منذ وفاة كونفوشيوس إلى عصرنا الحاضر خلال خمسة وعشرين قرنا .

---

(١) القاموس المحيط الصيني – ص ٤١٥ .
أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١٧٨ .

(٢) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١١ بتصرف .

الفصل الثالث

تطور الكونفوشيوسية وافتراقها وتأثيرها في الحياة الدينية في الصين

وفيه :

١- المراحل التاريخية التي مرت بها الكونفوشيوسية
٢- التطور التاريخي للفكر الكونفوشيوسي
٣- أثر فكر كونفوشيوس على المجتمع الصيني
٤- تأثير الكونفوشيوسية على الأديان الأخرى في الصين
٥- الكونفوشيوسية في آسيا
  أ- الكونفوشيوسية اليابانية
  ب- الكونفوشيوسية في كوريا
٦- أثر فكر كونفوشيوس على أوربا

١– المراحل التاريخية التي مرت بها الكونفوشيوسية

هناك تقسيمين للمراحل التاريخية التي مرت بها الكونفوشيوسـية إلـى اليوم،تقـسيم مجمل ، وتقسيم مفصل :

أ– التقسيم المجمل :

وقد مرت فيه الكونفشيوسية بثلاث مراحل رئيسية هي :-

١- مرحلة الكونفوشيوسية الأصيلة قبل تأسيس مملكـة (تـشين) : وتبـدأ هـذه المرحلة من بداية عهد الأنبياء الملوك في تاريخ الصين القـديم - (٢٣٥٦ ق.م) تقريباً- وتمر بعصر كونفوشيوس وتلاميـذه وحفيـده (تـس سـي)[١] حتـى منـشيوس(٣٧٢-٢٨٩ ق.م)[٢]، وتتميـز هـذه المرحلـة بخـصائص التأسـيس ، والتجديد وتحرير الأسفار، والكتب المقدسة .

٢- مرحلـة الكونفوشيوسـية المحدثـة فـي عهـد أسـرة (سـونغ) وأسـرة (مينغ) الملكيتين وقد ظهرت جماعة من الحكمـاء والعلمـاء فـي هـذه المرحلة لإحياء الكونفوشيوسية في روح جديدة في هـذا العهـد ، وكـان أشهرهم الحكـيم جـو شـي(١١٣٠- ١٢٠٠ م)[٣] ، وتتميـز هـذه المرحلـة بخصائص الرد على البوذية ، والطاوية ، والاهتمام بمعرفة الفطرة والحقيقـة من مدرسة،ومعرفة القلب والفطرة من مدرسة أخرى،وتعيين الكتب الأربعـة ككتب مقدسة أساسية،كما ألزمت الحكومة المركزية كل مـن يرغـب فـي الاشتغال بالوظائف والمناصب الحكومية أن يدرسها ويختبر فيها حتى أصـبحت الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للحكومة .

٣- مرحلة الكونفشيوسية المحدثة المعاصرة : حيث ظهـر جماعـة مـن العلمـاء والمفكرين في بداية القرن العشرين للدفاع عن الثقافة الصينية بصفة عامـة ، والكونفوشيوسية بصفة خاصة التي كادت أن تضمحل تحت تـزاحم التبـشير ، وانتشار الأفكار الغربية في أرض الصين - وعلـى رأسـها الماديـة الماركـسية ، ونظرية التطـور الـدارويني، والأفكـار الإلحاديـة - ومحاولـة إحيـاء التـراث الكونفوشيوسي في هذا العصر ، ولعل أشهر العلماء في هذه المرحلة هـو الأستاذ "مو زونغ سان" (١٩٠٩ - ١٩٩٠ م) وتتميز هـذه المرحلـة بخـصائص

---

(١) سبق الكلام عنه في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٢) سبق الكلام عنه في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٣) سبق الكلام عنه في الفصل الثاني من هذا الباب .

التمسك بالأخلاق المشرقة ، والدفاع عن دينية الكونفوشيوسية والتأكيد على عقيدة الوحدة بين " تيان " والإنسان، وضرورة الرجوع إلى روح الكونفشيوسية الأصلية المتمثلة في تعاليم الأنبياء الملوك الأقدمين وبالأخص كونفوشيوس نفسه ومن بعده مثل " تس سي " و "منشيوس" لإحياء الحياة العلمية ، وتجديدها حتى تتمشى مع روح العصر .

وقد نشأت الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة في خارج الصين ، ولكنها نشطت داخل الصين منذ الثمانينات من القرن الماضي ، وجذبت أنظار الكثير من الصينيين إليها . [١]

ب- التقسيم المفصل :

أما التقسيم المفصل فيرى أن الكونفوشيوسية قد مرت بست مراحل رئيسية وهي :-

١- المرحلة الأولى :

و تسمى عند الكونفوشيوسيين باسم السلسلة الأصيلة للطريقة ، وتعنى بها بداية الطريقة الكونفوشيوسية منذ أعظم الأنبياء الملوك ياو[٢]حتى كونفوشيوس نفسه ، وتمتد هذه المرحلة خمسة عشر قرنا من الزمان تقريباً في رأي منشيوس حيث قال : " تمتد من (ياو) و (شون) إلى (تانغ) خمسة قرون وبضع سنوات . . . وتمتد من (تانغ) إلى (وون وانغ) خمسة قرون وبضع سنوات . . . وتمتد من (وون وانغ) إلى كونفوشيوس خمسة قرون وبضع سنوات . . . وأما كونفوشيوس فسمعها وعرفها "[٣].

يعرف من هذا النص الذي ورد في رابع الكتب الأربعة المقدسة أن الكونفوشيوسية تؤمن بأن طريقتها طريقة ذات سلسلة أصيلة عريقة ، تمتد خمسة عشر قرنا من الزمان من (ياو) إلى كونفوشيوس ، ويتضح من هذا أنهم يعتقدون أن كونفوشيوس ليس أول من وضع هذه الطريقة التي تسمى بـ " الكونفوشيوسية " بل لها أصالة تبدأ من تاريخ الصين القديم ، بقي أن نشير هنا إلى أن الذين ورد ذكرهم فيما ذكره

---

(١) كتاب الكونفشيوسية المحدثة المعاصرة - فونغ زو شينغ - ص ١٨٢-١٨٧ ، مطبعة (سان ليان) ، بكين ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٩م .
انظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب – ص ١٣ .

(٢) (ياو) : (٢٣٥٦ ق .م - ٢٢٥٥ ق . م) تقريبا ، وترى الكونفوشيوسية أنه أعظم الأنبياء الملوك في أرض الصين، وأن الطريقة الكونفشيوسية بدأت منه أولاً (القاموس المحيط الصيني ، ص ٦٥٥) .

(٣) كتاب منشيوس ، الفصل الرابع عشر .

منشيوس في النص –- السابق - كلهم كانوا من الأنبياء الملوك في رأي الكونفوشيوسية ، مثل : (ياو) .

٢- المرحلة الثانية :

وهي ما تسمى عند هم بمرحلة كونفوشيوس - منشيوس ، وتعني عندهم تلك المرحلة المهمة التي جدد فيها كونفوشيوس وتلاميذه وحفيده (تس سي) ومنـشيوس هـذه الطريقة القديمة ، وهي تمتد من القرن الخامس ق . م إلى القرن الثالث ق . م .

٣- المرحلة الثالثة :

وهي ما تسمى عندهم بمرحلة دراسة الأسفار والكتب في عهد أسرة (هان) الملكيـة ، وتعني عندهم المرحلة المهمة التي قامـت بدراسـة وتفـسير وشـرح الأسـفار والكتـب الكونفشيوسية المقدسة ، والتـي أصـبحت فيهـا الكونفوشيوسـية دينـا رسـميا تعتنقـه الحكومـــة بفـــضل جهـــود العـــارف الـــوزير دونـــغ جـــشونغ شـــو (١٧٩ –١٠٤ ق . م)[1] الذي دعا إلى " تعظيم الكونفوشيوسية وحدها " فسيطرت على الحياة الدينية والفكرية والسياسية لكافة بلاد الصين أربعة قرون من الزمان .

٤- المرحلة الرابعة :

وهي ما تسمى عندهم بمرحلة الكونفوشيوسية في عهـد أسـرة (تـانغ) الملكيـة ، وتعنى عندهم المرحلة التي قاومت فيها الكونفوشيوسية زحف البوذية - التي دخلت إلى الصين من الهند - وانتشارها في أنحاء البلاد ، والطاوية التي نالـت مكانـة مرموقـة في المجتمع الصيني في ذلك العصر ،

وكان أشهر شخـصية كونفوشيوسـية فـي هـذه المرحلـة هـو " هـان يـو " (٧٦٨ - ٨٢٤ م)[2] الذي اشتهر بكتابه المعنون بـ (البحث عن الطريقة) وقد أكد على ضرورة إتباع السلسلة الأصيلة للكونفوشيوسية، وكان له الفضل في إعطاء المكانة

---

(١) سبق الكلام عنه في الفصل الثاني من هذا الباب .

(٢) سبق الكلام عنه في الفصل الثاني من هذا الباب .

الخاصة لفصل المعرفة الكبرى ، وفصل سنة التوسط من سفر الشريعة والحفاظ على الكونفوشيوسية ، والرد على البوذية والطاوية .

٥- المرحلة الخامسة :

وهي ما تسمى عندهم بمرحلة الكونفوشيوسية المحدثة ، أو مرحلة معرفة الحقيقة في عهد أسرة (سونغ) ، وأسرة (مينغ) الملكيتين (وقد سبق الكلام عن هذه المرحلة) .

٦- المرحلة السادسة :

وهي ما اشتهرت في عصرنا الحاضر بمرحلة الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة فهي المرحلة الراهنة للكونفوشيوسية [1] (وقد سبق الكلام عن هذه المرحلة إجمالاً) وسيأتي مزيد من التفصيل بإذن ا في الباب الثالث الفصل الخامس .

<u>٢- التطور التاريخي للفكر الكونفوشيوسي:</u>

يمكن إيجاز التدرج التاريخي للفكر الكونفوشيوسي في النقاط الآتية :-

١- قام كونفوشيوس بنقل أفكار الأقدمين وآرائهم ومعتقداتهم وكتب ذلك بلغة عصره وعمل على تلقينها لثلاثة آلاف تلميذ.

٢- العبادة في عصره كانت لإله السماء أو الإله الأعظم، ثم إله الأرض وتقديس الملائكة وعبادة أرواح الأجداد.

٣- عندما مات كونفوشيوس دفن على مقربة من نهر استس في شمال المدينة حيث تكاثر الناس حول قبره شيئاً فشيئاً مشكلين قرية كونج .

٤- ثم أخذوا يعقدون حول قبره الاجتماعات والندوات العلمية .

5- بنوا معبداً قرب قبره ،ثم اخذوا باستلهام أفكاره ، ثم وصلوا إلى تقديسه[2].

---

[1] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية- د/ زهرة الدين طيب– ص ١٢- ١5بتصرف .
وأنظر: الفلسفة الشرقية – ريتشارد – و بورن – ت: إمام عبد الفتاح – ص ١٠٥ .

[2] معتقدات آسيوية – د/ كامل سعفان – ص ٢٦٩ وص ٢٨٦ بتصرف .

٦- ولم يمضي على موته زمن طويل حتى ميزوه بلقب "الإله الأسمى"[١].

٧-الفيلسوف مو تزي (٤٧٠-٣٨١ ق . م) أضاف فكرة جديدة وهي تشخيص إله السماء بشخص عظيم يشبه الآدميين.

٨- وضع على قبره لوحة من عهد أسرة " سنج " عليها لقبه الذي خلعته عليه ملوك تلك الأسرة :" هذا قبر أحكم معلمي الصين القديمة ، الملك الكامل العالم بكل شيء " (والكمال المطلق والعلم الكامل لا يكون إلا سبحانه وتعالى) .
٩- لاقت الكنفوشيوسية اضطهاداً في عهد الإمبراطور "تشين شي هوانغ" صاحب سور الصين العظيم، وقد استمر الاضطهاد من سنة ٢١٢ ق . م إلى ٢٠٧ ق . م ، وقد أقدم على إحراق كتبهم وإعدام ودفن علمائهم وهم أحياء ، وبلغ عدد المدفونين أحياء ٤٦٠ فيلسوفاً [٢].

وبعد عدة سنوات قضاها الشعب الصيني في الخوف والرعب والهلع - مات الإمبراطور فأخرج الناس الكتب التي أخفوها ، وأقاموا عيدا كبيرا احتفالا بذكرى كونفوشيوس وأتباعه وبالكتب المقدسة التي تم إنقاذها. ومنذ ذلك الوقت أصبح اسم كونفشيوس الذي أراد له الإمبراطور أن يندثر أصبح أعز على الناس من ذي قبل وأصبحت ذكرى الإمبراطور نفسه هي الكريهة المحتقرة في كل مكان .

ولم يكد الطاغية يزول حتى أعتلى عرش الصين أباطرة من أسرة " هان " زاد انتعاش البلاد في عهدهم وازدهرت ، وأخذ الأباطرة الجدد يناصرون كل ما من شأنه توطيد الأمن والسلام وإحياء التقاليد القديمة ومن جديد عاد مذهب كونفوشيوس إلى الازدهار "[٣].

١٠- في سنة ٢٠٧ ق . م . قام الناس بثورة مما أعاد التقدير إلى أتباع الكونفوشيوسية ودفع الأباطرة لإعادة صياغة كتبها .

---

[١] كونفوشيوس النبي الصيني - د / حسن شحاتة سعفان - ص ١٣ .
[٢] قصة الديانات – سليمان مظهر- ص ٢١٨-٢٢٠ بتصرف .
[٣] المرجع السابق - ص ٢٠١ -٢٠٥ بتصرف

١١- أخذ أتباعه يقدسونه حتى عبد عبادة في عهد الإمبراطور الأول لأسرة "هان" حوالي سنة ٢٠٦ قبل الميلاد،إذ كانوا يعبدون كونفوشيوس ويقدمون القرابين عند معبده من أبقار ونعاج وخنازير وأصبح لزاماً على الوزراء وكبار الموظفين ورجال الدولة أن يزوروا قبره ومعبده قبل أن يتسلموا مهام وظائفهم الجديدة[١].

وظهرت لدى الكونفوشيوسيين نزعة التدين بأن ألهوا الملك القديم (ياو) كالإله الأعلى وقدسوا كنفوشيوس اعتقاداً منهم بأنه تلقى الوحي من الإله الأعلى ورفعوا كنفوشيوس إلى مقام الإله باعتباره إلهاً بين الناس على الأرض وانطلقوا يعبدونه ولكن هذه النزعة لم تستمر طويلاً واختفت في القرن الأول بعد الميلاد ، حيث تغلب عليها العقلاء داخل المدرسة ، وأعادوا كنفوشيوس إلى مقام المعلم الحكيم مرة أخرى .

ونزعة التأليه هذه كان لها أثر كبير على نشأة الديانة الطاوية ، إذ أن الكهنة ورجـال الدين لما رأوا ما فعله أصحاب كنفوشيوس من تأليهه حذوا حـذوهم وبـدأوا يؤلهـون "خانغ دي " ويقدسون "لاو تس" حتى نشأت الديانة الطاوية فيما بعد[٢] .

١٢- عندما جاء الأمبراطور وو تي(١٤٠- ٨٧) ق.م اتخذ من الكونفوشيوسية ديناً رسمياً للدولة الصينية . [٣]

وكان جهد الباحثين الكونفوشيوسيين في هذه الفتـرة أن يـضعوا هـذه الفلـسفة موضع التطبيق والممارسة وليس المزيد من تطويرها .

١٣- وتحت حكم الإمبراطور (هس وان) الذي حكم من ٧٣ إلـى ٤٩ ق . م، دعـى مجلس من ثقات الكونفوشيين ليناقش - على مدى ثلاث سنوات - مشكلات تأويل الآداب الكلاسيكية ، وكتبت مداولات المجلس في مذكرة رفعت إلى الإمبراطور . . وفي عام ٥١ ق . م صدق الإمبراطور على مضمونها ، ومنذ ذلك الحين استقرت عقيـدة رسـمية ،

---

[١] حكمة الصين - د / فؤاد شبل – ج١- ص ٨٥ .

و موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين – جوزيف نيدهام – ت/ محمد غريب –ص ١٤٦.

[٢] عقيدة الإلوهية في الديانة الداوية . أيوب نور الحق . ص ١٤- ١٥ .

[٣] انظر: فلاسفة الشرق – و . ف . توملين – ت: عبد الحميد سليم – ص ٣٠١ .

و الكتب والمكتبات في العصور الوسطى- د / شعبان عبدالعزيز- ص ٤٥٥ .

وتأويل رسمي للآداب الكلاسيكية الكونفوشيوسية التي أصبحت لها سـلطة رسـمية فـي الحكومة .[1]

١٤- دخلت البوذية إلى الصين في تلك الفترة،وقد تكبد الكونفوشيوسيون عناء مجابهتها لتقليص دورها ونفوذها [2]، وكانت البوذية قد جذبت إليها نظـر كثيـر مـن المثقفـين الصينيين ، وترجمت إلى اللغة الـصينية وأدخلـت إليهـا بعـض التعـديلات لكـن تميـزت الكونفوشيوسية بجذورها الصينية العميقة وبأنها أصبحت فلسفة الدولة رسميا .

١٥- ومع الاعتراف الرسمي بالكونفوشيوسية وسيطرتها على البلاط الإمبراطوري إلا أنها لم تسيطر عليه سيطرة مطلقة - إذ كان للآراء الطاوية مريدوها وكانت تجـد هـوى فـي نفوس العامة وذلك لامتزاجها بالأساطير والخرافات الشعبية . ورغم إيمان الكونفوشيوسـيين الوطيد بوجوب توليهم مناصب الحكم الرئيسية عزفوا عن الاهتمام بالمـشكلات الدنيويـة المتصلة بإدارة الإمبراطورية ، فهم في شغل شاغل بالمـسائل المتـصلة بـالطقوس والأدب والغيبيات [3] .

١٦- وفي عصر أسرة " هان " ظهرت بعض المؤلفات تصف كونفوشيوس
بأنه إله وأنه ابن إمبراطور أسطوري أسود اللون وتزعم بأن الأرواح تحوم
فوق مكان ولادته " والسبب في تعلق الكونفوشيوسية بالخرافات مرده سيطرة هـذه الفلسفة على العقول سيطرة عارمة ، ورغبة أساتذتها في أن يتبوءوا مكانا ممتـازا فـي المجتمع مثل كهنة العقائد الدينية " [4].

١٧- قام الكونفوشيوسيون بثورة عارمة في موطن كونفوشيوس ضد الإمبراطور " وو" لعزوفه عن تعاليم كونفوشيوس وأمثاله لنصائح مدرسة المشرعين ، لكن الإمبراطور أخمد هذه الثورة التي راح ضحيتها عشرة آلاف شخص حيث أمر بإعدامهم .

١٨- أيضا في عهد أسرة " هان " لم تبقى الكونفوشيوسية على نقائهـا وخلوصـها بـل تمازجت بها عناصر الطاوية وبمبادئ من فلسفة المشرعين ومن آراء مدرسـة مـوتزو . . . ورويدا رويدا أصبح على الكونفوشيوسية التي ثقفت الأسرة الحاكمة في أسرة " هـان " وغلب عليها التشدد في التشريع والاعتقاد فقد كان عليها أن تنحي لتخلي السبيل أمـام

---

[1] معتقدات آسيوية – د/ كامل سعفان – ص ٣٠٥ .
والمعتقدات الدينية لدى الشعوب - جفري بارندر- ت: د/ إمام عبد الفتاح - ص ٣٤١ .

[2] أنظر : الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ت: كامل يوسف – ص ٣٩٨ .

[3] حكمة الصين - د / فؤاد شبل – ج١- ص ٣٠١بتصرف .

[4] المرجع السابق - ص ٣٠٤ بتصرف .

كونفوشيوسية ذات نزعة تأملية عقلانية أصرح ، تمكنت أن تجعل أتباعهـا أكثـر تعاطفـا مع دقائق الفكر البوذي [1]، وهي الكونفشيوسية الجديدة .

١٩- في عام ٢٦٧م صدر مرسوم بوجوب تقديم القرابين العظيمة لكونفشيوس أربع مرات في العام .

٢٠- في سنة ٤٢٢م أقيم معبد لكونفوشيوس في تشي فو حيث يوجد قبره .

٢١- في سنة ٥٠٥م أقيم معبد آخر في العاصمة ، وأصبحت كتبه تدرس

في المدارس على أنها كتب مقدسة .

٢٢ - وفي عام ٥٥٥م صدر مرسوم يقضي بإقامة معبد لكونفوشيوس في المدن الكبرى في كل ولاية .

٢٣- وفي سنة ٦٣٠م أمر أحد الأباطرة ببناء معابد مزودة بتماثيل لكونفوشيوس في جميع أنحاء الإمبراطورية، كما أمر بإنشاء كليات لتعليم آراء كونفوشيوس الذي أصبح رمزاً للوحدتين السياسية والدينية.

٢٤- وفي عام ٦٦٥ م لقب كونفوشيوس بالأستاذ الأعظم أو أنبل الأساتذة.

٢٥- في سنة ٧٣٥م منح كونفوشيوس لقب (ملك).

٢٦- في سنة ١٠١٣م منح لقب القديس الأعظم أو أقدس القديسين[2].

٢٧- في سنة ١٣٣٠م منح الأفراد المنحدرين من سلالته رتبة الشرف وصاروا يعدون من طبقة النبلاء.

٢٨- في سنة ١٥٣٠م بدلت التماثيل الموجودة في المعابد بصور ولوحات حتى لا تختلط الكونفوشيوسية بالوثنية[1].

---

[1] المعتقدات الدينية لدى الشعوب - جفري بارندر - ت : د/ إمام عبد الفتاح - ص ٣٥٠ بتصرف .

[2] قصة الديانات – سليمان مظهر – ص ٢٢١ .

و الأديان الحية نشؤها وتطورها - أديب صعب – ص ٩٣ .

٢٩- وكان أباطرة بيت " مانشو " ينحنون أمام تمثاله إجلالا واحتراما ، وقد أطلقـوا عليـه عام ١٦٧٥م اسم " أحكم الأساتذة الأقدمين "[٢].

٣٠- ولم تزل عبادته قائمة إلى العصور المتأخرة - بل إلى الوقت الحاضر- وقد خصوه في سنة ١٩٠٦م بمراسم قربانية كمراسم الإله الأكبر " شانج تـي" إلـه الـسماء لأنـه فـي عرفهم " ند السماء " .

٣١- " واستمرت التعاليم الكونفوشيوسية عبر القرون والأحقاب موضع تبجيل ولها تأثيرهـا الطاغي - لا في الصين وحدها - بل في كوريا واليابان والهند والـصين ، وتجـاوز تـأثير آرائه الشرق الأقصى ، فوصل إلى أوربا الغربية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر "[٣].

٣٢- في سنة ١٩٠٥م بدأ نجم الكونفوشيوسية بالأفول، حيث أُلغي الامتحان الديني الذي كان يعتبر ضرورياً للتعيين في الوظائف .

٣٣- في سنة ١٩١٠م ظهر شهاب هالي في الأجواء الصينية فاعتبر ذلك استياء من الآلهة على أسرة مانتشو التي بلغ الفساد في عهدها قمته مما أدى إلى ثورة شعبية انتهت بتنازل الإمبراطور عن العرش سنة ١٩١٢م وتحول الصين إلى النظام الجمهوري مما أدى إلى اختفاء الكونفوشيوسية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت ماثلة في الأخلاق والتقاليد الصينية.

٣٤- في سنة ١٩٢٨م صدر قرار بتحريم تقديم القرابين لكونفوشيوس ومنع إقامة الطقوس الدينية له .

---

[١] كونفوشيوس-النبي الصيني- د/ حسن شحاتة سعفان - ص ١٢٣- ١٢٤ بتصرف .

[٢] الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتاوي _ ص ١٤٥ .

وانظر: الكونفوشيوسية – سليم المسلمي- ص ١٣٦ – ١٤٠ .

[٣] حكمة الصين - د / فؤاد شبل –ج١ - ص ٨٥ .

٣٥- عندما استولى اليابانيون على منشوريا عادت الصين إلى استنهاض الهمم بالعودة إلى الكونفوشيوسية وعاد الناس في عام (١٩٣٠ - ١٩٣٤م) إلى تقديم القرابين مرة ثانية، كما أعيد تدريس الكونفوشيوسية في كل مكان لاعتقادهم بأن نكبتهم ترجع إلى إهمالهم تعاليم المعلم الأكبر .

٣٦- وفي نفس التيار الذي يستهدف أحياء الكونفوشيوسية سارت " حركة البعث الجديد " التي كان يتزعمها الجنرال تشانج كاي شك،والتي كانت تتعصب للدين الكونفوشيوسي ، حيث كان يعتقد القائمون بها أنها أمنع سد يمكن أن يقف دون تيار الشيوعية الجارف . واستمرت هذه الحركة البعثية للتعاليم الكونفوشيوسية حتى بعد قيام الحرب العالمية الثانية وحتى استطاعت الشيوعية أن تكتسح قوات الكومنتانج وتسيطر على الصين نهائياً (سنة ١٩٤٩ م)[١].

٣٧- بعد أن سيطرت الشيوعية على الصين ، بدأت الخلافات بالظهور شيئاً فشيئاً - بين الصين والاتحاد السوفيتي - مما أوجد تبايناً بينهما ، كما عملت الروح الكونفوشيوسية على تغيير معالم الشيوعية في الصين مما جعلها أبعد ما تكون عن الشيوعية الروسية وبعد موت الزعيم الصيني الشيوعي الشهير (ماو تسي تونج) بدأ التراجع عن الشيوعية في الصين، وبدأت رياح الغرب تهب عليها[٢].

٣٨- نشرت مجلة الحزب " العلم الأحمر " في عددها الصادر في شهر فبراير عام ١٩٧٤م ١٦ مقالا منها ١٢ مقالا ضد كونفوشيوس !.

وفي تلك الفترة قامت دائرة المعارف البريطانية بمهاجمة كونفوشيوس وقالت إن فلسفة هذا العالم الحكيم سلبية وأنه ساد تفكير الصين أكثر مما سادتها الحقيقة ! كما صدرت (٤) كتيبات تهاجم نظرية كنفوشيوس وتعاليمه وآراءه وقد طبعت إحدى المقاطعات مليونا ونصف مليون نسخة من هذه الكتيبات . وفي مقاطعة " يي آن " مهد الثورة نشر طلاب أحدى المدارس الثانوية ٣٩٠٠ مقالاً ضد كونفوشيوس ![٣].

---

[١] كونفوشيوس-النبي الصيني- د/ حسن شحاتة سعفان – ص ١٢٦ .

[٢] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – م٢ - ص ٧٥٠ - ٧٥١ .

[٣] ولا عجب إلا الصين - محسن محمد - ص – ٨٩ بتصرف .

٣٩- تشهد الصين هذه الأيام عودة للكونفوشيوسية وذلك على المستوى الحكومي والشعبي ، إلى جانب أنها تمثل الأساس الرئيسي للنظم الاجتماعية في فرموزا (الصين الوطنية)[١]، ولا أدل على ذلك من الاهتمام البالغ بإقامة عيد ميلاد كونفوشيوس كل عام ، وقد جعلوا يوم ميلاده - وهو السابع والعشرين من أغسطس عيدا قوميا يحجون فيه إلى مسقط رأسه ، برعاية الحكومة (وينوب عنها موظف كبير في حفل الصلاة) وحضور أتباع الكونفوشيوسية من أرجاء الصين والدول الأخرى .

٤٠- كما تقام بين الفينة والأخرى مراكز للدراسات الكونفوشيوسية خارج الصين إلى جانب المراكز الموجودة في الداخل [٢] ومنها الموجود في هونج كونج ومعهد كونفوشيوس في سيول عاصمة كوريا الجنوبية والذي أسس في نوفمبر عام ٢٠٠٤م ومعهد كونفوشيوس في العاصمة السويدية ستوكهولم في فبراير ٢٠٠٥م ، ومعهد كونفوشيوس في فرنسا في يونيو ٢٠٠٥م .

كما يسعى مكتب فرقة القيادة لتعليم اللغة الصينية الموجه إلى الخارج الذي أسس في عام ١٩٨٧م - لإنشاء مائة معهد مثل معهد كونفوشيوس في إنحاء العالم [٣] .

وسيأتي المزيد في الباب الثالث الفصل الخامس بحول ا .

---

[١] كونفوشيوس-النبي الصيني- د/ حسن شحاتة سعفان – ص ١٢٦ .

[٢] حيث هناك على سبيل المثال مركز متكامل للدراسات الكونفوشيوسية في جامعة المعلمين بمدينة (تشي فو) مسقط رأس كونفوشيوس وقد قابلت مدير المركز ونائبه ووضحوا لي نشاط المركز ومشاركاته حتى خارج الصين ، كما يوجد في "تشي فو" أيضاً مركز كونفوشيوس الحضاري – ومعبد كونفوشيوس – وقصور أسرة كونفوشيوس – ومقبرة أسرة كونفوشيوس التي بها قبره – كما وضع تمثال كبير لكونفوشيوس وسط الساحة الرئيسية لجامعة المعلمين – وكل هذه المعالم تحظى باهتمام حكومي وشعبي كما لاحظنا . . .

[٣] موقع شنخوا نت على شبكة الإنترنت ١١ مارس ٢٠٠٥م .

٣- أثر فكر كونفوشيوس على المجتمع الصيني

لم يصادف كونفوشيوس في حياته النجاح الذي ينشده ، ولكن بعد موته (عـام ٤٧٩ق . م)، حققت أفكاره نجاحاً فاق كل التوقعات ، واستطاعت هـذه الأفكـار أن تسيطر على الشعب الصيني وتشكل فكره الأخلاقي والديني والسياسي والتربوي أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان .

ذلك لأن العلماء والأدباء الذين أتوا بعده استمسكوا أشد استمساك بمبادئه وأفكـاره ، واتخذوها سبيلا إلى السلطان وتسلم المناصب ، وأوجدوا طبقة من العلماء الكونفوشيوسيين أصبحت أقوى طائفة في الإمبراطورية كلها ، وانتشرت المدارس في أنحاء البلاد لـتعلم الناس فلسفة كونفوشيوس التي تلقاها الأساتذة من تلاميذ المعلم الأكبر، ونماها (منشيوس) ، وهذبها آلاف مؤلفة من العلماء على مدى الأيام . وأضحت هذه المـدارس المراكـز الثقافية والعقلية والفكرية في الصين ، فأبقت شعلة الحضارة متقدة من خلال القـرون الطوال التي تدهورت فيها البلاد من الوجهة السياسية . . .[(١)].

ومن الملاحظ : أن كتابات كونفوشيوس ظلت - في معظم الفتـرات التاريخيـة- هي النصوص المقررة في المدارس الصينية جيلاً بعد جيل يكاد كل صبي يتخرج من تلك المدارس يحفظها عن ظهر قلب ، وتغلغلت النزعة المتحفظة القويـة التـي يمتـاز بهـا كونفوشيوس في قلوب الصينيين ، وسرت في دمائهم ، وأكسبت أفراد الأمة الـصينية - على حد تعبير ول ديورانت - كرامة وعمقاً في التفكير لا نظير لها في غيـر الـصين ، واستطاعت الصين بفضل هذا الفكر أن تحيا حياة اجتماعية متناسـقة متآلفـة ، وأن تبعـث في نفوس أبنائها إعجاباً شديداً بالعلم والحكمة ، وأن تنشر في بلادهـا ثقافـة مـستقرة هادئة أكسبت الحضارة الصينية قوة أمكنتها من أن تنهض من كبوتها وتسترد قواها بعد الغزوات المتكررة التي اجتاحت بلادها ، وأن تشكل هي الغزاة على صورتها وتطـبعهم بطابعها[(٢)].

ويلاحظ : أن الفكر الكونفوشيوسي لم يقتصر أثره على الصين وحدها ، بـل نـشأت اتصالات ثقافية واسعة مع اليابان وكوريا والهند وفارس والبلدان العربية كما تركت أفكار

---

(١) قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج٤ - ص ٦٤ .

(٢) قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج٤ - ص ٦٧ بتصرف .

أنظر: المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد مرحبا – ص ٢٣٧ - ٢٧٤ .

و كتب غيرت الفكر الإنساني – احمد الشنواني – ج ١ – ص ٤٨ .

كونفوشيوس وغيره من المفكرين الصينيين أثرا بالغا في ثقافة الصين وفي الثقافة العالمية أيضاً[1].

ومن أثره أنه أنشأ مدرسة فكرية أنجبت أساتذة ما برحوا يؤثرون في الفكر الصيني حتى اليوم ، كما أنه شرح الكتب الصينية القديمة وهذبها وعلق عليها ، فكتاب " التغيرات " مثلا كان موجوداً قبل كونفوشيوس لكن الحواشي والتعليقات أسبغت عليه أهمية كبرى بعد ذلك وما قيل عن هذا الكتاب يقال عن باقي الكتب التي هي ينابيع الفكر الصيني .[2]

ويعتقد البعض أن كونفوشيوس لم يكن رئيساً دينياً ، فأفكاره قد درست بصورة عامة في تاريخ الفكر الفلسفي ، ولكن بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، قد أثر كونفوشيوس بعمق على الديانة الصينية وسبب ذلك التأثير أن فكره السياسي والأخلاقي هو ديني في المقام الأول ويضاف إلى ذلك أنه مجد وقيم الوظيفة الدينية للطقوس المعتادة واعتقد كونفوشيوس بأنه مكلف برسالة من قبل السماء ، وحن كونفوشيوس للماضي فقد كان أميناً للقدماء حيث قال " لقد علمت وأعلموني إياه دون أن أضع فيه من عندي وقد كنت أميناً للقدماء وقد أحببتهم " ولذلك كان يتمنى أن يعيش في عصر متطور[3] .

إن فكر كونفوشيوس الأخلاقي هو مجمل لكافة القيم الدينية والفلسفية والأدبية والسياسية للصين ، وما من شيء في الحياة اليومية الصينية ، لم يتأثر بطريقة أو أخرى بالكونفوشيوسية ، وما من عمل هام ، وما من سلوك عائلي ، وما من عمل أدبي أو فلسفي ، وما من مراسم ، وما من مظهر من مظاهر آداب السلوك والمعاشرة ، وما من عمل اجتماعي وأخلاقي في الصين نجا من تأثير كونفوشيوس[4].

---

[1] الصين - تشين – شي - دار النجم الجديد - بكين - الصين - سنة ١٩٩٢م ص ١١ .

[2] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية - علي معبد فرغلي - ص١٧٥ .

و انظر: حكمة الصين- د/ فؤاد محمد شبل - ج١ - ص ٨١ .

[3] تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- ميرسيا إلياد - ت: عبدالهادي عباس -ج ٢- ص٢٣-٢٥.

[4] حكمة الصين - هـ . فان براج – ت : موفق المشنوق – ص ٩٧ بتصرف .

ومما يوضح مدى هذا التأثير ما كتبه الكاتب الصيني " تشانغ لو " (عـام ١٩٠٩م)في صحيفة انجليزية،حيث قال: " لقد عشنا في الصين على رأس مال جمعه أسـلافنا ، ولقد حفظت لنا بصيرة وحكمة فيلسوفنا العظيم كونفوشيوس، وبدونه لكـان الـشرق الأقصى(الصين - كوريا - سينام) وحتى اليابان القوية للغاية اليوم ، قد غرق في أعماق البربرية"[١].

وبعد أن عرفنا مدى تأثير فكر كونفوشيوس على الفكر الصيني بـل والمجتمـع الصيني في كل نواحي الحياة . . . نتساءل ما هو السر في نجاح الفكر الكونفوشيوسي في السيطرة على الفكر الصيني منذ القدم حتى الآن ؟ لعل السر في ذلك يرجـع إلـى أسباب عدة نذكر منها :-

أولاً: طبيعة الفكر الصيني فهو فكر عملي لا يقـف عنـد حـدود الاسـتقامة اللفظيـة والصحة العقلية للصيغ ويدور معها ، بل يعبأ بالواقع وإمكانيـة التطبيـق الحقيقـي ، وذلك بخلاف الفكر اليوناني النظري اليوتوبي الغارق في توهيماته الخيالية ، ولا يلتفـت إلى الظروف الواقعية الموضوعية [٢].

ثانياً : أن الأفكار التي أتي بها كونفوشيوس معبرة أصدق تعبيـر عـن نفـسية المجتمـع الصيني ممد أدى إلى وجود تجاوب ازداد شدة على مر العصور بين آرائه وبين اتجاهات العقلية الصينية .

ثالثاً : ذلك التراث العلمي الضخم الذي خلفه كونفوشيوس وتلاميذه عن التـاريخ الـصيني السحيق للعصور السابقة على عصورهم وتعليقاتهم على هذا التاريخ ، وهو الجانب الذي أهملته المدارس الفلسفية الأخرى .

رابعاً : الأخلاق الشخصية التي تحلى بها كونفوشيوس نفسه ، فهو من الشخصيات التـي ترك أصحابها طابعاً قوياً كان له أثره على الأجيال المتعاقبة [٣].

---

(١) المرجع السابق - ص ٩٨ .

(٢) الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة - محمد عبدا الشرقاوي - ص ٥٢ .

(٣) كونفوشيوس النبي الصيني –د/ حسن شحاته سعفان - ص ١٤ .

انظر: الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس - عبدالرحيم شبعان - ص ١٦٨- ١٧٢ .

٤- تأثير الكونفوشيوسية على الأديان الأخرى في الصين

الأديان المختلفة التي نشأت في الوسط الصيني سواء منها الأديان الصينية الصميمة كالطاوية ، أو تلك التي أتت من الخارج لتغزو الصين كالبوذية والنصرانية قد تأثرت إلى حد بعيد بالروح الكونفوشيوسية التي تعبر عن الروح الصينية أبلغ تعبير ، فلقد استعارت البوذية الصينية من الكونفوشيوسية أفكارها الأخلاقية ومبدأ عبادة أرواح القدامى وتقديسهم ،كما ظهر علماء صينيون حاولوا التوفيق بين البوذية والطاوية والكونفوشيوسية . فمن الطاويين ، أعلن (تان تشياو)، في القرن السادس الميلاد ، أن الطاو هو المبدأ الرئيسي في الأديان الثلاثة ، ومن البوذيين أقدم (لي شيه تشين) في القرن نفسه(٥٩٠ م)، على تشبيه البوذية بالشمس والطاوية بالقمر والكونفوشيوسية بالكواكب الخمسة.

وبادر راهب بوذي لاحقاً على وضع تماثيل كونفوشيوس ولاو تس وبوذا في المعبد جنباً إلى جنب . وشجعت الدولة تلك المبادرة وقتاً طويلاً . ومن الكونفوشيوسيين ، قال (وانغ تنغ ٥٨٣ - ٦١٦ م) إن المبدأ الوسط هو المبدأ الذي يجمع بين الأديان الثلاثة [١].

كما نجد أن الديانتين اليهودية والنصرانية قد اضطرتا إلي تكييف مبادئهما وفقا لهذه الروح ولاسيما العادات والتقاليد التي كانت أساس حياة الأسرة الصينية الريفية ، وهي التقاليد القائمة على الكونفوشيوسية ، ولعل التاريخ الحافل للكونفوشيوسية ، وتأصل هذه الروح في نفوس الصينيين من الأسباب الرئيسة التي عزى بها السياسيون الغربيون أنفسهم بعد أن تبلشفت الصين بعد الحرب العالمية الثانية ، لأنهم كانوا يأملون أن الروح الكونفوشيوسية الصينية الكامنة في النفسية الصينية ستؤدي حتماً على ابتعاد الشيوعية الصينية عن الشيوعية الروسية وانتهاجها منهجاً آخر ، لاسيما وقد فشلت الشيوعية في الوسط الصيني عندما أراد بعض المفكرين ورجال السياسة تطبيقها في القرنين السابقين على الميلاد [٢].

فالكونفوشيوسية التي هي روح الصين تقدس الملكية الفردية ونظام الطبقات، وهذا هو سر تفاؤل بعض المفكرين الغربيين في ذلك الوقت ، وقد تحقق لهم ما

---

[١] الأديان الحية نشؤها وتطورها - أديب صعب – ص ٩١ .

وأنظر: الأديان في تاريخ شعوب العالم – سيرغي أ - تو كاريف – ت : أحمد فاضل – ص٢٧٥ – ٢٧٦ .

[٢] كونفوشيوس النبي الصيني –د/ حسن شحاته سعفان – ص ١٣٨ – ١٣٩ بتصرف .

تفاءلوا به ، حيث أبعدت الروح الكونفوشيوسية الشيوعية الصينية عن الـشيوعية الروسـية ، ثم ما لبثت الشيوعية أن انهارت ، وها نحن نشهد عودة الكونفوشيوسية هذه الأيام . . .

٥- الكونفوشيوسية في آسيا

الكونفوشيوسية لم تقتصر في انتشارها على الصين ، بل لقـد انتـشرت فـي كوريـا وكثير من جهات اليابان ، ولتوضيح ذلك أقول:

أ- لقد دخلت منتخبات كونفوشيوس إلى اليابان في القرن الثالث المـيلادي ، كمـا كـان يقوم بتدريسها للأمير الياباني الجالس على العرش مدرس كوري يدعى واني .

- ثـم إن الدسـتور اليابـاني القـديم الـذي أصـدره الإمبراطـور شـو تـو كـو (٥٧٣- ٦٢١ م) وإن كان قد أعلن أن الديانة الرسمية لليابان حين ذاك هـي البوذيـة ، إلا أن الكونفوشية كانت أساساً لجميع ما ورد فيه من مبادئ أخلاقية وأسرية ، وفـي القـرن السابع الميلادي أدخلت جامعة نارا اليابانية كلاسيكيات كونفوشيوس في برامج الدراسة .

- ويمكننا على العموم أن نردد ما أتى على لسان أستاذ ياباني مـن أن الكونفوشيوسـية تعتبر من بين الأسس الرئيسة التي شكلت الأخلاق في معظم دول شـرق آسـيا وجنوبهـا الشرقي في عصريها الوسيط والحديث ، ولا أدل على ذلك من الأمر الإمبراطوري اليابـاني الذي صدر عام ١٨٩٠م محـددا أهـداف التعلـيم والتربيـة بمـا لا يخـرج عـن تعـاليم كونفوشيوس في نصها وروحها،حيث يخاطب الأمر رعايـا الإمبراطوريـة علـى الوجـه التالي: " رعايانا ، كونوا بارين بآبائكم ،محبين لإخـوتكم وأخـواتكم ، كونـوا منـسجمين كأزواج وزوجات ، ومخلصين كأصدقاء والتزموا الاعتـدال والتواضـع ، ولتـسع نيـتكم الخيرة كل الناس ، وجملوا أنفسكم بالدراسة وانهضوا بالفنون . وإلى جانب ذلـك اعملـوا على تنمية مدارككم العقلية وتقويه روحكم الأخلاقية "(١).

وبموازنة هذا الخطاب بـأقوال كونفوشـيوس نجـد أنـه يحمـل نفـس الأفكـار والتوجهات . . .

- ويطلق اليابـانيون علـى الكونفوشيوسـية اسـم " كونـشي " بينمـا يطلقـون علـى الكلاسيكيات الكونفوشية اسم " شي - جو - كيم " أي الكتب الأربعة والمبادئ الخمسة ، وقد دخلت الكونفوشية اليابان في العصور المبكرة ، جنبا إلى جنب مع عناصر الحضارة

---

(١) كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاته سعفان – ص ١٢٨ – ١٢٩ بتصرف .

الصينية المختلفة، ونشطت في بداية القرن السابع عشر الميلادي حين قام أياسو الحاكم العسكري الياباني بإصدار أوامره بطبع الكلاسيكيات الكونفوشيوسية في اليابان لأول مرة ، ومن المعروف أن كونفوشيوس نفسه كان يدعو إلى تأسيس مملكة مركزية ، إلا أن تعاليمه فيما يتعلق بالحكام وأتباعهم ، وبالآباء والأبناء كانت تتناسب تماماً مع الأفكار الإقطاعية لليابان القديمة .

وظهرت أسماء لامعة في الكونفوشيوسية اليابانية نذكر منها على سبيل المثال : إيتو جنساي ، وأبنه إيتو توجاي في مدينة كيوتو ، وآراي هاكوسئيكي وأوجئيو سوراي في مدينة إيدو ، وبرز هؤلاء المفكرون الأربعة في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الميلادي ، واقتصر عملهم على شرح وتفسير الكتابات الكونفوشيوسية، ولم يوجد مفكر ياباني جاء بأصول خاصة ، كما لم يحاول المفكرون اليابانيون تطوير الكونفوشيوسية الصينية ، فضلا عن أنه لا توجد ترجمات يابانية أو تفاسير تستحق القراءة [1].

- ومع تحديث المجتمع الياباني ، فإن القيم الكونفوشيوسية لا تزال راسخة في أذهان الشعب الياباني المعاصر ، تلك القيم التي تدل على أن تأثير الكونفوشيوسية في اليابانيين يفوق تأثير أي ديانات تقليدية أو فلسفات أخرى ، والكتابة عن الأديان في اليابان ، وعن المعتقدات الدينية لدى اليابانيين ، تصبح ناقصة إذا ما تجاهلنا الكونفوشيوسية وتأثيرها في الشعب الياباني[2].

- ويرى رايشاور وهو أمريكي عاش طوال حياته تقريباً في اليابان أن الياباني إذا كان لا يعتبر نفسه اليوم كونفوشيوسياً ، إلا أننا نجد أن اليابانيين جميعاً بصورة أو بأخرى كونفوشيوسيون تقريباً . وإذا كان هذا رأي المفكر الأمريكي الياباني المولد والثقافة إن صح التعبير ، فمن الضروري أن نثبت هنا رأي المفكر والفيلسوف الياباني الشهير إنازو نيتوبيه صاحب كتاب " البوشيدو " روح اليابان ، الذي يرى أن مبادئ كونفوشيوس تعد أخصب المصادر، وأغزرها مادة ، فيما يتصل بالنظريات والتعاليم الأخلاقية .

وتجدر الإشارة إلى أن معظم اليابانيين يعتبرون الكونفوشيوسية شيئا مختلفا عن الدين ، فهم يعتبرونها شكلا من أشكال الفكر السياسي ، والتعاليم الأخلاقية ، إلا أن وجود بعض الأفكار الكونفوشية المتعلقة بالإمبراطور السامي أو الإله (تشانغ - تي) والحكم

---

[1] الإسلام والأديان في اليابان - د / سمير عبدالحميد ص ١٩١ بتصرف .

[2] انظر: موجز تاريخ الأديان – فيليسيان شالي – ت: حافظ الجمالي – ص ١٢٢ .

المقدسـة (شـينغ) وأفكـار الـسماء(تـائين) وبعـض الملاحظـات الخاصـة يجعـل الكونفوشيوسية ينظر إليها على أساس أنها دين ، رغم أنها لم تكن أبـداً مثـل الـشنتوية أو البوذية ، حتى خلال عصر طوكو جـاوا(١٦٠٣م - ١٨٦٨م)حـين كانـت فـي قمـة أزدهارها ، فالكونفوشيوسية اليابانية كانت مدرسة فلسفية أكثر من كونها طائفة دينية .

إلا أن هناك بعض المستلزمات التي فرضت نفسها من خلال الحياة اليومية،لمن اعتنق البوذية أو الشنتوية ، كان لها دور في تشكيل الأفكار اليابانية عن الكونفوشيوسـية،كما أن الكونفوشيوسية من ناحية أخرى تغلغلت في الحياة العملية لليابانيين ، فكان لها تأثير كبير على سلوكهم[1].

وهنـــاك مـــن يـــرى أن اليابـــانيين اســـتطاعوا أن يجمعـــوا بـــين: الـــشنتوية (اليابانية)،البوذية (الهندية) ، والكونفوشيوسية (الصينية) في وقت واحد ، ويمزجـوا بينها لتصبح عقيدة يابانية واحدة ، تطوع الكونفوشيوسية والبوذية لمعتقدات الـشنتوية التي ترتبط بالوطن الياباني والأسرة الحاكمة ، واستدلوا على ذلك بموقف اليابانيين من نظام الحكم الإمبراطوري " سليل الآلهة " ، وفي البوذية اعتبروه " سليل بوذا العظيم " وفـي الكونفوشية أُعتبر الإمبراطور " منبع الفضائل التي يقوم على أساسها المجتمع الخير "[2].

---

[1] الإسلام والأديان في اليابان - د / سمير عبدالحميد ص ١٩٢ - ص١٩٦ - بتصرف .

[2] الأصول الثقافية للنهضة اليابانية الحديثة – د/ رؤوف عباس حامد – المجلة التاريخية المصرية – الجمعيـة المـصرية للدراسات التاريخية – المجلد ٢٣ – ١٩٧٦م- ص ٢٤١ .

ب- الكونفوشيوسية في كوريا

من المرجح قدوم الكونفوشيوسية إلى كوريا في القرن الرابع الميلادي كالبوذية ، وهي في أساسها قامت على الكتابات الكلاسيكية للكونفوشيوسية ، وتعاليمها الأساسية مثل كونفوشيوسية الصين ولم تتح للكونفوشوسية فرصة النمو تحت ظل البوذية التي كانت الدين الوطني لسلاله "سيللا" "وكوريو" في القرن الخامس والرابع عشر تقريباً . وقريباً من نهاية سلالة "كوريو" في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، بدأت تكتسب أهميتها في كوريا حيث ساهم "شونج مونج جي" و "شونج تو شون" وغيرهما في إرساء أساس الكونفوشيوسية في سلالة يي التي أصبحت الكونفوشوسية في عهدها دين الدولة .

ولقد تراجعت البوذية في عهد سلالة كوريو علاوة على سقوط هذه السلالة، ثم فقدت قيادتها بين الناس نظرا لفسادها المرتبط بالنظام السياسي ، وفي الوقت نفسه قدر للكونفوشوسية أن تكون الفلسفة الرائدة في عهد سلالة (يي) إذ أن المؤسسين لسلالة (يي) قد تعاطفوا مع الكونفوشوسية وعارضوا بشدة البوذية .

وكان التيار الرئيسي لكنفوشوسية سلالة (يي) " سونجليهاك " (مدرسة مبدأ الطبيعة البشرية) التي أكدت على أهمية المعرفة الفردية وتنور الشخصية، " وسو نجليهاك " في أساسها فلسفة عقلانية ونظرية ، وقد وجد المفكرون في خضم القلاقل السياسية في دراسة الكونفوشوسية في الأماكن المنعزلة والهادئة مهرباً وملاذاً [1]. ومن أبرز مفكري الكونفوشيوسية في عهد سلالة (يي): " سوهو أدام " و" يي توواجي " و" يي يوو لجوك " وقد كان "يوو لجوك" (١٥٣٦ - ١٥٨٤م) أكثرهم تألقاً وشهرة وكان أعظم مفكر كونفوشيوسي في التاريخ الكوري ، وتفخر الكونفوشيوسية الكورية بإنجازاته ، وقد بلور بعض الأفكار الأصلية ذات المغزى العميق ، ويشهد له التاريخ بأنه كان سيداً أميناً هادئاً موقراً وغير عنصري ، كما أشتهر بتفانيه لصالح الأمة أكثر من مصلحته الشخصية حينما كان يشغل مركزاً مرموقاً في عهد سلالة (يي) ، وكان " ييو لجوك " على قناعة بأن الكونفوشيوسية أفضل فلسفة أخلاقية وسياسية تصلح حال

---

[1] الفكر الشرقي – د/ يونج شوون كيم– ت: د/طلعت مراد و د/ حميد علي - ص ١٥٦ .
وانظر الأديان في تاريخ شعوب العالم - سيرغي أ - تو كاريف – ت : احمد فاضل – ص٢٨٩ – ٢٩٠ .

الأمة . . .[٢] وهناك العديد من المفكرين الكونفوشيوسيين في كوريا - قبله وبعده – لكنه كان الأبرز والأكثر أثراً . . .[١]

٦- تأثير الكونفوشيوسية على الفكر الأوربي :

في القرن السابع عشر والثامن عشر اتجه مفكروا أوروبا إلى الصين ، فقد نشر أحد المفكرين مؤلفا باللاتينية والفرنسية سنة ١٦٦٢م عنوانه " حكمة الصينيين " ضمنه المؤلف حياة كونفوشيوس مع ترجمة كاملة باللاتينية لمذهبه في " الوسيط الذهبي " . وقد أثار الأب " لو كونت " فضول العلماء الأوربيين بكتابه " تاريخ الصين " وفي هذا الوقت كثر ظهور ترجمات الآداب الكلاسيكية الصينية بأوربا ، وفي عام ١٦٨٣م نشر في أوربا ترجمة لكتاب " تشنج ينج " أحد الكتب الكلاسيكية الصينية الأربعة مع تذييل يحوى حياة كونفوشيوس باللغة اللاتينية والفرنسية وجعلوا عنوانه " علوم الصينيين السياسية والأخلاقية "[٢].

وفي سنة ١٦٨٧م صدر مؤلف باللاتينية بعنوان "كونفشيوس حكيم الصينيين" ، يحتوى على حياة الفيلسوف ، مع ترجمة لبعض مؤلفاته ومؤلفات تلاميذه ولاسيما كتاب المنتخبات ، مع بعض الشروح والتعليقات .

كما بدأ بعض المؤلفين اليسوعيين في إخراج عدد من المؤلفات يتناول نواحي فكر كونفشيوس المختلفة ، ولقد نشر بيترنويل سنة ١٧١١م كلاسيكيات كونفشيوس ، وصدرت عشرات المؤلفات خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في معظم الدول الأوربية ، كان من أثرها تعريف الأوربيين بالفكر الصيني على وجه العموم وفلسفة كونفشيوس بوجه خاص[٣].

والجدير بالذكر في هذا الشأن هو تقدير الفيلسوف والعالم المشهور ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦م) حيث عرض رأيه في كونفشيوس في كتاب أصدره (سنة ١٦٩٧م) بعنوان " أحدث الطرائف الصينية " وهو يشتمل على معلومات قيمة عن المذهب الكونفوشيوسي

---

[٢] الفكر الشرقي – د/ يونج شوون - ص ١٥٧ بتصرف .

[١] اكتفيت بذكر بعض مفكري الكونفوشيوسية في كوريا حتى لا أطيل . . . وموضوع الكتابة عن الكونفوشيوسية في دول شرق آسيا - باستثناء الصين- مثل اليابان وكوريا وغيرهما يحتاج إلى بحث مستقل .

[٢] آسيا والسيطرة الغربية - ك - م – بانيكار - ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد – م أحمد خاكي - ص ٤٨٨ .

[٣] كونفوشيوس النبي الصيني –د/ حسن شحاته سعفان – ص ١٢٩ بتصرف .

استقاها المؤلف من كتب اليسوعيين وفي مقدمة هذا الكتاب ينظر ليبنتز إلى كونفشيوس من وجهة النظر البروتستانتية الألمانية ، فيقول بأن ثمـة مركـزين للثقافـة فـي العـالم ، أحدهما في أوربا والآخر في الصين ، ثم عبر عن أمله في أن تكون روسيا بمثابة جسر تمر عليه الثقافة من كلا المركزين للآخر، حتى تمتزج ثقافة كلا المركزين في ثقافة واحدة متكاملة الأجزاء .

فالثقافة الأوروبية - فيما يرى ليبنتز - قد بـزت الـصين فـي الرياضـيات والفلـك والمنطق وما بعد الطبيعة ، على حين تفوقت الثقافة الـصينية فـي الأخـلاق ورسـم قواعد التنظيم الاجتماعي والسياسي ، ثم يضيف الفيلسوف إلى ذلك " مـن كـان يعتقـد حقيقة أن هذا الشعب (الصيني) يتفوق علينا نحن الذين قـد نمـت عنـدهم قواعـد الأخلاق واستقرت على أسس ثابتة ؟ إذ على الرغم من أننا قد نكون مساوين لهـم فـي الذكاء والجد ومتفوقين عليهم في المعرفة التأملية ، فإنهم متفوقون علينا بفلسفتهم العملية أي في تنظيمهم الأخلاقي والسياسي .

فهم يجلون الطاعة للرؤساء ويحترمون الشيوخ ويقدسون الآباء والأجداد ، بحيـث تعتبر الكلمة السيئة في حق أحدهم كجريمة قتل الوالدين عندنا " وأخيراً يشير ليبنتز على الصين أن ترسل ببعثات ومبشرين لكي يعلموا أوروبـا تعـاليم ديـنهم الطبيعـي بنظرياتـه وتطبيقاته، وينتهي من ذلك إلى أنه لو قدر لشخص عادل أن يكون حكما لما تردد في منح الأفضلية للصين على أوروبا . . .[١]

وتبقى مسألة ذات أهمية : هي أن معرفة الفكر الصيني والـنظم الـصينية التـي بعث بها المبشرون إلى أوروبا في خطاباتهم وعن طريق ترجمة كتبهم قد أثـرت تـأثيراً بالغاً في الأوروبيين أمثال الفيلسوف " لبينتز " وفولتير " وغيرهما كثير، ولعبت بالفعل دوراً كبيراً في ذلك.

بل إن هناك من يرى أن " حكمة " كونفوشيوس لعبت دوراً مهمـاً فـي القـضاء على التعصب الديني والحروب الناجمة عنه التي أجهدت الأوربيين ، كمـا أدت هـذه " الحكمة " إلى تطوير مفاهيم المساواة الإنسانية والديمقراطية السياسية في الغرب ، الـذي كان يبحث دائماً عن الثقافة الإنسانية المتوازنة [٢].

---

[١] المرجع السابق – ص ١٣٠.

[٢] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني – ص ١٣٥ بتصرف .

وقد حاول المبشرون الربط بين الكونفوشيوسية والنصرانية وكانت وسيلتهم في ذلك : أن يقولوا : أن النصرانية تؤكد دعوة كونفوشيوس، واعتنق ألأباطرة دعوة كونفوشيوس لأنها تدعو الشعب للطاعة [1].

وحاول المبشرون أن يؤيدوا دعوة كونفوشيوس حتى يبرروا وجودهم في الصين ويحافظوا على مناصبهم التي تقلدوها في الصين .

وأكـدوا علـى شـبه الكمـال لكونفوشـيوس وتعاليمـه وقـرروا أن المبـادئ الكونفوشيوسية قد صدرت عن وحي وتنزيل وأن الصين قد تلقتها عن " أبناء نوح عليه السلام " وذلك بهدف القضاء على الامتيازات التي كانت للطبقات الإقطاعية[2].

ولكن ما هو هدف المبشرين النصارى من دخول الصين ؟

كان هدفهم تحول الصين إلى الديانة النصرانية [3]، ولتحقيق ذلك الغـرض درسـوا الأدب الصيني والفلسفة الصينية دراسة بالغة الدقة . . .

---

[1] ولا عجب إلا الصين - محسن محمد - ص ٨٧ .

[2] الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس - عبدالرحيم شبعان - ص ١٧٥ بتصرف .

[3] جهود المنصرين في الصين ظاهرة ، وقد لاحظت ذلك في عدد من المدن الصينية التي زرتها ، سـواءً بجهـودهم الفردية أو الجماعية أو عبر وسائل الإعلام أو غيرها من الوسائل كالمراكز والشركات . . . وقد رأيت فـي بكـين كنيـسة كبيرة قيل لي أنها تزدحم بالمصلين يوم الأحد حتى أنهم يصلون في هذه الكنيسة سبع دفعـات أو أكثـر . . . كمـا لاحظت إعجاب كثير من الشباب الصيني بكل ما هو غربي ومحاولة محاكاتهم في كل شيء . . .

الباب الثالث

معتقدات الكونفوشيوسية وأفكارها

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : كتب الكونفوشيوسية

الفصل الثاني : المعتقدات :

أ- في الإله

ب- في النبوة

ج- في القضاء والقدر

د- في الأمور الغيبية

الفصل الثالث : الأفكار الكونفوشيوسية

ومنها:

أ- الأخلاق

ب- فكرة العناصر الخمسة

ج- المدينة الفاضلة

الفصل الرابع : الجذور العقدية والفكرية لمعتقدات الكونفوشيوسية وأفكارها

الفصل الخامس : حاضر الكونفوشيوسية

الفصل الأول

كتب الكونفوشيوسية

وتشمل:

أولاً: الأسفار المقدسة لكونفوشيوس

ثانياً: الكتب المقدسة بعد كونفوشيوس

ثالثاً: الأسفار والكتب المقدسة في عهد اسرة (سونغ)

رابعاً: الكتب الأربعة (سي شو)والشرح الجامع لها للحكيم (جوشي) .

خامساً: منهج كونفوشيوس وتلاميذه في كتبهم

تقدس الكونفوشيوسية مجموعتان من الأسفار والكتب :

المجموعة الأولى : يسمونها الأسفار الخمسة (وو جينغ).

وهي : -

١- سفر القصائد .
٢- سفر التاريخ .
٣- سفر الشريعة .
٤- سفر التغيرات .
٥- سفر الربيع والخريف .

والمجموعة الثانية : يسمونها الكتب الأربعة (سي شو) .

وهي : -

١- كتاب المعرفة الكبرى .
٢- كتاب سنة التوسط .
٣- كتاب الحوارات أو (المنتخبات) .
٤- كتاب منشيوس .

وإذا كانت الكونفوشيوسية قد مرت عليها مراحل تاريخية طويلة جدا فحقيقة الأمر أن تقديسها للأسفار والكتب يختلف باختلاف المراحل التاريخية المختلفة .

أولاً: الأسفار المقدسة:

أقدم ما ورد عن الأسفار المقدسة في الكونفوشيوسية هـو قـول كونفـشيوس الذي قاله أمام (لاو تس) صاحب (داو ده جينغ)[1]. " أنا أعمل على القصائد ، التاريخ ، الشريعة ، الموسيقى ، التغيرات ، الربيع والخريف هذه الأسـفار الـستة ، وأرى أننـي قـد عملت عليها وقتاً طويلاً ! " [2].

وهذا النص يثير هنا سؤالا مهما ، وهو : لمـاذا نقـول إن الكونفوشيوسـية تقـدس الأسفار الخمسة ، بينما يقول كونفوشيوس إنه قد عمل على الأسفار الستة وقتـاً طـويلاً ؟ وأين كتاب الموسيقى المذكور في النص ؟ والجواب عليـه أن هنـاك قـولين عـن سـفر الموسيقى، القول الأول يقول إن هذا السفر قد أحرق بالنار عندما أمـر الإمبراطـور الظـالم تشين شي هوانغ [3] بإحراق الأسفار والكتب القديمة في (سنة ٢١٣ ق . م)، ولم يكشف عنه بعد ذلك [4]، وأما القول الثاني فيقول إن سفر الموسيقى ليس بسفر مكتوب أصلا ، بل كان نوعا من النوتة الموسيقية الملحقة لسفر القصائد .

فإذا أخرجنا سفر الموسيقى من الأسفار الستة فتكون المجموعة الأولى من الكتب المقدسة في الكونفوشيوسية خمسة أسفار هي : سفر القصائد ، سفر التاريخ، سفر الشريعة ، سفر التغيرات ، سفر الربيع والخريف[5] .

---

(1) سبق الكلام عنه وعن كتابه في الباب الثاني الفصل الأول .

(2) كتاب (جشوانغ تس) ، الفصل الرابع عشر ، فصل " تيان يون " أي مصير السماء وهو كتاب مقدس في الطاويـة ، وقد أشتهر بأنه أحد الأسرار الثلاثة بين الكتب الصينية القديمة مع كتاب " داو ده جينغ " أي كتاب الطريقة وأخلاقهـا ، وكتاب " يي جينغ " أي سفر التغيرات للكونفشيوسية .

(3) (تشين شي هوانغ) : ولد في سنة ٢٥٩ق . م ومات في سنة ٢١٠ ق . م ، أول إمبراطور في التـاريخ الـصيني ، وقد وحد الصين بعد فترة الإمارات المتحاربة تحت حكومة مركزية في سنة ٢٢١ ق . م ، وكـان مـشهوراً بـالظلم والجور ، ومن ظلمه للعلم والعلماء أنه أمر بإحراق الأسفار والكتب القديمة ودفن أربعمائة وستين عالماً وهم أحياء لأنهم قد نقدوه منطلقين من موقف الأسفار والكتب المقدسة القديمة . (المعجم الصيني ، ص ١٦١٣) .

(4) – انظر: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى- د/ شعبان عبد العزيز – ص ٤٥٤ .

(5) سنتناول الحديث بشيء من التفصيل عن هـذه الأسـفار الخمـسة وسـأغفل الكـلام عـن سـفر الموسـيقى وإن كـان كونفوشيوس قد اهتم بالموسيقى اهتماماً بالغاً كما يظهر من مواعظه وأدبياته إلا أنـه لمـا كـان مختلفـاً فيـه هـذا الاختلاف رجحت أن أتكلم عن المتفق عليه من الأسفار وأترك المختلف فيه ، وقد جاء الحديث عن الموسيقى بصورة تبرز أهميتها عند كونفوشيوس وضرورتها وارتباطها بالأخلاق في صفحة ٢٧٠ وما بعدها .

وأما عن ترتيب هذه الأسفار وسبب الاختلاف فيه فهناك في القديم رأيان مختلفان ، الرأي الأول : يذهب إلى أن الترتيب الصحيح للأسفار هو : سفر التغيرات ، ثم سفر التاريخ ، ثم سفر القصائد ، ثم سفر الشريعة ، ثم سفر الموسيقى ، ثم سفر الربيع والخريف .

وأما الرأي الثاني : فيذهب إلى أنه يجب أن يكون على الترتيب التالي : سفر القصائد ، ثـم سفر التاريخ ، ثم سفر الشريعة ، ثم سفر الموسيقى ، ثم سـفر التغيـرات ، ثـم سـفر الربيـع والخريف .

وأصل الاختلاف بين هذين الرأيين كان في نسبة هذه الأسفار إلى (تشو قونـغ)[١] أو إلى كونفوشيوس ، فأصحاب الرأي الأول يرون أن هذه الأسفار من عمل (تشو قونغ) إلا سفر الربيع والخريف ، وما قام به كونفوشيوس من العمل عليهـا كـان فـي جانـب الجمع والتحرير والتصنيف فقط ، وهم يرتبونها ترتيبا زمنياً ، أي : حسب زمن النـشأة لكـل سفر ، أو حسب المحتويات المتعلقة بالزمن ، وأما أصحاب الرأي الثـاني فيـرون أن هـذه الأسفار من عمل كونفوشيوس ، ووظيفتها الأساسية تعليم الناس وتربيتهم ، فيرتبونها حسب عمق معاني محتويات الأسفار ، وبساطتها بالنسبة للدارسين[٢].

ومما يذكر في هذا الصدد أيضا أن هناك فرق بين ما يسمى بالنـسخة الجديـدة ، وما يسمى بالنسخة القديمة ، فيما يتعلق بالأسفار من حيث الزيادة والنقصان في الألفاظ ، والفصول في بعض الأسفار ، وهذا هو سبب نشأة الخـلاف حـول عـدم وجـود سـفر الموسيقى ، وحول الترتيب الصحيح للأسفار . . .

---

(١) سبق الكلام عنه في الباب الأول الفصل الأول .

(٢) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية - د / زهرة الدين طيب - ص ٢٢-٢٣.

وهذه الأسفار هي :

١- سفر القصائد :

ويسمى " شي كنج " أو " شيه تشنج " و يسميه البعض " الأغاني " أو " الأناشيد " وهو سفر يشتمل على ثلاثمائة وخمس قصائد من الأشعار القديمة ، مقسمة إلى ثلاثة أقسام ، القسم الأول منها يسمى " فونغ " أي العادات ، وهو مجموعة من الأشعار الشعبية التي جمعت من خمس عشرة إمارة تحت حكومة أسرة (تشو) الملكية [١]، والقسم الثاني منها يسمى (يا) أي اللياقة ، وهو مجموعة من الأشعار التي جمعت من بين شعراء الديوان الملكي ، والقسم الثالث منها يسمى (سونغ) أي الثناء ، وهو مجموعة من الأشعار في الثناء على الملوك القدامى من أسرتي (تشو) و (شانغ) الملكيتين . وقد صورت هذه القصائد الأحوال الدينية ، والاجتماعية ، والسياسية في العهود القديمة وبالأخص عهد(تشو) وعهد(شانغ) الملكيين . وقد قال كونفشيوس وهو يلخص هذه القصائد: " ثلاثمائة قصيدة،يمكن أن تلخص في كلمة واحدة هي: لا تفكر في الضلالة "[٢].

كان كونفوشيوس شديد الاهتمام بهذا الكتاب بل كان دائم الحديث عنه وعن فائدته للفرد ، يقال أن حريق عام ٢١٣ق . م قد أدى إلى ضياع أغلب القصائد ، بالإضافة إلى التغيرات الكبيرة التي طرأت على الكتاب في عهد أسرة " هان" .

وقد صور لنا كتاب القصائد العصر الذي دون فيه ، وقد كانت تلك القصائد ذات خصوبة وغني في الألفاظ والتشبيهات فأحياناً يفترض أن المعنى الضمني للنص فلسفي ، وأحياناً أخرى يكون سياسيا ، لذلك قال عنه كونفوشيوس : " بدون دراسة الشعر فإن المرء لا يستطيع الوقوف على معنى الكلمات .

إن القصائد تعرفنا بجزء كبير من مادة الحضارة الصينية في ذلك الوقت ، كالأدوات المادية التي استخدموها والملابس والأشياء الصناعية، كما يمكننا أيضا أن نتعرف على كبار الملوك والمعارك التي خاضوها . وقد استمد كونفوشيوس بعض أفكاره الأساسية عن الحكم من كتاب القصائد ومن أهم القضايا التي ارتبطت بالحكم داخل الكتاب هي قضية " التفويض السماوي " التي تعادل نظرية الثورة المبررة .

---

[١] انظر : حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١ –ص ٣٦ .

و الأدب الصيني – أوديل كالتنمارك – ت: هنري زغيب – ص٢٥ .

والفلسفة والفكر السياسي – د/ عمر عبد الحي – ص ١٦٣ .

[٢] كتاب الحوارات ، الفصل الثاني ، الحوار رقم ٢ .

كما يناقش الكتاب قضية التربية والتعليم . كما تعرض لمناقشة مصطلح " لي " - الطقوس - محددا معناه وأهميته داخل المجتمع والكون بصفة عامة ويعرض الكتاب أن الإمبراطور صورة للكون ، وأن من أهم وظائفه المحافظة على انسجام الحقول الثلاثة العظيمة وهي السماء والأرض والإنسان ، وذلك عن طريق الطقـوس " لـي " التـي تعـد الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك . ومن بين القضايا التي يتناولها الكتـاب أيـضا قـضية الحرب وقد عانت جماهير الشعب الصيني الكثير من الحروب التي انعكست بدورها على القصائد . . .[1]

٢- سفر التاريخ :

ويمسى " شو تشينج " ويسمى أيضاً " شو كنج "

وهو أقدم كتاب تاريخي في الصين ، وقد سجل هذا السفر الأحـداث التاريخيـة وفـق تسلسلها الزمني منذ العهود الملكية الثلاثة ، أي الألف الثالثة ق . م وحتى سنة ٦٣٠ ق . م أي قبل عصر كونفوشيوس بمائة سنة تقريباً . ويشتمل هذا الـسفر حاليـا علـى ثمانيـة وخمسين فصلاً من الوثائق التاريخية ، منها القـوانين ، والنـصائح ، والأوامـر، والإعلانـات ، والمواثيق ، والوصايا ، والبعض منها مزور في رأي بعض العلماء المتأخرين .[2]

ولهذا الكتاب في تاريخ الفكر الصيني عموما والفكر الكونفوشيوسي خـصوصاً أهمية خاصة وذلك لأمرين :-

الأول :- أن هذا الكتاب يحتوي على منابع الحكمة التي استمد منها كونفوشيوس آراؤه الخلقية وخصوصاً إذا علمنا أن كونفوشيوس كان ناقلاً أكثر منه مبدعاً .

الثاني :- أنـه يـضم أكثـر الوثـائق التاريخيـة للفكـر الـصيني القـديم ، ولأنـه يـصف مآثر الحكماء القدامى ومحاسنهم ومنهم الإمبراطور " ياو " [3].

ويتضمن الكتاب ثمانية وخمسين نصا ، أربعة وثلاثـون منهـا يعـد أصـيلا والبـاقي إضـافات خارجيـة ، وترجـع هـذه القـسمة إلـى حادثـة إحـراق الكتـب عـام (٢١٣ق . م)، حيث أحرق معظم التراث الثقافي للصين في ذلك الوقت ، وبعد انقضاء

---

[1] فلسفة الأخلاق والسياسة - د / هالة أبو الفتوح ص ٣٨ - ٣٩ بتصرف .

[2] أنظر: الأدب الصيني – أوديل كالتنمارك – ت: هنري زغيب – ص٢٤ .

[3] الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حـسين - مراجعـة د / أمـام عبـدالفتاح إمـام – عـالم المعرفة - الكويت- عدد (١٩٩) - ص ٣٣٤ .

هذه الكارثة عكفت طائفة من الفلاسفة على إعادة تدوين التراث المحروق معتمـدين على الذاكرة في أغلب الأحيان فنشأ ما يسمى في التراث الصيني بـ ـــ " المخطوطات الجديدة " ، وفي عهد أسرة " هان " قرر أحد أمراء مقاطعة " لو " هدم أحد المبـاني الحكومية لإقامة معبد مكانه ، وعندئذ تم اكتـشاف عـدد كبيـر مـن المخطوطـات مدفونة تحت المبنى ، فاعتبرت المخطوطات المكتشفة " أصـلية " أمـا المخطوطـات الجديدة المستحدثة فهي بمثابة تفسير لها[1].

وترجع أهمية كتاب التاريخ إلى أنه يضم بين دفتيه أقدم الوثائق التاريخية وأقدم أساليب الكتابة الصينية ، ويحتوى على منابع الحكمة التي غـاص فيهـا كونفوشـيوس ليستمد منها الحكم والمواعظ وأنماط السلوك الحسنة والسيئة ، وما يجب أن يكـون عليـه الحاكم والرعية . ويقال إن كونفوشيوس قد لاحظ الخلط بين وثـائق الكتـاب ، فعمـل على إعادة ترتيبه ، وترتيب أحداثه وأقواله في نظام ملائم[2].

<u>٣- سفر الشريعة :</u>

ويسمى (لي كي كنج) و (الطقوس) أو (التقاليد)

وهو كتاب عن الطقوس ، والشعائر ، والمراسم ، وقواعـد الـسلوك والأخـلاق ، ويتـضمن مجموعة من النصوص التي تتعامل مع الـشعائر التـي هيمنـت علـى جوانـب الحيـاة المختلفة ، وكانت هذه النصوص بأكملها ذات صبغة دينية صارمة يتم استخدامها فقط في الاحتفالات الدينية والرسمية وتقديم القرابين ولكنها فيما بعد أصبحت قوانين سياسـية واجتماعية لها دور كبير في ترسيخ الأنظمة السائدة في المجتمـع والمحافظـة علـى استقراره [3].

كما يضم مجموعة من النصوص التي تهـتم بالبحـث العميـق فـي مواضـيع مختلفة في أنماط التفكير ، وأنماط السلوك في الحياة اليومية[4].

ويضاف إلى ذلك : أنه كتاب يعالج النظام السياسي لأسرة " تشو " القديمـة ، كمـا يعـالج عدداً كبيراً من العادات والتقاليد الدينية والسياسية الهامة في الصين في العصور التاريخية البعيدة [1] .

---

(١) حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١ -ص ٣٤ .

(٢) فلسفة الأخلاق والسياسة د / هالة أبو الفتوح ص ٣٥ .

(٣) الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى- د/ محمد العريبي – ص ٢٢٨ .

(٤) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - صلاح رسلان - ص ٢٣ .

(١) الكتب الخمسة لكونفشيوس – د/ حسن شحاته سعفان - ص ١٦ .

ويرى المؤرخون أن كتاب الطقوس يعد من أكثـر الكلاسـيكيات القديمـة التـي حفظت دون تغيير .

ويشتمل هذا السفر حاليا على ثلاثة أقسام من الكتابات المتعلقـة بأحكـام الـشريعة الكونفوشيوسية :

القسم الأول: يسمى (يي لي) أي (رسوم الشريعة) أو (كتاب الشعائر) ، وهو عبـارة عن مراسم الزواج ، والمجالس الرسمية ، وتشييع الجنائز ، والمـسابقات والمعـاملات ، وهـو أقدم كتاب وجد في الاحتفالات الصينية، ويطلق عليه أحياناً " آداب اللياقة والاحتفالات " وهو مكون من سبعة عشر فصلا ، ويتألف من اتجاهات نظامية للأرسـتقراطيين الإقطـاعيين حول كل المناسبات والاحتفالات الرسمية والدينية : كالزواج ، والحداد ، والتعيين .... الخ .

وهو لا يحتوى على حوار وإنما يعطي صورا ناصعة للأوجـه المتعـددة للحيـاة الرسمية في العصور القديمة .

وكان كتاب الشعائر في عهد " تشو " مخصصا لوصف تفـصيلات الـسلوك المتبـع في هذه المناسبات المهرجانية حيث تعقد مباريات الرماية محاطة بكل أشـكال التبـاهي والمغالاة في إعدادها بالشكل الذي تكاد تـشبه فيـه مباريـات الفرسـان فـي القـرون الوسطى .

كما أن الكتاب يهتم بعرض الاحتفالات التي تصور بلوغ الأمراء سن الرشد، وكـذلك الموت وإجراءات الزيارات الرسـمية والمـآدب ، وقواعـد البروتوكـول الخاصـة بالـسفراء المخصصين للأقطار الأجنبية [٢].

والقسم الثاني: يسمى(تشو لي) أي شريعة أسرة (تشو) أو(شعائر تشو)، وقد نسب هذا القسم إلى (تشو قونغ) ويحتوى هذا القسم تقريباً على ما احتواه القسم الـسابق مـن وصف الاحتفالات الرسمية الخاصة بالطبقة الحاكمة ، بالإضافة إلى

---

[٢] فلسفة الأخلاق والسياسة د . هالة أبو الفتوح ص ٤١ .

وصف للنظام البيروقراطي والبناء الحكومي لعصر " تشو " ، ويقال أن هذا الجزء قد فقد . . .

والقسم الثالث: يسمى (لي جي) أي (سجل الشريعة) أو(سجلات الطقوس)

وهو يشتمل على النصوص المتعلقة بالآداب والأخلاق ، والتعاليم ومعاني الطقوس، والعبادات الدينية وسلوك العارف ، والنظريات الكونفوشيوسية حول فطرة الإنسان،وأصل الكون ،والعلاقة بين الإنسان والكون . . . الخ وكثير منها يرد على نسق حكايات أو أحاديث بين كونفوشيوس وتلاميذه أو مع أناس آخرين .

وهو أكثر الأجزاء شهرة حيث يرجع تاريخه للقرن الأول قبل الميلاد ، كما أنه يحاول إظهار كيف أن الشعائر ساعدت في أن تحدد بدقة ، الأدوار الأساسية الهامة في الصين لكل من الحاكم والرعية ،

والملك والوزير ، والأب والابن . . . وكتاب المعرفة الكبرى كان فصلا من هذا القسم ، قبل أن يصير كتابا مستقلا فيما بعد، وكذلك شأن كتاب سنة التوسط لم يكن كتابا مستقلا بل كان فصلا من سجل الشريعة [1].

٤- سفر التغيرات :

ويسمى"يي كنج" أو " آي - تشينج "-"قانون التغير" أو "كتاب التغيرات" و " كتاب التحولات " .

وقد اشتهر هذا السفر بأنه سر من الأسرار الثلاثة بين الكتب الصينية القديمة مع كتاب " الطريقة وأخلاقها أو الطريق إلى الفضيلة " أي " دوا ده جينغ " وكتاب (جشوانغ تس) ، وتقول الرواية التقليدية إن الملك النبي فو شي [٢] هو الذي اخترع أساسه ، وهي

---

[1] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية . د / زهرة الدين طيب- ص٢٤ بتصرف .

[٢](فو شي) : لم يخبرنا التاريخ متى ولد ومتى مات بالضبط ، ويحكى أنه جاء إلى الصين في سنة ٢٨٥٦ق . م تقريباً ، والمتفق عليه بين المؤرخين أنه كان أول رجل نزل في أرض الصين ، والتاريخ بدأ أول ما بدأ منه في رأي أعظم مؤرخ صيني (سي ما تشيان) (١٤٥ أو ١٣٥ق . م تقريباً) صاحب كتاب سجل التاريخ في عهد أسرة (هان) الملكية . (ملخصا من المعجم المحيط ، ص ١٠٦) وهو أول الملوك الأنبياء من أرض الصين في رأي الكونفوشيوسية ، وقد ذهب العالم المسلم صالح (يانغ جين شيو) (١٨٧٠ - ١٩٥٢ م) صاحب كتاب الوجيز في الأديان الأربعة إلى أنه هو يافث ابن نوح النبي عليه السلام ، وقد جاء إلى الصين بعد الطوفان . (راجع صالح يانغ جين شيو ، كتاب الوجيز في الأديان الأربعة ، شركة الطباعة (يي سن) ببكين ، سنة ١٩٠٩م ، ص ١٣ -١٥) .

الرموز الثمانية المستقيمة (با قوا)،ثم جاء تشو وون وانغ [1]فأضاف إليها أربعة وستين رمزا أخرى ، ثم جاء بعده (تشو قونـغ) فقـام بـشرح هـذه الرمـوز ، ثـم جـاء بعـده كونفشيوس فكتب التعليقات عليها ، وهي ما تسمى بالأجنحة العـشرة (شـي يـي) ، والمتأخرون من العلماء يختلفون حول هذه الرواية اختلافـا شـديدا . وهـذا الـسفر يـرى البعض أنه عبارة عن أساليب التنبؤات ، بينما يرى البعض الآخر أنه عبارة عن قواعد الـسلوك والأخلاق الفاضلة ، حينما يذهب آخرون إلى أنه يحمل أسرار الكون كله إذا فهم .

و يحتل كتاب التغيرات عند المفكرين الصينيين مكانة رفيعة وصلت حد التقـديس ، وهو تمارين خاصة في الكهانة التي تستخدم في العرافـة وقـراءة المـستقبل ، وقـد استخدمت هذه التمارين من جانب أسرة شانج وأيضا تشو .

ويتسم الكتاب بالغموض الفائق والرمزية التي كثيرا ما تخفى المعنـى الحقيقـي المقصود ، فهو يحتوى على أفكار عن السماء والأرض والشمس والقمر والرياح . . الـخ ، بالإضافة إلى مناقشات سياسية وأخرى فلسفية معقدة[٢].

ولم يقتصر تأثيره على الصين القديمة ، وإنما امتد حتـى عـصور متـأخرة فقـد كرست الصين قديما وحديثا أساتذة يعكفون على دراسته ولعل هذه الأهمية التي نالهـا الكتاب قد دفعت كونفوشيوس قديما إلى القول :" أعطني مزيدا من السنوات وسـوف أصبح عالماً فيلسوفاً ، خبيراً بحوادث التغيرات في الطبائع الإنـسانية "[٣] فقـد تمنـى أن يضاف إلى عمره المزيد حتى يقضيه في دراسة الكتـاب وبهـذا يـضمن تخلـصه مـن الوقوع في الأخطاء الكبرى .

ويعد المغزى الحقيقي للكتاب هو طرح مفهـوم التغيـر الـذي أصـبح وفقـا للمنطق الصيني مبدع جميع الموجودات فمن ملاحظة الأحداث الطبيعيـة مثـل سـير الشمس والنجوم ، وتدفق المياه ، تعاقب الليل والنهار وتتابع الفصول ، كـل هـذا كـان أساس الفكرة الصينية عن التغير وهذا التغير لا يتم بغتة ، ولا تحدث عملياته عـشوائيا ، بـل

---

[1] (تشو وون وانغ) : هو المؤسس لمملكة أسرة (تشو) الملكية التي حكمت الصين لمدة ثمانية قـرون منـذ القـرن الحادي عشر ق . م حتى القرن الثاني ق . م ، ويعتبر من الملوك الأنبياء القدامى في الكونفوشيوسية ، وقـد كانـت الكونفوشيوسية تبالغ بتعظيمه حتى ورد في وصفه : " ألا إن أخلاق (وون وانغ) قد بلغـت مـن الكمـال الناصـع حتى لا يمكن أن يمنع من الظهور ! " (كتاب سنة التوسيط ، الفصل السادس والعشرون) .

[٢] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج ١ - ص ٤١ .

[٣] أنظر: فلاسفة أيقظوا العالم - د/ مصطفي النشار - ص ٥٣ .

تتبع مسالك راسخة ، فالتغير يسير في مجراه المقرر الذي تنكشف فيه اتجاهات الأحـداث وهو يتبدي في المظاهر الكونية مثلما يظهر في قلوب الناس على السواء [١].

ولهذا الكتاب أهمية خاصة عند الصينيين ، فمازالوا يستخدمونه حتى الآن في الإنباء بالغيب ومعرفة الطوالع ، وذلك لمعرفة ما إذا كانت الظروف ملائمة للقيام بأي نـشاط أم لا ، فعلى سبيل المثال : تستخدمه الجيوش لرسم المعارك ،ويعتمد عليه الحكـام فـي رسم سياساتهم ،ويستعين به الأفراد في توجيه شئونهم الخاصة [٢].

وإلى وقت ليس بالبعيد ، كان زائر المدن الصينية الكبرى يلتقي عنـد زوايـا بعـض الشوارع الرئيسية بقارئ حظ يجلس خلف طاولة ، مستعد لاستخارة كتـاب التغيـرات مـن أجله ، كما كان بإمكانه أن يقرأ جملاً من الكتاب منقوشة على تلك اللافتات الخشبية التـي يضعها الصينيون على أبواب منازلهم ، ومن اليابان الحديثة (على حد قـول الكاتـب) لدينا أكثر من شاهد على لجوء رجال سياسة بارزين لاستخارة كتاب التغيرات في المواقـف العصيبة [٣].

وأدعى الصينيون بأن كتاب (التغيرات) يتضمن علوم البشرية جمعاء بما فـي ذلـك العلوم العصرية المجردة . لو استطاع أحد استنباطها...

وقد وقع بين يدي كتاب باللغة العربية تحت عنوان (كتاب التحولات) فوجدته شرحاً مفصلاً لكتاب (التغيرات) مترجماً من اللغة الانجليزية إلـى العربيـة ، وممـا ذكرتـه المؤلفة في مقدمة الكتاب قولها: " تعتمد منهجية كتاب التحولات على مبدأ أن كل شيء يتغير باستمرار ، فهو يعلمنا كيف ومتى وأين علينا أن نقوم بأفعالنا .

وهو منهج تطبيقي إلى أقصى حد ، وتعد الحكمة التي يتضمنها سـريةً تمامـاً كما في الإنجيل"[٤] إلى أن قالت " ولا يعتبر كتاب التحولات كتاباً للتنجيم ،ولا بـديلاً عـن فطرتك ،إنه معني بتقديم الإرشاد لك في بعض المواقف عندما تكون غير متأكـد مـن الاتجاه الذي يجب إتباعه . استخدمه جيداً لأنه سـيعزز حياتـك وكأنـه صـديق حكـيم ومخلص "[1].

---

[١] حكمة الصين – د/ فؤاد شبل – ج١ - ص ٤٣ص ٤٤ .

[٢] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - صلاح بسيوني - ص ٢٥ بتصرف .

[٣] دين الإنسان – فراس السواح – ٢٣٨ بتصرف .

وكتاب التاو - لاو تسو – ت : فراس السواح – ص ١٤ .

[٤] كتاب التحولات – تأليف: سارة ديننغ – ت: رزان حاج علي – ص ٥ .

[1] المرجع السابق – ص ٨ .

وبهذا يتضح لنا مدى تأثير هذا الكتاب في الوقت الحاضر حتى في غيـر أتبـاع الكونفوشيوسية ، وغير أهل الصين واليابان ، بل هناك من يهتم ويقتني ويستشير هذا الكتـاب في أنحاء متفرقة من العالم ، كما ترجم لعدة لغات منها العربية - كما أسلفنا - وذلـك لوجود الخواء الروحي الذي تعاني منه كثير من أمم الأرض في العصر الحديث ، والتي تعاني من فقد نعمة الهداية للصراط المستقيم .

أضف إلى ذلك وجود هذه الثورة العارمة للاتجاه لكل ما هو صيني . . .

٥- سفر الربيع والخريف :

ويسمى " شن شو كنج " أو " تشون - شيو" أي كتاب الربيع والخريف وهـو سـفر ألفه كونفوشيوس نفسه ، ويتضمن مجموعة من السجلات التاريخية المختلفة ، تلك السجلات التي سميت بـــــــ" حوليات الربيع والخريف " وقد استمد هذا الاسم من التصدير الذي يقع في مقدمة كل جزء ، حيث يفتتح بذكر السنة والشهر واليوم والفصل الذي وقعت فيه الحادثة التي ستدون ، وقد سجل كونفوشيوس في هذا الـسفر الأحـداث التاريخيـة لإمارة (لو) [٢]التي هي مسقط رأسـه مـن سـنة ٧٢٢ق . م حتـى سـنة ٤٨١ ق . م ، ويؤكد عدد من الباحثين على أن كونفوشيوس قد تولى جمع الحوليـات بنفـسه مـن سجلات كانت محفوظة بمملكة " لو " [٣].

وشملت هذه الفترة حكم أثنى عشر أميرا . وقد استعمل كونفوشـيوس مبـدأ الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الـشريعة القديمـة ، فـأثنى علـى الأمـراء والـوزراء الصالحين الملتزمين بالشريعة ، والمحترمين للعاهل من أسرة (تشو)، وشن حملة على الأمراء و الوزراء المفسدين الخارجين على الشريعة ، والذين لم يحترموا العاهل من أسرة (تـشو) . وهذا السفر يمثل المستوى الأعلى والأروع للأدب الصيني على طول التاريخ . وقـد قـال منشيوس : " عندما أخرج كونفوشيوس سفر الربيع والخريـف ، خـاف الخـارجون علـى العاهل - من الأمراء وأبناء اللصوص - من الناس خوفاً شديداً "[١]. كما أعلن منـشيوس بـأن

---

[٢] انظر: قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج٤ - ص ٤٩ .

و المدخل في تاريخ الأديان – د/ سعيد مراد – ص ١٨١ .

[٣] أنظر: حكمة الصين –د/ فؤاد شبل – ج ١- ص ٣٨ .

[١] كتاب منشيوس - الفصل السادس .

كونفوشيوس خوفا على أحداث عصره ، قام بتأليف هذا الكتاب ، إلا أنه بعد ذلـك جـاء المؤرخ الكبير(سي ما)[٢] وحصر دور كونفوشيوس في ترتيب وتنظيم أبوابه فقط .

وقيل أن هذا الكتاب قد فقد بشكل كامل ولكن وجِدت له ثلاثة تعليقات عظيمة ، ويعتقد أن هذه التعليقات الثلاثة قد ألحقت به في الجزء الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد ، حتى أصبحت أسرة "هان" فيما بعد تنظر إلى هذه التعليقات نفسها علـى أنهـا كلاسيكيات[٣].

ونصوص هذا الكتاب يغلب عليها الغموض والاختصار ، ولذلك تعـددت الـشروح والتعليقات عليها من جانب الكتاب الصينيين[٤]. هذه هي الأسفار الخمـسة القديمـة التـي استقى منها كونفوشيوس فكره وفلسفته الأخلاقية والاجتماعية والسياسية ، بالإضافة إلى العادات والتقاليد التي كانت شائعة في المجتمع .

---

(٢) سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

(٣) فلسفة الأخلاق والسياسة د / هالة أبو الفتوح ص ٤٣ بتصرف .

(٤) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - صلاح رسلان - ص ٢٤ بتصرف .

ثانياً: الكتب المقدسة بعد كونفوشيوس :

ظهرت بعض الكتب بعد وفاة كونفوشيوس ، بعضها تسجيل لأقواله وحواراته وإرشاداته مثل كتاب الحوارات ، والبعض الآخر تفسير لبعض الأسفار المقدسة مثل تفسير (ذوأ) والبعض الآخر تسجيل لأعمال وأقوال منشيوس مثل كتاب منشيوس ، والكونفوشيوسية تقدس هذه الكتب كلها ، ولكنها لا تتمتع بنفس المكانة التي تتمتع بها الأسفار الخمسة ، وهي لا تسمى عند هم بالأسفار ، بل تسمى بالكتب فقط .

حيث يفرقون بين الأسفار والكتب فيرون أن الأسفار عمل الأنبياء ، وأما الكتب فعمل تلاميذ الأنبياء ، أو العارفين المتأخرين الذين جاءوا من بعدهم .

ولهذا السبب كان عدد الأسفار والكتب التي تقدسها الكونفوشيوسية يتزايد مع تطور تاريخها ، ومع أن عدد الأسفار بقي كما هو منذ البداية ، إلا أن الأسفار والكتب - المقدسة لديهم - قد زاد عددها حتى بلغ ثلاثة عشر في عهد أسرة سونغ[١].

ثالثاً: الأسفار والكتب المقدسة في عهد اسرة (سونغ) :

أصبح مجموع الأسفار والكتب في عهد سونغ ثلاثة عشر:

وهي :

١- الأسفار الثلاثة : سفر القصائد ، سفر التاريخ ، سفر التغيرات .

٢- ثلاثة تفاسير كتبت على سفر الربيع والخريف ، وهي تفسير (ذوأ) ، وتفسير (قونغ يانغ)، وتفسير (قو ليانغ) .

٣- وقسم سفر الشريعة إلى ثلاثة أقسام كما قلنا من قبل ، وكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة في الشريعة ، وهي كتاب (يي لي) أي رسوم الشريعة، وكتاب (تشو لي) أي شريعة أسرة (تشو) ،وكتاب (لي جي) أي سجل الشريعة .

٤- كتاب الحوارات .

---

(١) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية - د / زهرة الدين طيب - ص٢٦بتصرف .

٥- سفر البر (شياو جينغ) وهو كتاب يشرح فلسفة بـر الوالـدين ، وتوسـيع هـذه الفلسفة حتى شملت جميع أفراد المجتمع [١]. وقد نـسب هـذا الكتـاب إلـى كونفوشيوس ، ولكن العلماء يختلفون في صحة نسبته إليه . ولهذا السبب فقـد سمي سفرا ولكنه لا يتمتع بتلك المكانة التي تتمتـع بهـا الأسـفار الخمـسة فـي الكونفوشيوسية ، ولوجود الشك في صحة نسبته إلى كونفوشيوس .

٦- كتاب (عـي يـا) وهـو معجـم للألفـاظ والمـصطلحات الموجـودة فـي الأسفار،ويقال أنه أقدم قاموس صيني[٢].

٧- كتاب منشيوس .

رابعاً: الكتب الأربعة (سي شو)

جاء الحكيم (جو شي)[٣] في مرحلة الكونفوشيوسـية المحدثـة ليلعـب دوره الكبير الذي أثر في الكونفوشيوسية خصوصاً ، وفي تاريخ الصين عموماً ، وأهم ما فعل فيمـا يتعلـق بالكتـب المقدسـة لـدى الكونفوشيوسـية أنـه أخـرج فـصلين مـن (لي كنج)،أي كتاب سجل الشريعة هما : فصل المعرفة الكبرى ، وفصل سنة التوسـط، وجعلهما كتابين مستقلين ، ووضعهما في مجموعة جديدة مـع كتـاب الحـوارات، وكتاب منشيوس ، وسمى هذه المجموعة من الكتب (سي شو) أي الكتب الأربعة ، ثم قام بشرح هذه الكتب الأربعة ، وطبعها باسم الشرح الجامع للكتب الأربعة ، وذلك سـنة ١١٩٠م .

وقد وضع الحكيم (جو شي) هذه الكتب على الترتيب التالي :-

١- كتاب المعرفة الكبرى .

٢- كتاب سنة التوسط .

٣- كتاب الحوارات .

٤- كتاب منشيوس .

ولا شك أن هذه الكتب كانت تحتل مكانا عظيما في الكونفوشيوسية قبـل هـذا، ولكن أهميتها بـدأت تتعـاظم بـسرعة منـذ القـرون التـي سـبقت مجـيء الحكـيم (جو شي) ، والشيء المهم الذي حدث بعد هذا الرجل أن هذه الكتب الأربعـة حلـت

---

[١] أنظر: الأدب الصيني – أوديل كالتنمارك – ت: هنري زغيب – ص ٣٥ .

[٢] المرجع السابق – ص ٣٥ .

[٣] سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

محل الأسفار الخمسة ، وأخذت مكانتها ، كأكبر مصادر للنظر والدراسة والبحث. فأصبحت هذه الكتب الأربعة منهلاً للدارسين والعلماء على حد سواء بدلا من الأسفار الخمسة القديمة ، حتى أصبحت الأسفار الخمسة تكاد تتواري وراء الكتب الأربعة .

وقد لعبت الحكومة دورا كبيراً في هذا الأمر ، فجعلت هذه الكتب مع شرح الحكيم (جو شي) لها ، المواد الأساسية اللازمة للتدريس في المدارس ، والجامعات الحكومية ، كما جعلتها مرجعا رئيساً للامتحان لتعيين الموظفين في المناصب الحكومية . ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا ، احتلت هذه الكتب الأربعة المكانة العظمى بين سائر الأسفار ، والكتب المقدسة في الكونفوشيوسية، وقد سيطرت على ميدان التفكير الصيني طوال التسعة قرون الماضية [١].

وبعد أن تكلمنا عن الكتب الأربعة إجمالاً نتكلم عنها بشيء من التفصيل :

١- **كتاب المعرفة الكبرى :**

لهذا الكتاب أسماء عدة منها: "تا هسيو" أي المعرفة الكبرى ، ويسمى كتاب " الداشوة " أو " التعلم العظيم " ويسمى أيضاً " تا - هسوه " أو " العلم العظيم "[٢].

وكتاب المعرفة الكبرى لم يكن في البداية كتابا مستقلا ، بل كان فصلا واحدا من فصول سجل الشريعة (لي جي) ، وهو القسم الثالث من سفر الشريعة، وقد بقى هذا الفصل على ما هو عليه ضمن سفر الشريعة منذ انقضاء عصر كونفوشيوس وتلاميذه لمدة خمسة عشر قرنا من الزمان - تقريباً - ، حتى جاء الحكيم (جو شي) فأخرجه من سفر الشريعة ليصبح كتابا مقدسا مستقلاً تهتم به الكونفوشيوسية منذ عهده إلى يومنا هذا .

ويرى المؤرخون وعلى رأسهم " جو شي " أن تجميع الكتاب يعزى إلى تلميذ كونفوشيوس " تشينج تزو " (٥٠٥- ٤٣٦ ق . م)[٣]، ويرجع ذلك إلى بنية النص ، ويتكون النص من جزء صغير عبارة عن الأقوال الخاصة بكونفوشيوس والتي دونها تلميذه الفيلسوف " تشينج تزو " وجزء ثان عبارة عن عشرة فصول يحتوى تعليقات من جانب التلميذ " تشينج " على أراء المعلم في مجالي السياسة والأخلاق ، ويعتقد البعض أن هذا الجزء من النص أي التعليقات لم يدونها " تشينج " نفسه وإنما قام تلاميذه بذلك وبصرف النظر عن المؤلف فإن " جو شي " هو الذي أضفى على النص أهمية كبرى

---

(١) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشوسية - د / زهرة الدين طيب - ص٢٧ بتصرف .

(٢) فلاسفة الشرق – و.ف توملين – ت: عبد الحميد سليم - مراجعة عادل أدهم - ص ٢٩٧.

(٣) أنظر: قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج٤ –ص ٥١ .

خلال الثمانمائة عام الأخيرة ، حيث قام بجمعه مع المنتخبات (الحوار) وعقيـدة الوسـط ودون لها تعليقات هامة ، ولما بذله من جهد احتلت هذه الكتب مكانة كبيـرة داخـل المجتمع الصيني من (عام ١٣١٣م إلى عام ١٩٠٥م)، وأصبح ينظر إليها باعتبارهـا أسـاس اختبارات الخدمة المدنية[1].

أهمية نظرية المعرفة الكبرى في الكونفشيوسية

إن كتاب المعرفة الكبرى في الحقيقة عبارة عن بيان مختصر لنظريـة المعرفـة الكبرى الكونفوشيوسية ، أو سنة المعرفة الكبرى بالتعبير الكونفوشيوسي المستخدم في كتاب المعرفة الكبرى ،أو " طريقة النبي في الباطن والملك في الظاهر " .

وسنة المعرفة الكبرى عبارة عن السنن الثلاث للمعرفة الكبـرى ، والمنـاهج الـستة للارتقاء إلى كمال الخير والخطوات الثمان لتطبيق السنن الثلاثة للمعرفة الكبـرى ، فالـسنن الثلاث هي :-

١- تجلية الأخلاق المشرقة .
٢- تجديد الشعب .
٣- الاستقرار في كمال الخير ،

وأما المناهج الستة للارتقاء إلى كمال الخير فهي :

١- معرفة مستقر كمال الخير .
٢- تعيين الاتجاه .
٣- العزيمة .
٤- الطمأنينة .
٥- إحكام التفكير .
٦- الحصول على كمال الخير

---

[1] فلسفة الأخلاق والسياسة د / هالة أبو الفتوح ص ٥٣ بتصرف .
وأنظر: حكمة الصين –د/ فؤاد شبل – ج ١- ص ١٤٠ .

وأما الخطوات الثمان فهي :

١- البحث عن حقائق الأشياء .
٢- الارتقاء إلى المعرفة .
٣- إخلاص النية .
٤- تقويم القلب .
٥- تزكية النفس .
٦- رعاية الأسرة .
٧- تحسين سياسة المملكة .
٨- نشر السلام تحت السماء .

وقد تناول كتاب المعرفة الكبرى هذه السنن الثلاثة ، والمناهج الستة ، والخطوات الثمان بالشرح والتحليل ،ولا بد أن نوضح هنا أن هيكل الدين الكونفوشيوسي كله قائم على نظريته في المعرفة الكبرى ، وهي عبارة عن " طريقة النبي في الباطن والملك في الظاهر " التي هي موضوع كتاب المعرفة الكبرى .

ولهذا السبب وجدنا هذا الاهتمام - المبالغ فيه - بهذا الكتاب الصغير من جانب العلماء الكونفوشيوسيين على مر العصور، على الرغم من كثرة مذاهبهم وتعدد آرائهم ، فكل يأخذ منه ما ترتاح إليه نفسه .

ومكانة نظرية المعرفة الكبرى في الكونفوشيوسية مثل مكانة نظرية الخلاص في البوذية ، ونظرية الصلب في النصرانية ، فلولا البحث عن الخلاص من الآلام لما كان وجود الدين البوذي ، ولولا وجود الذنب الأصلي للبشر لما كان وجود عقيدة فداء المسيح ، ومن ثم تجسد الإله فيه في الدين النصراني ، ولولا نظرية المعرفة الكبرى لما كان وجود نظرية خيرية الفطرة الإنسانية ، وعقيدة الأخلاق المشرقة، ومن ثم عقيدة الوحدة بين "تيان" والإنسان في الكونفوشيوسية

فالكونفشيوسية قائمة على نظرية المعرفة الكبرى [1]، وعقيدتها وأخلاقها ونظمها الأسرية والاجتماعية والسياسية كلها مستمدة من هذه " المعرفة " من باب ذكر الجزء الذي يراد منه الكل . وأوضح مثال على ذلك تسمية دينهم " رو جاو " أي تعاليم العارفين ، كأنهم يرون أنه من لا معرفة له فلا دين له . ولقد تنبه بعض علماء المسلمين

---

[1] انظر: فلاسفة الشرق- و.ف توملين- ت : عبد الحميد سليم- مراجعة عادل أدهم - ص٢٩٧ بتصرف .

من أهل الصين لأهمية كتاب المعرفة الكبرى بين الكتب المقدسة في الكونفوشيوسـية ، وخطورة نظرية المعرفة الكبرى منذ وقت مبكر ، وحـاولوا أن يـردوا عليهـا حـسب الموقف الإسلامي . ولذلك فلا غرابة أن أول كتاب ألف عن الإسلام باللغة الصينية من جانب العلماء المسلمين في الصين ،هو: كتاب المعرفة الكبرى الإسلامية .

وكان مؤلف هذا الكتاب الشيخ " دواد وانغ داي يو "[(١)]وكان مـن جملـة العلمـاء المسلمين الذين لهم جهود طيبة في نشر الثقافة الإسلامية في الصين مـن خـلال قالـب الثقافية الصينية ، ولم تكن أسبقية تأليف هذا الكتاب الذي تناول نظرية المعرفـة الكبـرى الكونفوشيوسية بالدارسة والبحث والرد عليها منه إلا لإدراكـه لأهميـة كتـاب المعرفـة الكبرى ، والنظرية التي قدمها هذا الكتاب في الكونفوشيوسية[(٢)].

٢- كتاب سنة التوسط

يرمز لهذا الكتاب بـــــــ " شانج يانج " أو " شونج يونج "وله عدة أسماء منها " عقيدة الوسط " وهو العنوان الشائع وغالبا ما يتـرجم إليـه ، ويـسمى أيـضا " الانـسجام المركزي " و " مذهب الوسيلة الوسطى " و "سنة الوسط " و " عقيدة الوسط " إلى غيـر ذلك من الأسماء .

ويجمع العلماء على أن " تزو سو " (٤٩٢ - ٤٣١ ق . م) حفيد كونفوشيوس هو المسئول عن تجميع كتاب " سنة التوسط " وهو يتضمن أقوال كونفوشيوس مصاغة مـن جانب تلاميذه ، ويعد هذا الكتاب أيضا فصل من كتاب الطقوس ، ويعرض الكتـاب لآراء كونفوشيوس حول الاعتدال ممجدا لفضيلة التوازن والتناغم سواء بالنسبة للإنسان وطبيعتـه الأخلاقية أو اتساق ظواهر الكون ، وكأنه يعرض لتناغم الإنسان الداخلي في مقابل اتساق الكون[(٣)] .

---

(١) دواد (وانغ داي يو) : ولد في سنة ١٥٨٤ م تقريبا ، وتوفي في سنة ١٦٧٠م ، أول من قام بتأليف كتـاب عـن الإسلام باللغة الصينية من جانب علماء الإسلام في أرض الصين ، واشتهر بأنه " العارف المسلم المتبحر المحيط بالأديان الأربعة " ، ومن أهم مؤلفاته كتاب المعرفة الكبرى الإسلامية ، وكتاب الشرح الحق للدين الحق ، وكتاب الإجابة لمن أراد الحق . (ملخصا من الموسوعة الإسلامية الصينية ، لجماعة من الباحثين تحـت رئاسـة (وان يـأو بـين) دار الطباعـة للمعجـم بمقاطعة سي تشوان ، ١٩٩٤م ، ص ٥٨٠).

(٢) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشوسية- د / زهرة الدين طيب - ص٣٣ بتصرف.

(٣) أنظر: حكمة الصين –د/ فؤاد شبل – ج ١- ص ١٤٣ .

ويعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات كونفوشيوس ، وهو عبارة عن مقدمة واثنـين وعشرين فصلاً ، وكتب المقدمة حفيده المشار إليه ، وفيه مجموعة مـن الآراء الأساسـية في الأخلاق [1].

ومن الأسماء التي أطلقت فيما بعد على هذا الكتاب: " حالة التناغم والانسجام " و البحث عن الانسجام والتناغم يعد المضمون الرئيسي للكتاب . والملاحظ أنه بدلا من أن يضع المؤلف هذا المضمون في عبارات من عنده نجده يستشهد بأقوال المعلم، وبذلك فإنـه لا يختلف كثيرا عن المنتخبات الذي هو جمع لأقواله ، وهكذا فقد انحـصر إسـهام " تـزو سو" في بعض المقاطع التحليلية التي وضعها ما بين أقوال المعلم[2]. وهذا الكتاب مـن الكتب التي لها أهمية كبيرة في فهم الفكر الكونفوشيوسي ، وبخاصة حـول تنظـيم الحياة ، إذ أنه عبارة عن إرشادات في الاعتدال وعفة النفس والتوسط في الأمور .

٣- كتاب الحوارات (المنتخبات).

هذا الكتاب له أسماء متعددة منها : " لون - يو " : أي المنتخبات ، و " الأحاديث " و " المحاورات " و يسمى " شذرات " ومن أشهر أسمائه " الحوار " و " المنتخبات " [3].

يعزى جميع مادة هذا الكتاب إلى تلاميذ كونفوشيوس الذين انكبوا ، خلال فترة الحداد الطويلة على وفاته ، يجمعون أقواله سـواء المدونـة علـى ألـواح البـامبو أو المحفوظة في ذاكرتهم من أجل جمعها في كتب للحفاظ عليها من الضياع . وكـان النوابغ من تلاميذه يكتب كل واحد منهم ما يسمعه من أستاذه وجمعوا بعد وفاته ما كتبوه وألفوه ، ثم ألفه تلاميذهم مرة أخرى وزادوا فيه أحاديث أساتذتهم وسميت هذه المجموعة كتاب الحوار، وعباراته موجزة ذات دلالة ، وهو في الأدب الصيني قـدوة في البلاغة . وكان له ثلاث نسخ يختلف بعضها عن بعض اختلافا قليلاً ويقع في عشرين فصلا على النسخة المتداولة[1].

---

(١) الفلسفة الشرقية - محمد غلاب _ ص ٢٥٣ .

(٢) فلسفة الأخلاق والسياسة - د / هالة أبو الفتوح- ص٥٥ بتصرف .

(٣) ت: هذا لكتاب إلى عدة لغات تختلف فيما بينها حول المعنى حيث أن الترجمة لم تكن حرفية ، كما تـرجم هـذا الكتاب إلى اللغة العربية مباشرة ولأول مرة الأستاذ / محمد مكين الصيني الأصـل - تحـت عنـوان " الحـوار " ونـشرته المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٥٤هـ .

(١) كتاب الحوار - ترجمة محمد مكين الصيني - ص ١٠ بتصرف .

وانظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ت: د/ إمام عبد الفتاح-ص٣٢١ .

ولقد ترتب على عدم تدوين كونفوشيوس لتعاليمه أن الكتاب لم يصغ في شكل نسق فلسفي ، وإنما احتوى على أقوال متكررة ومبادئ فلسفية غامضة ، ومع ذلك فقد ظل النص يحتل مكانة الكتاب المقدس الذي شكل نمط الحياة الاجتماعية للمجتمع الصيني والمنبع الذي استقى منه غالبية المفكرين ، بصرف النظر عن انتماءاتهم الأيديولوجية، الملامح الرئيسية لفلسفاتهم .

ولا يتضمن النص صيغة الحوار بين المعلم والتلميذ فقط ، وإنما يحتوى على عدد كبير من الأقوال المنسوبة لمجموعة من صغار التلاميذ مثل : " تسينج تسى أن " و " يوجو " ، و" تزو يو " ، و" تزو شانج " و " تزو هسيا "[٢]...

والكتاب عبارة عن عشرين فصلاً تحوي عدداً كبيراً من الحكم والمواعظ والأمثال السائرة التي أتت على لسان كونفوشيوس في المناسبات المختلفة ، وهي موضوعة إحداها بجانب الأخرى بلا ترتيب أو تبويب . كما تحوي فصول الكتاب مجموعة من آراء المعلم ومحادثاته مع تلاميذه وملاحظات التلاميذ على آراء أستاذهم . ويعتبر الكتاب ملخصاً لفلسفة كونفوشيوس حتى ذهب البعض إلى تسميته باسم " إنجيل كونفوشيوس "[٣].

ويمكن تصنيف كتاب الحوارات على النحو التالي :

١- أقوال المعلم ، وتنسب إليه مباشرة مسبوقة بتقديم " قال المعلم " أو " قال كونفوشيوس "،وقد بلغ عددها داخل النص مائتين وخمسة وخمسين قولا .

٢- أقوال التلاميذ، وينسب إليهم على إختلافهم، سبعة وثلاثين قولا .

٣- حوار بين تلميذين ، ويبلغ عددها أربعة عشر حواراً .

٤- حوارات بين المعلم والتلاميذ ، ويبلغ عددها مائة وسبعة .

٥- تعليقات من جانب المعلم على أحداث وقعت في الحاضر أو في الماضي ، ويبلغ عددها ثمانية وعشرين تعليقاً .

٦- حوارات مع بعض زهاد عصره ، ويبلغ عددها أربعة .

٧- أقوال لم تصنف ولم تنسب لقائل ، وتبلغ أربعة أقوال .

٨- أقوال توضح شخصية المعلم وسلوكه اليومي ويبلغ عددها ستة وأربعين قولا .

---

(٢) فلسفة الأخلاق والسياسة - د / هالة أبو الفتوح- ص ٤٩ .

(٣) كونفوشيوس النبي الصيني - د/ حسن شحاته سعفان – ص ٢٩ .
و كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - صلاح بسيوني رسلان - ص ٥٤ .

وقد أدى هذا التنوع في الأشكال الأدبية التي يحتويها النص إلى القول بأن مادة الكتاب ذات طبيعة متفاوتة ، فالبعض منه ينسب إلى فترات مبكرة والبعض الآخر ينسب إلى فترات متأخرة نسبيا . الأمر الذي يفرض احتمال تسلل بعض المواد المتأخرة إلى الكتاب ، وكأن النص عمل مركب بين الأستاذ وتلاميذه ، وهذا بالطبع يلغي إمكانية نسبته إلى تلاميذه المباشرين(١).

٤- كتاب منشيوس (٢):

ويسمى " منج تسى " أي منشيوس

وهو من تأليف منشيوس الذي يعد من أعظم تلاميذ كونفوشيوس . ويعتبر هذا الكتاب خاتمة الآداب الصينية القديمة ، ومن الجدير بالذكر أن هذا المؤلف لم ينسب إلى كونفوشيوس ، وإنما أعتبر من المؤلفات الكونفوشيوسية ، وأما عن وصفه : فهو عبارة عن سبعة مؤلفات نسبت إلى منشيوس وكان يحاول في هذه المؤلفات أن يعيد أفكار كونفوشيوس ، وحمل حملة قوية على الملوك وطغيانهم ، وهذا طابع مؤلفات المدرسة الكونفوشيوسية بأسرها (٣).

وتعتبر هذه الكتب مجموع الشروح التي قام بها كبار الشراح لمصنفات كونفوشيوس(٤).

وقد جمعت مؤلفات منشيوس في كتاب " مصنفات منشيوس " ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الفلسفة الصينية وأعلاها قدراً يقول ديورانت : " وقضى أيام شيخوخته وضعفه في تعليم الطلاب وتأليف كتاب وصف فيه أحاديثه مع ملوك زمانه ، ولسنا واثقين من أن هذا الكتاب من تأليف منشيوس نفسه ، أو من تأليف تلاميذه ، أو أنه هو وتلاميذه قد اشتركوا في وضعه ، أو أنه مدسوس عليهم ، وكل ما نستطيع أن نقوله واثقين أن كتاب منشيوس من أعظم الكتب الفلسفية الصينية القديمة وأجلها قدراً "(١).

---

(١) فلسفة الأخلاق والسياسة - د / هالة أبو الفتوح- ص ٥٠ بتصرف .

(٢) سبق الكلام عنه وعن مؤلفاته في الباب الثاني الفصل الثاني .

(٣) الفلسفة الشرقية - محمد غلاب - ص ٢٧٨- ٢٧٩ .

وأنظر: الأديان الحية نشؤها وتطورها – أديب صعب – ص ٨٥ .

(٤) الحكماء الثلاثة - د/ أحمد الشنتناوي - ص ١٣٩ .

(١) قصة الحضارة - ديورانت – ت : محمد بدران - ج٤ - ص ٨٠ .

وأنظر المدخل في تاريخ الأديان – د/ سعيد مراد - ص١٩١ .

وبعد هذه هي مؤلفات كونفوشيوس والمدرسة الكونفوشيوسية بقسميها الأول (الأسفار) والثاني (الكتب) .

خامساً: منهج كونفوشيوس وتلاميذه في كتبهم

وإذا رجعنا إلى مؤلفات كنفوشيوس والمدرسة الكنفوشيوسية ، أي إلى الأسفار الخمسة ثم الكتب الأربعة التي كتبها تلاميذه ، وجدنا أنها في الجزء الأكبر منها مكتوبة على صورة أمثلة سائرة وحكم ومواعظ منفصلة بعضها عن بعض ولا تربطها أية رابطة .

وهذا هو الفرق الجوهري في أسلوب الكتابة بين كنفوشيوس وغيره من الحكماء والفلاسفة ، فأفلاطون مثلا يكتب على طريقة المحاورات ، وأرسطو يكتب على طريقة المحاضرة . . .

أما كنفوشيوس فيذكر أمثلة وقصصا مسرودة الواحدة بعد الأخرى لا رابط بينها ، وليس ثمة تبويب أو تصنيف للموضوعات التي يحتوى عليها كل كتاب ، لذلك فقد عرف كثير من العلماء كونفوشيوس بأنه الرجل الذي لا يتكلم إلا بحكم وأمثال قصيرة منفصلة ، كما كان بعضهم يرى استحالة استخلاص مذهب فلسفي أو اجتماعي من تلك الكتب التي هذه حالها .

ولكن العلماء الصينيين على مر العصور ، ثم بعض العلماء الأوروبيين بعد ذلك ، قد استطاعوا بعد دراسة هذه الكتب استخلاص المذهب الكنفوشيوسي واتجاهاته في السياسة والاقتصاد والدين . . . وفي غيرها من المجالات الأخرى ، تلك هي السمة الأولى من سمات منهج كنفوشيوس في كتبه ، أما السمة الثانية: فهي استخدامه نوعا من القياس المسمى بالقياس المتتابع ، إذ اتضح أنه ليس أرسطو أول مفكر استخدم منهج القياس المنطقي المتتابع ، وهو يقوم على عدة قياسات متتابعة يتخذ كل منها مقدمته من النتيجة التي انتهى إليها القياس السابق عليه ،

وهذا المنهج يسيطر على جزء كبر من كتاباته، ومن أمثلة ذلك القياس قوله: " إذا فهم الإنسان طبيعة هذه الصفات الأخلاقية فإنه سيفهم كيف ينظم سلوكه الفردي والأخلاقي ، وإذا فهم كيف ينظم سلوكه الفردي فإنه سيفهم كيف يحكم الناس ، وإذا فهم كيف يحكم الناس فإنه سيفهم كيف يحكم الأمم والإمبراطوريات " [1].

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الكتب التسعة قد ظلت قروناً عدة لها أكبر الأثر في توجيه حياة أهل الصين ، بل كان طالبوا الالتحاق بالوظائف الحكومية يؤدون اختباراً دقيقاً فيما تتضمنه هذه الكتب ، وعلى الرغم من هذا كله فإن هذه الكتب لم تناقش مناقشة علمية دقيقة لمعرفة مدى صحتها وتنزهها عن الخطأ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن كونفوشيوس قد احاط بتلك المؤلفات الصينية القديمة الكثيرة العدد واستطاع أن يستخلص منها تلك الحكم والأقوال المأثورة [2]، التي تناقلها تلاميذه وأتباعه بل والمعجبين به جيلاً بعد جيل حتى هذه الأيام .

---

[1] كتب غيرت الفكر الإنساني – أحمد محمد الشنواني – ج ١ – ص ٢٩ – ٣٢ بتصرف .

[2] الحكماء الثلاثة – د/ أحمد الشنتناوي – ص ١٤٠ بتصرف .

الفصل الثاني

المعتقدات

وفيه:

١- عقيدة الكونفوشيوسية في الإله

- الإله الأعظم أو إله السماء (تيان)
- معبودات الكونفوشيوسية الأخرى

٢- مفهوم الوحدة بين تيان والإنسان لدى الكونفوشيوسية

١- الوحدة الأخلاقية بين تيان والإنسان

٢- الوحدة الكونية بين تيان والإنسان

٣ - الوحدة بين " تيان " والإنسان (مقام روحي رفيع)

٤- وحدة المجاوبة بين تيان والإنسان

٣- موقف الكونفوشيوسية من الوحي

٤- مراتب المعرفة لدى الكونفوشيوسية

٥- موقف الكونفوشيوسية من النبوة

أ- مفهوم النبي لدى الكونفوشيوسية

ب- هل ادعى كونفوشيوس النبوة

ج- موقف بعض علماء المسلمين في الصين من القول بنبوة كونفوشيوس

٦- عقيدة الكونفوشيوسية في القضاء والقدر

٧- الطقوس الكونفوشيوسية

أ - عبادة القوى المسيطرة

ب- عبادة الأرواح

ج- عبادة الأسلاف

٨- موقف الكونفوشيوسية من بعض الأمور الغيبية

١- الروح

٢- الملائكة

٣- خلق الإنسان

٤- الجنة والنار

٥- الموت

٩- تقديس كونفوشيوس وعبادته

١– عقيدة الكونفوشيوسية في الإله :

إقراهم بوجود الله:

كثيرا ما يعثر الباحث المدقق في كتابات الصينيين القدماء وفي أقوالهم على جمل تفيد أن قدماءهم يعرفون ا وحده وذلك في مثل قولهم : " يوجد إله عظيم لا يكره أحداً - وا معنا - وأعمال ا ليس لها رائحة ولا صوت " أو في مثل خطاب احد ملوكهم عقب توليه الحكم : " أعطى ا لكل إنسان ضميراً إذا اتبعه يحفظه ويقوده إلى الطريق السوي ، وا دائماً يبارك الطيب ويعاقب الرديء " .

وكان الصينيون يصفون الرب الواحد بالرب العظيم ومالك الأكوان الخفي، والعقل غير المتناهي وأيان توجهت فهو حاضر ، وهو الإله الذي لا يحابي، بل يجود بلطفه ورعايته على الإنسان الفاضل ويحب استعمال الرحمة ويعتني بالأرض وحضوره فيها دائم وإن كان غير منظور "[١].

تشخيص :

وبمرور الزمن لم يبق التوحيد على صفائه ولم يظل الاعتقاد في تنزيه الإله وتعظيمه كما كان سابقاً بل انتقل من الاعتقاد بأنه غير منظور ولا مرئي إلى الاعتقاد بأنه قد تشخص أي عبارة عن شخص عظيم حكم العالم بأسره بجميع مظاهره الطبيعية والاجتماعية ، فبدلا من إعتقادهم بأنه عظيم قدير غير منظور أصبحوا يعتقدون أنه شخص يشبه الآدميين لكنه شخص عظيم يسيطر على كل ما في الكون[٢].

---

[١] كونفوشيوس النبي الصيني - د/ حسن شحاته سعفان - ص ١٢١ بتصرف .

[٢] الدين المقارن - محمد أبو الفيض المنوفي - ص ٨٨ بتصرف .

الإله الأعظم أو إله السماء:

كان كونفوشيوس وأتباعه - في ذلك الوقت - يعتقدون بالإله الأعظم أو إله السماء ويتوجهون إليه بالعبادة ،ويرون أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك ، أو بأمراء المقاطعات .

ويطلق على الإله الأعظم أو(الإله المتعالي) في مـصطلحات الآداب القديمـة لقب " تيان " أو السماء ، وهذا هو اللقب الذي شغف به كنفوشيوس نفسه ، وجرى على التحدث به كثيراً [1].

وكان كونفوشيوس يرمز إلى " ا " بالحق أو " الـصدق " فيقـول " إن الحـق المطلق غير قابل للتحطيم ، ولما كان غير قابل للتحطيم فهو خالد ولما كان خالداً فإنـه موجود بذاته ولما كان موجوداً بذاته فهو لا نهائي ولما كـان لا نهائيـاً فهـو واسـع عميق ، ولما كان واسعاً عميقاً فهو متعال روحي "[2].

معبودات الكونفوشيوسية :

يمكن تحديد العقيدة الكونفوشيوسية على الوجـه التـالي : " إن الديانـة التـي اعتنقها كونفوشيوس والتي كانت سائدة في أيامه ، على الرغم من الاضطراب الفكـري والديني والفلسفي ، الذي كان سائداً آنذاك ، كانت قائمة أولاً على عبادة السماء باعتبارها الإله الأعظم وحاكم الحكام أو رب الأرباب ، ثم عبادة الأرض لأن الأرض هي الأخرى إلهاً ، ثم عبادة أرواح الأجداد ثم عبادة الجبال والأنهار. . . "[3].

ومن معبودات الدين الكونفوشيوسي ، قوى الكون الطبيعية مثل الـشمس والقمـر والنجوم والكواكب الأخرى والسحاب والمطر والجبال والأنهار وماشـاكلها مـن الكائنـات ،التي عبدها الصينيون واعتقدوا أنها تعينهم في تيسير أمورحياتهم [4].

---

[1] أديان العالم - حبيب سعيد ص ١١٨ بتصرف .

[2] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاته سعفان - ص ١٢٢ . بتصرف

[3] المرجع السابق ص ٦٣ .

[4] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - د / صلاح بسيوني رسلان - ص ١٠٦ بتصرف .

٢- السماء (تيان):

يتحدث كونفوشيوس ، في فقرات عديدة ، في كتاب الحوار ، عن السماء، معبود الصين الرئيسي ، والسماء ، عند قدماء الصينيين ، اسم مشترك بين القبة الزرقاء المحيطة بالأرض وبين الإله ، وأسموها في الكتب القديمة ، بالملك والملك العلى ، واعتقدوا أن الملك العلى حي عليم قدير ، يصرف السماوات والأرض وما بينهما ، وتنفذ مشيئته في النفوس كما تنفذ في الكائنات[١].

أما عند كونفوشيوس ، فيشير مصطلح السماء ، إلى قوة كونية معنوية غامضة لا تقهر ، وهو بهذا يرفض النظر إليها باعتبارها كائنا بشريا ، بل يشير إليها ، في موضع آخر ، باعتبارها كيانا عظيماً يتمتع بالإرادة القاهرة وقدرة الإبادة ويتميز بالغائية .

ويخضع كل شيء في الكون لمشيئة السماء ، ويجرى مجراها كالفصول والكائنات والنفوس ، فكل هذا يتبع مشيئة السماء القادرة على كل شيء ، وقد استوجب هذا أن يعمل الإنسان وفق مشيئة السماء أو كما يسميها " بالعناية الربانية الهادية " ، كما أشاد بكفاح الأفراد وجهادهم في سبيل الخير ، وأبدى رجاءه في أن تعين السماء أولئك الذين يعينون أنفسهم[٢].

وكانت السماء بالنسبة له المرفأ الأخير الذي يلجأ إليه عندما يصيبه اليأس والإحباط من البشر ويتعذر عليهم فهم تعاليمه ومبادئه ، وكان يردد دائماً : " ولكن السماء تفهمني " ، وقد شكا تزو كونج (أحد أتباع كونفوشيوس ومن أنصاره ومريديه) من أن كونفوشيوس لم يشأ أن يتحدث بكلمة واحدة عن " طرائق السماء " . " وكان يرفض كل فكرة عن ا تأخذ بالتشبيه ، على أنه مع ذلك - تحت مصطلح " السماء " - اعترف بوجود قوة تسيطر على خيرات الناس ، ولابد للإنسان من الخضوع لما تقدره " السماء " عليه وفوق هذا، فإن كل من وضع نفسه في سبيل الضلال بالنسبة " للسماء " لم يبق لديه أية وسيلة أخرى للتفكير " [٣].

---

[١] انظر : كتاب الحوار - مقدمة المترجم : الأستاذ محمد مكين - ص ١١ .

[٢] انظر: الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج – هـ . ج . كريل- ت: عبد الحليم سليم - م/ علي أدهم - ص ٥٥ .

[٣] التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي - البان . ج . ويدجرى- ت: عبدالعزيز توفيق - ص ٤٧
انظر: التجربة الصينية . د / عبدالعزيز حمدي عبدالعزيز ص ٣٢ .

ولكن كونفوشيوس أظهر ، من ناحية أخرى ، تحسره لان السماء لا يعتمـد عليهـا ، بدليل أن الأشرار كثيرا ما ينجحون ويوفقون ويزدادون غنى وثروة ، في حين تبوء جهود الأخيار بالفشل أحياناً .

ورغما عن ذلك ، فقد أمدته فكرة السماء بالشعور بأن هناك في مكـان مـا مـن الكون ، قوة تقف إلى جانب الإنسان ، الذي يكافح وحيدا من أجل الحق ، وبهذا يؤكد كونفوشيوس مشيئة السماء ، هذا الكيان الفائق ، وقدرتها العظيمة التي تقف دائمـاً إلـى جانب الحق ، وتنصر الخير ، إذ هي دائماً في صالحه . وقد تخيل كونفوشـيوس نفـسه بأنه مبعوث السماء ، وأنها عهدت إليه رسالة القضاء على الشر،وفوضته لكي يقوم بـدور الملك الفيلسوف [١].

عبادة السماء

أما السماء المعبودة فلا يقصدون بها تلك القبة الزرقاء ، بل يقـصدون تلـك الأفـلاك ومداراتها والقوى المسيطرة التي تسيطر عليها وتسيرها في مداراتها ، وباتصالها بـالأرض ، وبالأمطار والرياح وغير ذلك، وكانت عبادتهم للسماء لأنهم يعتقدون أنها عالم حي متحرك حسب نظام دقيق محكم ، وأن كل ما في العالم من قوى مسيرة إنمـا هـو خاضـع لسلطان السماء[٢].

<u>٢- مفهوم الوحدة بين تيان والإنسان لدى الكونفوشيوسية</u>

قبل أن نتكلم عن مفهوم الوحدة لا بد أن نبين أن كلمة " تيان " في اللغة الصينية تعني الإله الخالق الواحد ،كما تعني في نفس الوقت قبة السماء الماديـة المخلوقـة ، وسنلاحظ تداخل هذين المعنيين ، مما يجعل فهم عقيدة الوحدة بـين " تيـان " والإنـسان لدى الكونفوشيوسية في منتهى التعقيد والصعوبة في الفهم .

---

[١] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - د / صلاح بسيوني رسلان – ص ١٠٤ .

[٢] مقارنات الأديان - الديانات القديمة - محمد أبو زهرة - ص ٧٢ .

ومع هذا فقد اتفق العلماء الكونفشيوسيون قديما وحديثاً على أن عقيدة الوحدة بين " تيان " والإنسان هي العقيدة المركزية التي بنـي علـى أساسـها الهيكـل العـام للـدين الكونفشيوسي كله ، وكانت النصوص الدالة على هذه العقيدة موجودة منـذ أقـدم الأسفار المقدسة وهي العقيدة التي تمسكت بها كافة فرق ومـدارس الكونفوشيوسـية منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث ، على الرغم من اختلافهم في كثير من المسائل .

ولم نجد أي تغير في هذا الموقف حتى عند أصحاب الكونفوشيوسـية المحدثـة المعاصرة ، وقد أعلن أصحاب الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة عـن إيمـانهم الـصارم بهذه العقيدة ، في بيان أصدرته جماعة من دعاتها تمثل كبار العلماء والمفكرين وعلى رأسهم الأستاذ (مو زونغ سان)[1] في سنة ١٩٥٨م ومما ورد في البيان: " إنه لا يجوز لنا جميعا أن نغفل على كل حال أن من الأفكار الصينية التي تتعلق بالحياة الإنسانية الأخلاقية ، تلك الفكرة التي قد اهتم بها فلاسفة الصين منذ قديم الزمن حتى يومنا هـذا ، وهـي عقيدة الوحدة الأخلاقية بين " تيان " والإنسان ، وعقيدة الوحدة بـين " تيـان " والإنـسان ، وعقيدة اللاثنينية بين " تيان " والإنسان ، وعقيدة الذات المشتركة بين " تيان " والإنسان "[2].

" ونحن نرجو من السادة الباحثين في مجال الثقافة الصينية من جمع أنحاء العالم ألا يعتقدوا أن الصينيين يعلمون فقط الاهتمام بقواعد السلوك الظاهرية الواقعية بين النـاس من أجل الحفاظ على النظام الاجتماعي والسياسي ، بل يجب عليهم أن يتنبهوا إلى فكرة الوحدة بين " تيان " ، والإنسان الموجودة فيها ، وإلى العقيدة الدينية نحـو (طـاو) أي الطريقة في أثناء ممارساتهم للأخلاق العملية . هذه هي النقطة الأولى التي نرجـوا مـن الجميع ان ينتبهوا إليها "[3].

ولعقيدة الوحدة بين " تيان " والإنسان عدة وجوه متداخلـة ومترابطـة وسـنوجز بعض ما اشتملت عليه من معاني وأفكار حسب مـا ورد فـي بعـض الأسـفار والكتـب الكونفوشيوسية :

١- الوحدة الأخلاقية بين تيان والإنسان

---

(1) سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني مع أبرز الشخصيات الكونفوشيوسية .

(2) الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة - رئيس التحرير/ فونغ تسوو شينغ - المقالة الأولـى للأسـتاذ (مـو زونغ سان) مطبعة سان ليان - بكين - سنة ١٩٨٩م - ص ١٥ .

(3) المرجع السابق – ص ١٦ .

عقيدة الوحدة بين " تيان " والإنسان كعقيدة مركزية عريقة لهذا الدين مرتبطة ارتباطاً قويا بقضية الأخلاق المشرقة لدى الكونفوشيوسية ، لذلك وجدنا أن الوجه الأول من الوجوه العديدة لهذه العقيدة يظهر في الوحدة الأخلاقية بين " تيان " والإنسان أو بعبارة أخرى الوحدة بين " تيان " والإنسان في الأخلاق وقد عبر سفر التغيرات عن هذه الفكرة قائلاً: " إنما الرجل الكبير من كان في الوحدة مع السماء والأرض في أخلاقه ، ومن كان في الوحدة مع الشمس والقمر في إشراقه ، ومن كان في الوحدة مع الفصول الأربعة في ترتيبه ، ومن كان في الوحدة مع الأرواح والملائكة في بركته وشؤمه " .

هذا النص من سفر التغيرات يعتبر من أقدم النصوص الكونفوشيوسية التي عبرت عن عقيدة الوحدة بين " تيان " والإنسان ، وتفيد الجملة الأولى منه أن الصفة الأولى للرجل الكبير المثالي الكونفوشيوسي هي: وحدته مع السماء والأرض في أخلاقه ، ونلاحظ هنا أن كلمة " تيان " السماء يمكن أن تشير إلى الإله السماوي الخالق ، وهي كذلك يمكن أن تشير إلى قبة السماء المخلوقة فوق رؤوسنا ، فما هي تلك الأخلاق التي تجعل الرجل الكبير في وحدة مع السماء والأرض ؟ وأجاب سفر التغيرات أن " تيان " له أربعة أخلاق أو صفات أساسية ، وهي:

١- (يوان) أي الخالق .

٢- (خينغ) أي الإحاطة .

٣- (لي) أي الإفادة .

٤- (جشينغ) أي التمكين .

ومن هذه الأخلاق السماوية الأربعة نشأت الأخلاق الإنسانية الأربعة أي الرحمة ، والصلاح ، والأدب ، والحكمة ، ومجموعها يسمى الأخلاق المشرقة أو الفطرة الخيرة المشرقة ، فمن صفة الخلق السماوية نشأت الرحمة الإنسانية ، ومن الإحاطة السماوية نشأ الصلاح الإنساني ، ومن الإفادة السماوية نشأ الأدب الإنساني ، ومن التمكين السماوي نشأت الحكمة الإنسانية . وهناك نص آخر من نفس السفر عبر عن هذه العقيدة بقوله: " السماء تسير بالقوة ، والرجل الفاضل يقوي نفسه من غير رقود ، والأرض شأنها التحمل ، والرجل الفاضل يتحمل الأشياء بالأخلاق الكريمة [1].

---

[1] سفر التغيرات (سيانغ) .

انظر : كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د/ زهرة الدين طيب – ص ١٦١.

وهذا يعني أن الرجل الفاضل يحقق الوحدة بينه وبين تيان والأرض يسير على سـنة تيان في القوة وهي صفة السماء ، ويسير على سنة الأرض في التحمـل ، وهـي صـفة الأرض ، فيتحمل كل ما يتعرض له . . .هذه بعض الأمثلة مما ورد فـي سـفر التغيـرات حول الوحدة الأخلاقية بين تيان والإنسان ، وغيرها كثير في أسفار وكتب الكونفوشيوسية .

٢- الوحدة الكونية بين تيان والإنسان

وأما الوجه الثاني لهذه العقيدة فهو الوحـدة الكونيـة بـين " تيـان " والإنـسان فالكونفوشيوسية ترى أن الكون وحدة متكاملة متناسقة تسير وفـق قـوانين " يينـغ - يانغ "،والعناصر الخمسة من الذهب والخشب والماء والنار والتراب ، والإنسان فـي تكوينـه مثل السماء تماما ، فهو عالم صغير، كما أن " تيان " عالم كبير ومن مظاهر هذه الوحـدة الكونية بين " تيان " والإنسان كما زعموا :

يوجد في السماء شمس وقمر،ويوجد في الإنسان عين وأذن .

السماء لها أربعة فصول ،والإنسان له أربع جوارح .

السنة لها ستة وستون وثلاثمائة يوما ، الإنسان له أيضا ستة وستون وثلاثمائـة مفـصلا عظميـا صغيرا . السنة فيها اثنا عشر شهراً ، والإنسان له اثنا عشر مفصلاً عظمياً كبيراً الكـون متكـون من العناصر الخمسة ، والإنسان له الأحشاء الخمسة .

السماء لها قلب هو عين الأخلاق السماوية ، والإنسان له قلب هو عين الفطرة الإنسانية الخيرة . السماء لها برودة وحرارة ، والإنسان له سرور وغضب . يوجد في الكـون سـماء وأرض ، والإنسان إما ذكر وإما أنثى [٢].

ولن ننتهي من هذه القائمة لو أردنا أن نورد كل ما ذكروه من مظـاهر الوحـدة بين " تيان " والإنسان عندهم ، وهذه العقيـدة تـشترك فيهـا الكونفوشيوسـية والطاويـة وغيرهما من المذاهب الفلسفية الصينية وأسفارهم وكتـبهم مليئـة بهـا ، وخاصـة سـفر التغيرات .

٣ - الوحدة بين " تيان " والإنسان مقام روحي رفيع

وأما الوجه الثالث لعقيدة الوحدة بين " تيان " والإنسان فهـو أن الكونفوشيوسـية ترى أن الوحدة بين " تيان " والإنسان مقام روحي رفيع ، يصل إليه الإنسان بعد إخلاص النية ، وتقويم القلب ، وتزكية النفس ، وعلامته أن يـتخلص الإنـسان مـن الأهـواء والـشهوات ،

---

[٢] المرجع السابق – ص ١٦٢ بتصرف .

والرغبة النفسية ، ويصل إلى الأخلاق السماوية عن طريق تجلية الأخـلاق المـشرقة ، ومـن علامته أيضا ألا يرى الإنسان لنفسه وجودا مستقلا عن الكون وما فيه ، بـل يـرى أنـه هـو والكون في وحدة متماسكة ومتكاملة قال كونفوشيوس في إحدى حواراته :

" وا لهفاه ! ما عرفني أحد ! " فقال (تس قونغ): " ماذا تعني حضرتك بعـدم معرفة أحد بك ؟ " قال :" لا أتذمر من السماء ولا أتضجر من الناس ، وإنما أطلـب المعرفـة بالأمور الدنيا وأتوصل بها إلى الأمور العلوية أليس الذي يعرفني هو " تيان " السماء فقط ؟ "[1] .

والمشار إليه في النص من الأمور العلوية ليست إلا الأخلاق السماوية كأنه يقول إنـه في مقامه الذي وصل إليه لم يعرفه أحد غير" تيان " وهو مقام الوحدة بـين " تيـان " والإنسان ، ويرى من خلال هذا المقام أن جميع الأشـياء الموجـودة فـي الكـون كلهـا مكتملة في نفسه ، لأنه قد حصل على سعادة روحية عظمى بعـد حـصوله علـى الإخلاص الذي هو سنة السماء ، ورأى أن الكون ونفسه شيء واحد لا تفرقة بينهما .

٤- وحدة المجاوبة بين تيان والإنسان

أما الوجه الرابع لعقيدة الوحدة بـين " تيـان " والإنـسان علـى حـد مـا تقولـه الكونفوشيوسية وحدة المجاوبة بين " تيان " والإنسان ، ذلك أن الكونفوشيوسية تـؤمن بـأن الإنسان وما في الكون من الأشياء كلها مخلوقة لـ " تيان " ، فهو يدبر كل ما يحدث فيه ، وهو يسمع ، وينظر، وينصر ، ويهلك ، ولكن الناس لا يرون ذلك بعيونهم ، وما السبب في ذلك ؟ قالت الكونفوشيوسية : " إن " تيان " يسمع بواسطة سماع الشعب وإن " تيان " ينظر بواسطة نظر الشعب " [2].

على هذا ، فإن سماع الشعب هو نفس سماع " تيان " ، ونظر الشعب هو نفس نظر " تيان " وليس هناك فرق بين سماع الإنسان وسماع " تيان " وليس هناك فرق بين نظر الإنـسان ونظر " تيان " ، فالوحدة بين الإنسان و " تيان " ظاهرة ليس عليها خفاء .

وورد نص على أسلوب المحاورة بين منشيوس وتلميذه وان تشانغ :

سأل (وان تشانغ) : " أعطي (ياو) ما تحت السماء لـ (شون) ، هـل وقـع ذلـك ؟ " أجاب منشيوس قائلا : " لا ! لا يستطيع ابن السماء أن يعطي ما تحت السماء لرجل آخـر ، " " ولكن (شون) ملك ما تحت السماء فعلا ، ومن الذي أعطاه له ؟ " قال: " " تيان " أعطاه "

---

[1] كتاب الحوارات - الفصل الرابع عشر - الحوار رقم ٣٧ .

[2] " كتاب منشيوس " - الفصل التاسع .

، " أعطاه " تيان " ؟ هل أمره بذلك شفة بشفة ؟ " قال : " كلا ! إن " تيان " ، لا يتكلم ، وإنما يكفي أن يدله على ذلك بالأعمال والأحداث " [1].

فالإله السماوي لا يتكلم حينما يظهر أمره حتى في شأن وراثة الملك من ملك نبـي إلى ملك نبي آخر ، بل يظهر أمره بواسطة الأعمال التي أنجزها ، والأحداث التي أتمها في الشعب والكون ، فالعلاقة بين الإنسان و " تيان " علاقة وحدة المجاوبـة بـين الطـرفين ، أعمال الشعب هي عين أعمال " تيان " ، وأحداث الكون وما فيها مـن الآيـات هـي عـين أفعال " تيان " ، وبينهما وحدة كاملة .

هذا عن أهم الوجوه العديدة لعقيدة الوحـدة بـين " تيـان " والإنـسان وبعـض أبعادها التي تكلم عنها علماء الكونفوشيوسية ، وهناك وجوه وأبعاد أخرى لـم نتطـرق إليها هنا ،خشية الإطالة ، ونلاحظ من هذه العقيدة الكونفوشيوسية أن هذه الوحدة التي يتكلمون عنها ليست وحدة بين " تيان " الخالق والإنسان فقط، بل هي الوحدة بين الإنـسان والكون المخلوق ، وما فيه أيضاً .

---

[1] المصدر السابق - الفصل التاسع .

٣- موقف الكونفوشيوسية من الوحي:

مصدر المعرفة لدى الكونفوشيوسية إما الفطرة الإنسانية الخيرة ، وإما القلب الإنساني العارف ، فهم لا يؤمنون بمبدأ الوحي الإلهي ، أو لا يعرفون أن الله ينزل وحيه وكتبه على من يشاء من عباده المرسلين لهداية الخلق إلى الصراط المستقيم ، ومن ثم لا يعترفون بأن هناك مصدرا للمعرفة يسمى وحيا إلهيا .

ومذهبهم هذا كما لا يخفى لابد أن يؤدي إلى إشكالية حقيقة المعرفة وصحتها ، ذلك لأننا كمسلمين نؤمن بمبدأ الوحي الإلهي المنزل على أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، كما يؤمن النصارى واليهود بهذا المبدأ أيضاً ، فليست هناك إشكالية ، لأن المعرفة هنا مأخوذة من عند الله عن الوحي عن طريق الأنبياء والرسل الصادقين المبلغين عنه بالأمانة والصدق ، وما دامت المعرفة مأخوذة من عند الله ، وهو سبحانه المتكفل بصحتها وأنها حق ، فلا إشكال في صحة المعرفة وحقيقتها أبدا .

ولكن القضية في الكونفوشيوسية ليست قضية الوحي الصادق ، لأنها لا تقول بالوحي ، فلا بد أن تنشأ إشكالية صحة المعرفة وحقيقتها.

وقد أجابت الكونفوشيوسية على هذه المشكلة بأن سنة التوسط هي الضابط المعياري للمعرفة عندهم ، وأن سنة التوسط لها علاقة قوية مباشرة بعقيدة الوحدة بين " تيان " الإنسان ، وما دامت هناك هذه الوحدة بين " تيان " والإنسان ، فيمكن للإنسان أن يصل إلى مقام رفيع حيث لا يكون فيه مثقال حبة من الأهواء والشهوات النفسية ، وهو مقام الاستقرار في كمال الخير ، وهناك تؤتمن معرفته ويعتمد عليها، لأنه حينئذ لا يأخذ معرفته إلا من مقام الوحدة بين " تيان " والإنسان الذي تتجلى فيه الفطرة الإنسانية الخيرة المشرقة تجليا واضحا ، وخاصة إذا كان الأنبياء مزودين بالمعرفة منذ الولادة كما ترى الكونفوشيوسية .

وقد جاء تعريف سنة التوسط في كتاب سنة التوسط بقوله:

" إنما تسمى حالة عدم ظهور الحب والغضب والحزن والفرح توسطا ، ويسمى حالة تقييدها بالشريعة بعد ظهورها تناسقا . وإن التوسط هو الأصل الكبير للكون، وإن التناسق هو

الطريقة الموصلة في الكون ، تتمكن السماء والأرض في مكانهـا عنـد بلـوغ التوسـط والتناسق وتتربى الموجودات كلها عندهما "[١].

على هذا ، فإن سنة التوسط مقام روحي يصل الإنسان فيه إلى حالة لا يكون فيه حب ولا غضب ، ولا يكون فيه حزن ولا فرح ، لأن أهواءه وشهواته النفسية قـد أميتـت كليا هناك فلا تظهر ، وإذا أميتت الأهواء والشهوات النفسية ، فـستتجلى الفطـرة الإنـسانية الخيرة المشرقة ، وهناك يكون الإنسان في الوحدة الأخلاقيـة بـين " تيـان " والإنـسان ، لأن الفطرة الإنسانية الخيرة المشرقة ليست إلا تجليات للأخلاق السماوية ، قال الحكيم (جو شي)[٢] في شرحه لهذا النص :

" إن الحب والغضب والحزن والفرح عواطف ، وأما الذي لم يظهر فهو الفطرة ، والفطرة ليست لها ميل ولا انحراف ، ولذلك سميت بالتوسط " [٣].

يعني هذا أن الحب والغضب والحزن والفرح وغيرها مـن الميـول النفـسية كلهـا عواطف إنسانية ، والفطرة الخيرة المشرقة تختفي وراءها ، فهي لا تتجلـى مـا دامـت هذه العواطف الإنسانية تعمل علمها في الإنسان .

ترى الكونفشيوسية أن من شأن العواطف الميل والانحراف ، وأمـا الفطـرة الخيـرة المشرقة فليست لها ميل ولا انحراف ، وهي قائمة دائما على مقام سنة التوسـط لا تميـل إلى محبوب ولا تميل عن مكروه ، ولا تنحرف عند الحزن ولا الفـرح ، ومـن هنـا كـان التوسط أصلا كبيرا للإنسان كما هو أصل كبير للكون، ومن هنا يقوم التوسط بدوره كـضابط معياري للمعرفة في المقام الذي يصل فيه الإنسان إلى الوحدة بين " تيان " والإنسان ، فلا يخطئ ما دام متمـسكا بـسنة التوسـط كمـا تـرى الكونفوشيوسـية . ولقـد وصـف كونفوشيوس (شون) بأنه ملك نبي عظيم يملك معرفة عظيمة ، ولم يكن ذلك التعظيم له إلا لأنه كان متمسكاً بسنة التوسط
في جميع أموره[٤].

---

[١] سنة التوسط - الفصل الأول .

[٢] سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني مع أبرز الشخصيات الكونفوشيوسية .

[٣] الشرح الجامع للكتب الأربعة - شرح كتاب سنة التوسط - ص ٢ .

[٤] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د/ زهرة الدين طيب – ص١٦٥-١٦٧ .

٤- مراتب المعرفة لدى الكونفوشيوسية :

ترى الكونفوشوسية أن للمعرفة مراتب مختلفة من حيث كيفية الحصول عليهـا ، فمن يولد عارفا فهو في المرتبة العليا ، ومن صار عارفا بعد محاولـة الطلـب والـتعلم برغبة من عند نفسه فهو في المرتبة الثانية ، ومن طلب المعرفة بعد أن أكـره عليهـا ، وشعر بضرورة طلبها فهو في المرتبة الثالثة ، ومن لا يطلب المعرفة حتـى ولـو أكـره عليها فهو في المرتبة السفلى . ورد في كتاب الحوارات :

قال كونفوشيوس : " من يولد عارفا فهو في المرتبة العليا ، ومن صار عارفا بعد التعلم فهو في المرتبة الثانية ، ومن طلب المعرفة بعد أن أكره عليها فهو في المرتبة التي بعدها ، ومن لا يطلب المعرفة حتى تحت الإكراه فليس من الشعب من كان أدنـى منه في المرتبة[١].

وذهبت الكونفوشيوسية إلـى أن أنبيائهـا ولـدوا مـزودين بالمعرفـة ، فهـم لا يحتاجون إلى الجهد والمحاولة للحصول على المعرفة ، والمعرفة جبلة فطريـة فـي قلوبهم ، ورد في كتاب سنة التوسيط :

" إن الصديق يصيب بدون جهد ، ويحصل بدون تفكير ، وهو يمشي متمكنا على طريقة التوسط ، فذلك هو النبي "[٢] .

وأما العلماء والعارفون فيحصلون على المعرفة بالأخذ بأسباب الطلب والتعلم ، إلا أن هناك فرقا بين من طلب المعرفة برغبة من عند نفسه ، ومن طلب المعرفة بعد إكراهـه وشعوره بضرورة طلبها ، فالصنف الأول رجل رحيم ، لأنه ذو خلق طيب وميل شريف إلى المعرفة، والصنف الثاني رجل شجاع ، لأنه استطاع أن يقاوم شهوات نفسه التي تميل إلى متاع الحياة الدنيا وسفاسف الأمور ، وتغلب عليها واشتغل بطلب المعرفة .

فما هي هذه المعرفة التي ولد أنبياؤهم مزودين بها من غير محاولـة الطلـب ، ولا جهد التعلم في رأي الكونفوشيوسية ؟ هل هي العلوم كلهـا صـغيرها وكبيرهـا ، عاليها وسافلها ، أم هي بعض العلوم ؟ قالت الكونفوشيوسية إن هذه المعرفـة ليـست المراد منها تفاصيل الأسماء والأمور ، والعرض والطول والأعداد ، بل هي معرفة

---

(١) كتاب الحوارات - الفصل السادس عشر ، الحوار رقم ٩ .

(٢) كتاب سنة التوسط ، الفصل التاسع عشر .

الحق من الباطل ، والصلاح من الفساد ، وحقائق الأمور ، والإصـابة فـي القـول والعلـم والأخلاق . وهذه الأشياء مجبولة ومطبوعة في فطرة النبي ، فـلا يخطـئ أبـدا لأنـه يأخذها من فطرة نفسه الصافية النقية التي تنعكس فيها حقائق الأمور من غير أي جهد أو محاولة [١].

٥- موقف الكونفوشيوسية من النبوة

أ- مفهوم النبي لدى الكونفوشيوسية:

هل كان كونفشيوس نبيا ممن بعثهم ا عز وجل إلى أمة الصين لهـدايتهم إلـى طريق الحق ، كما كانت سنته في بعث الأنبياء وإرسـال الرسـل إلـى الأمـم والـشعوب ؟ للإجابة على هذا السؤال الذي قد يثير بعض التساؤلات حوله لعدم ذكره لا إثباتاً ولا إنكاراً في جملة الأنبياء والرسل في القرآن العظيم والحديث النبوي الشريف ، لابد أن نبحث عـن مفهوم النبي في الكونفوشيوسية .

لمعرفة المعنى الاصطلاحي للنبي في الكونفوشيوسية ،لابد أن نستعرض بعـض ما ورد عنه في الكتب المقدسة الكونفوشيوسية من نصوص ، ومنها :

النص الوارد في الصفحة السابقة في كتاب سـنة التوسـط:"إن الـصديق يـصيب بـدون جهد،ويحصل بدون تفكير،وهو يمشي متمكنا على طريقة التوسط فـذلك هـو النبـي". وورد في كتاب منشيوس: " إنما النبي من تمم الأخلاق والمعاملات الإنسانية "[٢] .

وورد في سفر الشريعة: " واضعها (أي الشريعة والموسيقى) يسمى نبيا، ومخبرهـا يسمى عارفا " [٣].

وورد في كتاب منشيوس : سئل منشيوس " ولكن هل الأستاذ كان نبياً ؟ أجاب قائلا: " لقد سأل (تس قونـغ) كونفـشيوس فـي القـديم قـائلاً: هـل الأسـتاذ نبـي؟ قـال كونفوشيوس: " النبي لا أستطيع ، إنما أطلب المعرفة من غير ملل ، وأُعلّم من غير تعب ، قال (تس قونغ) : طلب المعرفة من غير ملل حكمة ، والتعليم من غير تعب رحمـة ، لقد جمع بين الحكمة والرحمة ، فالأستاذ كان نبياً، ولقد كان نبياً ، وإنمـا لا يقـيم نفـسه على مرتبة النبي، ما هذا الكلام الذي تقول ؟ "[٤].

---

[١] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية- د/ زهرة الدين طيب-ص ٧١-٧٢ بتصرف .

[٢] كتاب منشيوس الفصل السابع .

[٣] سفر الشريعة – قسم سجل الشريعة – فصل وصف الموسيقى .

[٤] كتاب منشيوس - الفصل الثالث .

وورد في كتاب الحوارات : قال تس قونغ : " إذا كان رجل يعطي الناس عطـاء واسع النطاق ، ويعينهم على نوائب الحق جميعاً فماذا تقول فيه ؟ هـل يوصـف بأنـه رجل رحيم ؟ : قال الأستاذ :" كيف يوصف بأنه رجل رحيم فقط ؟ بل لابد أن يكـون نبيـا! "[١].

وورد عن الحكيم وانغ تشونغ أنه قال : " إن قلب " تيان " الأعلـى يكـون فـي صدر النبي ، ولما أراد أن يرسل بالخبر أظهره من فم النبي " . يفيد النص الأول مـن هـذه النصوص أن النبي من يولد عارفا ، والنص الثاني يفيد أن النبي من تمم الأخلاق والمعاملات .

والنص الثالث يفيد أن النبي هو واضع الشريعة والموسيقى وشارعها ، والنص الرابع يفيد أن النبي من جمع بين الحكمة القولية والعملية .
والنص الخامس يفيد بأن النبي يرشد الناس ويمضي الحق عليهم ، والنص الأخير يفيـد بـأن كلما يتكلم النبي عنه فهو مخبر عن " تيان " على هذا فإن صفات النبي عندهم قريبـة من صفات النبي في الإسلام ، إلا أننا لا نجد فيما نسب إلى كونفوشيوس أنـه أعلـن إعلانـا واضحا بأنه نبي مرسل من عند الإله السماوي ، بل نفى ذلك عندما سـأله منـشيوس فـي القديم قائلاً: هل الأستاذ نبي ؟ اجاب : النبي لا أستطيع . . . ، وإن كانت بعض الإشارات مـن حواراته يفهم منها ذلك ، وتصديقات تلاميذه وبعض معاصريه تزعم بأنـه نبـي مرسـل . ونورد فيما يلي تلك الإشارات والتصديقات : قال كونفوشـيوس : " عرفـت الأمـر الإلهـي عندما بلغت الخمسين من عمري" [٢]. ولما أراد (هوان طوي) أن يقتـل كونفوشـيوس ، قال :" لقد خلق " تيان " هذه الفضائل في نفسي ، فأي شر يمكن أن يريده بي ؟ "[٣].
وقال أيضا : " وا لهفاه ! ما عرفني أحد ! فقال (تس قونـغ) : " مـاذا تعنـي حضرتك بعدم معرفة أحد بك ؟ " قال : " لا أتذمر من " تيان " ولا أتضجر من النـاس، وإنمـا أطلب المعرفة بالأمور الدنيا ، وأتوصل بها إلى الأمور العلوية ، أليس
الذي يعرفني هو " تيان " فقط ؟[٤].
هذه بعض الإشارات من عند كونفشيوس نفسه ، أما التصديقات لكونـه نبيـا مـن كلام بعض تلاميذه ومعاصريه فمنها : سأل موظف كبير (تس قونغ) قائلاً: " هل الأستاذ

---

[١] كتاب الحوارات - الفصل السادس- الحوار رقم ٢٨ .
[٢] كتاب الحوارات - الفصل الثاني - الحوار رقم ٤ .
[٣] كتاب الحوارات - الفصل السابع - الحوار رقم ٢٢ .
[٤] كتاب الحوارات ، الفصل الرابع عشر ، الحوار رقم ٣٧ .

نبي ؟ ما أكثر مواهبه ! قال (تس قونغ) :" إن الأصل أن " تيان " قد جعله نبيا ، ووهب له مواهب غير محدوده [1].

وورد في كتاب منشيوس : سئل منشيوس : ولكن هل الأستاذ كان نبياً ؟ أجاب قائلاً: " لقد سأل (تس قونغ) كونفشيوس في القديم قائلاً : " هل الأستاذ نبي ؟ " قال كونفوشيوس : " النبي لا أستطيع إنما أطلب المعرفة من غير ملل ، وأعلم من غير تعب ، قال (تس قونغ) : " طلب المعرفة من غير ملل حكمة ، والتعليم من غير تعب رحمة ، لقد جمع بين الحكمة والرحمة ، فالأستاذ كان نبياً . - فقد فهم تس قونغ أن من جمع بين الحكمة والرحمة يكون نبياً فجزم بذلك -

وقد كان نبياً ، وإنما لا يقيم نفسه على مرتبة النبي ، ما هذا الكلام الذي تقول ؟"

.

ب- نبوة كونفوشيوس:

على كل حال لا نجد نصا واحدا فيما نسب إلى كونفوشيوس يدل بوضوح على أنه أدعى النبوة ، أو تحدى بها ، أو زعم أنه أوحي إليه ، ولا تدعى الكونفوشيوسية أن أسفارها وكتبها وشرائعها وحي منزل من عند " تيان " ، فالكونفوشيوسية ترى أن المعرفة تؤخذ من قلب النبي وفطرته المجبولة على الخير، ولا تؤخذ من الوحي الواضح .

لكن أصبحت مكانة كونفوشيوس تتعاظم بعد موته يوما بعد يوم، حتى صار أعظم الأنبياء في تاريخ الصين في نظر الصينيين ، وقالوا إن النبي بما أنه نبي يجب أن يكون كامل الخلق والمعرفة ، فلا بد أن يكون متواضعا للغاية ، ولا يعلن أنه نبي، لأن من كان كامل الخلق والمعرفة لا يدعي بأنه كامل الخلق والمعرفة ، ولابد أن يأتي الاعتراف به من عند غيره لإثبات نبوته ، وهذا إيمان جازم لم يتغير حتى عند الكونفوشيوسية المحدثة العاصرة ، بل يزعمون أنه أعظم إنسان نزل على الأرض . هذا موقف الكونفوشيوسية منه .

ج- موقف بعض علماء المسلمين في الصين من القول بنبوة كونفوشيوس

[1] كتاب الحوارات ، الفصل التاسع ، الحوار رقم ٥ .

وأما موقف علماء المسلمين الذين لهم جهود في مجال دراسة مقارنة الأديان من أرض الصين من كونفشيوس ، فقد ذهب الجمهور منهم إلى أن كونفـشيوس كـان نبيـا مبعوثا إلى أمة الصين ، ومن مشاهير هؤلاء شيخ الإسـلام داود وانـغ دأي يـو ، صـاحب كتاب المعرفة الكبرى الإسلامية ، وكان أول من كتب عن الإسلام باللغة الصينية من العلماء المسلمين في الصين ، والسيد يوسف ماجو صاحب كتاب الهداية الإسلامية ، والشيخ صـالح ليو جشي صاحب كتاب الشريعة الإسلامية ، وكتاب معرفة الفطرة والحقيقـة الإسـلامية ولكن أختلف معهم في العصر الحديث الإمام (صالح يانغ جـين شـيو) صـاحب كتـاب الوجيز في الأديان الأربعة في هذا الموضوع، وأنكر أن يكون كونفوشـيوس نبيـا ، بـل ذهـب إلـى أن أب الـصينيين (فوشي) هو النبي المبعوث إلى أمة الصين[1].

٦- عقيدة الكونفوشيوسية في القضاء والقدر :

مصطلح القدر ، عند كونفوشيوس ، يرتبط بمصطلح السماء ، ويشير إلى معنيـين : إما أمرا، وإما قدرا ، وهذا يتوقف على علاقة القدر بالسماء أو انفصاله عنها .

فعندما يظهر القدر مرتبطا بالسماء ، فإنه يسمى أمر السماء أو مـشيئة الـسماء ، أمـا حين يظهر القدر منفرداً ، منفصلاً عن السماء ، فإنه يعنى القدر أو المصير ، وبشكل عـام ، فالقدر عنده هو ضرورة غامضة غير واضحة ، تتجاوز إدراك البشر ، وقدرتهم على فهمه أو التحكم فيه . وقد قال كونفوشيوس عندما اشتد المـرض بأحـد أتباعـه : " إن ذلـك سيطيح بحياته . إذن إنه القدر . . . أن يصاب مثل هذا الرجل بمثل هذا الداء ! " .

قوله أيضا عن حتمية القدر : " عندما يجب على الحقيقـة أن تـذيع ، وعنـدما يجـب أن تنحـرف ، فإنـه قـدر " .[2] وهـذا يـدل علـى اعتقـاده بالقـضاء والقـدر، والكونفوشيوسيون يعتقدون بالقضاء والقدر ، فيرجعون فقـر الإنـسان وغنـاه وصـحته ومرضه ، والسلم والحرب . . . الخ ، على أنها أمور كتبت في لوحة القدر ويستحيل على الإنسان تلافي ما يخطه القضاء والقدر أو تعديله ؛ . . . إلا في حالات نادرة ، ببذل الجهد الذي في وسعه وترقب نصيبه مما تأتي به الأقدار [1].

---

[1] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية - د/ زهرة الدين طيب- ص ٧٢-٧٦ بتصرف.

[2] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ١٠٥ بتصرف .

[1] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ – ص ١٨٥ – ١٨٦ بتصرف .

كما يؤثر عن كونفوشيوس أنه قال مرة ، وهو على ضفة نهر، العبارة التالية: " كل شيء يجري كما تجري هذه المياه ، لا شيء يتوقف ، لا النهار ولا الليل ، من لا يعرف إرادة السماء لا يصبح حكيماً " .

وهذا الانتظام الكوني لا دخل لإرادة الإنسان فيه ، فالكونفوشيوسية تقول بجبرية مطلقة لا يستقر حال الإنسان إلا بالتكيف معها ،وهذا هو المطلوب ، سعي كل إنسان كي ينسجم مع هذه الحتمية والجبرية في المسيرة الكونية ومسيرة الحياة المنطلقة من إرادة سماوية (٢).

ونتسائل من الذي كتب تلك الأشياء في لوح القدر ؟ إنها وحسب فهمنا لا تدخل ضمن أمر السماء أو مشيئة السماء وإلا لسماها بمسماها (أمر)إذن فهي بعيدة عن السماء غير مرتبطة بها . وحينئذ إذا كان إله السماء وهو الإله الأعظم عندهم لم يكتبها فهل كتبها الآلهة الآخرون أو المعبودات الأخرى عندهم وهم أقل منه وعندئذ يكون تصرفهم وكتابتهم بدون علم الإله الأعظم فكيف يكون أعظم أذن وهل لو علم يستطيع أن يغير ما كتبه هؤلاء الآلهة الذين دونه وحينئذ ماذا يكون موقف الآلهة من تغيره هل يرضون بكل بساطة أم أن الوهيتهم تجعلهم يستنكفون تغييره ويرفضونه . وماذا لو رفضوا تغييره هل يستطيع أن يغير رغما عنهم وحينئذ تضيع شخصيتهم واحترامهم لأنفسهم على الأقل . أم ما ذا ؟ تساؤلات فقط على الكونفوشيوسيين أن يجيبوا عنها . ومن المؤكد أنهم لا يستطيعون لأنه في حقيقة الأمر وواقع الحال ليس هناك إلا إله واحد هو ا الكبير المتعال سبحانه جل في علاه وبالطبع ليس هو الإله الأعظم عند الكونفوشيوسية حيث لا سبيل للخلق لمعرفة الإله الحق معرفة صحيحة لا لبس فيها ولا تشويش إلا عن طريق الوحي الذي يوحيه سبحانه إلى رسله فيبلغونه للبشر وهم كما ذكرنا لا يقولون بذلك .

ونتسائل ايضاً هل هذه الإرادة السماوية أو إرادة السماء خاصة بالنظام الكوني العام بعيداً عن الإنسان ؟ والاجابة عندهم لا بد ان تكون بنعم لنهم سبق أن قالوا أن المرتبط بالسماء يسمى أمر وأطلق على ما هو مرتبط بالإنسان مسمى القدر وحينئذ تكون هذه الإرادة السماوية ناقصة وقاصرة فهل يجيزون أن تكون إرادة السماء أو إله السماء أن تكون قاصرة وناقصة ؟ وحينئذ هل يصلح أن يكون إلهاً ذلك المنقوص الإرادة المنقوص القدرة .

تساؤلات ايضاً توجه إلى الكونفوشيوسية الذين لا يؤمنون إلا بالأساطير ولو أنهم فتحوا قلوبهم وأعملوا عقولهم بطريقة حيادية وعملية مثلما يعملونها في امور الدنيا وقرأوا

---

(٢) من قاموس الأديان - الشنتوية الكونفوشية . د / أسعد السحمراني - ص ٧٧ – ٧٨ .

عن الإسلام الصحيح بهذا المنهج إبتغاء الوصول إلى الحق لوصلوا إليه إن شـاء ا سـبحانه وتعالى وصدق ا إذ يقول: (فمن يرد ا أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومـن يـرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء) الآية

٧- الطقوس الكونفوشيوسية:

الطقوس هي : أشكال العبادة ومظاهرها التي تـؤدي للإلـه أو الأرواح ومظـاهر الطبيعة .

وقد كانت هذه العبادات لها طقوس خاصة تختلف من عبادة لأخرى كما وأنها تختلف باختلاف من يؤديها ، فقد كان لكل طبقة طقوساً خاصة تقوم بها في المناسبات المختلفة ، فالملك والوزراء والنبلاء والطبقات الشعبية المختلفة لكل منهم طقوس خاصة ، كما اتخذت الطقوس والموسيقى - في نظر الكونفوشيوسية - في أساس ترتيب الشئون الاجتماعية والكونية والعلاقات السائدة بين الأفراد مـن جهـة ، والإلـه الأعظـم والآلهـة الصغرى من جهة أخرى .

فالطقوس عند الكونفوشيوسية - تعود التقـوى وطاعـة الأمـر الإلهـي فـي المناسبات المختلفة ، - من وجهة نظرهم وإلا فالحقيقة أن رؤساءهم هم الـذين اخترعـوا هذه الطقوس وأوهموهم بأن لها هذا التأثير حتى يكونوا دائمي الخضوع لهم والطاعة لأوامرهم -، أما الموسيقى : فتشيع المحبة بين الأفراد من جهة وا والإلهة المختلفة من جهة أخرى . فالموسيقى تؤدي إلى انسجام العالم الكوني ، وتؤدي إلى الانسجام بين الآلهة ، أما الطقوس فهي تبين منزلة كل إله منها ومنزلة الآلهـة مـن الإلـه الأعظـم أو السماء[1].

وهذه الطقوس والعبادات كان مفروضاً فيها أن تأتى بالنفع لبنى الإنسان :

- فعبادة السماء : تؤدي إلى أن يقوم كل رب من الأرباب المنتشرة فـي الـسماء والبحـر بمهمته المكلف بها من حفظ الكون وإنزال الخيرات .
- وعبادة الأرض : تنمى النبات .
- وعبادة أرواح الموتى والأجداد : تؤكد الصلة بين الآبـاء والأجـداد والأحفـاد وتولـد الشفقة والمحبة والعطف بين أفراد الأسرة الواحدة .

---

[1] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن سعفان - ص ٩٤-٩٥ بتصرف .

ونتسائل ماذا لو لم تؤدى هذه الطقوس هل تحدث هذه الأشياء أم تتوقـف ؟ علـيهم أن يجربوا وسيجدون أن امور الكون ستسير لأن الإله الحق قد خلق الكـون ووضـع نظامـه وسيره عليه عبد من خلقه أو لم يعبد أديت الطقوس كما يسمونها أو لم تـؤدى فالإلـه الحق غني عن خلقه وعن عبادتهم وإن فرض عليهم نوعا من العبادة فهو اختبار لهم في آداء شكرهم على ما أنعم به عليهم من نعم . وكما قال نبـي ا موسـى عليـه السلام لقومه واوحاه ا إلى نبيه محمدا صلى ا عليه وسلم واصـبح قرآنـاً يتلـى (
وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن ا لغني حميد)(إبراهيم-٨)
وكماقال سبحانه(ما يفعل ا بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان ا شا كراً عليما)

- أمـا تقـديم القـرابين للعناصـر الخمـسة(المعـدن -الخـشب – التـراب - والمـاء والنار) ، فالغرض منه تخليد أصل الحرف الإنسانية .

وكل ما في الكون من ظواهر ليس إلا نتيجة لتفاعل الأرض والسماء ، وهو التفاعل الذي تتمخض عنه الفصول من شتاء وصيف وربيع وخريف كما يؤدي إلى تشكيل الأرواح المختلفة[١].

بعد هذه المقدمة عن الطقوس لدى الكونفوشيوسية ، نـتكلم عـن أهـم هـذه العبادات في نقاط :

أ – عبادة القوى المسيطرة

أما عبادتهم القوى المسيطرة على الأشياء الموكلة بها ، فلأنهم كانوا يعتقدون أن لكل شيء قوة تسيطر عليه وتسيره ، وهي كثيرة : فللشمس قوة تسيرها ، وكذلك القمر ، وللسحاب ، والمطر ، والجبال والأنهار ، وكل الكواكب ، والأشياء ، وهذه القوى جميعهـا يعبدها الصينيون ، وقوى الأرض لا يعبدها الملوك ولكن يعبـدها غيـرهم ، أمـا القـوى الخاصة بكواكب السماء وكل ما
يكون فيها ، فهي من السماء لا يعبدها إلا الملوك[١].

ب– عبادة الأرواح

---

(١) الكتب الخمسة لكونفوشيوس – د/ حسن سعفان . ص ٣٣ بتصرف .
انظر: الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٨٢ – ١٨٣ .

(١) مقارنات الأديان - الديانات القديمة - محمد أبو زهرة - ص ٧٣ .

يعتقد الكونفوشيوسيون -ككل الـصينيين - أن الأرواح تـتقمص جـوهر العناصـر الخمسة حتى تستطيع هذه العناصر أن تتمتع بالغذاء والرؤية والموسيقى ومن هنا كـان على الإنسان أن يتمتع بكل شيء في حدود القانون الأخلاقي .

وقد قدس الصينيون أرواح أجدادهم الأقدمين وقدموا لها القرابين ليدخلوا عليها السرور بأنواع الموسيقى ، ويوجد في كـل بيـت معبـد لأرواح الأمـوات ولآلهة المنزل [٢].

ولم تغب عبادة الأرواح قط عن بلاد الصين ، ولم تنفصل أبداً عن ما فيها من تعبد ، فإلى جانب عبادة الإمبراطور للإله ، ترى لوحات تمثل الأباطرة السابقين ، ولوحات غيرهـا تمثل الشمس والقمر والنجوم والغيوم والأمطار والرياح. . ، موضوعة إلى جانب لوحة الإله العظيم ، وفي مقام منخفض عنها . والواقع أن الكونفوشيوسية مارست ضـروباً شـتى من الوثنية ، ولو أنها في الظاهر وبالاسم فقط تعيب الوثنية . وإلى جانب الأرواح التـي ذكرنا ، ظهر عدد غفير من الآلهة ذكوراً وإناثاً ومجموعة أخرى مـن مبتكـرات عامـة الشعب [٣] .

ج- عبادة الأسلاف:

لقد آمن الكونفوشيوسيون كمن قبلهم من الصينيين بـإرادة عامـة تخلـق وتـسير المخلوقات أطلقوا عليها اسم السماء ، بعد عبادة السماء هذه تحل في مرتبة تالية عبادة الأسلاف ، وعبادة الأسلاف هذه جعلت ثمة خصوصية عائليـة فـي طقـوس العبـادات ، وإقامة المعابد ، حيث أقامت كل عائلة هياكلها ومعابدها الخاصة ، وكثيـراً مـا كـانوا يجعلون هذا المعبد أو الهيكل ، لتخليد ذكرى مؤسس العائلة أو من كان فـي تاريخهـا الأكثر بروزاً .

" إن عبادة الأسلاف هذه أضحت القسم المكون الرئيـسي للمعتقـدات والطقـوس الصينية ، رغم أنها ليست ديناً رسمياً في الصين ، فكان لكل عائلة معبدها العائلي الخـاص أو مصلاها ، حيث تقام فيه طقوس العبادة العائلية في وقت محدد ، ولكل سلالة - معبدها العشائري للأسلاف .

---

[٢] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاته سعفان - ص ١٠٩ .

[٣] أديان العالم - حبيب سعيد – ص ١١٩ بتصرف .

إن لكل مجموعة عشائرية أكثر كبراً - معبد لأول رئيس عام للعائلة ، أما القـرابين والصلوات في هذه المعابد فكان يقيمها إما رأس العائلة أو الأكبر سناً في العشيرة " [١].

إن هذه العبادة للأسلاف مع تخصيص هياكل للسلف ، وأن يقـود المقـدم فـي العشيرة الصلوات كلها تؤكد مقدار ما يجل ويحتـرم الكونفوشيوسـي عائلتـه وكبارهـا بالإضافة إلى أسلافه ، وهذا أمر مشترك بين الصين واليابان حيث الأمر بنفسه موجـود عنـد الشنتوية .

إن عبادة الأسلاف لها مواسمها ومناسباتها وطقوسها ، وحسب ما هـو سـائد عنـد الكونفوشيوسية فإنه " يحدث التوجه بصلوات مشابهة إلى الأسلاف عند حدوث وقـائع عائلية أخرى ، وخلال الأعياد وفي أيام محددة من السنة .

ففي أواسط كل شهر من أربعة شهور من السنة مثلاً (أرباع السنة) ينبغي تقـديم قربان عائلي ، وقبل فترة وجيزة على حلول الموعـد يتقـدم رب العائلـة مـن معبـد الأسلاف، ويجثو على ركبتيه أمام اللوحات المخرجة من الخزائن وهـو يتلـو : أنـا العابـد الحفيد فلان الفلاني ، اليوم وبمناسبة حلول أواسط الفصل كذا ، أود تقديم قربان لكـم ، أيها المرحومون ، إلى القريب والجد ، وجد الجد ، وجد جد الجد ، وإلى القريبة ، الجدة ، وجدة الجدة ، وجدة جدة الجدة ، وأملك الجرأة لنقل لوحكم الخـشبي إلـى قاعـة المنزل لأدعو أرواحكم لتنعم هناك بقبول القرابين التي ستقدم مع فائق التبجيل " [٢] .

والأرجح أن هذه العبادة بدأت أولاً ضرباً من ضروب التكريم للميت بعد الوفاة، ثم استحالت إلى عبادة الأبطال الحكماء من رجال الشعب ، وأخذت العادة تنتشر بـين القبائـل والأسر تغذيها روابط الأسرة في بلاد الصين ، وهي قوية بطبيعتها في تلك البلاد ، حتـى أصبح كل الأسلاف موضع التوقير والعبادة من الجميع على السواء .

واللوحة المستعملة في عبادة الأسلاف هي عادة " لوحة صغيرة من الخشب يبلغ علوها ثماني بوصات وعرضها بضع بوصات ينقش على وجهها أسم الشخص الذي تمثله " . وتحفظ هذه اللوحة في دار الأسرة مدة حياة جيل أو اثنين من أجيـال الأحيـاء عقب انتقال المتوفى ، ثم تنقل بعد ذلك إلى هيكل أسلاف القبيلة أو الأسرة .

---

[١] الأديان في تاريخ شعوب العالم - سيرغي أ. توكاريف –ت: د/ أحمد فاضل - ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

[٢] المرجع السابق - ص ٢٧٢ .

أنظر: من قاموس الأديان – الشنتوية - الكونفوشية - د/ أسعد السحمراني - ص ٧٥ - ٧٦ .

ومن حين إلى آخر تقدم إلى هذه اللوحة القرابين ، وخصوصاً في عيد ميلاد المتوفى أو يوم ذكر موته من كل سنة ، ولهذا النظام أثر بارز في تقوية نفوذ الأسرة أو القبيلة على الفرد بحيث يعسر عليه جداً الخروج على التقاليد والعادات المرعية ، وفي أغلب الأحيان تمتزج هذه العبادة بكثير من العطف والحب الخالص للمتوفين ، وفي أحيان يخالطها الخوف مما تفعله تلك الأرواح لو لم يعبدها اللاحقون ، وفي أحيان أخرى ليست إلا مجرد طقوس وممارسات وضعية جرى عليها العرف والعادة [1].

٨- موقف الكونفوشيوسية من بعض الأمور الغيبية :

١- الروح:

تقول الكونفوشيوسية بخلود الروح وبقائها بعد الموت وفي ذلك يقولون: " إذا مات المرء يعود جسده إلى التراب ، إنما روحه تتحرك متلألئة خارج القبر تلقى فينا الهيبة والخوف " .

من التعاليم الدارجة عندهم قولهم :

كن قنوعاً في اللذات وديعاً مع الناس فيوافيك روح علوي يملؤك من الخيرات " ، أي أن الجسد يفنى ويتحلل إلى التراب - وهو الأصل الذي خلق منه - لكن الروح تظل حية خالدة تتلألأ خارج القبر - في اعتقادهم - تنظر العبادة والقرابين التي تقدم لها ، وتنتظر ماذا يأتي إليها به أهلها ، وتنظر ماذا يفعلون ، ويقولون إن الأرواح تسر بأنواع الموسيقى إلى جانب تقديم القرابين لها ، وفي هذا السبيل يصرف الصينيون أموالا كثيرة [2].

ومع هذا الاعتقاد بخلود الروح بعد الموت إلا أن كونفوشيوس كان يأبى أن يتعرض لهذه الأمور بجواب قاطع أو بكلمة مفيدة ، فمثلاً : لما سأله أحد تلاميذه : هل لدى الأموات علم بشيء أو هل هم بغير علم ؟ أبى أن يجيب جواباً صريحاً .

---

[1] أديان العالم - حبيب سعيد - ص ١٢٠ بتصرف .

[2] انظر : كتاب الحوار - مقدمة المترجم - ص ١٢ .
ومعتقدات آسيوية – د/ كامل سعفان – ص ٢٩٢ .

وسأله الأخر عن خدمة الأرواح " أرواح الموتى " أجابـه: " إذا كنـت عـاجزاً عـن خدمة الناس ؟ فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم[1]؟.

٢- الملائكة :

يعتقد الكونفوشيوسيون وجود الملائكة ويقدمون إليها القرابين ، على أساس أنهـا آلهة ذات تأثير وقدسية توجب عليهم أن يعبدوها ، وقد أغفلها كونفوشيوس مع غيرها من الغيبيات بحجة عدم الخلط والخطأ[2].

كما أن من أصول الأديان الصينية عبادة الملائكة وهم عنـد الـصينيين كثيـرون جـداً فالشمس والقمر والكواكب والسحاب والمطر والجبال والأنهار وما شاكلها من الكائنات لكل واحد منها ملك يعبدونه ويستعينون به ، ولكن عبـاده ملائكـة الأرض والجبـال والأنهـار مخصوصة بالأمراء وحدهم ، كما أن عبادة السماء مخصوصة بالملك وحده[3].

٣- خلق الإنسان :

حسب العقيدة الـصينية القديمـة والتـي أحيتهـا الكونفوشيوسـية وأبقـت عليهـا واعتقدتها أن الإنسان يستمد أصله من السماء ، وما الإنسان إلا نتيجة لتزاوج القـوى الـسماوية مع القوى الأرضية ، أي تقمص الأرواح السماوية لجوهر العناصر الخمـسة فالإنـسان يعـد مركز الكون لأنه نقطة تلاقي القوى الأرضية والسماوية ، والإنـسان مـزود بحـب الخيـر والعدل والإنسانية ، وهناك البعض من الناس منحوا موهبة تعلم الخير وتعليمـه للآخـرين ، هؤلاء الحكماء كالنجوم اللامعة يهتدي بها الناس من الحيرة والضلالة . . . وبالطبع فقد اعتبر كونفوشيوس من هؤلاء الأفراد القلائل الذين وهبوا " تفـويض الـسماء لهـدى النـاس وإرشادهم "[4].

٤- الجنة والنار

لم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار ، ولا عقاب ، ولا ثواب ، ولقد أخذ كونفوشيوس بكل هذه العقائد ولم يزد عليها [1]، فلم يؤمن باليوم الآخـر ، ولـم يفكـر

---

[1] الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٧٨ .
وأنظر: البيان في مقارنة الأديان – د/ اسعد السحمراني – ص ١٥٩ .
[2] المرجع السابق - ص ١٨٠ بتصرف .
[3] نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين – محمد مكين – ص ١٣ بتصرف .
[4] الكتب الخمسة لكونفوشيوس - د/ حسن شحاته سعفان - ص ٣٤ بتصرف .
[1] أنظر: صراع الحضارات – د/ احمد شلبي – ص ٨٦ .

في الحياة بعد الموت [٢]، بل كان كل همه إصلاح الحياة الدنيا ، ويعتقد أن الجزاء في الدنيا ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، ولا يسأل عن مصير الأرواح بعد خروجها من الأجساد ، وإنما يعتقد في أن الأرواح تبقى في الدنيا وتعيش مع أفراد أسرتها في الغيب .

٥- الموت :

يرى كونفوشيوس ، أن الموت ، كتب على الأحياء منذ الأزل ، وهو يتقبل الموت بـلا وجل ، وليست له في نظره دلالـه معينـة أو مغـزى رئيـسي . والمـوت ، فـي نظـر كونفوشيوس ، ليس شرا ، وهو لا يخيف أحداً ويرى أن المرء عندما يـشرف علـى المـوت تصبح أقواله حكيمة ، وعندما سأله أحد مريديه عن حقيقة شعور الأموات بالهدايا التـي تقدم لهم ، كانت أجابته غير محددة ، إذ رأى أنه إذا أجاب بنعم ، فإن الأبنـاء الـصالحين الأخيار سيقطعون عروقهم تفجعا على أمواتهم، وإذا أجاب بـلا، فـإن الأبنـاء الطـالحين العاقين قد يهملون واجباتهم كل الإهمال [٣].

<u>٩- تقديس كونفوشيوس وعبادته :</u>

قام الكونفوشيوسيون بتقديس كونفوشيوس وعبادته وتقديم القرابين له ، وإقامة المعابد له في كل مدينة من مدن الصين وذلك منذ عهد أسـرة " هـان " (فـي القرن الثاني قبل الميلاد) وحتى وقتنا الحاضر[٤].

وكونفوشيوس لم يدع أنه إله ، بل لم يدع أنه نبي أو رسول ، ومن أقواله :
يوجد مثلي في النبل والكرامة في بلدتي ، ولكن لا يوجد مثلي في عـشق العلـم " فهو
عاشق للعلم ، وفي كتاب " الحوار" نقلوا عنه قوله: " أما الأنبياء فلا أجترئ على أدعـاء رتبتهم ، وغاية ما يجوز القول عني هو أنني أعمل جاهداً بلا ملل ، وأعلم غيـري دون أن أشكو تعبا " فهو يعترف أنه ليس نبياً ، واعترف بأنه معلم ، وتمنى أن يوليه أحد الحكـام منصباً رفيعاً ليتخذه وسيلة للنهضة والإصلاح ، فلو كان إلهاً أو رسولاً أو نبياً ما تمنى هـذه

---

(٢) أنظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة – فوزي محمد حميد – ص ٢٣١ .

(٣) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - د / صلاح بسيوني رسلان – ص ١٠٦ – ١٠٧ .

(٤) وقد شاهدت ذلك عندما ذهبت إلى الصين ، يركعون ويسجدون ويقدمون المشروبات والأطعمة ، ويضعون النقود ، وتقدم القرابين ، وتحرق الهدايا في محرقة المعبد في عيد مـيلاد كونفوشـيوس ويـدعون أنهـا تـذهب لـروح كونفوشيوس . . .

الأمنية لأنه هو نفسه يولى ويعزل ، بل كان يشعر أنه فرد من الرعية ، وكان يؤيد حاكم " لو "ويوطد سلطانه عندما كان عادلاً[1].

وكلما ذكر أمامه الأرباب قال : احترم جميع الأرباب ولكن أبعـدهم عنـك[2] مـا استطعت ولعن الذين صنعوا الأصنام ، ولما حضرته الوفاة عاده صديق لـه وقـال لـه ألا تصلي قبل موتك ؟ فأجابه كونفوشيوس: أيليق بي أن أصلي ؟

قال صاحبه : نعم تصلي لأرباب السماء وآلهة الأرض ، فقـال كونفوشـيوس: لقـد صليت منذ زمن طويل[3].

فالرجل لا يد له في تأليه الصين إياه وعبادته اللذين كانا بعد موته على طريقـة أهل الصين في تأليه الأسلاف وعبادتهم ، بل بالغوا معه حتى جعلوه إلهاً كالـسماء ، بـل أصبح كونفوشيوس نداً للسماء ، إلهاً معبوداً .

---

[1] الديانات والعقائد في مختلف العصور - أحمد عبدالغفور عطار- ص ١٦٠ بتصرف .

[2] انظر: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية – ميرسيا إلياد – ت: عبد الهادي عباس – ص ٢٤ .

[3] حياة الشرق - محمد لطفي جمعة – ص ٥٧ بتصرف .

الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس- عبد الرحيم شعبان – ص ١٢٥ .

الفصل الثالث

الأفكار الكونفوشيوسية

وفيه:

١- نظرية المعرفة الكبرى

- السنن الثلاث
- المناهج الستة
- الخطوات الثمان

٢- مصادر المعرفة

- الفطرة
- القلب

٣- فكرة العناصر الخمسة .

٤- الفكر الأخلاقي

- مبادئ الأخلاق الكونفوشيوسية
- الفضائل الأخلاقية (الجين - لي - هيساو - الـلي - رين)
- ارتباط الموسيقى بالأخلاق
- علاقة الأخلاق بالدين

٥- الرجل النبيل أو الإنسان الماجد (تشن – تزو)

- من هو الرجل النبيل
- صفات الرجل النبيل

٦- موقف كونفوشيوس من المرأة

٧- التربية والتعليم

- كونفوشيوس المربي
- شروط مدرسة كونفوشيوس
- قواعد وأساليب التعليم المثالي

٨- الفكر السياسي

- أهمية الحكومة الصالحة
- الحاكم المثالي أو (الحاكم القدوة)
- واجبات الحاكم عند كونفوشيوس

٩- الفكر الاجتماعي

- طرق الإصلاح الاجتماعي

١٠- المدينة الفاضلة

١- نظرية المعرفة الكبرى[١]

قسمت الكونفوشيوسية المعرفة إلى قسمين ، هما: المعرفة الصغرى ، والمعرفة الكبرى ، وجعلت المعرفة الصغرى معرفة الصغار ، والمعرفة الكبرى معرفة الكبار . ومن هنا ظهرت نظرية المعرفة الكبرى لديهم ، ولها أهمية كبيرة عندهم ، حيث بنو عليها كثير من أفكارهم ومعتقداتهم ، وأحد كتبهم - الأربعة المقدسة - كتاب المعرفة الكبرى [٢]، وهو تصوير للهيكل العام لهذه النظرية . وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- السنن الثلاث

ب- المناهج الستة

ج-الخطوات الثماني

وسنحاول الوقوف على كل قسم من هذه الأقسام لنعرف المراد منه وما يحويه وذلك حسب ما توفر لنا من معلومات عن هذه النظرية من مصدرها الأصلي (كتاب المعرفة الكبرى)[٣] بعد أن ترجم إلى العربية .

أ- السنن الثلاث :

١- **السنة الأولى** من سنن المعرفة الكبرى (**تجلية الأخلاق المشرقة**):

ورد في مستهل كتاب المعرفة الكبرى في رسالة كونفوشيوس المنسوبة إليه في سنة المعرفة الكبرى:" سنة المعرفة الكبرى كائنة في تجلية الأخلاق المشرقة ، وفي تجديد الشعب ، وفي الاستقرار في كمال الخير " .

فما هي الأخلاق المشرقة ؟ ترى الكونفوشيوسية أن الإنسان مفطور على الأخلاق الفاضلة ، ومجبول على حب الخير ، والأخلاق المشرقة نور مشرق مفطور في الإنسان ، ولذلك سميت بالأخلاق المشرقة . قال الحكيم (جو شي) في

---

[١] قدمت الكلام عن نظرية المعرفة على غيرها - في هذا الفصل - وذلك لأهميتها لدى الكونفوشيوسية ولتعلق أكثر إن لم يكن كل الأفكار الكونفوشيوسية في هذا الفصل بها .

[٢] سبق الكلام عنه في الفصل الأول من هذا الباب .

[٣] و قد حصلت على نسخة من أول ترجمة لكتاب المعرفة الكبرى من الصينية إلى العربية مباشرةً – من مؤلفه الدكتور الصيني / زهرة الدين طيب إدريس – وهو ما شجعني على الكتابة عن هذه النظرية ، مستفيداً مما ذكره في شرحه لها . . .

شرح مفهوم الأخلاق المشرقة: " إن الأخلاق المشرقة ما حصله الإنسان من " تيان " ، وهو ليس بجسم ، بل هو لطيف عارف شامل لجميع الحقائق ، ليجاوب كافة الشؤون ، ولكن سجنته الأهواء وغشيته الشهوات الإنسانية ، فيغطيه الظلام أحياناً ، وأما نور ذاته فلا يطفأ أبداً لذلك يجب على طالب للمعرفة أن يجلي نوره من حيث ظهور إشراقه ليعود مشرقاً ، كما هو مفطور عليه منذ الولادة " [١] .

على هذا ، فإن الأخلاق المشرقة نور حصله الإنسان من الإله السماوي ، وهو لطيف عارف شامل لجميع الحقائق الميتافيزيقية ، وهو يستطيع أن يرشد الإنسان في كافة شئونه إلى الرشاد والهداية ، وذاته مشرقة دائماً أبداً لا تطفأ في حال من الأحوال ، وإنما تغطيها ظلمات من الأهواء والشهوات الإنسانية ، فلا يظهر نورها في الخارج ، والمطلوب من الإنسان إن يجاهد في سبيل إماتة الأهواء والشهوات ، ليعود هذا النور مشرقاً في الخارج كما حصله من الإله السماوي منذ البداية .

واستدلت الكونفوشيوسية على وجود هذه الأخلاق المشرقة في ذات الإنسان بوجود أربعة ميول في قلبه: الأول: الميل إلى الإشفاق ، الثاني: الميل إلى الحياء من الشر ، والثالث: الميل إلى الإيثار ، والرابع: الميل إلى الفصل بين الحق والباطل .

فالميل إلى الإشفاق نقطة البداية للرحمة ، والميل إلى الحياء من الشر نقطة البداية للصلاح ، والميل إلى الإيثار نقطة البداية للأدب ، والميل إلى الفصل بين الحق والباطل نقطة البداية للحكمة ، وهذه تسمى عند الكونفوشيوسية بنقاط البداية الأربع للقلب ، وهي جماع الأخلاق المشرقة عندهم ، وهي مفطورة في كل إنسان .

وقد ترجم بعض علماء المسلمين الذين قاموا بنشر تعليم الدين الإسلامي باللغة الصينية في الصين كلمة الإيمان في اللغة العربية بكلمة الأخلاق المشرقة في اللغة الصينية ، بناء على هذا المفهوم الكونفوشيوسي ، ومنهم الشيخ داود (وانغ دأي يو) صاحب كتاب المعرفة الكبرى الإسلامية ، ومنهم السيد يوسف (ماجو) صاحب كتاب الهداية الإسلامية ، [٢] وهما من أشهر علماء المسلمين في الصين .

---

[١] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب المعرفة الكبرى - جو شي - دار الكتب (تشي لو) ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٦م .

[٢] راجع : الشيخ داود (وانغ دي يو) ، كتاب شرح الحق ، تحقيق (يو جينغ قوي) ، المطبعة الشعبية بنينغ شيا ، سنة ١٩٨٨م، ص ١٦٦. راجع أيضاً السيد يوسف (ما جو) ، كتاب الهداية الإسلامية ، دار الطباعة القومية بيون نان ، سنة ١٩٨٨م.

٢- السنة الثانية (تجديد الشعب):

سبق أن أوردنا نص رسالة كونفوشيوس المنسوبة إليه في سنة المعرفة الكبرى وهو يبين أن السنة الثانية هي تجديد الشعب .

وقد جاء في كتاب المعرفة الكبرى في الفصل الثاني من تفسير نص رسالة كونفوشيوس لتلميذه (تسينغ تس) استدلاله على أصالة مفهوم تجديد الشعب في الفكر الكونفوشيوسي القديم ، بما ورد في الأسفار المقدسة القديمة : حيث ورد في الكتابة المنقوشة على طست الغسيل للعاهل (تانغ): إن استطعت أن تجدد نفسك في اليوم، فيجب عليك أن تجدد نفسك يوماً بعد يوم ، ألا إن عليك تجديدا بعد تجديد .

فما المراد من تجديد الشعب ؟

قبل كل شيء لابد أن أشير على نقطة مهمة ، هي : أن المعرفة الكبرى عبارة عن " طريقة النبي في الباطن والملك في الظاهر " كما قلنا من قبل ، لذلك يصدر الكلام في كتاب المعرفة الكبرى من مقام الملك النبي دائما ، وفهم هذه النقطة ضروري لفهم لماذا قال كونفوشيوس في رسالته المنسوبة إليه إن السنة الثانية من سنن المعرفة الكبرى تجديد الشعب ، ولم يقل تجديد الإنسان نفسه ، أو أي عبارة أخرى ، لأن الملك يتكلم من حيث أنه حاكم الشعب ، فلابد أن يرشد الشعب جميعاً بكلامه ، ولابد أن يقوم بتجديد الشعب على هذا الأساس .

النقطة الثانية : هي أن العلماء الكونفوشيوسيين قد اختلفوا في تحقيق معنى تجديد الشعب منذ القدم ، فالبعض جعلوه " شين مين " ، والبعض الآخر جعلوه " تشين مين " فالأول يعني أن يجدد الشعب ، والثاني يعني أن يرحم بالشعب .

والرأي الأول الذي قال به الحكيم (جو شي) هو الصحيح ، لأنه مذهب أكثر علمائهم من ناحية ، ولأن هذا الرأي أليق بالسياق من ناحية أخرى، ذلك لأن المعني من تجديد الشعب أن يهجر الحاكم الأخلاق الرذيلة ، وأن يقلع عن عمل الشر إلى عمل الخير، ليكون لشعبه أسوة حسنة ، يقتدوا به فيهجروا الأخلاق الرذيلة القديمة إلى الأخلاق الفاضلة الجديدة ، ويقلعوا عن عمل الشر إلى عمل الخير . قال (جو شي) في شرح المراد من تجديد الشعب : " إنما المراد من التجديد الإقلاع عن رذائل الأخلاق القديمة ، يقول إنه يجب على الحاكم الفاضل بعد ما يجلي أخلاقة المشرقة في نفسه أن يضع

غيره مكان نفسه ، ليساعد الآخرين على الإقلاع أيضاً عن دنس رذائلهم القديمة اقتداءً بـه " [1] .

على هذا ، فإن المعني من تجديد الشعب أن يترك الحاكم الفاضـل الرذائـل إلـى الفضائل ، والأعمال السيئة إلى الأعمال الصالحة ليكون أسوة حسنة لـشعبه ، وهـذه هـي الخطوة الأولى من التجديد ، وأما الخطوة الثانية فهي أن يضع غيـره مكـان نفـسه ، ليصلحهم عن طريقة القدوة الحسنة أمامهم ، فيقتدوا به .

٣- السنة الثالثة (الاستقرار في كمال الخير) :

وقد ذكر في نص رسالة كونفوشيوس المنسوبة إليه في سنة المعرفة الكبـرى في مقدمة كتاب المعرفة الكبرى أن السنة الثالثة من سنن المعرفة الكبرى هي الاستقرار في كمال الخير ، حيث قال: " سنة المعرفة الكبرى كائنة في تجليه الأخلاق المـشرقة ، وفي تجديد الشعب ، وفي الاستقرار في كمال الخير " .

لابد أن نشرح معنى الاستقرار والخير وكمال الخير في المفهوم الكونفوشيوسي ، لكي نصل إلى فهم المراد من الاستقرار في كمال الخير قال الحكيم (جو شي) :

" إنما المراد من الاستقرار أنه لابد للإنسان أن يصل إلى هذا المقام ويستقر فيـه ، فـلا يغادره أبداً " [2] يتضح من هذا أن الإنسان بعدما يجلي الأخلاق المـشرقة فـي نفـسه ، ويجدد نفسه وغيره من الرذائل والسيئات إلى الفضائل والحسنات ، سيصل إلـى مقـام راق من النفس يستقر فيه ولا يغادره أبدا ، فما هو ذلك المقام الكونفوشيوسي الراقي ؟ لننظر أولا إلى مفهوم الخير :

قال (تسأي يوان) - أحد الشراح الكونفوشيوسيين الكبار لكتاب المعرفـة الكبـرى في مرحلة الكونفوشيوسية المحدثة - في شرح المراد من الخير: " ما من أمر من الأمور ، ولا حقيقة من الحقائق إلا وله قاعدته التي أوجبت وجوده ، فالواجب الذي يجب أن يكون عليه في وجوده هو الخير " [3] . على هذا فإن الخير هو الواجب الذي يجـب أن تكون عليه كل الأمور والحقائق .

---

[1] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب المعرفة الكبرى ، ص ٢ .

[2] المرجع السابق .

[3] أورده الحكيم (جو شي) في الفصول والجمل لكتاب المعرفة الكبرى عند شرحه لمفهوم الخير ، دار طباعة الكتب القديمة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م ، ص ١٥ .

قال الحكيم (جو شي) في شرح معنى كمال الخير: " إنما المراد من كمال الخير هو الغاية من الواجب الذي يجب أن تكون عليه جميع الأمور والحقائق ، يقول إنه يجب على الرجل الحاكم الفاضل أن يرتقى إلى مستقر كمال الخير في كل من تجلية الأخلاق المشرقة وتجديد الشعب ، ولا يغادره أبدا ، ولابد له أن يستكمل الغاية من الحقائق السماوية كلها ، ولا يبقى في نفسه مثقال ذرة من الأهواء الإنسانية "[1] .

على هذا ، فالكونفوشيوسية ترى أن الخير هو الواجب الذي يجب أن تكون عليه جميع الأمور والحقائق ، وأما كمال الخير فهو الغاية من الواجب الذي يجب أن تكون عليه جميع الأمور والحقائق ، وأن مجرد الخير أو بعبارة أخرى الخير النسبي لا يكفي أن يوصل الإنسان إلى الغاية المقصودة من المعرفة الكبرى ، فلا بد للإنسان لكي يحصل على المعرفة الكبرى أن يستقر في كمال الخير . فالاستقرار في كمال الخير له جانبين اثنين ، جانب شخصي ، وهو تجلية الأخلاق المشرقة في نفسه ، وجانب اجتماعي ، وهو تجديد الشعب ، بمعنى تجلية الأخلاق المشرقة في الشعب من حوله .

وإذا وصل إلى الغاية من كلا الجانبين وصل إلى كمال الخير فكمال الخير من الجانب الشخصي يأخذ الإنسان إلى العودة إلى فطرته الخيرة ، ويصل به إلى معرفة " تيان " والوحدة بينهما ، وكمال الخير من الجانب الاجتماعي يصل بالإنسان إلى تولي الحكم الأعلى لنشر الرحمة بين الشعب ، والسلام تحت السماء فيكون " نبيا في الباطن وملكا في الظاهر " .

ب- المناهج الستة للوصول إلى كمال الخير :

ورد في نص رسالة كونفوشيوس المنسوبة إليه في كتاب المعرفة الكبرى :

" وإذا عرف المستقر تمكن بعد ذلك من تعيين الاتجاه ، وإذا تمكن من تعيين الاتجاه تمكن بعد ذلك من العزيمة ، وإذا تمكن من العزيمة تمكن بعد ذلك من الطمأنينة ، وإذا تمكن من الطمأنينة تمكن بعد ذلك من التفكير المحكم ، وإذا تمكن من التفكير المحكم تمكن بعد ذلك من الحصول " . وقد بنت الكونفوشيوسية حديثها عن المناهج الستة للوصول إلى كمال الخير على هذا النص ، وهو مبهم جداً- كما هو شأن النصوص الصينية القديمة المقدسة الأخرى – فلابد من شرح معناه ليتضح لنا المفهوم من النص ، وذلك من خلال ما قاله بعض علماؤهم .

---

[1] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب المعرفة الكبرى .

١– المنهج الأول (معرفة المستقر):

لابد أن نعرف ما المراد من المستقر الوارد في النص لأنه مفتاح لفهم هذا النص ، قال الحكيم (جو شي):" إنما المراد من المستقر المقام الذي يجب أن يصل إليه ، وهو المقام الذي يستقر فيه كمال الخير " [1]. وعلى هذا ، فإن المراد من معرفة المستقر في نص كونفوشيوس معرفة المستقر الذي يستقر فيه كمال الخير ، وهو المقام الروحي الرفيع الذي يصل إليه الإنسان عن طريقة تجلية الأخلاق المشرقة وتجديد الشعب . فإذا عرفنا هذه النقطة، عرفنا أن هذا النص مرتبط بما قبله من الكلام عن السنن الثلاث للمعرفة الكبرى ، وما يأتي بعده من النص يشرح المناهج الباقية والموصلة إلى مقام المستقر في كمال الخير .

فالمنهج الأول هو معرفة المستقر الذي يستقر فيه كمال الخير ، وهو ذلك المقام الروحي الرفيع الذي يصل إليه الرجل الكبير عن طريق تجليه الأخلاق المشرقة وتجديد الشعب والاستقرار في كمال الخير .

٢– المنهج الثاني (تعيين الاتجاه):

وإذا عرف الإنسان المستقر - معرفة صادقة - فلابد أن ينشأ في قلبه اتجاه معين وهدف محدد، وهو التطلع والشوق للوصول إليه، وهذا هو المراد من تعيين الاتجاه ولذلك ورد في النص " وإذا عرف المستقر تمكن بعد ذلك من تعيين الاتجاه " لأن الإنسان لا يمكن له أن يتمكن من تعيين اتجاهه إلا إذا عرف هدفه ومقصده .

٣– المنهج الثالث (العزيمة) :

وإذا نشأ في قلب الإنسان اتجاه معين ، وصار له هدف محدد بعد ما عرف المستقر ، فلابد أن يعزم قلبه على الحصول على هذه المعرفة ، والوصول إلى ذلك الهدف الشريف ، والاتجاه العظيم ، فلا يميل ولا ينحرف عنه ، وهذا هو المراد من العزيمة التي وردت في النص ، فهي كما قال الحكيم (جو شي) :

" إنما المراد من العزيمة أن لا يميل القلب ولا ينحرف عن المقصود "[2] ، ولذلك جاء في النص " وإذا تمكن من تعيين الاتجاه تمكن بعد ذلك من العزيمة " .

٤– المنهج الرابع (الطمأنينة):

---

[1] الشرح الجامع للكتب الأربعة – شرح كتاب المعرفة الكبرى .

[2] المرجع السابق .

ورد في النص : " وإذا تمكن من العزيمة تمكن بعد ذلك من الطمأنينة " ، فما المراد من الطمأنينة ؟ قال الحكيم (جو شي):" إنما المراد من الطمأنينة أن يطمئن قلب الإنسان لمواجهة أي حال من الأحوال " [١].

وبناء عليه فإن الكونفوشيوسية ترى أن الإنسان إذا عزم قلبه على مقصوده ، من غير ميل ولا انحراف ، جاءت الطمأنينة ، فلا ينفعل لهوى من الأهواء ولا يميل لشهوة من الشهوات ، فيصبر في الفقر والغنى ، والسراء والضراء ، وعلى كل حال من الأحوال ، في سبيل الوصول إلى مقصوده وهدفه ، وهو الاستقرار في كمال الخير كما سبق .

٥- المنهج الخامس (التفكير المحكم):

ورد في نص كلام كونفوشيوس : " وإذا تمكن من الطمأنينة تمكن بعد ذلك من التفكير المحكم " ، وهذا يعني أن التمكن من التفكير المحكم لا يتأتي إلا بعد التمكن من الطمأنينة ، فما المراد من التفكير المحكم ؟ قال الحكيم (جو شي) في شرحه : " إنما المراد من التفكير المحكم أن يصيب في تدبير الأمور تفصيلا وإحكاماً " [٢] ومعنى هذا أنهم يعتقدون أنه إذا صار قلب الإنسان مطمئنا في مواجهة أي حال من الأحوال ، ولا يؤثر عليه أمر من الأمور الخارجية ولا هوى من الأهواء الداخلية ، يصبح متمكنا من التفكير المحكم حيث لا يضل تفكيره ، ولا يزل سلوكه وهو مصيب في كل ذلك .

٦- المنهج السادس (الحصول):

قال كونفوشيوس: " وإذا تمكن من التفكير المحكم تمكن بعد ذلك من الحصول " ، على أي شيء يحصل الإنسان بعد التمكن من التفكير المحكم ؟ قال الحكيم (جو شي): " إنما المراد من الحصول أن يحصل الإنسان على ما يجب أن يستقر فيه من كمال الخير " [٣] .

وعلى هذا ، فإن الإنسان كما ترى الكونفوشيوسية إذا صار متمكنا من التفكير المحكم حيث لا يضل تفكيره ، ولا يزل سلوكه ، سيصير متمكنا حينئذ من الحصول على كمال الخير ، وهو نهاية المطاف ، والمنهج الأخير من المناهج الستة للوصول إلى كمال الخير .[١]

---

[١] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب المعرفة الكبرى

[٢] المرجع السابق .

[٣] المرجع السابق .

[١] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ٨٨ – ٩١ بتصرف .

ج- الخطوات الثماني للمعرفة الكبرى

ورد الحديث عن الخطوات الثماني للمعرفة الكبرى في كتاب المعرفة الكبـرى في نص رسالة كونفوشيوس :

" وفي القديم من أراد أن يجلي أخلاقه المشرقة تحت الـسماء ، بـدأ أولا بتحـسين سياسة مملكته ، ومن أراد أن يحسن سياسة مملكته ، بدأ أولا بتحسين رعاية أسرته ، ومن أراد أن يحسن رعاية أسرته ، بدأ أولا بتزكية نفسه ، ومن أراد أن يزكي نفسه ، بـدأ أولاً بتقـويم قلبه ، ومن أراد أن يقوم قلبه ، بدأ أولا بإخلاص نيته ، ومن أراد أن يخلص نيتـه ، بـدأ أولاً بالارتقاء إلى المعرفة ، والارتقاء إلى المعرفة كامن في البحث عـن الأشـياء . إذا كانـت الأشياء قد أدركت ، فإن المعرفة تكتمل بعد ذلك ، وإذا كانت المعرفة قـد اكتملـت ، فإن النية تخلص بعد ذلك ، وإذا كانت النية قد أخلصت ، فإن القلب يقوم بعد ذلك ، وإذا كان القلب قد قوم ، فإن النفس تزكي بعد ذلك ، وإذا كانت النفس قد زكيـت ، فـإن الأسرة ترعي بعد ذلك ، وإذا كانت الأسرة قد رعيت فإن المملكة تحسن سياستها بعد ذلك ،وإذا كانت المملكة قد حسنت سياستها ، فإن السلام ينشر بعد ذلك تحت السماء " .

لقد وضح هذا النص المنسوب إلى كونفوشيوس الخطوات الثماني لتطبيق نظرية المعرفة الكبرى ، أو " طريقة النبي في الباطن والملك في الظاهر " ، ولمـا كـان هـذا النص مبهم وغامض أحتاج إلى تفسير وشرح ، فقام تلميذ كونفوشيوس (تـسينغ تـس) بتفسيره ، وهذا التفسير هو الفصول الستة الأخيرة من كتاب المعرفة الكبرى ، ثـم جـاء (جو شي) في مرحلة الكونفوشيوسية المحدثة ، وشرح نـص كونفوشـيوس وتفـسير (تسينغ تس) ، وأضاف إلى الفصل الخامس من التفسير بعض الإضافات .

والخطوات الثماني هي :

الخطوة الأولى والثانية (البحث عن الأشياء والارتقاء إلى المعرفة):

ولا يوجد في نص كـلام كونفـشيوس عـن هـاتين الخطـوتين غيـر الجملتـين المذكورتين سابقا وهما " ومن أراد أن يخلص نيته ، بدأ أولا بالارتقاء إلى المعرفة ، والارتقاء إلى المعرفة كامن في البحث عن الأشياء . " و " إذا كانت الأشـياء قـد أدركـت ، فـإن المعرفة تكتمل بعد ذلك " .

و الكونفوشيوسية المحدثة ترى ما قاله (جو شي) من أن قلب الإنـسان لطيـف جداً ، ولا يوجد شيء إلا ويستطيع القلب أن يعرفه ، وما من شـيء مـن الأشـياء إلا ولـه حقيقة ، والقلب يستطيع أن يعرف كل هذه الحقائق .

والطريقة الصحيحة لمعرفة هذه الحقائق هي البحث عنها ، والمراد من البحث: مباشرة الأشياء واستقصاء حقائقها . وهذه هي الخطوة الأولى من تطبيق نظرية المعرفة الكبرى ، ولكن معرفة حقائق بعض الأشياء لا تكفي للارتقـاء إلـى كمـال المعرفـة ، ويجب عل طلاب المعرفة أن يباشروا جميع الموجودات تحت السماء على أساس الحقائق التي قد عرفوها من قبل ،ليستقصوا الحقائق التي لم يعرفوها رويدا رويداً للسعي إلـى مزيد من معرفة حقائق الأشياء الأخرى ، وإذا واصل طلاب المعرفة في سبيل البحث عن حقائق الأشياء من غير توقف ، وإذا جاهدوا في هذه الطريقة زمنا طويلا ، فسيأتي يوم يهتدون فيه فجأة إلى المعرفة المباشرة الشاملة المحيطة ، وفي هذه الحـال يعرفـون حقائق جميع الأشياء . وهذه هي الخطوة الثانية من تطبيق نظرية المعرفـة الكبـرى ، وهي الارتقاء إلى المعرفة .

ولكن الموجودات كثيرة جـداً ، كيـف يمكـن أن يباشـر الإنـسان جميـع الأشـياء ويستقصى حقائقها ؟ ذهبت الكونفوشيوسية المحدثة إلى أنه لابد أن يقـدم الأولويـات على غيرها في البحث ، والمراد من الأولويات: البحث عـن الحقـائق الـسماوية، والعلـم بالأخلاق الفاضلة ، والمعرفة بأقوال الأنبياء ، والفهم لتغيرات الأحداث . . الخ . قال الحكيم (جو شي): " إن الغاية القصوى من البحث عن حقائق الأشـياء ، والارتقـاء إلـى كمـال المعرفة معرفة المستقر . " و " إنما المراد من المستقر المقام الذي يجب أن يصل إليه وهو المقام الذي يستقر فيه كمال الخير " [١]

---

[١] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب المعرفة الكبرى ، ص ٢ .

على هذا ، فليس البحث عن حقائق الأشياء والارتقـاء إلـى المعرفـة إلا لمعرفـة المستقر الذي يجب أن يرتقي إليه كمال الخير ، وهذه هي السنة الثالثة من سنن المعرفـة الكبرى ، وهي معرفة ذلك المقام الروحي الرفيع الذي يعود فيه الإنسان إلى فطرتـه الخيرة ، ويصل إلى الوحدة بينه وبين " تيان " .

الخطوة الثالثة والرابعة (إخلاص النية وتقويم القلب):

وقد قام (تسينغ تس) بتفسير إخلاص النية الوارد في نص رسـالة كونفوشـيوس في الفصل السادس من كتاب المعرفة الكبرى ، وجاء فيه: " وأما إخلاص النيـة فهـو ألا يخون الإنسان نفسه ، مثلما يكره الإنسان الرائحة الكريهة ، ومثلما يحـب الجمـال الحـسن ، وهذا هو الذي يسمى رضى القلب ، لذلك لابد للرجل الفاضل من الاحتياط في الخلوة . . .الخ .

ترى نظرية المعرفة الكبرى في الكونفوشيوسية أن الارتقـاء إلـى المعرفـة أي معرفة مستقر كمال الخير - كما سبق - مقدم على إخلاص النية ، فالإنسان لا يمكـن أن يخلص نيته إلا إذا تمكن من الارتقاء إلى المعرفة . والمراد من إخلاص النية عـدم خيانـة الإنسان نفسه ، وأن يكون الإنسان صادقاً مع نفسه وقلبه وفطرته ، ذلك لأن الإنسان مفطور على حب الخير وكراهية الشر بالضرورة ، فهو من حيث نفسه وقلبه وفطرته يحب الخير مثل حبه للجميل الحسن ، وهو يكره الشر مثل كراهيته للرائحة الكريهة .

كما ذهبت الكونفوشيوسية إلى أن تقويم القلب مفتاح لحل مشكلة تزكية النفس ، ذلك لأن القلب ملك الجسم كله ، وما عدا ذلك من الأعضاء في الكيان الإنساني تـابع لـه ومحكوم بحكمه ، وإذا قام القلب على فطرته الخيـرة فـستزكي الـنفس ، وبالتـالي يصلح كل شيء في الوجود .

وهناك أربعة أمور تفسد تقويم القلب ، وهي : الغضب والخوف والرغبة والحزن ، وإذا كان في القلب غضب على شيء ما ، أو خوف من شيء ما ، أو رغبة في شـيء ما ، أو حزن على شيء ما ، لا يمكن للقلب أن يقوم على مقامه مـن الفطـرة، فيجـب على طلاب المعرفة الكبرى أن يعملوا جاهدين على تجنب هذه الأمور المفسدة لقيـام القلب على مقامه .

الخطوة الخامسة (تزكية النفس):

ذهبت الكونفوشيوسية إلى أن تزكية النفس أهم خطوة من الخطوات الثماني لتطبيق نظرية المعرفة الكبرى ، بل يعتمد قيام هيكل المعرفة الكبرى كله على تزكية النفس ، ولها المكانة المركزية بين هذه الخطوات . قال كونفشيوس فيما نسب إليه من نص الرسالة في كتاب المعرفة الكبرى :

" فإنه يجب على الناس جميعا من ابن السماء حتى عامة الشعب أن يجعلوا تزكية النفس أصلا أساسيا ومن المستحيل أن يستقيم الفرع مع اضطراب الأصل " .

وهذا يعني أن كونفوشيوس كان يرى أن تزكية النفس واجب ضروري وأصل أساسي لكل واحد من الناس ، لأنها هي الأصل الذي به يستقيم سائر الفروع ، فما المراد من تزكية النفس ؟ لم يترك لنا كونفشيوس شرحاً شافيا لمفهوم تزكية النفس عنده ، وقد قام بشرحه تلميذه (تسينغ تس) فقال في الفصل الثامن من تفسيره لنص الرسالة : " وإنما المعنى في قوله : إن رعاية الإنسان لأسرته تعتمد على تزكيته لنفسه أنه: يميل إلى من يقربه ويحبه ، ويميل عمن يصغره ويكرهه ، ويميل إلى من يوقره ويعظمه ، ويميل إلى من يشفق ويعطف عليه ، ويميل عن من يتكبر عليه ويحقره " . ويتضح من تفسير (تسينغ تس) أن المقصود الأساسي لتزكية النفس : ترك الميل الإنساني إلى المحبوبين أو عن المكروهين على حد سواء . قال الحكيم (جو شي): " إن وجود هذه الميول الخمسة في النفس الإنسانية قاعدة طبيعية لا يخلو منها أحد ، ولكن العامة من الناس يتركون هذه الميول تتوجه إلى ما تشاء من غير مراقبة ، وهذا بالضرورة يؤدي إلى الوقوع في التطرف في ميولها، فلا يستطيعون أن يزكوا أنفسهم لهذا السبب ".[١]

الخطوة السادسة (رعاية الأسرة) :

ذهبت الكونفوشيوسية إلى أنه من لا يستطيع أن يزكي نفسه على نحو ما سبق ، لا يستطيع أن يرعى أسرته رعاية صحيحة فضلا عن أن يكون إماما للناس وحاكما للدولة ، ومن أراد أن يحسن سياسة المملكة لابد له أن يبدأ بأسرته ، فيرعى أسرته على خير وجه ، وبدون ذلك لا يتم له شيء من أمر سياسة الناس ، فما المراد من رعاية الأسرة في الكونفوشيوسية ؟ .

---

[١] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب المعرفة الكبرى ، ص٨ .

ورد في الفصل التاسع من تفسير (تسينغ تس) لنص رسـالة كونفوشـيوس فـي تفسير رعاية الأسرة وسياسة المملكة : " وإنما المعنى في قوله إن تحسين سياسة المملكـة يعتمد أولا على رعاية الإنسان لأسرته أنه : لم يكن هناك من يقدر على تربية الآخرين من غير أن يقدر على تربية أسرته ، لذلك استطاع الرجل الحاكم الفاضل أن يتم تربية المملكة من غير أن يخرج من أسرته ، وذلك لأنه يعمل على البر وبه يخدم الحكام ، ولأنـه يعمـل علـى الطاعة وبها يخدم الكبار ، ولأنه يعمل على الرحمة وبها يخدم الناس ".

وهذا يوضح أن هناك قاعدة مشتركة بين رعاية الأسرة وتدبير أمور المملكة، ذلك أن الكونفوشيوسية ترى أن هناك ثلاثة أصول أخلاقية لرعاية الأسرة، وهي : بـر الوالـدين مـن جانب الأولاد ، وطاعة الأخوة الكبار من جانب الأخوة الصغار، والشفقة على الجميع من جانب راعي الأسرة ، وأما تدبير أمور المملكة فهو ليس إلا دفع هذه الأصـول الأخلاقيـة من داخل الأسرة إلى خارجها ، فيجب على من يقوم بتدبير أمور السياسة أن يدفع أصل بر الوالدين من مفهومه الضيق داخل الأسرة إلى مفهومه الواسع خارج الأسـرة ، فيخـدم الأمير الحاكم بالبر والإخلاص ، ويدفع أصل طاعة الإخوة الكبار أيضاً من مفهومه الضيق داخل الأسرة إلى مفهومه الواسع خارج الأسـرة ، فيخـدم الكبـار مـن النـاس بالطاعـة والتعظيم ، وكذلك يدفع أصل الشفقة للجميع من جانب راعي الأسرة إلى جميع الناس ، فيخدمهم بالشفقة والمحبة .

الخطوة السابعة والثامنة (سياسة المملكة ونشر السلام تحت السماء):

ترى نظرية المعرفة الكبرى أن من لا يستطيع أن يرعى أسرته رعاية صـحيحة ، لا يستطيع أن يسوس المملكة سياسة عادلة ، وأن رعاية الأسرة وفق الأصول الأخلاقية الثلاثـة مقدمة على سياسة المملكة ، وهي خير دليل على قدرة الإنسان على تدبير أمور سياسة المملكة ، وقد ورد في الفصل التاسع من تفسير (تسينغ تس) لنص كونفشيوس :

" إذا كانت هناك أسرة واحدة تعمل على الرحمة ، فستـصبح المملكـة بكاملهـا تزدهر بالرحمة ، وإذا كان هناك أسرة واحدة تعمل على إيثار الآخرين ، فستصبح المملكـة بكاملها تزدهر بإيثار الآخرين ، وإذا كان هناك أمير واحـد قـائم علـى الجـشع والظلـم ، فسيخرج الشعب كلهم عن طاعته . . هكذا تكون سنة التأثير . وهذا هو عين ما قيـل: " إن كلمة واحدة تفسد الأمور كلها ، وإن رجلا واحدا يؤمن المملكة بأسرها " .

تؤكد هذه الفقرة على أن دعوة الناس إلى العمل بالأخلاق الفاضلة وترك الأخلاق السيئة ، لا تؤتي ثمارها إذا كان الداعي لم يبدأ بها بنفسه قبل الآخرين ، بل كثيرا ما تؤدي

إلى خلاف ما يدعو إليه لذلك يؤكد كتاب المعرفة الكبرى على حتميـة تزكيـة الـنفس ورعاية الأسرة ، وهو يعتمد على هاتين الخطوتين كل الاعتماد ، لأنه في النهاية لـيس إلا توسيعا لهذا العمل من داخل الأسرة إلى خارج المملكة ، فإن الرجل الحاكم الفاضل يجب عليه أن يطلب الخير ونشر السلام من نفسه قبل كل الناس . . .[1]

(1) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ٩٢- ١٠١ بتصرف .

٢- مصادر المعرفة لدى الكونفوشيوسية

١- الفطرة

أ- الفطرة الإنسانية الخيرة :

مما اشتهر عن الكونفوشيوسية أنها تقول بخيرية الفطرة الإنسانية أو بعبارة أخرى أن الإنسان مفطور على الخير ، ومجبول عليه من حيث طبيعته وأصل جبلته، ولكن الحقيقة أن كونفوشيوس لم يكن أول من قدم نظرية كاملة لها خلافـا لمـا ذكـره الكثيـر مـن الباحثين والكتاب ، وعلى الرغم من وجود بعض الأفكار الصينية القديمة التي تدل علـى خيرية الفطرة الإنسانية مثل : تجلية الأخلاق المشرقة الواردة في نص رسالة كونفوشيوس في كتاب المعرفة الكبرى وسفر التاريخ ، والوحدة بين " تيان " والإنسان الواردة في سفر التغيرات ، لا نجد فيما نسب إلى كونفوشيوس في كتاب الحوارات أنه تكلم عن الفطـرة الإنسانية غير مرة واحدة في الحوار التالي :-

" إن الناس يولدون متقاربين في فطرتهم ، وهم متباعدون بسبب التخلق " [١] .

وهذا يوافق ما قاله تلميذه (تس قونغ) عنه بعد ملازمة طويلة عنـدما سـمع لأول مرة من كونفشيوس حديثه عن الفطرة الإنسانية وسنة " تيان " [٢] .

ومع الأسف الشديد لم يخبرنا كتاب الحوارات ماذا سمع (تس قونغ) من أسـتاذه بالضبط ، وترك الأمر بلا جواب محدد ، ولهذا السبب نجد أن الذين يشرحون نظرية الفطـرة الخيرة الكونفوشيوسية من علمائها لا يستدلون على ذلك بشيء من حوارات كونفوشيوس غير هذه الإشارة الغامضة ، بل يبنون شرحهم على أساس ما قالـه منـشيوس فـي هـذا الموضوع ، حتى الحكيم (جو شي) في شرحه لنظرية تجلية الأخلاق المشرقة .

ولهذا السبب - أيضاً - ظهر اتجاهان مختلفان في موضوع الفطرة الإنسانية بعد وفاة كونفوشيوس بزمن غير بعيد ، أحدهما يمثله الفيلسوف هسون تس[٣] والآخر منشيوس وكان الأول يرى أن الإنسان مفطور على الشر فطرة أصيلة ، فيجب أن يقومهـا بأحكـام الشريعة والقانون من فوق رؤوسهم جبرا وإكراها ، والثاني يرى أن الإنسان مفطور علـى الخير فطرة أصيلة ، وما على الإنسان إلا أن يجليها من باطنه إلـى خارجـه برضـاء الـنفس واختيارها دون الحاجة إلى عنصر الجبر والإكراه .

---

(١) كتاب الحوارات ، الفصل السابع عشر ، الحوار رقم ٢ .

(٢) كتاب الحوارات ، الفصل الخامس ، الحوار رقم ١٢ .

(٣) سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني ضمن أبرز الشخصيات الكونفوشيوسية .

وقد دارت مباحثات ومجادلات بين الاتجاهين مدة طويلة ، والكل يقـدم أدلتـه ليدحض الطرف الآخر ، ويدعي أنه يمثل الأصالة الكونفوشيوسية ، وكُتـب النجـاح أخيـراً للاتجاه الذي ذهب إلى خيرية الفطرة الإنسانية وهو رأي منشيوس ، وصـار هـذا الاتجـاه يمثل الرأي الصحيح للدين الكونفوشيوسي في هذه القضية ، وحكم على رأي(هـسون تس) بأنه رأي منحرف عن الأصالة الكونفوشيوسية .[1]

وانطلاقا من العقيدة الكونفوشيوسية في الوحدة بـين الإنـسان و "تيـان" ، يـرى منشيوس أن الفطرة الإنسانية الخيرة يمكن الوصول إلى معرفتها ، ومعرفتها تؤدي إلـى معرفة " تيان " ، لأن هذه الفطرة عطاء سماوي للإنسان ، فالإنسان يمكن له أن يـصل إلـى معرفة " تيان " عن طريق معرفة هذه الفطرة ، لأن الفطرة هي الرابطة بينه وبين الإنسان والطريقة الصحيحة لمعرفة الفطرة الخيرة هي استقصاء حقائق الأمور بقلبه .

ب– الفطرة كمصدر للمعرفة :

الكونفوشيوسية لا تدعى أن كتبها المقدسة وحي منزل من الـسماء، ولا تقـول إن شريعتها منزلة من السماء بالوحي بواسطة الأنبياء – وهذا على الرغم من الاعتراف بوقوع تكليم الإله بعض الأنبياء الأقدمين المسجل في الأسفار القديمة ، بل ذهبت إلى أن الأخلاق والمعرفة ، وأحكام الشريعة مأخوذة من الفطرة الإنـسانية الخيـرة ، ذلـك لأن الأنبيـاء - عندهم - مزودون بالمعرفة منذ الولادة ، فهم لا يحتـاجون إلـى الجهـد والمحاولـة للحصول على المعرفة ، والمعرفة جبلة فطرية في قلوبهم ، وفطرتهم صافية نقيـة لم تؤثر عليها أكدار الأهواء والشهوات حتى تمنعهم من الأخذ من نور الفطرة كمـا ورد في كتاب سنة التوسط :

" إن الصديق يصيب بدون جهد ، ويحصل بدون تفكير ، وهو يمشي متمكنا على طريقة التوسط ، فذلك هو النبي " .

على هذا ، فالأنبياء يعرفون الحق من الباطل ، والصلاح مـن الفـساد ، وحقـائق الأمور ، من فطرتهم الصافية التي تنعكس فيها الحقائق من غير جهـد ولا تفكيـر ، ولا يخطئون أبدا في ذلك .

هذا بالنسبة للأنبياء ، وأما غيرهم من عامة الناس فلا يستطيعون ذلـك بأنفـسهم ، لأن فطرتهم قد طرأت عليها أكدار الأهواء والشهوات ، فلا يدركون الحقائق كما هي ، نعم يمكن لبعضهم أن يدركوا بعض الحقائق لصفاء فطرتهم نسبياً ، ولكنهم ليسوا مثل الأنبياء

---

[1] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية- د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ١٤٣ بتصرف .

في إدراكهم لجميع الحقائق كما هي ومن هنا يجب عليهم إتباع الأنبياء ، واخذ المعرفة عنهم ، والعمل بمقتضى شريعتهم التي وضعوها وفق الفطرة الإنسانية الخيرة .

ومن الأمثلة ، التي تبين أن الأنبياء يأخذون معرفتهم من الفطرة (الزواج)
فالكونفوشيوسية لا تستحقر الزواج - خلافا للطاوية التي تفضل الرهبانية على الحياة الزوجية ، وترى أن الزواج من الموانع التي تحول دون الإنسان والطريقة " طاو " - ، بل هي تمدحه وتقدسه ، وترى أنه أصل الشريعة وأهم أحكامها: " إن حكم الزواج أصل الشريعة " . ولم يكن هذا الموقف تجاه الزواج إلا لأن الزواج فطرة إنسانية فطر الناس عليها من قبل " تيان "،(السماء أو إله السماء)، ولا يجوز للإنسان أن يخالف فطرته المجبول عليها ، بل يجب أن يعيش وفق فطرته ليحقق منها ما جبل عليه ، وما أريد من المنافع الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، ومنها خدمة " تيان " ، وحفظ النسل الإنساني ، وحفظ نظام الأسرة ، والمجتمع ، وضبط السلوك .[1]

---

[1] المرجع السابق – ص ١٤٥ .

٢- القلب :

أ- مفهوم القلب في الكونفوشيوسية :

القلب من أهم المصطلحات الفلسفية في الكونفوشيوسية ، وله - عندهم - مفاهيم عديدة وصفات مميزة :

١- القلب تلك القطعة من اللحم والدم التي بها يحيا الإنسان ، فهو أحد الأحشاء الخمسة للإنسان ، وهي : القلب ، والكبد ، والطحال، والرئة ، والكلية . ومن المعلوم أن عدد الخمسة له معنى فلسفي خاص في الكونفوشيوسية ، فالعناصر الأساسية للعالم خمسة : المعدن ، والخشب ، والماء ، والنار ، والتراب ، وأصول المعاملات خمسة : الإخلاص للحاكم على المحكوم ، والبر للوالد على الولد ، والطاعة للزوج على الزوجة ، والاحترام للإخوة الكبار على الصغار ، والأمانة للأصدقاء ، والأسفار المقدسة أيضا خمسة - كما مر معنا - إلى آخر ما في الكونفوشيوسية من الأخماس ، وكل ذلك ليس إلا مظاهر للوحدة بين " تيان " والإنسان كما يزعمون .[١]

٢- القلب ملك الإنسان كله ، فهو المسيطر على جسمه وروحه وفكره وشعوره وجميع تصرفاته ، قال الحكيم(جو شي):" إنما القلب ملك الإنسان كله"[٢]

٣- القلب آلة التفكير ، قال منشيوس : " وأما القلب فوظيفته التفكير" .[٣] فإن الصينيين القدامى لا يرون أن الإنسان يفكر بالذهن وليس عندهم لفظ العقل، بل يرون أن الإنسان يفكر ويفهم ويعقل بالقلب فقط .

٤- القلب موضع ومقر الفطرة الخيرة التي فطر الناس عليها ، وهي الأخلاق المشرقة كما سبق ، قال منشيوس : " إن فطرة الرجل الفاضل التي فطر عليها هي: الرحمة، والصلاح، والأدب، والحكمة، وهي مغروسة في قلبه"[٤]

٥- القلب مورد المعرفة الذوقية المباشرة كما قال (جو شي) في تكملته التي كتبها وأضافها إلى الفصل الخامس من تفسير(تسينغ تس) لنص رسالة

---

[١] سبق الكلام عن هذه العقيدة الكونفوشيوسية ، في الفصل السابق ، وسيأتي الكلام عن فكرة العناصر الخمسة في هذا الفصل .

[٢] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب المعرفة الكبرى ، ص ٢ .

[٣] كتاب منشيوس ، الفصل الحادي عشر .

[٤] كتاب منشيوس ، الفصل الثالث عشر .

كونفوشيوس حول نظرية المعرفة الكبرى : " وذلك لأن قلب الإنسان لطيف جدا ، ولا يوجد شيء إلا ويستطيع القلب أن يعرفه ....الخ " .

٦- القلب يشتمل على جميع الحقائق ، وهي موضوعة في قلب الإنسان قال الحكيم (جوشي) : " إن القلب شامل لجميع الحقائق، وجميع الحقائق منعكسة في قلب الإنسان . " وقال: " إنما القلب نور ملكي يملكه الإنسان ، وهو شامل لجميع الحقائق ، قادر على معاكسة جميع الأمور " [١] .

٧- القلب عارف لطيف ، هو خزينة الماضي والآتي ، قال الحكيم (جو شي) : " إن وظيفة القلب لطيفة للغاية ، فهو خزينة لما مضى ، وهو قادر على معرفة ما سيأتي " [٢] .

٨- القلب الذات القوامة لجميع الموجودات ، على هذا ، فالقلب هو الفطرة ، وهو " تيان " وهو الحقيقة بمعنى أن القلب والفطرة ، و " تيان " ، والحقيقة وحدة متماسكة لا انفصال بينها أبداً ، وفق العقيدة الكونفوشيوسية في الوحدة بين " تيان " والإنسان قال منشيوس : " من بذل أقصى جهود قلبه عرف فطرته ، ومن عرف فطرته عرف " تيان " وعلى الإنسان أن يحفظ قلبه ويربى فطرته، وبهذا يخدم " تيان " [٣] .

على أساس هذا المفهوم الكونفوشيوسي للقلب يمكننا أن نقول إن للقلب في العرف الكونفوشيوسي أربع وظائف أساسية على الإجمال ، فهو أحد الأحشاء الخمسة التي يحي بها الإنسان أولا ، وهو العقل الذي يفكر به الإنسان ثانياً ، وهو كذلك موضع ومقر الفطرة الإنسانية الخيرة التي فطر الناس عليها ثالثا ، وهو الحدس أو منبع المعرفة الذوقية المباشرة أخيراً .

ب – القلب كمصدر للمعرفة :

وإذا كان الأنبياء يأخذون المعرفة من فطرتهم الخيرة - بدون بذل الجهد في الطلب ولا محاولة السعي - في الكونفوشيوسية ، فمن أين يأخذ الآخرون معرفتهم ؟ خاصة وأنهم قالوا من صار عارفا بعد التعلم فهو في المرتبة الثانية ، ومن طلب المعرفة بعد أن أكره عليها فهو في المرتبة التي بعدها " ؟ أجابت الكونفوشيوسية

---

[١] مجموعة حوارات جو شي أ يجو تس يو لوي ، الفصل الخامس .

[٢] المرجع السابق ، الفصل الرابع .

[٣] الشرح الجامع للكتب الأربعة ، شرح كتاب منشيوس ، الفصل الثالث عشر ، ص ١٨٦ .

على هذا السؤال بأن غير الأنبياء يأخذون معرفة الحقائق من مصدر آخر ، وهـو القلـب ، قال منشيوس:" من بذل أقصى جهود قلبه عرف فطرته، ومن عرف فطرته عرف " تيان " وعلى الإنسان أن يحفظ قلبه ويربى فطرته ، وبهذا يخدم " تيان " .

وهذا يعني أن القلب باب يدخل منه إلى الفطرة الإنسانية الخيرة ، والفطـرة بـاب يدخل منه إلى معرفة " تيان " ،ومن بحث عن الحقائق ببذل أقصى جهود قلبه عـرف الفطرة ، ومن عرف الفطرة عرف " تيان " ، لأن " القلـب ، والفطـرة ، و " تيـان " ، حقيقة واحدة .

وإذا نظرنا من حيث كونها حقيقة سميناها " تيان " ، وإذا نظرنا من حيـث كونهـا جبلّة مفطورة سميناها الفطرة ، وإذا نظرنا من حيـث كونهـا محفوظـة فـي الإنـسان سميناها القلب " هذا يعني أن هناك نوعا من علاقة التجاوب والتفاعل بين القلب والفطـرة و " تيان " ، والبحث عن الحقائق ببذل أقصى جهود القلب يؤدي إلى معرفة الفطـرة الخيرة التي فطر الناس عليها ، ومعرفة الفطرة تؤدي بالضرورة إلى معرفة " تيان " [1].

---

[1] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية- د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ١٥٠ – ١٥٤ .

٣- فكرة العناصر الخمسة:

يعتقد الكونفوشيوسيون - ككل الصينيين - أن الأرواح تتقمص جوهر العناصر الخمسة حتى تستطيع هذه العناصر أن تتمتع بالغذاء والرؤية والموسيقى ومن هنا كان على الإنسان أن يتمتع بكل شيء في حدود القانون الأخلاقي .

وقد بنو تفكيرهم على فكرة "العناصر الخمسة"[١] ومن ذلك قولهم:

١- تركيب الأشياء من خمسة عناصر: المعدن ،الخشب ، الماء ، النار، التراب.

٢- الأضاحي والقرابين خمسة .

٣- الموسيقى لها خمسة مفاتيح ، والألوان الأساسية خمسة .

٤- الجهات خمس: شرق وغرب وشمال وجنوب ووسط .

٥- درجات القرابة خمس: أبوة - أمومة - زوجية - بنوة - أخوة.

والكون عندهم مكون من العناصر الخمسة ، والإنسان له الأحشاء الخمسة التي يحيى بها وهي : القلب ، والكبد ، والطحال ، والرئة ، والكلية .

ويقال أن الفيلسوف الصيني (شي يو) المولود في القرن الثامن قبل الميلاد هو أول من جاء بفكرة العناصر الخمسة ، حيث افترض أن الكون يتكون من عناصر خمسة هي الأساس في وجوده ، ونمائه وتطوره ، وهي التراب ، والنار ، والماء ، والمعدن ، والخشب . ومن هذه العناصر تتكون الأشياء (الموجودات)من الإنسان إلى الحيوان والنبات فالجماد . وللعناصر خواصها ، ومن تركيب هذه الخواص تنشأ الموجودات في تنوعاتها اللامتناهية . وهذه الخواص هي:

العنصر	الخواص	التكوين	الإحساس
الماء	انسياب ، مطر ، هبوط	سيولة ، فيوضة ،ذوبان	ملوحة
النار	تسخين،إحراق،صعود	حرارة ، احتراق	حرارة
الخشب	قبول الصورة بقبول القطع والجز	صلابة فيها مطاوعة	حموضة
المعدن	قبول الصورة بالصب سائلا	قابلية تبديل الصورة بإعادة الصهر والصب	اللذوعة
الأرض	التراب ، الإنتاج ، الأكل	التغذية	الحلاوة [٢]

---

[١] وقد تكلمنا (في الفصل السابق) عن اعتقاد الكونفوشيوسية بالوحدة بين (تيان) و(الإنسان) بناءً على هذه الفكرة . كما سبق الكلام عن كثرة الأخماس لديهم في أول هذا الفصل .

[٢] تيارات الفلسفة الشرقية – محمد سليمان حسن – ص ٥٦ – ٥٧ بتصرف .

٤- الفكر الأخلاقي:

الأخلاق هي محور الفلسفة وأساس الدين لدى الكونفوشيوسية ، وهي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه ، وتسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية مما يخضعها للقوانين الاجتماعية والقانونية بشكل تلقائي ، وتعتبر الكونفوشيوسية مذهبا إصلاحياً للأخلاق والمجتمع والسياسة ، وقد أثر في كونفوشيوس ما رأى من قومه من تدني في الأخلاق ، وفساد في السياسة وتفكك في المجتمع . فأراد أن يعود بقومه إلى الأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة والسياسة الصالحة ، فكان له ، وللكونفوشيوسيين من بعده ، مبادئ وأصول إصلاحية في الأخلاق والمجتمع والسياسة ، شكلت المنهج الذي سارت عليه الكونفوشيوسية بعد ذلك ،وسنحاول ذكر أهم هذه المبادئ والأصول الأخلاقية في نقاط :

أ- مبادئ الأخلاق الكونفوشيوسية

١- إنسانية الأخلاق

ولعل أبلغ وصف للأخلاق الكونفوشيوسية أنها إنسانية الطابع ، " فالإنسان فيها مقياس للإنسان " ، وهذا كونفوشيوس نفسه يقول " إن الفرد الذي يريد أن يعيش في تناقض مع هذه القواعد ، يستطيع أن يتخذ من نفسه مقياساً للأخلاق الفاضلة [(١)] .

فالمثالية عند كونفشيوس مشتقة من طبيعة الإنسان ذاتها ، وهي مبنية على تحليل للطبيعة البشرية ، ولذلك فهي لا تقوم على افتراض عالم آخر يلقى فيه الإنسان الثواب أو العقاب جزاء على أفعاله ، إنما تنظر إلى الإنسان ككائن اجتماعي ينبغي أن يعيش حياة سعيدة هانئة مع غيره من البشر[(٢)] .

وعلى الرغم من قوة المعتقد الديني لكونفوشيوس ، إلا أنه لم يتخذه أساسا لفكره ، خاصة الفكر الأخلاقي منه ، وإنما آثر فصل الأخلاق عن عالم الغيب، وصرف الأنظار عن خوارق الطبيعة والغيبيات ، وأعطى ، في مقابل ذلك ، اهتماماً أكبر للعالم الدنيوي ، ولمشكلات المجتمع البشري الجوهرية ، ولرسم العلاقات التي يجب أن تسود بين

[(١)] كتاب الطقوس ، ف ٣٢ .

[(٢)] فلاسفة ايقظوا العالم . د . مصطفى النشار – ص ٥٧ بتصرف .

أفراد هذا المجتمع ، ووضع أخلاقياته على أساس طبيعة الإنسان والمجتمع ، واعتبرهما مصدر المثل العليا والمعايير الأخلاقية .

ومما يؤكد عمق البعد الإنساني في الأخلاق عند كونفوشيوس ، واعتبار طبيعة الإنسان وإمكانيات هذه الطبيعة معايير لهذه الأخلاق قوله في هذا الشأن : -

" إن الطريق الصحيح أو قاعدة السلوك السليم التي على الأفراد اتباعها ليست ببعيدة عنهم . لأن الأفراد إذا استنوا قاعدة للسلوك بعيدة عنهم ، فمعنى ذلك أنها لا تتفق وطبيعتهم الإنسانية ، وكل قاعدة للسلوك الأخلاقي تتنافى مع الطبيعة الإنسانية يجب استبعادها وعدم الأخذ بها [١]" .

ويقول أيضا: " إن الإنسان هو الذي يجعل الصدق عظيما ، وليس الصدق هو الذي يجعل الإنسان عظيماً " . فالإنسان إذن ، هو مصدر القيم ، ومقياس الأخلاق الفاضلة ، والذي يجعل الناس مقاييس ومعايير بعضهم لبعض هو أن الطبيعة الإنسانية ، وما تتميز به من عواطف وأفكار ومشاعر وانفعالات ، واحدة في كل فرد من أفراد النوع الإنساني ، فيما يرى كونفوشيوس .

فما يصدق على فرد يصدق على الأفراد ، وما يشعر به إنسان يشعر به الناس جميعاً . وبناء على وجود مثل هذه الطبيعة الإنسانية الواحدة في كل فرد من الأفراد ، يجب إذن على " الإنسان ألا يعامل الناس بما لا يرضى أن يعامل به" . [٢]

٢- تطابق الأسماء مع مسمياتها :

الأصل الذي بدأ به كونفوشيوس والذي يرى أن الفضائل تقوم عليه ، وجوب تعيين المعنى واللفظ أو تطابق الأسماء مع مسمياتها، فإن اللعب بالألفاظ يوهن الأخلاق ويؤدي لفساد الاعتقاد والعبث بكل ما هو فاضل ، فنراه يقول : " إذا لم تكن الأسماء صحيحة لا يوافق الكلام حقائق الأشياء ، وإذا لم يكن الكلام موافقاً للحقائق وقع الخلط في اللغة ، وفسدت الأمور، فلا تزهر الآداب ولا الموسيقى ، ويضطرب التفكير ولا تنزل العقوبات على من يستحقها ، وإذا لم تنزل العقوبات على من يستحقها لا تعرف

---

[١] كتاب الطقوس (الانسجام المركزي) الفصل ١٣ .

[٢] كتاب الحوار : ١٢ / ١١٢ .

أنظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٧٣ – ٧٤ .

و كونفوشيوس النبي الصيني – حسن سعفان – ص ٥٣- ٥٤ .

الرعية كيف يحركون أيديهم وأرجلهم ، والرجل الكامل الخلق لا يستهين بكلامه ولا يهمل في تعبيره " [١] .

فالرجل الكامل يوضح كلامه ويبين المقصود منه والغاية وراءه في غير ما لبس ولا غموض ، ولا يموه الحقائق تمويها يضلل الناس ويوقعهم في الشرور والمفاسد . . فنرى كونفوشيوس يوضح هذه المسألة ويؤكد عليها ليقطع على المضلين سبيل التضليل ويفتح الباب ليستقيم طريق المعرفة من غير تمويه . " فقد جاء كونفوشيوس في وسط اضطراب خلقي ، وتلاعب في نظم الحكم ، وعبث بمصالح الدولة ، واللعب بالألفاظ لتوهين الأخلاق ، فكان لابد من العمل على تعيين المعاني الدالة على الألفاظ لتثبيت المعنى مستقيماً لكي لا يمكن التلاعب به".[٢] ويعزو كونفوشيوس اضطراب أحوال عصره إلى أن مسميات الأشياء لم تعد تتطابق مع أسمائها ، وإذا أردنا زوال هذه الشرور يجب العمل بنظرية (تقويم الأسماء) فلا سبيل – عنده – إلى تنفيذ الواجب بدقة إلى بوضع جميع الأشياء في نصابها ، ولا يتأتي هذا إلا بالتطابق التام بين القوالب ومحتوياتها أو بين الألفاظ والمعاني [٣] .

كما أن الدراسة يجب أن تتناول حقائق الأشياء وأصولها ، تناولاً دقيقاً مؤسسا على النقد الذي لا يعرف المحاباة لا يخضع لعاطفة ولا هوى ، فإذا تنزهت هذه الدراسة الواعية عن هذه العوائق المفسدة أنتجت أسمى النتائج وأرقاها . ونراه يقول : " حينما تدرس طبيعة الأشياء عن قرب وبانتباه تصل المعرفة إلى أعلى أوجها ، وحينما تبلغ المعرفة أقصى أوجها تصبح الإرادة كاملة وحينما تصبح الإرادة كاملة تصير حركات القلب منتظمة متفقة مع القانون ، وحينما تصبح حركات القلب منتظمة يتخلص القلب من الآثام ، وبعد أن يتخلص الفرد من الآثام يشرع في توطيد دعائم النظام والانسجام في الأسرة ، وإذا ساد الانسجام في الأسرة بلغ الحكم في المدينة درجة الكمال ، وإذا بلغ الحكم في المدينة حد الكمال استمتعت الإمبراطورية بالسلام التام والانسجام الكامل [٤] .

٣- الفضيلة .

---

[١] الديانات القديمة – الإمام محمد أبو زهرة - ص ٧٦-٧٨ بتصرف .

[٢] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية - د / علي معبد - ص ١٤٠ .

[٣] المرجع السابق - ص ١٤٧ بتصرف .

أنظر: الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ٨٠ .

[٤] الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية - د / علي معبد - ص ١٥٩ .

فالفضيلة عند الكونفوشيوسية ، لا تقتصر على المعرفة فقط بل المعرفة طريق إلى الفضيلة يقول كونفوشيوس: " من يعلم الحق دون من يولع بطلبه ، ومن يولع بطلبه دون من يطمئن إليه دائماً " [١] .

هذا الاطمئنان الذي يعقب طلب الحق يؤدي إلى العمل به والسير على هداه ، بعد أن يكون قد تعمق في مشاعره ، وتحرك وفقاً لما تمليه عليه هذه المشاعر التي أولعت بالحق وتشربته ، وهو ما تعبر عنه الكونفوشيوسية بـ " لي " أي السلوك الصحيح ، أو القانون الأخلاقي ، الذي يشمل جميع العادات الحسنة والسنن الاجتماعية والشرائع السياسية . هذا القانون الأخلاقي " يفرض على الأفراد أربع فضائل رئيسية فيجب على الولد أن يطيع والده وأن يخضع له ، ويجب على كل فرد أن يطيع الحاكم وأن ينقاد له ، وعلى الأخ الأصغر أن يطيع أخاه الأكبر ، وعلى الأصدقاء أن يعاملوا بعضهم بعضاً بإخلاص ويوجب الكونفوشيوسيون على كل فرد أن يتحلى بها باستمرار ، لأن الاستمرار في التحلي بالفضيلة هو نفسه جزء لا يتجزأ من الفضيلة " [٢].

ويرى كونفوشيوس أن طلب الفضيلة من كمال الإنسانية ، وأن يطلب الإنسان الفضيلة لا رجاء منفعة ولا دفعا لمضرة ولا جلبا للذة ولا دفعاً لحرمان ولكن يطلب الفضيلة على أنها كمال إنساني ، وإذا تمسك الإنسان بالفضيلة وابتعد عن الانحراف عن سبيلها وتجنب الخضوع للملاذ ، سهل عليه كل صعب وهان عليه كل شاق ، وإن رياضة النفس على الفضيلة تجعل الشخص يحتمل الفقر والغنى ، فإن افتقر لم يهن وإن غني لم يطغ ولم يأشر " [٣].

---

[١] الديانات القديمة – الإمام محمد أبو زهرة – ص ٧٨
وحكمة الصن - د / فؤاد شبل - ص ٧٢ .

[٢] كونفوشيوس النبي الصيني – حسن سعفان – ص ٣٤ بتصرف .
أنظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ت: د/ إمام عبد الفتاح – ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

[٣] الديانات القديمة - الإمام محمد أبو زهرة . - ص ٧٩ .

٤- خيرية الفطرة الإنسانية :

سبق أن تكلمنا عن الفطرة الإنسانية الخيرة وأنها من مصادر المعرفة لدى الكونفوشيوسية - في بداية هذا الفصل - ونزيد على ما ذكرناه ، أن الكونفوشيوسية تبني نظريتها في الأخلاق على القول بخيرية الفطرة الإنسانية وأن الإنسان خير بطبعه ، يبحث دائما عن الخير ، ومما قاله كونفوشيوس في هذا المعنى : " إن الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم ، ولكنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الآخر تدريجياً وفق ما يكتسب من عادات " (١) .

ويقول أيضا: " إن الطبيعة الإنسانية مستقيمة ، فإذا افتقد الإنسان هذه الاستقامة أثناء حياته ، افتقد معها السعادة " (٢) .

ويرى أن السبيل إلى الأفعال الخيرة هو التمسك بالقانون الأخلاقي السماوي الذي يحقق صلاح الفرد والمجتمع . كما يقوم نظام كونفوشيوس الأخلاقي على الفهم الكامل للطبيعة الإنسانية من حيث كونها طبيعة عاقلة واجتماعية ، مع ملاحظة أنه :

أولاً: لا يعتبر الفرد كائنا مستقلا عن المجتمع ، أو يعيش بمعزل عنه.

ثانياً : لا ينظر إلى المجتمع كنوع من الكيان الميتافيزيقي الذي يلغى وجوده وجود الفرد ، بحيث لا يصبح للفرد وجود ما لم يكن مندمجاً فيه تمام الاندماج .

وهذه الرؤية نشأت لدى كونفوشيوس لإيمانه بمبدأين:

الأول : أن الفرد مخلوق اجتماعي ، يلعب المجتمع دوراً كبيراً في تشكيله .

الثاني : استحالة انسحاب الفرد من المجتمع ، نظرا لما يتمتع به من يقظة ضمير تصده عن إتيان هذا الفعل الغريب عن طبيعته .

ويستنتج كونفوشيوس من هذين المبدأين ، نتيجة هامة مفادها أنه من أكبر الأخطاء أن ينسحب الفرد من المجتمع ، ويتحول إلى شخص انعزالي زاهد في الحياة ، بل على كل فرد أن يحرص على أن يكون عضوا عاملا ونافعاً في المجتمع . ويضاف إلى ما سبق أن على الفرد أن يحذر من أن يتحول إلى أسير للمجتمع يتبع أعرافه وتقاليده المجافية لمنحاه الخلقي دون تفكير أو روية ، بل الواجب عليه إذا ما بدا له أن ممارسة هذه الأعراف والتقاليد فيها فساد أو ضرر، أن يعمل على هداية المجتمع إلى

---

(١) كتاب الطقوس ، فصل ٣٢ .

(٢) كونفوشيوس : كتاب المنتخبات أو كتاب الحوار .

الصواب ، وأن يدفعه إلى السير في الاتجاه السليم . أما إذا كانت هذه الأعـراف والتقاليـد معقولة أو لا ضرر منها فعليه مجاراتها والعمل بها .(١)

٥- يقظة الضمير:

حتى لا يحيد الإنسان عن الفطرة يجب عليه أن يراقب نفسه ويلاحظ البواعث التي تبعثه على الأعمال ، فإن كان الباعث هو المنفعة الشخصية أو اللـذة ، فقـد حـاد عـن الطريق ، وإن كان الدافع الإخلاص والحق في ذاته فهو الفطرة وهو الحق والـسلوك القويم . ولذلك يقول عن الحكم على الأشخاص: " انظر إلى أعمال الناس ، ولاحظ بواعثها ، وراقب ما إليه يستريحون فأين يخفي الناس سرائرهم ؟ "

وهذه الملاحظة تدفع كونفوشيوس إلى أن يدعو الشخص إلـى التأمـل النفـسي ، ومراقبة نفسه اللوامة ، ومحاسبتها على ما تقدم عليه من عمل ، ويكون من نفسه رقيب عليه شديد المراقبة . . .(٢)

فمراقبة النفس ومحاسبتها على الصغير والكبير ، وإلجام نزواتها، وإلزامهـا جـادة الحق والصواب - واستكشاف كل ما بداخل هذه النفس يوصـل الإنـسان إلـى الحكمـة والأخلاق الفاضلة ، والبعد عن الأهواء ، والحكم على الأشياء حكماً صحيحاً، وهذا لا يأتي إلا عن طريق الضمير اليقظ الحي .(٣)

٦- تبادل المعاملة:

ويقــضى هــذا المبــدأ بــأن " لا تعامــل النــاس بمــا لا ترضــى أن تعامــل به " (٤) . . وهذا مبدأ عظيم يؤدي إلى استتباب الأخلاق الحسنة والمعاملات الكريمة بـين الناس ، فالكل يقدم الخير ويبدأ به ، حتى يقدم له الخير ويبذل له . ولكن العدالة أو تبادل المعاملة لا تعني عند كونفوشيوس مقابلة الشر بالخير ، أو مجازاة الإساءة بالإحسان ، بل تقتضي مجازاة الإساءة بالعدل والإحسان بالإحسان . وحينما سؤل كونفوشـيوس مـاذا

---

(١) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص٧٥ – ٧٦ بتصرف .
انظر: حكمة الصن - د / فؤاد شبل - ص ٧٣ .

(٢) الديانات القديمة - الأمام محمد أبو زهرة - ص ٨٠ بتصرف .

(٣) الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ٨٤ .

(٤) كتاب الحوار- ١٥٤/١٥ و ١٢ / ١١٢ .
وكتاب الطقوس – الفصل ٣٢ .

تقول فيمن يجازي المسيء إليه بالإحسان؟ قال : " فبما يجازي المحسن إليه ، فليجاز المسيء إليه بالعدل ، وليجاز المحسن بالإحسان [١].

وسأله أحد تلاميذه عما يعنيه بلفظ الإنسانية فأجابه :

" أن تتصرف وأنت خارج دارك كما لو كنت في حضرة ضيف عظيم الشأن . . وتعامل عامة الناس كما لو كنت تؤدي فريضة دينية ، هنا ينتفي السخط في الدولة والمنزل ، وعلى المرء الراغب في بناء رفعته أن يساهم في تشييد رفعة الآخرين ، وعلى من يتشوق إلى النجاح أن يساعد غيره على بلوغه " [٢].

ويلخص كونفوشيوس مبدأ التعامل مع الناس فيقول: " لا تفسد الآخرين بفرط حبك ، ولا تقض عليهم بفرط كراهيتك وخير الأمور هو الوسط بين الطرفين ، ذلك لأننا نتعامل مع بشر وليس مع ملائكة ، فنصف البشر خير والنصف الأخر شرير،فلنشجع الخير ونقاوم الشر بتطبيق مبدأ العدالة المتبادلة.[٣]

٧- الوسط والانسجام .

الوسط والانسجام ، عند كونفوشيوس ، هما نقطة الذروة في الطبيعة الإنسانية ، إذ أن هذه الطبيعة تتألف من قسمين : النفس أو الذات أو المركز ، والأحاسيس أو المشاعر والانفعالات ، فعندما لا تتنبه الأحاسيس أو الانفعالات (مثل الغضب أو الحزن أو الفرح) تدعى الوسط أو الاعتدال ،وعندما تتنبه هذه الأحاسيس أو الانفعالات دون أن تتجاوز الحد المعتدل يقال عن النفس أو الذات إنها في حالة الانسجام . إذن الوسط أو الاعتدال هو الأصل ، والانسجام هو القانون العام .

وحينما يبلغ الوسط أو الاعتدال والانسجام غايتهما ، ويتحققان، يسود الاستقرار الكامل في السماء وعلى الأرض ، وتتلقى جميع الأشياء حقها كاملاً ، وتتقدم نحو الكمال ، بما يفيد أن المجال الأخلاقي والمجال الميتافيزيقي لا ينفصلان، بل النظام الخلقي والنظام الكوني يشكلان وحدة أو كيانا واحداً .

لقد وقف كونفوشيوس موقفا وسطا بين الإفراط والتفريط، ولجأ إلى الحد الأوسط لتحديد الفضائل الخلقية . وبعبارة أخرى فإن الفضيلة عنده هي اختيار الوسط بين

---

(١) كتاب الحوار ، ص ١٤٤ .

(٢) حكمة الصين – د . فؤاد شبل ص ٨٩ .

(٣) الفلسفة والنصوص - د / محمد جلال شرف - ص ٦٢ .
انظر: الكونفوشيوسية - سليم المسلمي – ص ٨٥ .

رذيلتين متضادتين ، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والكرم وسط بين التبذير والبخل ، والصداقة وسط بين التملق والشراسة ، والتواضع وسط بين الخجل وانعدام الحياء .

ومما قاله كونفوشيوس في هذا المعنى : " إنني أعرف الآن لماذا لا يفهم كثير من الناس القانون الأخلاقي . فالأفراد ذوو الطباع السامية يعيشون في مستوى أخلاقي يعلو القانون الأخلاقي ، أي أعلى من ذاتهم الأخلاقية العادية ، والأفراد ذوو الأخلاق المنحطة يعيشون في مستوى يقل عن المستوى العادي للقانون الأخلاقي"[١]

ويقول أيضا: " لعل الاقتصاد الدائم هو المثل الأعلى للفضائل " [٢] وقد سبق معنا قول كونفوشيوس: " لا تفسد الآخرين بفرط حبك ، ولا تقض عليهم بفرط كراهيتك، وخير الأمور هو الوسط بين الطرفين " .

٨- عدم الإغراق في الملذات :

ترى الكونفوشيوسية أنه لابد من العمل على إحياء الفضيلة بتنمية قوى النفس الخيرة وتصفية ينابيعها من كدر اللذة ، واحتدام الشهوة ، ويرون أن النفس كصفحة الماء الصافية المستوية ، واللذات كالأحجار تقذف فيها فتحدث فيها اضطراباً وتعكر صفوها [٣].

وقد خشي كونفوشيوس أن تطمس اللذات نور الفطرة وهداها ، فحث على الخشونة في العيش كي تكون اللذات أمة للعبد ولا تكون سيداً، ويرى أن تعود ترك اللذات مما يساعد على إتباع الفطرة " إذا عزم المتعلم على طلب الطريقة الموافقة للفطرة السليمة وهو يأبى أن يترك الملبس الخلق والمطعم الخشن فهو غير خليق بأن يحاضر "[٤].

فعلى المتعلم - وغيره - أن يتعالى على ملذاته وشهواته حتى يكون على جادة الفضيلة والخلق القويم .

---

[١] كتاب الطقوس ، الفصل الثاني ، الانسجام المركزي .

[٢] كتاب الحوار ٦ / ٦١ .

كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٨٣ – ٨٤ .

[٣] الديانات القديمة – محمد أبو زهرة – ص ٧٨ بتصرف .

[٤] الحوار – كونفوشيوس – ت: محمد مكين – ص ٣٩ .

٩- الحيادية في الحكم وعدم المحاباة:

ترى الكونفوشيوسية أنه كما يلزمنا صفاء النية في الحكم على ما نأتي من أفعال ، فإنه من ألزم اللوازم كي نستطيع الحكم على أفعال الآخرين ، بلا تحيز أو ظلم . " فالإنسان عادة يتعامى عن الحكم الصحيح على أفعال الأفراد الذين يحبهم أو الذين يحتقرهم ويخشى بأسهم أو الأشخاص الذين يشفق عليهم أو يجلهم ، ومن ثم لا نجد في هذا العالم إلا قليلا من الأفراد يستطيعون رؤية مساوئ من يحبون أو مزايا من يكرهون " فالناس لا يلحظون خطأ أطفالهم كما لا يلحظون النمو البطيء لنبتة الأرز التي تنبت في حقولهم "[١] ولكي يتلافى الإنسان هذه المناقص عليه أن يحسن نيته وألا يخدع نفسه وأن يعودها على النظر للأشياء والأشخاص بلا أفكار أو أحكام لم يتثبت من صحتها " [٢] .

كما توجب الكونفوشيوسية أن يكون الفرد ذا مسلك عادل في جميع جوانب حياته لأن المحاباة تؤدي إلى البعد عن القانون الأخلاقي " فينصح كونفوشيوس أتباعه بان يعملوا دائما على أن يكونوا موفوري الكرامة ، وألا يطلبوا شيئاً من أحد، وأن يعتمد كل منهم على جهده للوصول إلى ما ينبغي وإذا ما أخفق الإنسان بعد جد واجتهاد فليتقبل حظه ونصيبه بارتياح ، ولا يحمل الآخرين تبعة إخفاقه ، أو يعزو سوء حظه إلى السماء ، وبهذا وحده يستطيع العاقل الحكيم إن يعيش مرتاح النفس هادئ البال [٣].

هذه جملة من المبادئ الأخلاقية لدى الكونفوشيوسية ولا يعني هذا أننا قد أحطنا بها جميعاً وما ذكرنا على سبيل الإجمال لا الحصر ولعل فيما يأتي في هذا الفصل مزيد بيان وتوضيح . . .

---

[١] الانسجام المركزي – الفصل السادس .

[٢] كونفوشيوس . النبي الصيني . د / حسن شحاته سعفان - ص ٤٩-٥٠ بتصرف .

[٣] المرجع السابق - ص ٤٥ .

ب – الفضائل الأخلاقية

يمكن القول أن فلسفة كونفوشيوس العملية تتمحور حول أربع فضائل رئيسية تتشعب عنها كل القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد حتى يصل إلى الكمال الإنساني وتتمثل هذه الفضائل الأربع في فضيلة " جين " أي الإنسانية ، وفضيلة الاستقامة ، وفضيلة طاعة الأبناء، وفضيلة " لي " أي الطقوس والشعائر .

١- فضيلة الإنسانية (جين)[(١)]:

تعد الكونفوشيوسية فضيلة " جين " من أهم الفضائل التي لا يمكن للإنسان الفاضل الاستغناء عنها مهما كانت الظروف المحيطة به . وقد بلغت أهمية هذه الفضيلة لدى الكونفوشيوسية لدرجة أنها تقدمها على سائر الفضائل الأخرى ، بل أصبحت تتضمن كل القيم الأخلاقية الأخرى .

وقد اختلف عدد من الباحثين حول ترجمة مفهوم الجين ، مما أدى إلى ظهور عدد من الترجمات له ، فهو يترجم على أنه الحب ، والصلاح ، والخيرية ، والإنسانية ، والصدق والإخلاص البشري ، وبساطة السلوك والفضيلة الكاملة .

ونستطيع أن نستخلص من بين كل هذه الترجمات أنه ضد كل النزعات الأنانية والمزيفة . إن كونفوشيوس نفسه لم يتجه إلى تعريفه من خلال النصوص ولم يحاول تحديد المعنى الذي وظفه داخل عمله ككل ، ولكن نستطيع أن نستخلص من خلال مجموعة الحوارات التي تدور حول هذه الفضيلة المعنى الأصلي لها والذي قصده كونفوشيوس أيا كانت الترجمة [(٢)].

تحدث كوفوشيوس مع أتباعه عن فضيلة الـــــ" جين " مركزاً على أنها صفة أخلاقية أساسية في منهجه وفكره الأخلاقي ، وذلك حينما سأله أحد أتباعه عما هي " الجين " فرد عليه كونفوشيوس قائلاً " أنها حب البشر " .

ويشرح هذه العبارة موضحاً المقصود بهذه الصفة الأخلاقية فيقول " يرغب كل إنسان في الثروة والشرف ، ولكنها إذا تم تحقيقها عن طريق مخالف لمبادئ الأخلاق

---

(١) الجين : لها عدد من الترجمات . ومنها على سبيل المثال: أنها تعنى الفضيلة الإنسانية ، والإحسان ، والرجولة، والحب والخير الإنساني ، وطيبة القلب الإنسانية ، كذلك ترجمت على أنها : أمر متعلق بالشعور والتفكير الإنساني . كما تعنى أيضاً الود أو العطف أو الشفقة ، وهي صفة أخلاقية أساسية في الفكر الصيني وفي الفكر الكونفوشيوسي خاصة . أنظر: الفكر الشرقي القديم - جون كولر - ت: كامل يوسف حسين - ص ٣٥٠ ، ٣٧٣ .

(٢) فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٧٥ – ٧٦ بتصرف .

و التفكير الديني في العلم قبل الإسلام – د/ رؤوف شلبي – ص ١٠٩ .

فإنه لا ينبغي الإبقاء عليها ، ويكره كل إنسان الفقر وتواضع المرتبة ، ولكن إذا لم يكن بالإمكان تجنبهما إلا بمخالفة المبادئ الأخلاقية ، فإنه لا ينبغي تجنبهما ، وإذا ما نأي شخص رفيع المكانة عن الإنسانية " الجين " فكيف يمكن أن يحقق تلك المكانة ، ذلك لأن الإنسان رفيع المكانة لا يمكنه قط التخلي عن الإنسانية (الجين)" [1] .

ويرى كونفوشيوس أن الطريق السليم للفعل الإنساني ليس طريق تحقيق ما يحبه المرء وتجنب ما يكرهه ، وإنما هو طريق العمل وفق مبدأ أعمق هو مبدأ " الجين " . ولها منزلة كبيرة في فكر كونفوشيوس لدرجة أنه قال: " بأن الحياة ليست لها قيمة بدون " الجين " . ويقول أيضاً " إن المثقف الحازم ورجل الإنسانية " الجين " لا يسعى قط للحياة على حساب الإضرار بالإنسانية ، وهو يؤثر التضحية بحياته لكي يحقق " الجين " .

ويعتقد كونفوشيوس بأن التخلي عن " الجين " هو تخلي عن الحياة الإنسانية بصورة كاملة ، وتبلغ " الجين " أهمية عظمى في فكر كونفوشيوس لدرجة أنه يجعل " الجين " أساس كل قيمة . . . " [2].

وقد قيل أن كلمة " جين " كانت في الأصل تدل على عضو من أعضاء العشيرة رفيع المستوى . ولما كان كونفوشيوس يدعو إلى رفع المستوى الأخلاقي لكل الطبقات جعل هذه الكلمة تعني: أن تكون خيراً إلى أقصى حد وبأوسع معنى ممكن لهذه الكلمة . ومن ثم كانت صفات مثل " انعدام الأنانية " واحترام الآخرين ، والولاء للأسرة ، والإخلاص للأمير ، كلها صفات الرجل " الجين " .

ومن صفات الرجل المهذب " الجين " ألا يتذمر ولا يشكو وقت المحن ، وهذه كلها صفات للرجل " الجين " أما " الجين " نفسه عند كونفوشيوس فهو نموذج متعال لم يبلغه سوى حكماء الماضي [3] .

ومن الملاحظ : أن فضيلة " الجين " في الفكر الكونفوشيوسي تتصف بكل الأوصاف الإنسانية الأخلاقية ، مثل الحكمة ، والعدالة ، والتقوى ، والشجاعة ، والشهامة ، والنقاء ، والرحمة والعطف ، والكرامة والصدق .

---

[1] الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حسين - ص ٣٥١ .

[2] المرجع السابق - ص ٣٥١ - ٣٥٢ بتصرف .

[3] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ت: د/ إمام عبد الفتاح – ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

وأوجب كونفوشيوس على أتباعه ضرورة التحلي بهذه الفضائل الأخلاقية وضرورة التعبير عنها بالممارسة اليومية من أجل أن يسود المجتمع السلام ، ويعم الخير والسعادة الكون بأسره [1].

إن كونفوشيوس قد أراد من نسقه الأخلاقي ومن فضيلة الجين على وجه الخصوص أن يحقق ما يسمى " التماسك الاجتماعي " ليس فقط داخل الأسرة ولكن في داخل المجتمع كله ، ولعل رغبة كونفوشيوس هذه كانت رد فعل لتفكك كل المؤسسات الاجتماعية داخل الصين في ذلك الوقت ، مما أدى به إلى رفض مبدأ القوة لإصلاح الأمور سواء داخل الأسرة أو المجتمع لأنها غير ملائمة وعاجزة عن أن تحدث تنظيماً للعلاقات الأخلاقية بين البشر .

فالقانون قد يحرم جرائم الاغتصاب وانتهاك حرمات الغير ولكنه عاجز عن أن يؤلف بين أفراد المجتمع أو الأسرة في نطاق من الانسجام تسوده كل مشاعر الألفة والاتساق . أي أن كونفوشيوس وصل إلى أن إصلاح ما فسد من أمور يحتاج لما هو أكثر من سلطة الدولة أو القانون لكي تصبح صالحة .

لذلك أصبحت الخيرية تعتمد على المقام الأول على ضبط الفرد لذاته كي يدرك الطبيعة الإنسانية الحقة ، وثانياً على كون المرء كائنا اجتماعيا يحمل على عاتقه عبء مساعدة الآخرين خلال تمثله " التاو " من خلال سلوكه . ومن هنا قيل " إن ممارسة الخيرية تعتمد على الإنسان نفسه ، وليس على الآخرين " [2].

---

[1] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٨١ .

[2] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٨٤ .

وأنظر: الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ١٤٠- ١٤٢ .

٢- فضيلة الاستقامة { لي } [(١)]

الاستقامة تشكل قوة أخلاقية هامة ، لأنها تقوم بدور المعيار في الحكم على الأشياء وعلى مدى اقترابها أو بعدها عن الحق . وهذه الفضيلة تفرض على الفرد ألا يقبل على أداء أي فعل، أو الموافقة على أي عمل دون أن يفكر في كل الجوانب المحيطة بهذا العمل ، ويلتزم جانب الحق والاستقامة فيه .

ويرى كونفوشيوس أن الرجل النبيل الذي اجتمعت فيه الفضائل الأخلاقية لو سلك الطريق المثالي داخل المجتمع لنتج عنه سعادة وخير الشعب ، وهذا يستلزم أن تسير الأمة كلها على طريق الاستقامة الذي سلكه ملوك الماضي . وقد نالت هذه الفضيلة أهمية كبرى ، بل أصبح من الضروري إعلاؤها فوق كل شيء [(٢)].

ويقول كونفوشيوس عن هذه الفضيلة " ينظر الرجل الأسمى إلى الاستقامة باعتبارها جوهر كل شيء ، وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب المجتمع (لي) ويبرزها في تواضع ويمضي بها إلى نهايتها في إخلاص، حقاً إنه الرجل الأسمى [(٣)].

ولقد اهتم " منشيوس " أيضاً بفضيلة الاستقامة واحتلت مكانة سامية داخل نسقه الأخلاقي حيث عدها من البدايات الأربع الكامنة داخل الفرد فعندما أقر منشيوس بأن الإنسان يولد مزودا بطبيعة إنسانية خيرة بالفطرة كان بذلك بمثابة تبرير لعلة التزام الإنسان بالقيم الأخلاقية في تعامله مع الآخرين ، فهو يرى أن الإنسان يولد مزودا ببدايات أربعة تتوافر داخل ذاتيته وإذا تقاعس عن ممارستها فسوف يؤدي إلى تدمير ذاته .[(٤)] منها (الاستقامة) . . ، يقول منشيوس:" إني حقاً أحب الحياة ، وأحب أيضاً الاستقامة . ولكن إذا

---

(١) الاستقامة في الفكر الكونفوشيوسي : هي الاستعداد للقيام بالسلوك الأخلاقي الصحيح والقدرة على إدراك ما هو صحيح في آن معاً – وهي قدرة تعمل كنوع من الحدس الأخلاقي ، وهذه القدرة تجعل الشخص صاحب شخصية أخلاقية قوية ، وهو يفكر إذا أراد أن يفعل شيئاً هل هو صواباً على صعيد الأخلاقي أم لا . .

وسنرى أن هناك فضيلة يجعلها المترجمون مستقلة وتحمل نفس المصطلح الصيني (لي) وهي فضيلة الطقوس والشعائر أو قواعد السلوك وآداب اللياقة كما سنرى في ص ٢٦٨ وكنت قد ضننت أنهما متفقان وان الاختلاف بينهما هو في الترجمة فقط إلا أنني عند قراءة ما تحت العناوين بتمعن وجدت اختلافا بينهما لذا آثرت أن أذكرها كما ذكر المترجمون .

أنظر: الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٢) فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٨٦ .

(٣) الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حسين – ص ٣٥٦ .

(٤) حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ – ص ١١٩ .

لم أستطع أن احتفظ بهما معاً فإنني سوف اترك الحياة تمضي وأختار الاستقامة فأنا أحب الحياة ولكنني وجدت الشيء الذي أحبه أكثر من الحياة "[1] .

وتظهر أهمية هذه الفضيلة ، ليس فقط من خلال سلوك الأفراد ، ولكن أيضاً في السياسة وطريقة الحاكم لإدارة شئون البلاد ، فعلى الحاكم أن يرفع المستقيم على المخادع ، وعندئذ لن يجرؤا أحد على أن يظل بعيدا عن الطريق المستقيم . فسلوك الرجل النبيل لابد أن يكون على وفاق مع الاستقامة .

والاستقامة ضد الخداع وضد أن يتظاهر الفرد بما ليس فيه فالاستقامة هي أن يؤدي الإنسان الأشياء الملائمة لعامة الناس ، وأن يكن متسقاً في سلوكه مع ما يكنه من مشاعر تجاه الآخرين ، أي أن يتفق ظاهره مع باطنه حتى يستطيع الإعلاء من شأن هذه الفضيلة ، يقول كونفوشيوس: (ما هو حقيقي في الداخل سوف يظهر في الخارج فالرجل النبيل لابد أن يراقب ذاته) .

ولكن ما السبب الذي جعل كونفوشيوس . يشدد على فضيلة الاستقامة إلى هذا الحد ؟ مما لاشك فيه أن ذلك ردة فعل لما كان يعانيه عصره من تفكك وفساد ، لذلك نجد الاستقامة وضعت لتعمل على أنها قيد للسلوك الإنساني وللتأثير على الأفراد بأن لا يلتمسوا إلا ما هو حق . . .

ومن هنا نجد أن الاستقامة تتعارض مع الشهوات والرغبات . يقول كونفوشيوس " أن تكون مليئاً بالرغبات فكيف يمكنك أن تكون مستقيماً " فالرغبة تعني أشياء قد يعجز الإنسان عن تحقيقها ، وليس معنى هذا أن يكبت الإنسان رغباته ، ولكن لابد من الحد منها عن طريق الاستناد إلى ما يكمن في القلب من قيم تعد أساساً لسلوكه تجاه الآخرين وهو منهج الاستقامة [2] .

---

[1] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٨٦ .

[2] المرجع السابق – ص ٨٧ بتصرف .

٣- فضيلة طاعة الأبناء (الولاء البنوي) (هيساو) .

تعني فضيلة ولاء الأبناء : توقير العائلة واحترامها ، فأولاً وقبل كل شيء يتم توقير الأبوين ، ويظنون أن الحياة نفسها متولدة عنهما . وبلغ اهتمامهم بهذه الفضيلة أن يهتموا بالجسم من أن يلحق به ضرر لأنه من الأبوين ومن هنا فإن حماية الجسم هي تكريم للأبوين . وينبغي إظهار التوقير للأبوين من خلال حسن السلوك في الحياة ، وجعل إسهامها معروفاً ومبجلاً ، وعلى الأقل ألا يجلب الولد لهما الخزي ، فاحترام الآباء يجلب الثراء العاطفي والروحي .[١]

وطاعة الأبناء للآباء أحد أهم تعاليم كونفوشيوس ، وأساس الفضيلة في نظره ، لأن الفرد لن يمكنه احترام قانون المجتمع ، وأداء واجباته حيال الحاكم والمجتمع، إلا بعد إدراكه كيفية احترام والديه وخدمتهما طائعا مبجلا .

وقد نبه كونفوشيوس مريديه وأتباعه لمزاولة طاعة الوالدين داخل الأسرة ، بما يؤكد أهميتها بوصفها الخلية الأولى ، والصورة المصغرة للمجتمع ،كما دعى كونفوشيوس إلى تنظيم شئون الأسرة بإتباع قواعد الفضيلة ، وعلى رأسها فضيلة الطاعة البنوية . يقول كونفوشيوس: " عامل أفراد أسرتك معاملة فاضلة ، تستطيع بعد ذلك أن تعلم وتقود أمة بأكملها "[٢] كما قال" من بر والديه ، وأحب أخوته ، تمكن من السياسة " [٣] . وتتمثل طاعة الأبناء لدى الكونفوشيوسية في حب الوالدين وخدمتهما والعناية بهما في حياتهما ، وبتهيئة القبر المناسب لهما ، ودفنهما دفنا لائقا بهما ثم تقديم القرابين لهما بعد مماتهما . ومما قاله كونفوشيوس: " إذا كان الوالدان في قيد الحياة خدمهما بالأدب ، وإذا توفيا دفنهما بالأدب ، وقدم القرابين إليهما بالأدب " [٤] . ويقول: " يجب على الولد المبرة بوالديه إذا كان داخل المنزل ، والاحترام للمتقدمين في السن إذا كان خارجه ، وأن يكون منتبها صادقاً مشفقاً على عامة الناس " [٥] ويقول: " من كان والداه على قيد الحياة ، فلا يسافر إلى الآفاق القاصية، فإن سافر مضطرا ، فليكن لسفره جهة معينة " [٦].

---

[١] أنظر: الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حسين– ص ٣٥٥ .

[٢] كتاب الطقوس – الفصل التاسع .

[٣] كتاب الحوار ٢ / ٢٦ .

[٤] المصدر السابق : ٢ / ٢٢ .

[٥] كتاب الحوار: ١ / ١٧ .

[٦] المصدر السابق .

كما أكد على تقديم النصح للوالدين بمنتهى الأدب والاحترام حيث قال: " من خدم والديه ، فلينصح لهما بالبشاشة والرفق ، فإن رأي منهما عزيمة على الأعراض عن نصحه ، فليزدد احتراما لهما وهو غير متنازل عن تقديم النصح لهما، وغير متذمر منهما ، ولو نالته المتاعب في سبيل نصحه لهما " [1].

ويهدف الزواج ، عند الكونفوشيوسية ، إلى إيجاد ذات جديدة تعمل على تخليد الذات القديمة إلى مدى " عشرة الآف جيل " ، وتتصف الذرية بالتقوى والورع إن استطاعت تحقيق هذا الهدف .

ويمكن تخليد ذكرى الأسلاف عن طريق تقدير الابن لبدنه الذي ورثه عن والديه ، ورعايته له وحمايته من أي أذى ، كما يتطلب هذا التخليد أن يعمل الابن جاهدا على إنجاب أحفاد يحفظون شجرة العائلة ، إلى جانب الاستجابة لرغبات الآباء أثناء حياتهم ، وعلى الابن أن يمتنع عن ارتكاب الأفعال المشينة ، حرصا منه على عدم تلويث سمعة عائلته [2].

وقد قال أحد أتباع كونفوشيوس مؤكداً على أهمية هذه الفضيلة: " إن الولاء البنوي والاحترام الأخوي هما جذر الإنسانية [3] .

وللعائلة مقامها الأسمى في الفكر الصيني قديماً وحديثاً ، والمرسوم المقدس للإمبراطور " كانغ هي " (١٦٦٢ – ١٧٢٥) يصف العائلة قائلاً " نهر له سواعد روافده كثيرة ، ولكن حيث يجرى نفس الماء ، مهما كان النبع بعيداً) ، والمثل الصيني يؤكد ذلك حيث يقول " عندما تشرب الماء تذكر النبع " .

والصينيون يحترمون أسلافهم منذ القدم وإلى اليوم ، ويعتبر عندهم أمراً بديهياً . كما أن كبر السن يمنح صاحبه عزة النفس والسلطة ، فالرجل المسن في الصين يسكت الشاب قائلاً " أسكت لقد اجتزت جسوراً أكثر مما عبرت أنت من الشوارع " [4].

ومن الملاحظ أن هذه الفضيلة لا تقتصر كما قلنا على المحيط العائلي ، بل تتعدى العائلة وتؤثر في الأفعال خارج المحيط العائلي ، لكن نقطة البداية هي العائلة ، فعندما يتعلم الأطفال احترام أبويهم ، فإن بمقدورهم أن يحبوا أخوتهم ، وبالتالي فإن بإمكانهم

---

[1] كتاب الحوار: ٤/ ٤١ .

[2] أنظر: حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ – ص ١٤٧ .

كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٩٤-٩٦ .

[3] الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حسين - ص ٣٥٥ .

[4] حكمة الصين - هـ - فان براج - ص ١٠٢ – ١٠٣ بتصرف .

أن يحبوا حكامهم ورؤسائهم ، وبالتالي يحبوا الإنسانية بأسرها وعندما يوجه حب الإنسانية كل الأفعال فإنهم يتصرفون وفقاً لإنسانيتهم [١] .

وقد بين كونفوشيوس أن هذه الفضيلة لها جوانب متعددة ومن ذلك قوله: " أن قيام الابن بإطعام والديه لا يعني بره بهما ، ذلك لأن الخيول والكلاب تجد لها طعاماً . فعلى الأبناء - في المقام الأول - فريضة توقير الأبوين . فإن ارتأى الابن رأياً فعليه عرضه على الأبوين في لطف وكياسة فإن ضرباه فلا يشتكي [٢] .

وقد كانت الطاعة من المصطلحات التي يزخر بها التراث الصيني حيث كانت تتجلى ، فيما مضى ، في شكل قرابين مقدسة تقدم داخل المعابد المختلفة للآباء والأجداد ، وقبل ذلك كانت عبادة الإله لفترة طويلة هي العبادة الوحيدة داخل إمبراطورية الصين القديمة ، وبمرور الوقت ساد الشعور بأن العالم ملئ بالأرواح المشرفة والمسيطرة على بعض أجزاء هذا العالم . لذلك نشأ ما يسمى بعبادة الأرواح، بجانب عبادة الإله ، وكانت عبادتها تتم بأن يقدم لها الولاء والطاعة كوزراء للإله . ولكن كل هذه العبادات والطقوس كانت تمارس فقط من جانب النبلاء في الوقت الذي حرم فيه الشعب من تأليه وعبادة تلك الآلهة .

وبمرور الوقت اضطر الأفراد إلى أن يجعلوا لأنفسهم نوعا من الأرواح ليبعدوها وتعوضهم عن هذا الفراغ الديني ، وهنا بدأ ما يسمى بـ " تأليه الأجداد " فإذا كانت الطقوس التي تقدم للإله خاصة بالملك وحده باعتباره ممثلا للشعب ، فإن تأليه الأجداد وتقديم القرابين لأرواحهم أصبح فعلا يمارس من قبل كل الشعب الصيني . ولكن كونفوشيوس جعل لها مدلولا مختلفا في تعاليمه ، فقد أصبحت واجبا اجتماعياً لضمان صحة العلاقات الأسرية .

فإذا قدم الابن الطاعة لوالديه والتزم بمبادئهم الصحيحة ، وأقام فترة الحداد المطلوبة (الثلاث سنوات) ينقطع خلالها عن كل المتع والملذات ، واستمسك بطريقهم وعمل جاهداً على إحياء ذكراهم . استحق أن يدعى ابنا مثاليا .

فالطاعة تعد شيئاً أساسياً في تدريب الصغار على السلوك المنضبط حينما ينطلقون خارج حدود الأسرة ، ومن هنا فإن المجتمع ما هو إلا مجال أكثر اتساعاً وانتشارا لتلك

---

[١] الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حسين - ص ٣٥٦ بتصرف .

[٢] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ – ص ٩٠ .

أنظر: الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ١٤٦- ١٤٧.

الفضائل التي تعد جوهر الصلاح والإنسانية وهذا ما أدى إلى أن يتضمن الولاء السياسي في المقام الأول الولاء العائلي .[1]

ومما لا شك فيه أن هذه أخلاق فاضلة ومعان سامية لكن الذي أريد ان لا يغيب عن بال القاريء أن الإسلام قد حث عليها وعلى اكثر منها بأن قرن على سبيل المثال بين عبادته والإحسان إلى الوالدين فقال ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾الاية [الإسراء ٢٣] ولم يبح مخلفتهما إلا في حالة واحدة وهي إذا حاولا إرغام الإبن على الإشراك با او معصيته . ففي الإسلام مافي الكونفوشيوسية وأمثالها وزيادة وفي نفس الوقت لم يغال في توقيرهما إلى حد القداسة والعبادة كما فعلت الكونفوشيوسية فإنهما وإن كانا السبب المباشر لوجود الإنسان فا سبحانه وتعالى هو الموجد الحقيقي له وبالتالي فهو المستحق للعبادة دونهما . . .

فمهما أتت هذه المذاهب وتلك الديانات من فضائل فلن تبلغ مبلغ الإسلام الذي هو من أجل النعم على الإنسان وكفى به نعمة .

٤- فضيلة الـ(لي) أو الطقوس والشعائر أو قواعد السلوك وآداب اللياقة

كلمة الـ (لي) تعنى حرفيا قواعد السلوك وآداب اللياقة الاجتماعية المثالية ، والطقوس والشعائر التي تخلو من التزمت والجمود ،وتراعي الظروف والمناسبات الاجتماعية ، وتتضمن التوقير والاحترام لمن تجرى لهم .

وذكر جون كولر أن كلمة " اللي " تعني ذلك الحشد الهائل من القيم والأعراف الاجتماعية التي هي بمثابة ملاذ يمسك المجتمع ويحقق مظهره الحضاري ، و" اللي " في الفكر الصيني خلق فاضل يمنع الفوضى كما تمنع السدود الفيضان. [2]

يقول كونفوشيوس " إن الطقوس تمنع ظهور الفوضى الاجتماعية والأخلاقية كما تمنع السدود الفيضان "[3] فانتشار وتطبيق الفضائل الأخلاقية من جانب كل فرد داخل المجتمع يستلزم بالضرورة وجود قواعد للسلوك تقوم بدور المنظم له وهذه القواعد يطلق عليها " لي " .

ويرى كونفوشيوس أن مبدءا الـ" لي " والـ" جين " يغرسان في النفوس الأخلاق الحميدة، وروح المجاملة كمبادئ راسخة ، يعمل بها العامة كما يعمل بها الخاصة . كما تتضح الأهمية التي علقها كونفوشيوس على مبدأ الـ" لي " من خلال ملاحظته

---

(1) فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٩٣ بتصرف .

(2) أنظر: الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حسين - ص ٣٥٢ – ٣٥٥ .

(3) فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٩٣ .

على أن " الملوك القدامى اعتبروا " لي " هي المبدأ في شرائع السماء ومن هنا : من يحرز " لي " يعيش ومن يفقدها يموت " [١].

وتأتي أهمية " اللي " ، في فكر كونفوشيوس ، من خلال شعور الفرد بأن سلوكه الخارجي في حاجة إلى ضبط حتى لا يتخطى ما هو صحيح ، وبذلك يكـون " اللـي " واحداً من أكثـر المفـاهيم الأخلاقيـة أهميـة داخـل الفكـر الكونفوشيوسـي . يقـول كونفوشيوس " مالم يملك الإنسان روح الشعائر ، فإنه سوف يدمر نفسه وهو يمارس فضيلة الاحترام ، وفي ممارسة الحذر سيصبح جباناً ، وفي ممارسـة الـشجاعة صـعب المـراس ، وفي ممارسة الصراحة سيصبح غير محتمل [٢].

وهذه العادات والأعراف والطقوس والشعائر ، تتمثل فـي أنـواع معينـة مـن الطعام ينبغي أن يتناولها الناس في المناسبات المختلفة ، والمراحل المتباينـة مـن الحيـاة ، كما يعبر عنها أنواع الملابس التي ينبغي أن يرتديها الناس في الأيـام المقدسـة ، وعـدد الانحناءات التي ينبغي أن يؤدوها عندما يحيون بعضهم بعضا ، والطريقة التي يجـب أن يسيروا بها في الشوارع ، " فالرجال عل الجانب الأيمن ، والنساء على الجانب الأيسر"[٣] .

كما تتمثل الـ (لى) أيضا ، في شعائر الزواج والولادة والوفاة والجنازة ، وشـتى أنواع الأضاحي والأعياد ، وتنظيم العمل ، وقوانين الضيافة ، والقواعد التي تيـسير الحيـاة بمقتضاها في البلاط ، وحياة المستخدمين .

ومن المعلـوم أن الـصينيين قـد قدسـوا آداب اللياقـة وقواعـد الـسلوك قبـل كونفوشيوس بزمن بعيد ، لأن الشعب الصيني كان ينقسم منذ قديم الزمان إلى طبقتـين : طبقة النبلاء ، وطبقة العامة ، وفي الوقت الذي كان فيه العامـة يخـضعون للقـانون المدني ، كان النبلاء غير مقيدين بهذا القانون ، بل يخضعون لقانون آداب اللياقـة المتميـز بالتقاليد العالية الموروثة عن المنازل النبيلة ، وعن الأساتذة المبجلين العظام . ومن هنا كـان احترام كونفوشيوس لهذه الآداب والطقوس والشعائر التي كانـت تعـد بمثابـة قـانون مدني مستمد من القانون الأخلاقي العام الخالد غير المكتوب ، وفي ذلك يقـول أحـد

---

[١] الفكر الشرقي القديم - جون كولر – ت: كامل يوسف حسين - ص ٣٥٣ .
انظر: الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ١٤٣ .

[٢] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح أحمد – ص ٩٧ .

[٣] أنظر : أعلام الفلاسفة - دكتور هنري توماس – ترجمة: مترى أمين - ص ٥٨ – ٥٩ .

الباحثين: " وتحت سطح التأكيدات الكونفوشية لدقائق الحياة اليومية ، يكمن الاعتقاد القديم القائل بأن للطقوس نفسها قوتها السحرية " [١] .

ويبدو من خلال التراث أن مصطلح " اللي " كان يقصد به على وجه التحديد الطقوس الدينية التي تؤديها الطبقة الأرستقراطية فقط وعلى رأسها الحاكم الملقى على عاتقه طائفة من الشعائر لابد له من أن يؤديها الأداء الصحيح حتى يضمن سعادة ورفاهية مقاطعته . أما الأداء غير الصحيح للطقوس من جانب الحاكم ابن السماء فمن شأنه أن يقود إلى العديد من الكوارث الطبيعية التي تؤدي إلى فساد الدولة ، أما كونفوشيوس فقد حول قضية القرابين إلى قضية أخلاقية من حيث إنها وسائل لتحقيق الانضباط في حياة الفرد ، وفي علاقاته بالآخرين سواء داخل الأسرة أو خارجها . وجعل كونفوشيوس " لي " ليس مجرد التمسك بالرسميات الروتينية الخالية من المغزى ، وإنما جعل له أهمية كبرى في الفكر الصيني حيث أصبح الجوهر الحقيقي لكل الأخلاقيات والعادات لأنه يوفر الحماية من الانحراف والسقوط في الشكليات [٢].

وهكذا نقل كونفوشيوس مبدأ اللي بمضمونه القديم إلى مجال الأخلاق ، حيث أصبح أحد الفضائل الأساسية في الفكر الأخلاقي الكونفوشيوسي ، وذو أهمية كبيرة في الثقافة الصينية على مر العصور.

٥- فضيلة الرحمة (رين) :

للرحمة عند الكونفوشيوسية معاني متعددة حسب ما ورد في بعض الكتب المقدسة لديهم ، حيث قالوا:

١- الرحمة هي المعاني الروحية المقصودة من الشريعة ، قال كونفشيوس :

" إذا كان الإنسان ليس عنده رحمة ، فما تفعل به الشريعة ؟ وإذا كان الإنسان ليس عنده رحمة فما تفعل به الموسيقى ؟ " [٣]

٢- الرحمة هي محبة الإنسان . سأل (فان تشي) عن الرحمة ، فأجابه كونفوشيوس : " محبة الإنسان " [١] " وقال كونفشيوس : " إنما الرجل الرحيم من كان يرغب أن يقيم نفسه على الشريعة ، فهو يرغب أيضاً أن يقيم غيره

---

[١] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ت: د/ إمام عبد الفتاح - ص ٢٨٧ .
أنظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٧٧ – ٧٨ .

[٢] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ٩٧ - بتصرف .

[٣] كتاب الحوار ، الفصل الثالث ، الحوار رقم ٣ .

[١] كتاب الحوار ، الفصل الثاني عشر ، الحوار رقم ٢٢ .

عليها ، ومن كان يرغب أن يوصل نفسه إلى الأخـلاق الـسماوية ، فهـو أيـضاً يرغب أن يوصل غيره إليها " [٢] .

٣- الرحمة هي بـر الوالـدين وصـلة الأقـارب ، والاقتـراب مـن الأفاضـل قـال كونفوشيوس : " يجب على التلميذ أن يكون بارا لوالديه إذا كان داخل المنزل ، ويكون معظما للكبار في السن إذا كان خارج المنزل ، ويكـون منتبهـا فـي أعماله ، صادقاً في أقواله ، محبا لجميع الناس ، متقربا إلى ذوي الرحمة ".[٣] وورد في كتاب سنة التوسط : " إنما الرحمة ما به الإنسان إنـساناً ، وأعظـم حدها بر الوالدين " [٤] .

٤- الرحمة هي : القلب ، بمعنى أنها فطرة فُطر الناس عليها ، وهي موجـودة في قلوب جميع الناس . قال كونفوشيوس : " هل الرحمة بعيدة عنا ؟ وإذا أردت أنا الرحمة من قلبي ، فهذه الرحمة هاهنا وهي تأتي ! " [٥] وقال أيضاً : " إن العمل بالرحمة يعتمد على الإنسان نفسه ، وإذا عزمت على العمل بهـا ، فماذا يستطيع الناس أن يفعلوا بك ؟ " [٦] وقال منشيوس : " إنما الرحمة القلب " [٧] .

٥- الرحمة مجاهدة النفس من أجل العودة إلى الشريعة قال كونفوشيوس عند ما سأله تلميذه عن الرحمة : " إنما الرحمة مجاهدة النفس من أجل العودة إلى الشريعة ، وإذا جاهدت نفسك يوما واحدا من أجل العودة إلى الشريعة ، فسيعود جميع من تحت السماء إلى الرحمة . " [٨] .

٦- الرحمة اسم جامع للأخلاق الفاضلة سأل (تس جشانغ) عن الرحمة ، فأجـاب الأستاذ قائلا : " من قام بأمور خمسة أينما كان ، فقد صار رجلا رحيماً . " قال : " وما هي هذه الأمور الخمسة ؟ "قال : " الوقـار ، والـسماحة ، والـصدق ، والجد والسخاء ، فإنه إذا كان وقورا لا يحتقر ، وإذا كان متسامحا مالت إليـه

---

(٢) كتاب الحوار ، الفصل السادس ، الحوار رقم ٢٨ .

(٣) كتاب الحوار ، الفصل الأول ، الحوار رقم ٦ .

(٤) كتاب سنة التوسط ، الفصل العشرون .

(٥) كتاب الحوار ، الفصل السابع ، الحوار رقم ٢٩ .

(٦) كتاب الحوار ، الفصل الثاني عشر ، الحوار رقم ١

(٧) كتاب منشيوس ، الفصل الثالث عشر .

(٨) كتاب الحوار ، الفصل الثاني عشر ، الحوار رقم ١ .

قلوب الناس ، وإذا كان صادقا اعتمد عليه الناس ، وإذا كان جادا نجح في جميع أعماله ، وإذا كان سخيا أحب الناس أن يخدموه " [١]

٧- الرحمة حال روحية من الترقي الخلقي يصل بها الإنسان إلى مقام الوحدة بينه وبين السماء (تيان) . قال كونفشيوس : " الحكيم يحب الماء ، والرحيم يحب الجبل ، الحكيم متحرك دائما ، والرحيم هادئ دائما ، الحكيم يطول فرحه ، والرحيم يطول عمره " [٢] . وقال أيضا في وصف الرجل الرحيم : " العارف ليس عنده شك ، والرحيم ليس عنده حزن ، والشجاع ليس عنده خوف " [٣] .

وقد احتل مفهوم الرحمة محل الصدارة في الدين الكونفوشيوسي حتى اشتهرت الكونفوشيوسية بين بعض علماء الصين بأنها " رين جيأو " أي تعاليم الرحمة ، وقد وردت كلمة الرحمة مائة وخمس مرات في كتاب الحوار ، والرحمة تدخل في كل ما يتعلق بالكونفوشيوسية من عقيدة ، وفلسفة أخلاقية ، ونظريات سياسية ، ومناهج التربية . . الخ .

ج – ارتباط الموسيقى بالأخلاق

ترتبط الموسيقى ، عند كونفوشيوس ، بالأخلاق ارتباطا وثيقا، ويرى أن لها أهميتها في الإلمام بالأخلاق السامية ، ويعتبرها خير وسيلة لعلاج فساد الأخلاق والعادات ، وفي ذلك يقول: " إذا أتقن الإنسان الموسيقى ، وقوم عقله وقلبه بمقتضاها وعلى هديها ، تطّهر قلبه وصار قلبا طبيعيا سليما رقيقا ، عامرا بالإخلاص والوفاء ، ويغمره السرور والبهجة . . . وخير الوسائل لإصلاح الأخلاق
والعادات ، أن توجه العناية إلى الموسيقى التي تعزف في البلاد " [١] .

ومعنى هذا أن إدراك أسرار الأخلاق ، لدى كونفوشيوس، يتوقف على فهم الإنسان للموسيقى حق الفهم ، يقول: " فالخير شديد الصلة بالموسيقى ، والاستقامة تلازم الأخلاق الطيبة على الدوام " . ولما كان الجمال مرتبطا ، عنده بالخير ، فإن الموسيقى بمساعدتها الأفراد على حب الجمال وتذوقه ، فإنها تساعدهم ، في نفس الوقت ، على حب الخير وإتيانه ، وعلى التفرقة بين الخير والشر . وبما أن الموسيقى الرفيعة ، هي دائما

---

[١] كتاب الحوار ، الفصل السابع عشر ، الحوار رقم ٧ .
[٢] كتاب الحوار ، الفصل السادس ، الحوار رقم ٢١ .
[٣] كتاب الحوار ، الفصل التاسع ، الحوار رقم ٢٨ .
[١] كتاب الطقوس . أنظركتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية- د/ زهرة الدين طيب إدريس- ص ٦١-٦٣.

موسيقى سهلة ، فكذلك الأخلاق السامية الرفيعة هي بسيطة على الدوام ، والموسـيقى الأرفع تبدد الثورة ، والأخلاق الأسمى تبدد الخصام " [٢]

وبـالنظر إلـى أهميـة الموسـيقى ودورهـا الهـام فـي المجتمـع (لـدى الكونفوشيوسية) ، فقد أوجب كونفوشيوس تعليم الموسيقى للناس أجمعين ، سواء في ذلك أصحاب المواهب العليا أو أصحاب المواهب المتوسطة .[٣]

– الغرض من الطقوس والموسيقى

ويقول كنفوشيوس إن الغرض من الطقوس بل ومن الموسيقى أيضاً تنظيم سـلوك الفرد وتعويده النظام والطاعـة ، وتمكـين الـروابط الاجتماعيـة بينـه وبـين الآخـرين . والموسيقى عنده هي السبيل الوحيد لصد الأفراد عن التعلق بالمـادة وإرجـاعهم إلـى فطرتهم الروحية الخيرة ، لأنها توجه الأفراد إلى المعاني السامية والمثل الأخلاقية العليا [٤] وهي التي تعود الأفراد تذوق الجمال ، ومن ثم يستطيعون التفرقة بين ما يحب ومـا لا يحب ، أي بين الخير والشر ، كما أنها تنشر المحبة والوئام بين أفراد الجماعة [٥] .

وهذا النظام الكونفوشيوسي ، لآداب الطقوس والموسيقى ، جعل الشعب الـصيني من أكثر الشعوب المتشددة في التمسك بالشكليات على مر التاريخ . . .

د – علاقة الأخلاق بالدين لدى الكونفوشيوسية

في الصين ومنذ بداية تاريخها المكتوب يقوم القانون في اسـتقلال عـن الـدين وقد أكد كونفوشيوس على الطابع الدنيوي للأخلاق وكان يرى أن البحث في المـسائل الدينية والأمور الغيبية مضيعة للوقت ، لأن الإنسان يجب أن يولي اهتمامه لكيفية سـلوكه في هذا العالم ، ومن هنا فقد حض على إتباع العبادات الصينية التقليدية مثـل عبـادة الأسلاف ، " وعبادة السماء " وعلى إقامة الطقوس المتوارثة ووقف نفـسه علـى إصـلاح المجتمع من خلال نظامه الأخلاقي ، وكان يحلـم بـصنع "الإنـسان الأعلـى" الـذي تجتمع فيه الفضائل الأخلاقية الرفيعة [١] .

---

[٢] أنظر : فلاسفة إنسانيون - كارل ياسبرز - ترجمة د/ عادل العوا - ص ١٣٢ .

[٣] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٩٧ – ٩٨ بتصرف .

[٤] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاتة سعفان - ص ٩٣ .

[٥] المصدر السابق ص ٩٤ .

أنظر: المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد مرحبا – ص ٢٦٧ .

[١] فراس السواح – دين الإنسان – دار علاء الدين للنشر والترجمة – دمشق سورية ط ٢ عام ١٩٩٥م – ص ٨٣ .

وهو حين يجلس إلى تلاميذه لا يحدثهم عن الغيب وغيره من أمور الـدين ، بـل يدرس معهم ويدعوهم إلى قراءة الشعر والأدب والتاريخ والموسـيقى . وكانـت كتبـه وكتب أتباعه نصائح وإرشادات وتوجيهات لتهذيب السلوك والمعرفة دون أي إشارة إلـى السماء أو وعود بنعيم الجنان في الآخرة . فهو مصلح ملتصق بأديم الأرض متصل بقوانين الحياة يعمل ويدعو إلى تهذيب الأخلاق وتمكين الفضائل واتخاذ الـضمير فيـصلاً وسـلوك الإنسان المهذب قسطاساً للحياة ومنهاجاً . ولا يعترف بالمثل العليا التي تقوم علـى الفكـر المجرد والأماني .

فمن كانت نفسه أميل من نفس غيره إلى الخير وأطوع ، وعمله في هذا الـسبيل أغزر وأسرع ، فهو عند كونفوشيوس " الرجـل الـصالح " الخيـر المقـدم فـي مذهبـه وشريعته وبين قومه وعشيرته . حتى نظامه الـسياسي وقـوام دولتـه أساسـه الأخـلاق والمبادئ العقلية والعلم ، فهذه الأشياء وحدها هي التي تمنح المؤمن الانسجام وسكينة النفس . وهذا الانسجام هو نواة المجتمع الصالح والحياة القوميـة المـستقيمة ، دون أي اهتمام بالعالم الآخر والروح والحياة بعد الموت . سأله بعض تلاميذه عن الموت فقـال :" إننا لم ندرس الحياة بعد ، فكيف ندرس الموت ؟ " [٢] .

فليس هناك غير الإنسان ما ينبغي أن يشغل به العقل ، وإن واجبات الإنسان نحو أخيه الإنسان أولى من واجباته نحو ا . فلا ترهيب ولا ترغيب في كتـب كونفوشـيوس ، ولا محل في دينه لثواب أو عقاب أخرويين ، وإنما هي كتب تتحدث عن التـاريخ والـشعر ، وعن الفصول وتغيرها ، ومظاهر الطبيعة وتعليلها ، تكلم فيها عـن العلاقـة بـين الملـك والرعية ، بين الوالدين والأولاد ، بين الرجـل والمـرأة . بـين الأخ وأخيـه أو بـين الأصـدقاء والأصدقاء . ولكنه لم يذكر كلمة واحدة عن العلاقة بين الإنسان وخالقه ، كما لـم يبـد في هذه الكتب أيضاً رأياً واحداً بخصوص صلة العبد بالمعبود والرب بالمربوب وما يترتب على هذه الصلة من حقوق وواجبات . [١]

أقول: ومع ذلك يسمى مذهبه ديناً وتدعى الكونفوشيوسية ديانة إن هذا لـشيء عجاب حيث أن الدين كما ينظم العلاقة بين الناس بعضهم البعض فإنه ينظم العلاقة بـين الإنسان وا لكن إذا أهمل أحدهما فلا يسمى ديناً البتة .

---

[٢] المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد مرحبا – ص ٢٧٠ - ٢٧١ .
و حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج ١ – ص ٧٦ .

[١] أنظر: الدين والضمير - محمود الشرقاوي : ص ٤٤ - ٤٨ بتصرف .

٥- الرجل النبيل أو الإنسان الماجد أو الأعلى (تشن – تزو)

أ- من هو الرجل النبيل:

تعددت الأقوال حول تعريف الرجل النبيل لدى الكونفوشيوسية ،وكل قول يختلف عن الآخر ، ولعل ذلك يرجع إلى أسلوب كونفوشيوس نفسه في الحوار ، والشخص الذي يحاوره .

وبمعنى عام الرجل النبيل أو " الماجد" أو" الأعلى " وكلها بمعنى واحد الرجل الذي بلغ الدرجة القصوى من الكمال الأخلاقي أو ما نسميه الإنسان المثالي الذي اجتمعت فيه كل خصال الخير فأصبح إنساناً يعد مثلاً أعلى ويكون صالحاً لأن يتخذه غيره قدوة له . وقد ميز الصينيون قديماً بين نوعين من الرجال ، النوع الأول الحاكم أو الأمير النبيل أو كل من ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية النبيلة، والنوع الآخر الضعفاء ، غير النبلاء ، أي الذين لا يتمتعون بما يتمتع به النبيل من مكانة وثروة وسلطة . وهكذا أصبح ينظر إلى النوع الأول على أنه أسمى أنواع البشر، حتى إن اهتماماته تتجاوز اهتمامات الأفراد العاديين .

ولقد تبنى كونفوشيوس هذا المصطلح من التراث القديم ، إلا أنه جعله يشير إلى مضمون جديد ، فإذا كان " الرجل النبيل " يشير في التراث إلى من ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية وبالتالي فإنه قد اكتسب هذا اللقب بالوراثة أو بصلات الدم ، إلا أنه في مدرسة كونفوشيوس أصبح يشير إلى الرجل الذي قد تلقى التعاليم على نطاق واسع ، تلك التعاليم التي جعلته " رجلا نبيلا ". فالرجل النبيل هو الفرد الذي - بصرف النظر عن مكانته وطبقته داخل المجتمع - يمكن أن يلقب بالرجل النبيل بناء على ما يقتنيه من قيم ومبادئ وعلوم ، وبهذا تتأسس الفروق داخل المجتمع ، وبين الأفراد ، بناء على المجهود الذاتي الذي يبذله الفرد من أجل تحصيل العلوم التي ستساعده على الارتقاء وبالتالي لم يصبح النبل أمرا موروثاً بل شيئا مكتسبا ، وقد سؤل كونفوشيوس من الرجل النبيل ؟ فأجاب: (إنه الرجل الذي يهذب نفسه وبذلك يصبح جديرا بالاحترام . إنه يثقف نفسه ليجلب السلام والأمن لرفاقه ، إنه يثقف نفسه ليجلب السلام والأمن للشعب كله) .[١]

ب- صفاته الرجل النبيل:

---

[١] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص٩٨ بتصرف .

أما عن الصفات التي يجب توافرها في الرجل النبيل فهي كثيرة . وقبل الحـديث عنها ، نبين أن هذا النبيل أو الماجد في فكر كونفوشيوس هو الذي يحرص دائماً علـى قواعد اللياقة ويضع رفاهية البشر نصب عينيه وتعلو مـصلحة الآخـرين علـى مـصلحته الشخصية ، وتتطابق مع نبالة السلوك لديه نبالـة الحـسب . ويكـون عـضواً نافعـاً فـي مجتمعة ويأخذ على عاتقه عبئ هداية الآخرين إلى الطريق المستقيم . فالرجـل النبيـل ، في نظر كونفوشيوس، ذكى، شجاع ، محب للخير ، طالب علم ومعرفة ، واسع الفكر ، هادئ صاف ، محب للناس جميعا ومعاون لهم على فعل الخيـر ، موضـوعي فـي حكمه على أفعال الآخرين بلا تحيز أو ظلم ، دائم المحاسبة لنفسه على كل ما يأتيه مـن أفعال كبيرة كانت أم صغيرة ، ثابت على الحق ، عادل وغير حقود ، فعـال لأقوالـه ، ومعتدل في هذه الأقوال والأفعال ، يحترم مشيئة السماء دون ضجر أو تبـرم ، حكـيم ، خلو من القلق والحيرة والتشوش ، وهو مجامل لطيـف بـشوش لجميـع النـاس ، حـازم وقوى العزيمة [٢] .

ويرى كنفوشيوس أن القاعدة الأساسية التي تقوم عليها أخلاق الإنـسان الأعلـى هي العطف الفياض على الناس جمعياً ، وهو لا يبالي أن يفتري عليه الناس الكـذب أو أن يسلقوه بألسنة حداد . إنه يجامل الناس جميعاً ويبش فـي وجـوههم ، ولكنـه لا يكيـل المدح جزافاً ، وهو لا يحقر من هم أقل منه ، ولا يسعى لكسب رضى من هم أعلى منه ، وهو جاد في سلوكه وتصرفاته ، لأن الناس لا يوقرون من لا يلتزم الوقار .

كما أن أعماله مرآة صادقة لقلبه ، وهو غير متعجل بلسانه ولا مولـع بالإجابـات البارعة التي لا يرى الخصم إزاءها إلا أن يتوقف عن الكلام فليس من المروءة في شـيء أن تتغلب على الآخرين بالحيل والألفاظ الفارغة . وهو رصـين لأن لديـه عمـلاً يريـد إنجـازه ويحرص على أدائه قبل أي شيء آخر . وهذا هو سر مهابتـه التـي لا تـصنع فيهـا ولا صناعة وهو شديد الاحترام لذاته يصون نفسه عن التبذل ويعف عن النقائص والدنايا [١] .

ويرى كونفوشيوس " أن الكونفوشيوسي كشخص يمتلك جواهر في يده لكي يوزعها على الناس ، فهو يجمل نفسه بالعلم ليلاً ونهاراً ليكون قادراً على نصح من يطلب النصيحة وهو يحاول دائماً إكمال نفسه ، ويقدس الأمانة ، ويفضل الموت علـى الذلـة أو المسكنة ، وحياته بسيطة ويمقت الجشع والترف ، والكونفوشيوسي يعيش مع المحدثين ولكنه يدرس التراث القديم ، وقد يعيش في خطر واضطراب ولكن روحه تظل في أمن

---

[٢] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٨٥ .

[١] قصة الحضارة - ول ديورانت – ت: محمد بدران - ج ٤ - ص ٥٩ .

المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد مرحبا – ص ٢٦١ .

واطمئنان ، على أنه برغم ما يحيط به من أخطار لا ينسى إخوته في الإنسانية الذين يقاسون الآلام . وذلك هو شعوره بالمسئولية الاجتماعية وهو في سلوكه يضع المعيشة في سلام والانسجام مع الآخرين فوق أي اعتبار وهو يعجب بمن هم أذكى منه بدون أن يحقد عليهم [٢] .

كما يرى كونفوشيوس " أن الرامي يمكن أن يقارن بالحكيم في بعض المواضع ، فإذا أخطأ الهدف الذي كان يريد إصابته فليفكر في نفسه وليبحث فيها عن أسباب الإخفاق " [٣] .

والرجل الفاضل يكيف نفسه وفق الظروف التي تكتنف حياته ، فلا يستهدف تحقيق أية غاية خارجة عن وضعه وهو ينظم سلوكه ولا يطلب شيئاً من الآخرين ، ومن ثم لا يشكو من الناس ولا من حظه ، على حين أن الرجل الساذج الأحمق يرسم لنفسه أهدافاً لا تتفق وإمكانياته معتمداً في تحقيقها على الصدفة والحظ " [٤] .

وقد ذكر صاحب كتاب قصة الحضارة بعض صفات الرجل النبيل[٥] مستخلصاً اياها من كتابي الحوار، والطقوس ، مقارناً بينها وبين صفات اللئيم لدى الكونفوشيوسية ننقلها عنه لتكتمل صورة الرجل النبيل . . .

مقارنة بين صفات الرجل النبيل واللئيم

صفات الرجل النبيل	صفات الرجل اللئيم
النبيل هادئ صاف قلبه خال من الخوف والقلق	اللئيم دائماً قلق وفي هم وكرب
يدرك ما هو حق وصواب	لا يفهم إلا ما هو مربح ونافع
يحترم آراء الآخرين ويقدرها ولا يعتنق منها إلا ما يتفق مع مذهبه	يظاهر كل الناس ويتآخى معهم دون أن يتفق مع أي إنسان
يراعي الفضيلة ويعشق الروحانيات	يراعي الحيازة والاقتناء ويعشق الماديات
يفكر في الصداقة النزيهة ويسعي	يهدف من وراء اتصالاته بالآخرين إلى

[٢] كتاب الطقوس ، ف ٤١ .

[٣] الانسجام المركزي ، ف ١٤ .

[٤] الإنسجام المركزي ، ف ٦ . انظر: فلاسفة ايقظوا العالم . د . مصطفى النشار – ص ٦١ – ٦٣ .

[٥] قصة الحضارة - ول ديورانت – ت: محمد بدران - ج ٤ – ص ٥٦ .

إليها	الحصول على المنفعة والربح
لا يبحث إلا عما هو موجود في نفسه	يبحث عما في الآخرين مستجدياً إياهم
يحترم ذاته ، وهو في منتهى الكرامة دون خيلاء	متكبر مغرور ، وهو وضيع محتقر وتعوزه الكرامة
واسع الأفق رحب التفكير لا يعرف التعصب ، ليس بالمتشيع ، بل يكتفي بالموافقة على الخير	متعصب مغرور ضيق الأفق يتحزب في سبيل منفعته ويسعى إلى التفرد بالكلمة الأخيرة
يجتهد في معاونه الآخرين على الأعمال الخيرة	يسعى إلى معاونة الآخرين على ارتكاب الشر
لا يحقد على أحد ولا يغضبه أن يسمو غيره من الناس ، فإذا رأي أفاضل الناس فكر في أن يكون مثلهم وإذا رأي سفلة الناس أبتعد عنهم ورجع إلى نفسه ليتعمق في حقيقة أمره	عكس ذلك تماماً . فهو يحقد على الآخرين ويغضبه أن يسمو غيره ، يميل إلى السفلة ويكره الأفاضل ، مشغول بعيوب الناس عن عيوبه . . .
يطلب العلا	ينجذب إلى الأسفل
حازم ، صريح في إعلان خصومته للآخرين	تخنقه الخصومة ولا يقدر عليها خاصة إذا كانت في الحق .
متواضع دائماً ، ويفرض على نفسه أن يكون عادلاً ، ولا يحقد على أحد ويرضى بما قدر له دون تذمر من السماء ولا من الناس	متكبر دائماً ،لا يلزم نفسه بالعدل ، يحقد على الآخرين ، ويتذمر إذا تعرض لمحنة أو بلاء ولا يرضى بما قدر له
يتريث في أقواله ويسرع في أعماله ، ويهمه أن تكون أعماله مطابقة لأقواله ، يتجنب المناقشة والجدال فيما لا يفيد ، وحتى في المناقشة يعرف كيف يبقى نبيلاً ، ولا يحزن ولا يخاف	يندفع في أقواله فلا يدري ماذا يقول ، قليل العمل فيما يفيد ، أعماله غير مطابقة لأقواله ، كثيراً ما يناقش ويجادل بغير حق وفي أمور لا فائدة ترجى من وراءها .
يداوم على محاسبة نفسه ، وإخضاع أعماله وأفكاره للنقد والاختبار لمعرفة	لا يحاسب نفسه ، ولا يلزمها بأي إلزام ويتظاهر بالفضيلة أمام الناس ، وسرعان

مدى صدقها .	ما يكتشف خداعه . .[١]

هذه بعض صفات الرجل النبيل ومقارنتها ببعض صفات الرجل اللئيم ذكرتها على سبيل التمثيل لا الحصر وهناك غيرها كثير . . .

كما ترى الكونفوشيوسية أن طابع الرجل النبيل هو شعوره بالمحبة والأخوة تجاه الآخرين ، ويرى أن انعدام المحبة يباعد بين الإنسان وبين الاستمتاع بالحياة الرغدة الهنية ويشيع في أقوال النبيل وأفعاله مبدأ " الولاء وتبادل المعاملة " ويعتبر ذلك المبدأ قاعدة أساسية يسير عليها طوال حياته . ويقضي هذا المبدأ بأن " لا تعامل الناس بما لا ترضى أن تعامل به [٢] . والعدالة أو تبادل المعاملة عند كونفوشيوس لا يعني مقابلة الشر بالخير أو مجازاة الإساءة بالإحسان ، بل تقتضي مجازاة الإساءة بالعدل والإحسان بالإحسان ،كما مر معنا قبل ذلك ،.

والعدالة التي يدعو إليها كونفوشيوس ويعتبرها صفة أساسية من صفات الرجل النبيل " تشتمل على أربعة مبادئ أساسية وهي:-

١- الطبيعة السمحة " النية الطيبة " .
٢- الفعل الحسن .
٣- العلم الغزير .
٤- العزيمة القوية .

وهذه الصفات الأربعة يجب أن تتوافر في العادل .[1]

كما يرى كونفوشيوس أن المحبة والكراهية ليست على إطلاقها ويجب أن تقدر تقديراً عادلاً يلتزم به الإنسان في سلوكه نحو الآخرين مع مراعاة الكرامة وحقوق الأعداء وفي ذلك يقول " إنما ذو المروءة من يقدر على حب الناس بالحق ، وعلى كراهة الناس بالحق [2].

ويقول أيضاً " أحبوا أصدقائكم ولكن أدبوا أعدائكم ، ولا تكرهوا أولئك الأعداء فالكراهية لا تولد إلا كراهية . ومن الناحية الأخرى لا تردوا الكراهية بالمحبة لأن محبتكم هذه سوف تفسر خطأ وتعتبر ضعفاً من جانبكم ، بل وتشجع أعدائكم على زيادة درجة

---

[١] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان –ص ٨٦ – ٨٧ بتصرف .
وانظر: الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ١٥٢ – ١٥٣ .

[٢] كونفوشيوس – الحوار – ت: محمد مكين ص ١٥٤ .

[1] أنظر: موكب الفلاسفة – محمود عزت موسى – ص ٢٩ .

[2] كتاب الحوار- كونفوشيوس- ت: محمد مكين- ص ٣٧ .

كراهيتهم لكم . وإنه لمن الوحشية أن تثأروا إذا ما أصابكم أذى ، ولكن من الحماقة أيضاً أن تغفلوا الأذى وتصفحوا . فلتقدروا المسألة تقديراً عادلاً ثم يكون سلوككم طبقاً لهذا التقدير ، على أن تراعوا كرامتكم الشخصية وحقوق أعدائكم (٣).

لقد تميزت الأخلاق عنده بالواقعية ، ومن هنا فإنه لا يوافق على هذا النوع من المحبة السامية ، وعلى مبدأ تحويل الخد الآخر ، بل رأي أن العدالة ، وتبادل المثل بالمثـل ، ما هما في الحقيقة إلا شيء واحد ، وأن علينا أن ننظر إلى الآخرين ، ليس كما نريـدهم أن يكونوا ، وإنما كما هم فعلا . وهذا هو المعنى الحقيقي للعدالة (٤).

والرجل النبيل هو الذي تتساوى فيه الصفات الطبيعية الأصيلة ، والصفات المكتـسبة وتمتزج بعضها بالبعض الآخر . وإذا امتزجت هذه بتلك ، كان لنا منه الرجل كامل الخلق (١).

ويمكننا من خلال ما سبق أن نوجز طريق الرجل النبيل وخصائصه ، وذلك مـن خـلال هـذا النص الذي يشير فيه كونفوشيوس إلى ضرورة أن يلتزم الرجل النبيل بتسعة أشياء لا يتغافـل عنها على الإطلاق حيث يقول:

" يضع الإنسان الأعلى نصب عينيه تسعة أمور لا ينفك يقلبها في عقله

١- فأما من حيث عيناه فهو يحرص على أن يرى بوضوح
٢- وأما من حيث أذناه فهو يحرص أن يستمع بإمعان
٣- وأما من حيث وجهه فهو يحرص على أن يكون بشوشاً ظريفاً
٤- وأما من حيث سلوكه فهو يحرص على أن يكون وقوراً
٥- وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصاً
٦- وفي تصريف شؤون عمله يحرص على أن يبذل فيه عنايته وأن يبعث الاحترام فيمن معه
٧- وفي الأمور التي يشك فيها يحرص على أن يسأل غيره من الناس
٨- وإذا غضب فكر فيما قد يجره عليه غضبه من الصعاب
٩- وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة و الاستقامة " (٢) .

---

(٣) أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم – هنري توماس – ت: متري أمين - ص ٦٠ - ٦١ .
وانظر: كتاب الحوار – ١٤٤/١٤ .

(٤) أعلام الفلاسفة - هنري توماس - ص ٦١ بتصرف .

(١) أنظر: كتاب الحوار ٦ / ٥٨ – ٥٩ .
أنظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) كتاب الحوار - ١٦٣/١٦ – ١٦٤ .

هذا هو الرجل النبيل الذي يعد الغاية القصوى من منهج كونفوشيوس الأخلاقي ، وهو الأمل في إصلاح أحوال المجتمع . وقد أكد كونفوشيوس علـى أنـه لا يمكـن إصلاح الرجال بالكلمات فقط ، وأعطى أهمية كبيرة للدور الذي يلعبه " الرجل النبيل " بوصفه مثالا يحتذي به كل فرد في المجتمع .

وأنظر: قصة الحضارة – ول ديورانت – ت: محمد بدران – ج ٤ - ص ٥٩ .

٦- موقف كونفوشيوس من المرأة :

في العصر الذي سبق وجود كونفوشيوس كانت للمرأة في الـصين مكانتهـا ، فكانت الأم محور الأسرة لأنهـا مـصدر وجودهـا وسـلطانها . وكـان النـاس فـي أول عهودهم يعرفون أمهاتهم ولا يعرفون آبائهم ، ولا يزال اللفظ الدال على أسم أسرة الرجل مكوناً من الأصل الذي أشتق منه لفظ " امرأة " ، واللفظ الصيني المقابل لكلمـة الزوجـة معناه " المساوي " ، وكانت الزوجة تحتفظ باسمها بعـد زواجهـا . . ولمـا قـام نظـام الإقطاع في الصين قلل من منزلة المرأة ، وجاء بنمط صارم من الأسرة الأبوية . . فلما حل عهد كونفوشيوس كان سلطان الأب يكاد أن يكون سلطاناً مطلقاً في جميـع الأمـور ، فكان في وسعه أن يبيع زوجته وأبناءه ليكونوا عبيداً ، وإن لم يفعل ذلك إلا إذا ألجأتـه إليه الضرورة القصوى ؛. . وكان يتناول الطعام بمفرده ، ولا يدعو زوجته ولا أبناءه إلـى المائدة معه إلا في أوقات قليلة نادرة ، وإذا مات كان ينتظر من أرملته ألا تتزوج بعده ، وكان يطلب إليها في بداية الأمر أن تحرق نفسها تكريماً له ، وظلت حوادث مـن هـذا النوع تقع في الصين إلى أواخر القرن التاسع عشر بعد الميلاد ، وكانت النساء يعشن فـي أقسام خاصة من المنزل ، وقلما كن يختلطن فيه بالرجال " [١] .

وذكر عن كونفوشيوس انه كان يحتقر المرأة ، ومن أقواله: " نوعان من الناس لا يستحقان معاملة طيبة ،"اللئام والنساء"، وفي تاريخ أسرة كونفوشيوس ، ذُكر انه هو وابنه وحفيده طردوا زوجاتهم من بيوتهم ، ومما يؤخذ عليه أيضاً ، انه تكلم بإسهاب عن كثير من العلاقات بين الحاكم والرعية . والأب والابن . . الخ ، ولم يذكر شيئاً عـن المـرأة . . [٢] ومما اثر عن كونفوشيوس قوله " احذر لسان المرأة إنك ستلدغ منه إن عـاجلاً وإن آجـلاً ، وأحذر زيارة المرأة إنها ستصيبك إن عاجلاً وإن آجلاً " [٣] فكيف يدعو كونفوشـيوس إلـى الترابط الأسري ، والعلاقات السليمة واحترام الآخرين ، بل إنه حرص في مدينته الفاضـلة - كما سيأتي – على صيانة شخصية المرأة وعدم الإعتداء عليها ، في الوقت الذي يعطل فيه دور المرأة ويقلل من شأنها أليس هذا تناقضا ؟

---

[١] قصة الحضارة – ول ديورانت – ت: محمد بدران – ج ٤ - ص ٢٧٢ .

[٢] بعض ما ورد في لقاء أجريته مع الدكتور/ ليو جينغ – أستاذ الفلسفة الصينية القديمة بجامعة الشعب - الـصين - بكين - وكان اللقاء في مكتبه بالجامعة يوم الثلاثاء ٩ / ٢ / ١٤٢٥ هـ .

[٣] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاتة سعفان - ص ١٠ .

وقد حمل على كونفوشيوس (بعض من كتب عن حياته) بسبب هذه المقولة ، مع أنه قالها اثر استيائه مـن دوق ولاية (لو) حينما شغله حسن النساء ورقصهن عن تصريف الأمور في ولايته ، وكان ذلك اثر مكيدة دبرها له وزراء ولاية (تشى إي) المجاورة لولاية (لو) حيث أهدوه (ثمانين فتاة ومائتين واثنين وعشرين حصاناً) لإشغاله . . . ، فكان لهم ما أرادوا . . . وقد سبق الكلام عن هذه الحادثة في الفصل الأول من هذا الباب .

(أنظر: من قاموس الأديان – الشنتوية –الكونفوشيوسية – د/ اسعد السحمراني – ص ٨٩ – ٩٠)

٧- التربية والتعليم

أ- كونفوشيوس المربي

لكونفوشيوس أهمية كبيرة في المجال التربوي وذلك لأنه صاحب أول مدرسة في تاريخ الصين القديم ، ليس لها أي ارتباط بالسلطة السياسية ، تلك المدرسة التي أخذت على عاتقها محاولة وقف تيار التدهور الذي كانت تعاني منه البلاد في تلك الفترة .

فقد كان يعاني المجتمع الصيني من الانحلال الداخلي في ظل سلطة سياسية مستبدة لا تعمل إلا من اجل مصلحتها دون مصلحة الشعب ، بل كانت تعمل على غرس قيم معينة في عقول أفراد الشعب لتجعله راضخاً لكل ما تمليه عليه . ولاشك أن أكبر عامل يساعد على رضوخ شعب من الشعوب هو عدم الوعي ، الذي لا يتأتي إلا بالحرمان من التعليم ، فقد كان التعليم مقصوراً على طبقة النبلاء وأبنائهم طبقة عالمة تحكم وتستبد ، وطبقة جاهلة تساق كالعير ، ووضع اقتصادي متدهور ، وانحلال أسرى متفش ، وقيم أخلاقية ضائعة ، وصراع سياسي يبلغ أوجه ، إذ كانت الصين منقسمة إلى عدد من الممالك الصغيرة يتحكم الإقطاع في مصيرها ، وتموج بالمشاحنات الداخلية . والحال هذه عكف كونفوشيوس فترة على التفكير في إيجاد وسيلة فعالة للإصلاح ، وبدت أمامه وسيلتان للتغيير في بداية الأمر : الأولى الثورة والصدام المباشران مع السلطة ، والثانية للجوء إلى أسلوب يتم من خلاله إعداد الشعب بالتدريج وتهيئته للقيام بدوره التاريخي .

وبعد تفكير عميق وجد كونفوشيوس أن الأسلوب الأول – الثورة – من الصعوبة بمكان ، إن لم يكن مستحيلا لقوة الطبقة الحاكمة وسيطرتها ، ولذا وجد أنه لا مفر من اللجوء إلى أسلوب التربية ، وأيقن أنه إذا ما استطاع أن يغرس في أبناء الشعب قيم الحرية والعدالة سيصبح التغيير أمرا ميسورا . . حيث قال:(إن الطريق الوحيد الذي يمكن للفرد من خلاله أن يهذب ويحفز الشعب ويؤسس عادات المجتمع الصالح يكون من خلال التربية ، فقطعة الحجر لا يمكن أن تصبح موضوعاً فنياً إلا إذا نقش عليها ، والإنسان لا يمكن أن يعرف القيم والأخلاق بدون تربية) .[١]

وقد أدرك كونفوشيوس أن ما هو مكلف به لا يجعله معلما صاحب مدرسة خاصة يلقن التلاميذ أنواع العلوم المختلفة فقط، بل هو في المقام الأول مرب ومصلح للشعب بأكمله .

وبذلك اتجه ببصيرته نحو فئة الشباب كي يعمل على تطويرها وتحويلها إلى فئة فعالة لها أثرها في كل جوانب الحياة ، ولذلك حدد غاية مغايرة لتلك الغايات التقليدية

---

[١] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ١٠٧ .

التي اعتادتها النظم الأخرى ، فهو لن يسعى إلى أن يضيف للمجتمع فئة أخرى حافظة للتراث ، تحافظ على الوضع القائم ، بل تتركز غايته في تكوين الفئة القـادرة علـى أن تلعب دوراً مؤثراً داخل الحكومة التي يعملون بها ، ومن ثم تكون لديهم القدرة علـى إصلاح المجتمع . وهو يأمل في إخراج هذه الفئة التي ربما تكـون أفـضل حظـاً منـه فتصل إلى السلطة ، ويصبح بإمكانها أن تطبق تعاليمه ، وتعمل على تحقيق حياة مثالية ومجتمع مثالي تتحقق فيه كل القيم التي تضمن له بقاءه .[1]

وقد كان لآرائه في التربية والتعليم دور كبير في شيوع عقيدة التفـاؤل القائلـة بقابلية الطبيعة البشرية لبلوغ الكمال عن طريق مداومة التعلم واكتساب الفضائل : " فكما أن قطعة من الخشب لا يستطاع تشكيلها لكي تصير قطعة فنية بدون أن تقطع أو تنشر ، كذلك الإنسان لا يستطيع الوصول إلى القانون الأخلاقي بدون التعليم ، ولذلك كان الملـوك القدامى يتجهون نحو التعليم باعتباره أول العوامل الرئيسية لإقامة النظام في دولهم " [2] .

" ويقول كونفوشوس في ذلك :

" أطلب العلم بالتوسع ، ولتكن همتك صادقة ، واستفسر عما يعنيـك وفكـر فيمـا يقربك " ، " من يعلم كل يوم ما لم يعلمه من قبل ، ولا ينسى كل شهر مـا قـد علمـه ، فهو جدير بأن يعتبر مولعا بالعلم " [3] .

ولاشك في أن تعاليم كونفوشيوس قد تركت أثرها الكبيـر فـي نفـوس الـشعب الصيني من حيث إجلاله للعلماء والمفكرين وتوقيرهم واتخاذهم أبطالا مفضلين .[4]

---

(١) المرجع السابق – ص ١٠٧ بتصرف .

(٢) كتاب الطقوس : الفصل ١٨ .

(٣) كتاب الحوار ١٩ / ١٨٦ .

(٤) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٩٠ – ٩١ بتصرف .

ب- شروط مدرسة كونفوشيوس

كانت غاية كونفوشيوس جعل العملية التعليمية نقطة البدء لتحقيق الفرد المثالي الذي سيعمل على تهذيب الشعب كله ومن أجل تحقيق الحياة المثالية على كل المستويات ، وللوصول إلى ذلك ، كانت هناك شروط للمدرسة الكونفوشيوسية منها:

١- المساواة :

يؤمن كونفوشيوس بأن للجميع الحق في تطوير ذواتهم عبر التربية حيث قال: " داخل عملية التعلم لا توجد فوارق بين الطبقات " . وقد عمل على أن يمثل تلاميذه مختلف الظروف الاقتصادية والاجتماعية ليقوم بتعليمهم دون أدنى تفرقة بينهم . واستطاع أن يجعل التعلم حقاً مشاعاً بين سائر طبقات المجتمع الصيني فحطم التسلسل الهرمي المقدس الذي اعتاده المجتمع ، وأصبح من حق كل فرد أن يصل إلى أعلى درجات السلم الوظيفي .

٢- عدم تأثير الظروف الاجتماعية على التعليم

يرى كونفوشيوس انه من العبث أن تحول الظروف الاجتماعية للفرد دون حصوله على حقه في التهذيب والتثقيف كغيره من الطبقات العليا ، ولم يرفض قبول أي تلميذ عجز عن دفع نفقات المدرسة ، يقول: (أنا لم أرفض أن أعلم فرد جائني طوعا ، حتى ولو لم يعطني سوى قطعة من اللحم الجاف) . وقد كان لظروف نشأة كونفوشيوس تأثير كبير في تبنيه لهذا المبدأ ، فقد عانى الكثير من الأزمات في طفولته يقول عن نفسه: (لقد كنت في موقع حقير عندما كنت صغيراً وهذا يفسر لماذا أمتلك تلك المهارات في العديد من الأشياء) .

لقد أصبح أمام كل فرد داخل المجتمع الصيني فرصة التعلم ، حتى الذين لا تساعدهم إمكاناتهم على دفع تكاليف التعليم ، وكان لنظريته صدى كبير بين كافة أبناء أمته ، حيث احتشد حوله العديد من الطلاب ذوي الفئات والإمكانيات المختلفة .[١]

---

[١] أنظر: فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ١٠٨ – ١١٢ .
والتجربة الصينية – د/ عبد العزيز حمدي - ص ٣٧ .

٣- وجود الرغبة الداخلية للتعلم

من أهم الشروط التي وضعها كونفوشيوس لمن يريد الالتحاق بمدرسته أن يكـون طلب التلميذ للعلم نابعا من رغبة داخلية هي التي دفعته نحو هذا السلوك ، وقد سبق معنا قوله:" أنا لم أرفض أن أعلم أي فرد جاءني طوعا . . ." .

فمن الضروري أن يكون الدافع الأساسي للتعلم نابعا من داخل الفرد نفـسه لا أن يكـون عنصر التشويق مفروضا عليه من الخارج . وهو لا يقبل في مدرسته من لا تتـوفر لـديهم القدرة على التفكير والرغبة في المشاركة يقول: (ليس هناك شـيء اسـتطيع أن أفعلـه مع الرجل الذي لا يقول لنفسه دائما : ماذا على أن أفعل؟ ". وبذلك يصبح من أهم شروط الالتحاق مبدأ الاستعداد والذكاء أو القدرة على الإدراك .

٣- الاستمرار في التعلم

أدرك كونفوشيوس أن للمنصب إغراؤه وبريقه الخاص به ، ومن شأنه أن يؤدي إلى زعزعة القيم التي تربى عليها الفرد ، وسيترتب على ذلك أن يتخلـى الفـرد عـن الرسـالة الأساسية التي لقنها له المعلم . لذا تنبه إلى أهمية إعداد الفرد تربويا بشكل يجعله يتمـسك بقيمه رغم كل إغراءات المنصب التي قد تدفع الفرد إلى تقديم الكثير من التنازلات في سبيل البقاء في المنصب أو في سبيل الصعود إلى منصب أعلى منه . ولـم تكـن التربيـة لديه أمرا موقوتا تنتهي بمرحلة سنية معينة أو بوصول الفرد إلـى الـسلطة ، إنمـا هـي عملية مستمرة تلتصق به طوال حياته ، ويسعى للالتزام بها بشكل مستمر ودائم يقول: (إن استطعت يوما أن تصلح نفسك ، افعل ذلك من يوم ليوم ، اجعله إصلاحا يوميا) . فالعلم لا يمكن أن يتوقف الاهتمام به عند مرحلة معينة أو أن ينال قدرا ضئيلا من العناية والاهتمام ، لذلك فبدءاً من ابن السماء حتى عامة الشعب لابد أن ينظر إلى العلم على انه الجذر لكل شيء ، يقول كونفوشيوس: (عندما يؤدي الرجل الذي في المنصب مهامه وواجباتـه إلى أقصى حد يجب أن يدرس ، وعندما يتم الطالب دراسته يأخذ الوظيفة) .[١]

---

[١] المرجع السابق – ص ١١٣– ١١٤ .

ج- قواعد وأساليب التعليم المثالي

وضع كونفوشيوس أربع قواعد للمعلم والتعليم لتحقيق التعليم المثالي نوجزهـا في نقاط:

١- يجب على المعلم أن يمنع العادات القبيحة قبـل أن يكتـسبها الطالـب ،وتـصبح سلوكاً عادياً .
٢- يجب أن تعطى المعلومات في السن الملائمة لها .
٣- يجب التدرج في إعطاء المعلومات ، بحيث يبدأ المعلم بالسهل وينتهي بالصعب .
٤- يجب أن تعطى المعلومات للتلاميذ مجتمعين لا فرادى ، بهـدف إثـارة التنـافس بينهم وتشجيع المجتهدين .

ويضاف إلى هذه القواعد الأربع قاعدتان تكميليتان ويمكن تلخيصهما في:

١- إلزام المعلم بمراقبة صحبة الطالب لمنعه من مخالطة الأشرار .
٢- التأكد من أن الطالب يقضي وقت فراغه فيما يعود عليه بالفائدة جسمياً وعقليـاً [١].

كما يرى أن المعلم المثالي من يعمل على توجيه طلابه توجيهـا رقيقـا دون أن يجحف عليهم ، كما أن عليه أن يراعي الفروق الفردية بين طلابه ، فمن طلابه من يحاول أن يجهد نفسه بحفظ كثير من الموضوعات ، ومنهم من لا يستطيع أن يستوعب إلا أجـزاء صغيرة ، ومنهم من هو سريع الحفظ للمعلومات ، ومنهم من هو بطيء سريع الملـل ، بما يؤكد التفاوت بينهم في العقليات ومستوى الذكاء ، ومن هنا فإن من واجبه مراعاة ظروف كل منهم ، وتشجيع الجيد وتنمية قدراته ، ومساعدة الضعيف في علاج ضعفه . . . [٢]

ومن الأمثلة الكثيرة على استخدام كونفوشيوس للأساليب المختلفة باختلاف التلاميذ:

١- كان (تسى لو) شجاعا لكنه قليل التفكير والتدقيق . فنـصحه بـالتحلي بالـصبر والتعقل ، سأله (تسي لو): " أيها المعلم إذا قدمت القوات في المعركة فـأي نوع تفضل ؟ " فأجابه : " لا أفضل الذي تفرغ يداه من الأسلحة

---

[١] كونفوشيوس النبي الصيني – حسن سعفان – ص ١٠١ بتصرف .
[٢] أنظر: كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ٦٦ – ٦٧ .

ويتخيل قتل النمر ، ولا أفضل الشجاع الذي لا يعرف الاستعداد اللازم قبل عبور النهر ، بل أرغب في أن يرافقني الصبور العاقل أمام أي أمر من الأمور العاجلة . "

٢- كان (يان هوي) تلميذا متفوقاً لكنه كان مطيعا لمعلمه أكثر من اللازم حتى أنه عجز عن تكوين رأي مستقل . فانتقده كونفوشيوس قائلاً : " يان هوى يتقبل كل كلامي بدون تدقيق وهذا ليس جيداً ، هذا لا يضره فحسب بل يسئ إلى معلمه أيضاً . "

٣- أما (تساي وه) فكان كسولا كثير النوم ، فانتقده كونفوشيوس : " عليك أن تعرف أن الرسوم الرائعة لا تكون على الخشب الفاسد والصور الجميلة لا تكون على الجدران الترابية المتداعية أبدا ، إذا استمررت في ذلك فكيف تصبح موهوباً وماجدا شريفاً ؟ " .

٤- وربما أعطى كونفوشيوس إجابات مختلفة لسؤال واحد حسب طبيعة السائلين ، مثلا: ذات يوم سأله (تسي لو): إذا وجدت اقتراحا جيدا فهل أقبله فورا أم لا ؟ " فأجابه : " هناك الكبار الأكثر منك تجربة وعليك أن تستمع إليهم . " أما (ران يو) فسأله نفس السؤال ، وأجابه : " طبعا ، عليك أن تقبله فورا . " وعندما سمع تلميذ آخر هاتين الإجابتين دهش من ذلك وسأله عن السبب . فقال كونفوشيوس: " إن ران يو دائما ما يتردد في تقبل الأمور ، فعلى أن أشجعه على أن يكون شجاعاً وقاطعاً في معالجة الأمور ، أما تسي لو فإنه قليل التفكير فينبغي أن أنبهه إلى تدقيق الأمور "

وقد نتج عن أساليب كونفوشيوس في التربية أن ترعرع تلاميذه وكل واحد منهم له ميزة خاصة فمثلاً : (يان هوى) معروف بأخلاقه الحميدة ، و(تسي لو) بارع في السياسة ، و(تسي قونغ) مشهور بطلاقة اللسان ، و(تسي شيا) موسوعة في الأدب . [1]

كما أحب كونفوشيوس تلاميذه حبا جما وعرفهم حق المعرفة ، وكثيرا ما يساعدهم في الشدائد ، وعلى سبيل المثال:

١- سجن تلميذه (قونغ يه تشانغ) وكان يعتقد كونفوشيوس أنه برئ مما وجه إليه ، فلم يقلل من شأنه بل أمتدحه وقال للجميع أنه سيزوجه

---

[1] القصص الصيني القديم - وي تانغ – سلسلة كتب سور الصين العظيم – مجلة بناء الصين - ص ٥٦ بتصرف

ابنته ، فكان لذلك الأثر الكبير في تشجيعه ورفع معنوياته .

٢- كان تلميذه (تسي لو) قائدا في دويلـة (وي) فـانفجرت فـي أيامـه الاضطرابات الداخلية ، وعندما سمع كونفوشيوس هذه الأخبار قـال : " لاشك سيستشهد تسي لو " . لأنه يعرف تمامـاً أن تلميـذه هـذا مـستقيم وداع للعدالة ولا يسمح بمرور الأمور القبيحة بلا مقاومة . . هذا ولم يمـض وقـت حتى جاءه خبر استشهاده [١]، فبكى كونفوشيوس بكاء شديدا.

٣- وعندما توفي (يان هوى) حزن كونفوشيوس حزناً شديداً ، فنصحه الناس إلا يحزن كثيرا خوفاً على صحته المتدهورة . فقال : " لقد نسيت نفسي ، فلماذا لا أبكي وأحزن على وفاة رجل شريف ؟ " [٢] .

د - تمسكه بالتراث الصيني القديم

كان كونفوشيوس شديد التعلق بحب التراث الصيني القديم ، وكان التراث المدون في الكلاسيكيات الخمس يمثل الموضوعات التي تدرس داخل المدارس الحكومية آنـذاك ، والذي كان يمثل أيـضا مـادة خـصبة لكونفوشـيوس يـستخدمها بعـد إعـادة بنائهـا كموضوعات تعليمية . وقد ظهر تمسكه بالتراث في عديد من أقواله ، منها : (إنما أنـا ناقل وليس مبدعا ، أنا شديد الإخلاص والولع بما هو قديم ، من أجل هذا فأنا أغامر حينما أضع نفسي موضع مقارنة مع أجدادنا) .

وقد طلب من تلاميذه تعلم الفنون الـستة التـي يحويهـا التـراث القـديم والتـي ستؤهلهم للحصول على مرتبة أسمى داخل المجتمع وهي : الطقـوس ، والموسـيقى، والرماية ، وسباق العربات ، والتاريخ ، والرياضة . وهي جميعا من الموضوعات التي تعـد ذات قيمة عملية عظيمة في تربية النشء وتهذيبه ، ويحاول من خـلال أقوالـه التأكيـد على الفائدة التي يمكن أن يحصل عليها الفرد خلال دراسته لهذه الموضوعات المختلفة ، وقد أصبحت فيما بعد هذه المواد الدراسية بمثابة اختبارات رسمية مـن جانـب الدولـة ، يمتحن فيها كل من يريد الالتحاق بمنصب إداري في الدولة - كما مر معنـا سـابقاً - ، وبهذا استطاع أن يضمن لتعاليمه البقاء طيلة هذه
القرون الطويلة دون منازع .[٣]

---

[١] هكذا وإن كان هذا التعبير بالاستشهاد عندنا لا يطلق إلا على من يقاتل في سبيل ا سبحانه وتعالى ويقتل لكن أورده مؤلف كتاب القصص الصيني فما أردت أن اتدخل فيه .

[٢] المرجع السابق - ص ٥٧ بتصرف .

[٣] أنظر: فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ١٢٩ – ١٣٠ .

هـ – هل كان كونفوشيوس ناقلاً أم مبدعاً ؟

للإجابة على هذا السؤال باختصار شديد نقول : لقد جـسد كونفوشـيوس بـشكل واضح موقفه تجاه التراث ، ولكن على الرغم من وضوح قوله ووضوح الغرض منه إلا أنه كان مثار جدل طويل من جانب المحللين لشخصيته ، فذهب فريق إلـى أنـه تأكيـد على فقره العلمي وأنه ليس مبدعا ، ووصفوه بالرجعيـة وأن عملـه داخـل الحـضارة الصينية اقتصر على مجرد إعادة الطرق القديمة ، وتدعيم السلطة الوراثية الأرستقراطية .

في حين ذهب فريق آخر إلى أن مثل هذا القول يجسد إحدى القـيم الأخلاقيـة التي طالما نادى المعلم بضرورة اقتنائها وهي فضيلة التواضع ويرون أنه حتى وإن كان عمل كونفوشيوس قد اقتصر على مجرد إعادة صياغة التراث بلغة حديثة وترتيبه بشكل منسق ، فإن مثل هذا العمل يؤكد على أنه مبدع وصانع لعهد جديد حيث إن إبداعه لم يتوقف على ترتيب التراث فقط ، ولكن أيضاً هو مبدع في أسلوبه وكلماته وهدفـه الذي جعله يستخدم الماضي كمرآه لرؤية الحاضر والمستقبل .

ومع هذا كله فإن النظرة المتعمقة تدلنا على أن كونفوشيوس لم يكـن مقلـدا أبدا ، وإنما كان مبدعا بالدرجة الأولى ، ولكنه خشي أن يقابل إبداعه بالرفض ، فحـاول أن يلتمس في التراث شرعية وسندا لما جاء به . [١]

---

[١] المرجع السابق – ص ١٣٠ بتصرف .

٨- الفكر السياسي

من أصعب المسائل التي تواجه الباحث الحديث عن السياسة عند كونفوشيوس لأنها وثيقة الاتصال بالأخلاق والتربية بشكل يصعب معه التمييز بينها ، حتى أن معظم المراجع لم تميز بينها ، فالحديث فيها عن السياسة إنما هو حديث عن الأخلاق وعن التربية ، والحديث عن الأخلاق والتربية هو حديث عن السياسة .

لكنا وجدنا لكونفوشيوس وبعض تلاميذه كلاماً خاصاً عن الحكومة الصالحة واختيار الحاكم وواجباته واختيار الوزراء وصفاتهم وهو كلام في صميم السياسة سنعرض له دون بقية المسائل السياسية التي يصعب فصلها عن التربية والأخلاق كما ألمحت آنفا .

أ- أهمية الحكومة الصالحة

تعتبر الحكومة الصالحة أمرا مهماً عند كونفوشيوس ، وتستمد هذه الأهمية من إيمانه بضرورة الاجتماع الإنساني الذي لا يمكن أن يتحقق بشكل مثالي إلا إذا كانت هناك سلطة عليا تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع . والذات الإنسانية تعتمل فيها كثير من الرغبات التي تعيق إقامة الدولة المثالية ، وإذا ترك للإنسان الحرية التامة في حياته دون سلطة عليا تحكمه وتوجه هذه المؤثرات والرغبات أدى ذلك إلى تحويل المجتمع إلى مجتمع غابي فوضوي ، فالمجتمع يقوم على إطاعة الأبناء آبائهم ، والزوجة زوجها ، فإذا ذهبت هذه الطاعة حلت محلها الفوضى [١].

فمفهوم الطاعة الذي أقره كونفوشيوس في تعاليمه لم يتم التعامل معه فقط على أنه فضيلة أخلاقية يتجسد مضمونها داخل حدود الأسرة فقط ، بل سعى إلى جعله ماثلا داخل كافة العلاقات الإنسانية التي تربط بين الأفراد في الحياة ، فإذا كانت فضيلة الطاعة أساس العلاقة المثلى بين الزوج وزوجته ، والأخ الأكبر والأصغر ، والأب والابن ، فإن كونفوشيوس عمل على توسيع مجالها لتصبح ضمانا للاستقرار الاجتماعي للأسرة والمجتمع الذي يعتمد عليه في تحقيق النظام وتماسك أنظمة الحكم ، ومن أقواله: " لا تكف عن الطاعة والامتثال " .

وإذا كان كونفوشيوس قد أكد على ضرورة وجود الحكومة الصالحة ، فقد ترتب على ذلك تأكيده الشديد على أهمية نظام الحكم الصالح ، ووجود الحكم الصالح ، يتوقف على وجود الرجال الصالحين . يقول:(عندما يتواجد الرجال الصالحون تزدهر

---

[١] قصة الحضارة - ول ديورانت – ت: محمد بدران – ج ٤ - ص ٦٠ .

الحكومة الصالحة ، وعندما يختفي الرجال الصالحون ، تختفي وتنحرف الحكومة الصالحة)[1] ومعنى هذا أن وجود الحكومة شرط هام وضروري لكفالة السعادة وتحقيق النظام ، واستقرار الأمور في المجتمع . يقول في ذلك : " إن ذات الأمير كالهواء ، وذات الجمهور كالعشب . وعندما يمس الهواء العشب ، ينحني العشب ، ولا يتحقق النظام إلا بالسلطة " [2].

ب – الحاكم المثالي أو (الحاكم القدوة):

منهج كونفوشيوس السياسي هو منهجه الأخلاقي – كما ذكرنا سابقاً - فحين سئل عن الحكومة الصالحة قال :" توجد الحكومة الصالحة حيث يكون الأمير أميراً والوزير وزيراً والأب أباً والابن ابناً " [3] ، أي حيث يشعر كل بواجبه ويقوم كل بواجبه ويكون قدوة لغيره . ومعنى هذا أن الحاكم يجب أن يكون هو المثل الأعلى في السلوك الفاضل ، حتى يحذو الناس حذوه ، فيعم السلوك الطيب جميع رعاياه . يقول " لتكن نيتك الصريحة البينة فعل الخير فيكون الناس أخياراً . . . وما أشبه الذي ينهج في حكمه منهج الفضيلة بالنجم القطبي الذي لا يتحرك عن مكانه والذي تدور من حوله الأفلاك . . . . وسأله أحدهم كيف يحمل الناس على إجلال حاكمهم والإخلاص له والتزام جانب الفضيلة ؟ فأجاب المعلم : " فليرأسهم يوماً يحترموه ، وليكن عطوفاً عليهم رحيماً بهم يخلصوا له ، وليقدم الصالحين وليعلم العاجزين ، يحرصوا على أن يكونوا فاضلين "[4].

لقد آمن كونفوشيوس أنه لن تتحقق رفاهية الشعب ، إلا إذ تولى شئون الحكم أعظم الرجال كفاءة ، وهذه الكفاءة لا علاقة لها بالمولد أو الثروة أو المكانة، وإنما هي خاصة بالمعرفة وحسن السلوك ، وهما ثمرة التربية الحقيقية .

وقد قال لدوق (لو) : " إذا كانت سياسة الحاكم طالحة ، ولم يعارضه أحد، فإن هذا التراخي كفيل بالقضاء على الدولة " ،ولما سأله (تشى كانج تزو) رئيس أقوى عائلة في ولاية (لو) ،" كيف يمكن معاملة اللصوص بطريقة فعاله ؟"

---

[1] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ١٤٠ .

[2] كتاب الحوار ١٢ / ١١٧ .

أنظر: تاريخ وقواعد الحضارات – فرناند بروديل – ت: د/ حسين شريف – ص ٢٢٥ .

[3] قصة الحضارة - ول ديورانت – ت: محمد بدران – ج ٤ - ص ٤٥ .

[4] المرجع السابق ص ٦١ .

وانظر: المرجع في تاريخ الأخلاق – د/ محمد مرحبا – ص ٢٦٥ .

أجابه:" إنك يا سيدي ، إذا لم تطمع في أشياء لا تخصك فإنهم لن يسرقوا ، حتى لو أنك استأجرتهم لذلك "[1]. وسئل عن صفات الحكم المثالي ، فأجاب :" إنـه الحكـم الـذي يجد الناس تحت ظله غذاءً كافياً ، وجيشاً يحميهم ، وثقة عظيمـة فـي حكـامهم " . فسئل عما يمكن الاستغناء عنه من هذه الأمور الثلاثة إذا دعت ضرورة إلى ذلك ؟ فقـال:" أفضل أولاً الاستغناء عن الجيش " . فسئل عما يمكن الاستغناء عنه بعد ذلك . فقال: " أفضل الاستغناء عن الطعام ، فما أكثر من ماتوا جوعاً منذ وجد الإنسان ، ولكـن لـم يحـدث أن عاشت أمة بدون ثقة في حكامها " .

كما أوصى الحاكم بأن يستمع إلى نصيحة الشعب ،" لأن ما تراه الـسماء وتـسمعه ليس شيئاً آخر غير ما يراه الشعب ويسمعه ، وما يعده الشعب جديراً بالثواب والعقاب هـو ما تعده السماء جديراً بالثواب والعقاب، فهناك اتصال وثيق مستمر بـين الـسماء والـشعب ، وعلى من يدبرون شئون الشعب أن يراعوا ذلك ويتدبروه " . وقد جاء في كتاب التاريخ : " إن توكيل السماء للحاكم ليس أبدياً ، وهذا يعني أن الحاكم يظل متمتعاً بهـذا التوكيـل الإلهي طالما استخدم هذا التوكيل فيما يعود على شعبه بالخير ، ويفقد الحـاكم هـذا التوكيل عندما يتبع سياسة الظلم " [2] . وقوله: " إن بقاء الحاكم أو الأمير يتوقـف علـى رغبة ا أو إرادته ، وإرادة ا هي إرادة الشعب ، فإذا نال الحاكم عطف الشعب وحبـه فإن ا العلي السامي ينظر إليه بعين الرضا ، ويوطد عرشه ، أما إذا فقـد حـب الـشعب وعطفه فإن ا العلي السامي يصب غضبه عليه ، ومن ثم يفقد دولته "[3].

كما أكد كونفوشيوس على أن يكون الحاكم المثـل الأعلـى فـي الحكمـة ، والقدوة في العدل ، حتى ينتهج الناس نهجه ، ويحذون حذوه ، فيعم السلوك الطيب ، وتصلح أحوال الجميع ، ويمضي كل شيء على أحسن حال ، دون حاجـة إلـى إصـدار الأوامر أو اللجوء إلى العقوبات . ومثل هذه الحكومة ، هي قطعـاً حكومـة صـالحة عظيمة ، فيما يرى ذلك ، تفرض الاحترام دونما حاجة إلى العنف أو العقاب الـذي ينـزل بالمخالفين . وقد استفسر أحد مريديه ، في إحدى المرات ، عن جدوى قتـل الفاسـدين ممن لا مبدأ لهم ولا ضمير ، وأثر ذلك في إجبار النـاس إطاعـة القـوانين لـصالح أصـحاب المبادئ والضمائر ، فأجاب : وما حاجتك يا سيدي إلى القتل في قيامك بأعباء الحكم ؟ إن

---

(1) كتاب الحوار – ١٢ / ١١٧ .

(2) كتاب التاريخ – فصل السياسة .

(3) المصدر السابق .

وانظر: معتقدات آسيوية – د/ كامل سعفان – ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .

و كتب غيرت الفكر الإنساني – أحمد محمد الشنواني – ج١ – ص ٤١ .

الناس يقتدون بالحاكم ، فلو صلح حاله صلحت أحوالهم ولو ساءت أموره ساءت أمورهم ، وإذا كانت نيته الصريحة فعل الخير ، يـصبح النـاس أخيـاراً . إن العلاقـة بـين الحـاكم والمحكومين لشبيهة بالعلاقة بين الريح والأعشاب البرية ، فالأعشاب تنحني إذا هبت عليهـا الريح القوية [١] .

ج – واجبات الحاكم عند كونفوشيوس :

مما ورد في كتاب الطقوس قول كونفوشيوس: " إن فن القيام بحكـم سـليم يقتضى أن يكون الحاكم قادرا أولا على إقامة نظام سليم في أسرته ، ومـن الـضروري إذن بالنسبة للشخص الذي ينتمي للطبقة الحاكمة أن ينظم سلوكه الشخـصي ، وتنظـيم سلوكه الشخصي يقتضى أن يقوم بواجباته إزاء أقاربه والمتصلين به ، ومن ثم إزاء الأفـراد الذين ولي أمرهم . ولكي يستطيع أن يقوم بهـذه الالتزامـات عليـه أن يفهـم طبيعـة المجتمع الإنساني ، والقواعد التي يقوم عليها التنظيم الاجتماعي . وهو إذ يعمل علـى تفقيه نفسه في طبيعة المجتمع الإنساني وأسس التنظيم الاجتماعي إنما يدرس القواعـد الإلهية والقوانين الربانية[٢] التي تسود المجتمع الإنساني " [٣] .

وقد ألزم كونفوشيوس الحاكم ، لكي يقـوم بأعبـاء الحكـم علـى الوجـه الصحيح ، أن يقوم بعدة واجبات ، من أهمها :

١- أن يتعلم قواعد الأخلاق الشخصية .
٢- أن يحترم الأفراد الجديرين باحترامه .
٣- أن يتودد إلى من تربطه بهم صلة القربى، وأن يقوم بالتزاماته إزاءهم كاملة
٤- أن يجل وزراء ولايته وإمبراطوريته .
٥- أن يعامل موظفي دولته بالحسنى .
٦- أن يجعل من الصالح العام صالحه الشخصي ، وأن يجعل من نفسه أبا للشعب .
٧- أن يعمل على تشجيع الحرف والصناعات والفنون - النافعة - والنهوض بها .

---

[١] كتاب الحوار ١٢ / ١١٧ .

[٢] من وجهة نظرهم .

[٣] كتاب الطقوس : فصل الانسجام المركزي .

٨- أن يعطف على رعايا الدول الأخرى المقيمين في دولته .

٩- أن يهتم برفاهية أمراء الإمبراطورية .[١]

وقد ورد تفصيل أكثر عن هذه الواجبات في كتاب الطقوس في قوله: " ذلك انه لو تعلم قواعد الأخلاق فإنه لا شك يعرف الوصول إلى الطريـق الـسليم ، ولـو أحترم الأفراد الجديرين بالاحترام فلن يغتر بالأفراد المخادعين ، وبتودده إلى ذوي القربى يجعل الوئام سائداً بين أفراد أسرته ، وباحترامه للوزراء سيجنب نفسه الخطأ ، وإذا أستطاع أن يوحد بين مصلحته والصالح العام فإن الإخلاص وروح التضحية سيسودان أفـراد دولتـه . وبإظهاره روح الأبوة بالنسبة لشعبه يجد الأفراد وقد وهبوا حياتهم لفعل الخير . وعندما يشجع الحاكم الفنون النافعة تزيد الثروة والدخل القوميين ويعـم الرخـاء . وإذا عطـف على الأجانب فإن الأفراد من جميع دول العالم سيأتون زمراً وجماعات ، وباحترام الحاكم للأمراء من كل ولاية إنما ينشر روح الاحترام والإجلال لشخصه "[٢].

وكما ذكرنا سابقاً أنه كان على الحكام والولاة والموظفون أن يجتازوا امتحانـاً معيناً على أساس ما ورد في الكتب الكونفوشيوسية ، فإذا اجتازوا ذلك الامتحان بنجـاح أسندت إليهم الوظائف وألقابها . . .

د – ولاية العهد

يرى الكونفوشيوسيون أن من الواجب على الحاكم إذا بلغ سن الشيخوخة أن يختار قبل موته للمنصب الرفيع حكيماً أقل منه سناً ، ويتخذ منه - في بداية الأمر- مساعداً . فإن أثبتت التجربة جدارته قدمه إلى الشعب ، فإن قبله حاكماً عليه كان هـذا - وفقـاً لرأي منشيوس [٣]- علامة رضاء السماء على هذا الاختيار ومباركتها إياه .

فإن لم يقدمه الإمبراطور إلـى الـشعب فـستعوزه فرصـة معاونـة الإمبراطـور واكتساب الخبرة من وراء ذلك ؛ فيغدو عاجزاً عن إضفاء المنافع على الشعب فلا يـولي أفراده وجوههم شطره[١] . وهذه وجهة نظر في ولاية العهـد ، أو تـدريب كـوادر صالحة لتحمل المسئولية في المستقبل ، لكن على المذهب الكونفوشيوسي ،لا يتحـتم أن

---

[١] كتاب الحوار – ١٢ / ١١٣ ، ١١٤ .

[٢] كتاب الطقوس – الانسجام المركزي – الفصل الثامن .

انظر: كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاته سعفان - ص ٧٤ .

و كتب غيرت الفكر الإنساني – أحمد محمد الشنواني – ج١ – ص ٤٠ – ٤١ .

[٣] سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

[١] حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ -ص ١١٣ بتصرف .

تكون ولاية العهد لابن الحاكم أو الإمبراطور السابق وإنما لمن تؤهله كفاءته العلمية والأخلاقية لقيادة الشعب [٢].

هـ – اختيار الوزراء الجديرين بالثقة

أكد كونفوشيوس على أهمية دور الوزير في النظام الحاكم ، وكان يرى أنه الحل البديل لأزمة النظام القائم في عصره ، فعمل على إعداد الرجل الثاني (الوزير) الذي يلقى على عاتقه مهمة السير بشئون الدولة إلى ما ينبغي لها أن تكون . ليضمن له بقاء آراءه ومحاولة إخراجها إلى حيز التطبيق ، ويتم اختيار الوزير وفقا لجدارته ، وبذلك تتحول الحكومة من تبجيل القلة إلى إسعاد الشعب .

وقد شاركه تلاميذه في هذا الاتجاه ، فنجد أن " هسون تزو "[٣] على الرغم من رفضه لوراثة العرش ، وتأكيده لأهمية وجود الوزير الصالح قبل الحاكم الصالح ، فإنه رأي ضرورة أن يعلن ذلك ، ولكن بدون صدام مباشر مع السلطة القائمة كما سلك منشيوس نفس الاتجاه . . . [٤].

وبذلك يكون كونفوشيوس قد أعلن بشكل ضمني فكرة الحاكم الذي يملك ولا يحكم مؤكدا على فاعلية الوزير ، وقد تصور إمكانية أن يكون على رأس الدولة حاكم فاسد وفي نفس الوقت تسير الدولة في طريقها الصحيح . " سأله أحد التلاميذ عن السبب في أن الدوق " لينج " لم يفقد دولته رغم ما هو فيه من فساد ؟ فقال كونفوشيوس : لقد كان "تشونج شي" مسئولا عن الشئون الخارجية ، و" ونج " مسئولا عن الشئون العسكرية . والكاهن " تو " مسئولا عن هيكل الأسلاف لماذا إذن يفقد دولته " [٥].

والأمر الذي دفع كونفوشيوس إلى أن ينسب إلى الوزير كل هذه المهام ، وأن يصبح هو المسئول الأول عن إدارة الأمور ، هو فشله في العثور على الحاكم المثالي الذي يتبع تعاليمه ، هذا في الوقت الذي كان يلقى فيه تأييدا أثناء جولاته من جانب الوزراء الصالحين . وقد أدى به هذا الواقع إلى القول بأن من الأمور الهامة والملحة وجود الوزراء الصالحين ، يقول: " دعني امتلك فقط وزيرا واحدا ، صادقا ومخلصا ولا يتظاهر بخصائص أخرى ، بسيطا وذا عقل مستقيم ، وذا نفس سمحة ، ويحترم مواهب

---

[٢] الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٠٩ .

[٣] سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

[٤] انظر: حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل – ج١ - ص ١١٠ .

و الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج – هـ - ج - كريل – ت: عبدا لحليم سليم – ص ٥٩ .

[٥] فلسفة الأخلاق والسياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ١٤٦ .

الآخرين على الرغم من أنه هو نفسه يملكها . . . مثل هذا الوزير سيصبح قادرا على حماية الشعب ، وسيحقق الخير للمملكة ، ولكن إذا كان الوزير على عكس ذلـك فإنـه يكـون خطرا على الدولة "[1] .

وقد أشار في هذا النص إلى أهم الخصائص التي يجب أن تتـوفر فـي شخـصية الوزير المكلف بأعمال الدولة .

---

[1] المرجع السابق – ص ١٤٧ .
أنظر: حكمة الصين - د/ فؤاد محمد شبل – ج١ – ص ٨٠ .

٩- الفكر الاجتماعي

طرق الإصلاح الاجتماعي

كان كونفوشيوس يسعى لإصلاح المجتمع الصيني بعد أن استشرى فيه الفساد ، وطغت عليه المشاحنات الداخلية بين الممالك الصغيرة ، وسادته القسوة والعنف والفوضى . فهب لإعادة المجتمع إلى جادة الصواب ، وذلك من خلال بعض الطرق التي سلكها ومن أهمها:

١- إحياء النظام الطبقي القديم:

تميز النظام الطبقي بوجود تقاليد وعادات محددة لكل طبقة من الطبقات والفئات المكونة له ، كما كان لكل طبقة حقوقاً وعليها واجبات ، كما تميز هذا النظام أيضا ، بوجود طقوس وشعائر وقرابين تختلف قليلا أو كثيرا من طبقة إلى أخرى، بل وصل الأمر إلى وجود زي خاص لكل منها . وقد كان هدف كونفوشيوس من دعوته إلى إحياء النظام الطبقي القديم ، هو أن يحدد لكل فرد في المجتمع الدور الذي ينبغي عليه القيام به ، ووضعه الاجتماعي ، ومركزه الأدبي ، تحديدا دقيقا ، إنقاذاً لبلاده من حالة الفوضى ، ووصولا بها إلى النظام والاستقرار والتقدم والرخاء . والنظام الكونفوشيوسي إذ يعترف بالطبقات ، بل ويعتبرها من الأسس التي يقوم عليها النظام الاجتماعي ، لم يجعل هذه الطبقات مقفلة ، فأتاح الفرصة أمام كل فرد أن يرقى إلى أية طبقة تؤهله كفاءته ومقدرته وأعماله الانتساب إليها . . فالنظام الطبقي في المجتمع الكونفوشيوسي يسمح لكل فرد بالانتماء إلى أية طبقة ، ويتخذ أساس الانتساب إلى الطبقات من المواهب العقلية والطبيعية والأخلاقية .[١] وهذا ما يميزها عن نظام الطبقات في الهندوسية الذي لا يسمح لأحد أن يتجاوز طبقته ويجعل الانتساب إلى الطبقات وراثيا .

٢- الاختلاط بأفراد المجتمع:

يوجب كونفوشيوس على الفرد مخالطة المجتمع والعمل على إصلاحه بكل الوسائل المتاحة ، وعدم الاعتزال ،حتى يعمر الكون وتستمر الحياة ، حيث يقول: " إذا كان واجب كل شخص من أحاد الأمة أن يعتزل في كهف من الكهوف ، فمن الذي يبقى في المدن يعمرها ؟ وفي الأرض يفلحها ويزرعها ؟ وفي الصنايع يمهر فيها ؟ ومن

---

[١] كونفوشيوس النبي الصيني ، د / حسن سعفان ، ص ٨٠ – ٨٣ بتصرف .
وأنظر: الفلسفة الشرقية – د/ محمد غلاب – ص ٢٧٣ .

الذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عامراً ببني الإنسان ؟ وإذا كـان الاعتـزال مقـصوراً علـى الحكماء الفضلاء فمن الذي يربي الإنسان ويؤدبه ؟ أم يترك الناس حائرين بائرين لا هادي لهم ولا مرشد؟"[١] على خلاف البوذية التي تحبذ العزلة والبعد عن الناس وقـدوتهم فـي ذلك بوذا نفسه حتى يصلوا- بزعمهم - إلى الخلاص...

٣- الالتزام بآداب اللياقة الـ " لي "

(وقد سبق الكلام عنها مع الفضائل الأخلاقية في هذا الفصل)[٢]

٤- مراعاة الروابط الخمس :

يقول كونفوشيوس: " إن جوهر الحياة الصالحة للفرد وللأمة ، يقوم علـى حـسن أداء الفرد لواجبه ورعايته للروابط الخمس التي تربط الناس بعضهم ببعض ، هذه العلاقات الخمس الرئيسية هي : علاقة الأمير بالرعية ، علاقة الأب بالابن ، وعلاقة الأخ الأكبـر بأخيـه الأصغر ، وعلاقة الزوج بزوجته ، وعلاقة الصديق بـصديقه ، فـإن روعيـت كـل هـذه العلاقات حسن حال الدولة .

٥- تعليم جميع أبناء الشعب :

يقول عن التعليم: " يجب أن تزول الاختلافات الطبقية مـن التعلـيم . . وإنـي لـم أرفض قط تعليم أي فرد حتى إن وفد إلي على الأقدام ، وليس لديه ما يقدمه ، لقـاء تعليمه سوى قطعة من اللحم الجاف " . وقد حرص على تعليم تلاميذه دقائق السلوك وأساليب الرسميات لكنه لم يتردد في نبذ تلك القواعد إن جافـت العقـل وخرجـت عـن المنطق العام ، ونبت عن الذوق السليم [٣] .

٦- احترام الملكية الفردية:

فحق الملكية عنده هو المعنى الأول للعدل ، وكانت أبـشع الجـرائم عنـده أن يعتدي شخص على ملكية آخر . وقد حاربت الكونفوشيوسـية ضـد أصـحاب النزعـات الشيوعية والاشتراكية في القرنين السابقين على الميلاد وانتصرت علـيهم انتـصاراً سـاحقاً . ويرى كونفوشيوس – مع هذا – أن الملكية الخاصة هي سبب رئيسي في البلاء الـذي حل بالولايات الصينية ، ولكن ليس معنى ذلك – فيما يـرى كونفوشـيوس – أنـه يجـب

---

[١] الديانات القديمة - الإمام محمد أبو زهرة - ص ٨٢ .

[٢] - أنظر: ص ٢٦٨ .

[٣] حكمة الصين - د / فؤاد محمد شبل – ج١ - ص ٦٧ بتصرف .

القضاء عليها ، بل من الواجب : الإبقاء عليها مع رسم برامج إصلاحية من شأنها أن تـؤدي إلى تنمية روح العطف والشفقة بين الأفراد ، بحيث يعطـف غنـيهم علـى فقيـرهم ، ويساعد كبيرهم صغيرهم . . . [١] .

هذه بعض أبرز الطرق التي سلكها كونفوشيوس للإصلاح الاجتماعي حتى يتـضح لنـا المنهج الذي سار عليه ، ولعل فيما يأتي في مدينته الفاضلة مزيد بيان وتوضيح...

١٠- المدينة الفاضلة

تحدث كونفوشيوس- كثيراً - عن المدينة الفاضلة القائمة علـى المـساواة بـين الأفراد ، وكان مغرماً بالسعي لتحقيقها ، وكانت له أحلامه التي أطلق فيها لخياله العنان حيث يقول: " فإذا ساد المبدأ الأعظم (مبدأ المساواة) أصبح العالم كله جمهورية واحدة ، واختار الناس لحكمهم ذوي المواهب والكفاءات ، وأخذوا يتحـدثون عـن الحكومـة المخلصة ، ويعملون على نشر لواء السلم الشامل . وحينئذ لا يرى الناس أن آباءهم هـم مـن ولدوهم دون غيرهم ، أو أن أبناءهم هم الذين خرجوا من أصلابهم ، بل تراهم يهيئون سبل العيش للمسنين حتى يستوفوا آجالهم، ويوفرون العمل للكهول ، ووسائل النمو للـصغار ، ويكفلون الحياة للأرامل من الرجال والنساء واليتامى والذين لم يرزقوا نعمة الأولاد ، ولمـن أقعدهم المرض عن العمل . هنالك ينال كل إنسان حقه ، وهنالك أيضاً تصان شخصية المـرأة فلا يعتدى عليها " .

" وينتج الناس الثروة ، لأنهم يكرهـون أن تبـدد وتـضيع فـي الأرض . ولكـنهم يكرهون أن يستمتعوا بها دون غيرهم من الناس . وهم يعلمون لأنهـم يكرهـون البطالـة ولكنهم لا يهدفون في عملهم إلى منفعتهم الشخصية " . " وبهذه الطريقـة يقـضي على الأنانية والمآرب الذاتية . فلا تجد سبيلاً إلى الظهور ، ولا يرى أثـراً للـصوص والنـشالين والخونة والمارقين . فتبقى الأبواب الخارجية مفتحة غير مغلقة . هذا هو الوضع الذي أسميه التماثل الأعظم " [٢].

ويرى كونفوشيوس أن الصين قد عاشت ، هذا العصر الذهبي فـي أيـام الأسـرات الثلاث الأولى التي سبقت عصره ، فعم الوفاق والخير والطمأنينة والسلام جميـع الأفـراد الذين نظروا إلى بعضهم على أنهم أفراد أسرة واحدة ، ونتج عن ذلك اختفـاء اللـصوص وقطاع الطرق . يقول كونفوشيوس : " وفي مثل هذا المجتمع ، كان الشيوخ يقضون

---

[١] كونفوشيوس النبي الصيني – د / حسن شحاته سعفان - ص ٨٧ -٨٨ بتصرف .
انظر: الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ٩٨ – ١٠٢ .

[٢] قصة الحضارة – ول ديورانت – ت: محمد بدران – ج ٤ - ص ٦٣ - ٦٤.

مدة شيخوختهم في سعادة ومتعة ، وكانت الفرصة مهيأة أمام الشبان لإظهار مواهبهم ، كما كان الشبان اليافعون الأصحاء يقومون بواجب العناية بالشيوخ والأرامل والأيتام والعجزة ، وهي الفئات الاجتماعية التي لا حول لها ولا قوة . ولقد ساد في هذا العصر تقسيم عادل للعمل ، فلكل رجل حرفته المخصصة له بحيث لا يتعدى على اختصاص الآخرين ، وللمرأة المنزل وما يتعلق به من شئون . وإذا كان الأفراد في تلك العصور قد قاموا بجمع الثروات ، فإن هذا الجمع لم يكن يتم لحسابهم الخاص ، كما أن نتيجة عملهم وجدهم لم تكن لهم كأفراد ، بل كانت للمجموع . وعلى ذلك لم يكن ثمة مكان للنصب والاحتيال ، ولا مكان للعصابات واللصوص ، بل لم يكن صاحب المنزل بحاجة إلى إحكام غلق منزله ليلا كان ذلك عصر الثروة المشتركة العظيمة، أي عصر القانون الأسمى . أما الآن – (أي في الأسرة الرابعة وهي أسرة " تشو " التي كان كونفوشيوس يعيش تحت حكمها)- فإن هذا القانون الأسمى لم يعد له وجود ، فالعالم ،- ويقصد به هنا الصين - ، الآن قد انقسم إلى أسر خاصة ، وأصبح الناس لا يعترفون بصلة القربى إلا بالنسبة لوالديهم وأولادهم . وكل فرد يعمل ليجمع الثروة لحسابه الخاص ولمتعته الشخصية . ونتج عن ذلك تكوين ارستقراطية وراثية ، كما بدأت الولايات المختلفة في إنشاء مدن وقرى على حدودها لكي تخصصها للدفاع عن نفسها " [١] .

وقد غلب على فكر كونفوشيوس ، في مرحلته الأولى ، التصورات المثالية ، حيث عمد في هذه المرحلة ، التي امتلأ فيها عصره بالفوضى والظلم ، إلى تخيل وجود مجتمع نموذجي تسوده المساواة المطلقة بين الأفراد، ويعمه الخير والسعادة .

وبتخيل هذا المجتمع المثالي أنظم كونفوشيوس ، إلى مجموعة المفكرين الخياليين الذين رسموا صورا للمجتمع المثالي الذي يسوده الخير والفضيلة ، بعيدا عن الواقع الإنساني الملموس ، وأشهرهم:

١- أفلاطون (المتوفى عام ٣٤٧ ق . م) في جمهوريته قديما .
٢- والفارابي (المتوفى عام ٩٥٠ م) في مدينته الفاضلة .
٣- وكامبا نيللا في مدينة الشمس ، في العصر الوسيط .
٤- وتوماس مور (المتوفى عام ١٥٣٥ م) في يوتوبياه .
٥- وفرنسيسن بيكون (المتوفى عام ١٦٢٦م) في أطلنطس الجديدة .
٦- وكانط (المتوفى في عام ١٨٥٤ م) في السلام الدائم ، في العصر الحديث .
٧- وهـ . ج . ولز (المتوفى عام ١٩٤٦م) في يوتوبياه الحديثة ،في الزمن المعاصر .

---

[١] كتاب التغيرات ، وكتاب الحوار .

إلا أن كونفوشيوس سرعان ما تخلى عن هذه النظـرة المثاليـة ، بعـد أن تبـين أن مدينته المثالية تجافي الطبيعة الإنسانية ، وتفترض وجود صفات وسمات لا تتـوافر فـي هذه الطبيعة بالفعل ، وبدأ في اعتناق النظرة الواقعية التـي جعـل أساسـها الطبيعـة الإنسانية وقدراتها الفعلية والمجتمع الإنساني ومشكلاته الجوهرية [١] .

ولا شك أن السبب الذي دفع كونفوشيوس إلى تصور المدينة الفاضلة ، هو ضـيقه بالواقع الذي عاش فيه ، حين رأى المصائب والشرور في ازدياد ، فحاول أن يتجاوز هذا الواقع الأليم إلى تصوير ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع الإنساني ، عسى أن تحاكيه أو تقترب منه النظم والأفكار فتتغير الأحوال ويعم الخير والصلاح .

---

[١] كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني – د/ صلاح بسيوني رسلان – ص ١٢٨- ١٢٩ .
وأنظر: عالم لأديان بين الأسطورة والحقيقة – فوزي محمد حميد – ص ٢٣٠ .

الفصل الرابع

الجذور العقدية والفكرية لمعتقدات الكونفوشيوسية وأفكارها

وفيه :

١– المعتقدات القديمة

٢– شريعة تشو

- مصدر شريعة (تشو)

٣– انحطاط شريعة (تشو) وقيام الكونفوشيوسية

٤– تأثر كونفوشيوس بالديانة الملكية لأسرة (تشو)

٥– تمسك كونفوشيوس بالتراث

٦– ارتباط الفلسفة بالدين

٧– هل الكونفوشيوسية دين

الجذور العقدية والفكرية لمعتقدات الكونفوشيوسية وأفكارها

١- المعتقدات القديمة

ترجع الكونفوشيوسية إلى معتقدات الصينيين القدماء ، التي قبلها كونفوشيوس والكونفوشيوسيون من بعده ، وقد ذكرت في فصل سابق المراحل التاريخية التي مرت بها الكونفوشيوسية [١]، كما ذكرت الحالة الدينية في الصين قبل ظهور كونفوشيوس ولا أريد أن أكرر ذلك هنا [٢]، والذي نريد أن نعرفه هنا، ما هي الشريعة والثقافة القديمة التي قبلها كونفوشيوس ، وأحياها وجدد روحها ، وجمع وحرر أسفارها كما تقول الكونفوشيوسية ؟

للإجابة على هذا السؤال لابد أن نمر مرورا سريعا بتلك المرحلة التاريخية الصينية التي وضعت فيها تلك الشريعة قبل عصر كونفوشيوس ، والتي جاء بعدها كونفوشيوس ليحييها بعد انحطاطها في عصره (كما يقولون)، فنقول :

إن المرحلة الأولى من التقسيم المفصل للمراحل التاريخية التي مرت بها الكونفوشيوسية ، هي : ما تسمى عند هم بمرحلة السلسلة الأصيلة للطريقة ، وتشمل هذه المرحلة عصر الأنبياء الملوك الخمسة ، والعهود الملكية الثلاثة من التاريخ الصيني القديم : (عهد أسرة شيا) الذي بدأ من القرن الواحد والعشرين ق . م وانتهي عند القرن السادس عشر ق . م ، و(عهد أسرة شانغ) الذي بدأ من القرن السادس عشر ق . م وانتهي عند القرن الحادي عشر ق . م ، و(عهد أسرة تشو) الذي بدأ من القرن الحادي عشر ق . م وانتهي عند القرن الثالث ق . م .

وقد كان لكل عهد من هذه العهود الملكية الثلاثة شعائرها وطقوسها وأحكامها ، ونظمها الدينية والاجتماعية والسياسية ، وقد أجاب كونفوشيوس ، عندما سأله تلميذه عن إمكانية معرفة شرائع العهود العشرة المقبلة ، قائلا :

" لقد اتبع عهد (شانغ) شريعة عهد (شيا) ، وعرفنا ما طرأ عليها من الزيادة والنقصان ، وقد اتبع عهد (تشو) شريعة عهد (شانغ) ، وعرفنا ما طرأ عليها من الزيادة والنقصان ، والذي سيأتي بعد عهد (تشو) ، يمكننا أن نعرفها ولو كانت بعد مائة عهد ". [٣]

---

[١] أنظر: الباب الثاني ، الفصل الثالث .

[٢] أنظر : الباب الأول الفصل الأول .

[٣] كتاب الحوار ، الفصل الثاني ، الحوار رقم ٢٣ .

وقال أيضاً: " لقد اتبع عهد (تشو) شرائع العهدين السابقين مع الزيادة والنقصان ، فما أزهر ثقافته ! وأنا تابع لشريعة (تشو) " [١] .

لقد أثبت كونفوشيوس بهذين الحوارين أنه كانت هناك شريعة يتبعها كل عهد من هذه العهود الثلاثة ، وأن أصل شريعة كل عهد واحد لم يتغير ، ولكن كانت هناك زيادة ونقصان على الشريعة في كل عهد ، وأن شريعة عهد (تشو) هي أزهر الشرائع ، وأنه يعتبر نفسه تابعا لشريعة (تشو) .

٢- شريعة تشو

حفظت السجلات التاريخية الصينية القديمة ، معلومات تفيد بأن (تشو قونغ) [٢] هو الذي وضع ونظّم شريعة (تشو) التي كان يعظمها كونفوشيوس ، ويعمل بها بكل إخلاص ويدعو إلى التمسك بها ، وبرغم أن (تشو قونغ) عاش قبل كونفوشيوس بعدة قرون ، فقد كانت الصين تبجله على أنه مؤسس التقاليد " الكونفوشيوسية " ، بل كان بعض الصينيين يعتبرونه أسمى مرتبة من كونفوشيوس ولم يكن مرد هذا لشخصيته فحسب ، بل أيضا لأنه ، في حرارة الأحداث المضطربة التي اشترك فيها ، تشكلت آراء معينة كانت لها أهميتها الكبرى في التفكير الصيني من ذلك الوقت . . [٣]

أما الشريعة التي جاء بها في عهد أسرة (تشو) فكانت تشتمل على خمسة أقسام ، وفق ما سجل في سفر الشريعة :

القسم الأول: قسم التبركات ، وهي عبارة عن الشعائر والطقوس والعبادات الدينية التي تكون عند تقديم القرابين للإله السماوي والملائكة وأرواح السلف .

---

[١] كتاب الحوار ، الفصل الثالث ، الحوار رقم ١٤ .

[٢] (تشو قونغ): كان يعيش في بداية عهد (تشو)،(بدأ في القرن الحادي عشر ق . م) ، يعتبر من الأنبياء الملوك القدامى في الكونفشيوسية وقد كان أخا شقيقا للعاهل الثاني من أسرة (تشو) الملكية (تشو وو وانغ) ، وقد مات هذا العاهل وابنه ما زال صغيرا لا يصلح للحكم على البلد ، فتسلم (تشو قونغ) السلطة من ابن أخيه وحكم البلد بالنيابة عنه حتى أصبح كبيرا فرد إليه السلطة ، ويحكى أنه كان واضعا لشريعة (تشو) وناظما للموسيقى ، وقد سجلت أقواله وأعماله في سفر التاريخ وسفر الشريعة (المعجم المحيط الصيني ، ص ٢٠٠) وقد كان كونفشيوس يعظمه ، ويرى أنه وراث له حتى قال يوماً : " اشتدت المصيبة ! ولقد عجزت ! لقد مضى من الزمن طويلا لم أكن أرى (تشو قونغ) في منامي (كتاب الحوار، الفصل السابع ،الحوار رقم ٥)

انظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ١٦ .

[٣] - الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج – هـ - ج - كريل – ت: عبدا لحليم سليم – ص ٢٥ . وأنظر: فلاسفة إنسانيون - كارل ياسبرز - ترجمة د/ عادل العوا – ص ١٢٢ .

والقسم الثاني: قسم المصيبات ، وهي عبارة عن المراسم المتعلقة بتشييع الجنائز والرثـاء عند نزول المصائب .

والقسم الثالث: قسم الجنديات ، وهي عبارة عن المراسم والآداب المتعلقة بالجيش والحرب ، مثل عرض القوات المسلحة وطلب المعونة من " تيان " للنصر ، ومعاملة الأسرى .

القسم الرابع: قسم الضيافات ، وهي عبارة عـن المراسـم والآداب المتعلقـة باللقـاءات الرسمية بين الأمراء والوزراء ، للميثاق ، وتعيين الموظفين ، وغير ذلك .

القسم الخامس: قسم المرغوبات ، وهي عبارة عن المراسـم والآداب اليوميـة المتعلقـة بكل فرد عند الفرح والسعادة ، مثل الزواج ولبس الطاقية عند بلـوغ الرجـل والجلـوس على المائدة ، وتبادل التهاني .

قال الأستاذ ما جشونغ بعد ما شرح الملامح العامة لشريعة (تشو) معلقا عليهـا " نعرف من هنا أن ما يسمى بالشريعة في الزمن القديم هي: قواعـد الحيـاة الاجتماعيـة العامة ، حول المراسم والطقوس المتعلقة بتقديم القرابين ، وهذه الشريعة تـشتمل فـي مفهومها الواسع كل ما يتعلق بالإنسان من أصول تنظيم الدولة حتـى قـوانين الـسلوك ، والمعاملة اليومية ، والمبادئ الأخلاقية ، وروح الأخلاق الفاضلة تتخللها بداية ونهاية "[١] .

وعلى هذا فشريعة (تشو) ليست منزلة من السماء ، بل وضعها (تشو قونغ) على أساس الفطرة الإنسانية كما يزعمون . ولهذا السبب أمتدحها كونفوشيوس حيث قال: " فما أزهر ثقافته ! وأنا تابع لشريعة (تشو) "[٢] .

مصدر شريعة (تشو)

بعد أن ذكرنا الملامح العامة لشريعة (تشو) ، لابد أن نشير إلى نقطة مهمة، وهي : من أين جاءت هذه الشريعة ؟ تقول الكونفوشيوسية أن هذه الشريعة ليست منزلة من عند الإله السماوي ، بل هي من وضع الأنبياء الملوك القدامى ، وبـالأخص (تـشو قونـغ) ، على الرغم من وجود بعض النصوص في سفر القصائد التـي تـدل علـى أن الحـاكم

---

[١] الخطوط الفكرية العريضة لحكماء الصين - الأستاذ : ما جشونغ - ص ٤٦٥ .
عن : كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ١٧ .

[٢] كتاب الحوار ، الفصل الثالث ، الحوار رقم ١٤ .

السماوي الأعلى " شانغ دي " - وهو اسم آخر للإله السماوي - كان يكلم الأنبياء الملوك القدامى مثل (تشو) و(وون وانغ) . " قال " دي " (أي شانغ دي) للملك (وون وانغ) : عليك أن تحتضن الأخلاق المشرفة ،
ولا تتكلم بصوت مرتفع لتظهر هيبتك " [1] .

على هذا ، فإن شريعة (تشو) ليست شريعة منزلة من عند ا تعالى ، مثل الشرائع السماوية المنزلة بالوحي ، بل هي كما تقول الكونفوشيوسية من وضع الأنبياء الملوك .

٣- انحطاط شريعة (تشو) وقيام الكونفوشيوسية :

كانت فترة الربيع والخريف أكثر الفترات ازدهارا في الفلسفة والفكر في التاريخ الصيني ، مع أنها فترة فوضى سياسية وانحطاط ثقافي ، وتفكك اجتماعي،لا مثيل له في التاريخ ، وقد برزت في هذه الفترة عدد كبير من المذاهب ، وقد اشتهرت هذه الفترة بين الصينيين بما يسمونه بفترة " باي جا جشينغ مين" أي التنافس بين مائة مذهب ، وكان أهمها أربعة مذاهب رئيسة تتسم بالأهمية التاريخية، والاستقلالية الفلسفية ، وهي: الكونفوشيوسية ، والطاوية ، والقانونية ، ومذهب (مه تس) [2].

وقد نشأت هذه المذاهب أو المدارس المتعددة في هذه الفترة بالذات ؛ بسبب انحطاط شريعة (تشو) - بعد ازدهارها لمدة خمسة قرون تقريباً ، منذ وضعها (تشو قونغ) إلى هذه الفترة - فلما طرأ عليها الانحطاط ، وفقدت حيويتها الأولى في فترة الربيع والخريف ، أصبحت المشكلة المطروحة أمام الحكماء والمفكرين هي : تحديد الموقف الحكيم الذي يجب أن يتخذ تجاه هذه الشريعة القديمة ؛ ومن هنا ظهرت المذاهب ، فكل له وجهة نظره الخاصة تجاهها ، فمن قائل بالإثبات والتجديد ، وهذا هو موقف الكونفوشيوسية ، حيث بنت نظرية المعرفة الكبرى على أساس هذا الموقف ، ومن قائل بالنفي والترك ، وانه يجب على ذوي الحكمة ترك المعرفة ، والأخلاق والنظم ، والاشتغال بالزهد ، وعدم المبالاة بما يحدث في الخارج ، وهذا هو

---

[1] سفر القصائد ، القسم الثاني (دايا) ، الفصل (هوانغ أي) .

[2] (مه تس) : ولد سنة ٤٦٨ ق . م تقريباً – وتوفي سنة ٣٧٦ ق . م تقريبا ، مؤسس مذهب مه تس ، فيلسوف وسياسي مخالف للكونفوشيوسية (المعجم المحيط الصيني ص ٢٠٦٩)

موقف الطاوية ، ومن قائل بالتبديل والتغيير ، وهذا هو موقف القانونية ، ومن داع إلى إلغائها والرجوع إلى ما قبلها من الشرائع ، وهذا هو موقف مذهب (مه تس) . [1]

وبهذا نصل إلى معرفة الجذور التي بدأت منها الكونفوشيوسية ، في تأسيس ديانتها التي كان لها أثرها الكبير ، ليس على الصين فحسب ، بل وغيرها من دول الجوار ، على مر العصور . .

٤- تأثر كونفوشيوس بالديانة الملكية لأسرة (تشو)

في عام ٢٠٢٧ ق . م خلفت أسرة (تشو) أسرة (شانج) ، وحكم القصر الملكي لأسرة تشو حتى عام ٧٧١ ق. م بوصفهم " الملوك – الكهنة " ، وظلوا يسيطرون سيطرة تامة على الصين طوال هذه الفترة . وكان للديانة الملكية لأسرة تشو ، أهمية خاصة ، لدى كونفوشيوس ، حث نظر إلى هذه الحقبة على أنها العصر الذهبي ، وقد استشهد ببعض وثائقها باعتبارها شواهد قديمة ، وبذلك ضمت إلى الشريعة الكونفوشيوسية ، وأدخلت كثير من عناصر ديانة " أسرة تشو " الملكية إلى العقيدة الكونفوشيوسية .

فقد أمدت توجيهات ملوك أسرة تشو ، وترنيمات كهنتهم الدينية أثناء تأدية الطقوس – أمدت كونفوشيوس " بوثائق الماضي العتيق " كما أيدت أفكاره السياسية والدينية بسلطات قديمة ، فأصبحت أفكار معينة من الديانة الملكية لأسرة تشو ، معتقدات دينية أساسية عند كونفوشيوس ، وفي الدولة الكونفوشيوسية التي جاءت بعد ذلك .

ومن هذه الأفكار الأساسية فكرة " الموجود الأسمى " (تشانج – تي) أو " ا في الأعالي " وفكرة الملك الذي تقلده السماء نائباً أو مفوضاً عنها (تكليف السماء) ، وفكرة أن السماء تسحب تفويضها من الأشرار وتوافق على خلع الأسرة الحاكمة عندما تنضب فضائلها ، وتبرر إحلال أسرة أخرى محلها بأنها " مقبولة من السماء " . ولقد أدت مركزية الأسلاف من الملوك في مجتمع الآلهة الملكي ، كما أدت عبادتهم وتقديم القرابين إليهم في الديانة الملكية – إلى مركزية الأسلاف في الممارسات الدينية التالية ، كذلك أصبح إجلال الأموات الأقوياء ، والتضرع " للمانا " عندهم من أجل الإبقاء على حياة العشيرة ، جزءاً من العادات الاجتماعية للصينيين ، كما أصبح ولاء الأبناء للأسرة أحد تعاليم

---

[1] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ٥٧ – ٥٨ بتصرف .

كونفوشيوس المركزية ،وقد أضفى كونفوشيوس الوازع الأخلاقـي علـى الكثيـر مـن الممارسات
الدينية المبكرة . . . [1]

٥- تمسك كونفوشيوس بالتراث :

كان كونفوشيوس شديد التعلق بحب التراث الصيني القديم (كما مر معنا سـابقاً) ، وكان هذا التراث ، المدون في الأسفار الخمسة القديمة ، يمثل الموضوعات التي تدرس داخل المدارس الحكومية آنذاك والذي كان يمثـل أيـضاً مـادة خـصبة لكونفوشـيوس يستخدمها بعد إعادة بنائها كموضوعات تعليمية .

وقد ذكر تمسكه بالتراث في كثير من أقواله ، منها : (إنما أنا ناقل وليست مبدعا ، أنا شديد الإخلاص والولع بما هو قديم ، من أجل هذا فأنا أغـامر حينمـا أضـع نفـسي موضع مقارنة مع أجدادنا) ، لقد جسد كونفوشيوس بشكل واضح موقفه تجاه التراث ، كما سعى لجعل هذا التراث مادة مرنة يكيفها طبقا لمتطلبات المجتمع ، وبذلك جعل منه الإطار العام الذي يسترشد به .[2]

كما وجه كونفوشيوس تلاميذه بضرورة تعلم الفنون الستة التـي يحويهـا التـراث القديم والتي ستؤهلهم للحصول على مرتبة أسمى داخل المجتمع وهـي : الطقـوس ، والموسيقى ، والرماية ، وسباق العربات ، والتاريخ ، والرياضة ، وهو يرى أنهـا - جميعـا - من الموضوعات التي تعد ذات قيمة عملية عظيمة في التربية.

وهذا يبين لنا مدى تمسك كونفوشيوس بالتراث الصيني القديم وأثر هذا التراث في البدايات الأولى للكونفوشيوسية .

---

[1] المعتقدات الدينية لدى الشعوب – جفري بارندر – ت: د/ إمام عبد الفتاح - ٣٠٨ و ٣١٣ .

[2] فلسفة السياسة – د/ هالة أبو الفتوح – ص ١٢٩ .

٦- ارتباط الفلسفة بالدين

الفلسفة في الصين لم تنفصل عن الدين ، ولم تنأ عنه مع أن الدين كان قائما على الإشراك ، والفلسفة قائمة على الأخلاق القويمة ، ومع ذلك تلاقيا وسار التدين مع الفلسفة ، وذلك أن الفلسفة الصينية قامت على تنظيم السلوك الإنساني، وإصلاح الأخـلاق العمليـة ، وهنا التقت بدينهم من ناحية ما يدعون إليه من حـسن المعاملـة بـين النـاس ، فاتخـذوا الأخلاق الفاضلة مذهبا في السلوك القويم ، ودينا تدعو إليه الآلهة في زعمهم ، فكـان للأخلاق دعامتان :

١- الفلسفة والعقل والمنطق .

٢- أنها قامت على دينهم .

وبهذا تقاربت فلسفتهم ودينهم على إقامة بنيان قوى من الأخلاق ، وسـلوك الناس ، وإن كان دينهم في عقائده وأسسه ليس شـيئا مـذكورا ، ولا يمـت إلـى الحـق والمنطق بنسب ، ولا يتصل به بسبب . وقد كان المزج المحكم بين فلسفة خلقية قديمـة ودين ليس له أصل قويم ومنطق مـستقيم علـى أتـم وضـوح فـي الكونفوشيوسـية وصاحبها كونفوشيوس .[١]

٧- هل الكونفوشيوسية دين

بعد أن عرفنا كيف نشأت الكونفوشيوسية وعرفنـا أفكارهـا ومعتقـداتها ، هـل نستطيع أن نقول أنها دين ، أم أنها منهج أخلاقي أو أسلوب من أساليب الحياة كما يقـول البعض . . ؟

تعددت الآراء حول هذا الموضوع ، ولعل أهمها ثلاثة ، نذكرها إجمالاً لتتـضح لنـا نقطة الخلاف ، ثم نخرج برأي محدد واضح حول هذه القضية ، وهذه الآراء هي:

١- الرأي الأول: قالوا إن الكونفوشيوسية مجرد فلسفة أخلاقية تـدعو إلـى التخلـق بالأخلاق الفاضلة ، والتخلي عن رذائل الأخلاق ، ولا توجد فيهـا العناصـر الدينيـة الرئيـسة الكافية التي تجعلها دينا مستقلا قائماً بنفسه ، وذهب بعض أصحاب هذا الرأي إلى القول بأن كونفوشيوس لم يكن يؤمن بالإله السماوي ، والملائكة ، والأرواح إيمانا صادقاً جازمـا ، وأنه كان متناقضا في نفسه حول العقيدة في " تيان " فضلا عن أن يقيم دينا من الأديان

---

[١] الديانات القديمة - محمد أبو زهرة – ص ٦٧- ٦٨ بتصرف .

. وأكثر القائلين بهذه النظرية هم العلماء الصينيون الملحدون الذين اعتنقوا النظرية الماركسية المادية ، والذين نشئوا في جو فكري يشوبه الضغط والتشدد بعد الثورة الشيوعية في سنة ١٩٤٩م ، ويبدو أن هذا النوع من الجو الفكري الخاص قد أثر على تفكيرهم ، وبالأخص في فترة الثورة الثقافية التي سعت للقضاء على ثقافة الصين القديمة ، وأشهر القائلين بهذه النظرية في العالم هو الأستاذ (فون يو لان) الذي نال شهرته بمؤلفاته الكثيرة ، وخصوصاً كتاب (التاريخ المختصر لفلسفة الصين) الذي طبع عام ١٩٤٨م .

٢- **الرأي الثاني**: قالوا إن الكونفشيوسية تنقصها بعض العناصر الدينية المهمة مثل وجود الكتب الدينية المقدسة الخالصة ، وطبقة من رجال الدين المختصين بإقامة الشعائر الدينية والطقوس والعبادات المنظمة ، وطبقة العامة من الأتباع المتحمسين... الخ ، على الرغم من وجود بعض العناصر الدينية المهمة الأخرى ، مثل : العقيدة في الإله السماوي الخالق " تيان " والوحدة بين " تيان " والإنسان " ، وعبادة " تيان " عن طريق تقديم القرابين . . الخ ، ويقولون أنها دين لكنه ناقص وغير منظم ، فكأنهم بذلك يذهبون إلى أن الكونفوشيوسية شبه دين ، وليست دينا كاملا مستقلا قائما بنفسه .

وأكثر القائلين بهذا الرأي هم : العلماء الغربيون الباحثون في علم مقارنة الأديان ، وقد قال احدهم: " لا يمكن أن تعرف الكونفوشيوسية المحدثة بتعريفات تدل على أنها دين منظم ذو بنايات عضوية ، فهي لا تملك رجال الدين الرسميين ، والعامة من الأتباع ، والنصوص الدينية المقدسة أو الطقوس الدينية [١].

٣- **الرأي الثالث**: قالوا إن الكونفوشيوسية دين مستقل قائم بنفسه ، وهي دين أصيل للشعب الصيني منذ القدم ، وهي تملك أهم العناصر الدينية ، مثل العقيدة في الإله السماوي الخالق ، والإيمان بالوحدة بين الإنسان و" تيان " ، وتقديس النصوص الدينية المعينة ، وهي كذلك تملك بعض الطقوس والشعائر الدينية ، مثل: تقديم العاهل الصيني القرابين للإله السماوي سنويا نيابة عن جميع الشعب الصيني ، كشعيرة تعبدية ، كما أنها تعظم الأنبياء الملوك الأقدمين ، وكونفوشيوس نفسه ، وغيره ممن جاء بعده ، كانوا يقومون بزيارة قبورهم وبناء المعابد عندها، . . وما إلى ذلك من الأدلة التي يستدلون بها على أن الكونفوشيوسية دينا مستقلا قائما بنفسه .

---

[١] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس - ص ٩-١٠ بتصرف .

وأصحاب هذه الرأي يقولون: أن لكل دين خصائصه التي يتميز بها عن غيره من الأديان ، ولا يصح أن ننظر إلى كل دين بمعيار التعريف الغربي للدين ، والكونفوشيوسية قد لا تملك بعض العناصر الدينية الموجودة في الأديان الأخرى ، ولكن هذا لا يقدح في كون الكونفوشيوسية دينا . وأكثر القائلين بهذا الرأي هم: العلماء الكونفوشيوسيون الذين يعيشون خارج الصين الشيوعية ، في تايوان ، وهونغ كونغ ، وسنغافورة ، وغيرها ، وهم الذين اشتهروا بأصحاب الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة في القرن الماضي ، وهم يرون أنهم يحافظون على التراث الكونفوشيوسي ، وأنهم الوارثون للأصالة الكونفوشيوسية والثقافة الصينية . وأشهر العلماء المتمسكين بهذه الرأي هو : الأستاذ مو زونغ سان [١] الذي ذاع صيته بسبب مؤلفاته الكثيرة ، وبالأخص كتابه الذي أسماه (الذات القلبية والذات الفطرية) ، وقد طبع في ثلاثة مجلدات عام ١٩٦٨م . وقد دافع عن دينية الكونفوشيوسية في محاضرة مشهورة ألقاها تحت عنوان الكونفوشيوسية كدين [٢]، وقد طبعت هذه المحاضرة في كتاب خصائص الفلسفة الصينية ، ومما قال : " إن المكانة التي تتمتع بها الكونفوشيوسية في الثقافة الصينية مثل المكانة التي تتمتع بها المسيحية في الثقافة الغربية ، فالمسيحية هي عروق المبادئ العليا التي تحافظ على الثقافة الغربية ، وعلى هذا المعنى نقول: إن دينية الكونفوشيوسية تحمل معان بعيدة المدى " [٣] .

ويمكن تلخيص رأي الأستاذ (مو زونغ سان) في دينية الكونفوشيوسية ، والرد على الآراء المخالفة ، في نقاط قال:

النقطة الأولى : كل ثقافة من ثقافات العالم لا تخلو من دين ، كقوة باطنية محركة لتلك الثقافة ، كما أننا لا نستطيع أن نفهم الثقافة الغربية من غير أن نفهم المسيحية لأنها تلعب دور القوة الباطنية المحركة للثقافة الغربية ، وكذلك لا نستطيع أن نفهم الثقافة الصينية من غير الكونفوشيوسية ، فهي كالقوة الباطنية المحركة للثقافة الصينية تلعب نفس الدور الذي تلعبه المسيحية في الثقافة الغربية ، فلا شك أنها دين مستقل كاستقلال المسيحية .

---

[١] سبق الكلام عنه في الباب لثاني الفصل الثاني ، من ضمن أبرز الشخصيات الكونفوشيوسية .

[٢] ألقاها في المعهد اللاهوتي بمدينة تاي نان في جزيرة تايوان .

[٣] تسع عشر محاضرة حول الفلسفة الصينية - مو زونغ سان - المحاضرة الثامنة - مطبعة الكتب القديمة بشانغهاي - عام ١٩٩٧م - ص ١٤٨-١٤٩ - أنظر كتاب المعرفة الكبرى ص ١١ .

النقطة الثانية : إن الدين له وظيفتان أساسيتان في حياة الإنسان : وظيفة الشريعة ، ووظيفة الطريقة ، فالشريعة تقدم المراسم والطقوس ، والعبادات الدينية ، وقوانين السلوك والأخلاق ، والمعاملات بين الناس ، وأما الطريقة فهي تقدم للإنسان هدفا روحيا أسمى ، وتأخذ بيده إلى الارتقاء الروحي ، وتفتح أمام الإنسان سبيل الحياة الروحية . والكونفوشيوسية تملك هاتين الوظيفتين معا .

النقطة الثالثة : إن الكونفوشيوسية تهتم بالأخلاق والمعاملات ، والآداب والموسيقى، والثقافة والحياة الاجتماعية ، وقد اشتملت الشريعة الكونفوشيوسية على هذه الأشياء كلها ، وجعلت الحياة الروحية في داخل هيكل الشريعة ، بخلاف المسيحية والبوذية ، فهما قد جعلتا الحياة الروحية منفصلة عن الحياة الاجتماعية ، فوضعتا نظاما خاصا من الطقوس والعبادات الدينية الفردية الملزمة لكل الأتباع . . .

النقطة الرابعة : تتمثل في طريقة الحياة الروحية الكونفوشيوسية في مفهوم الرحمة (رين) ومفهوم العلاقة بين الفطرة الإنسانية والطريقة السماوية ، أي : الوحدة بين " تيان " والإنسان .

النقطة الخامسة : إن كثيرا من الناس يقولون إن المسيحية قائمة على الإله والكونفوشيوسية قائمة على الإنسان ، وهذا ليس بصحيح ، الحق أن الكونفوشيوسية قائمة على نظرية الوحدة بين " يتان " والإنسان ، وهذه هي نقطة التركيز التي تؤكدها الكونفوشيوسية تأكيدا شديدا ، فهي ترى أن من أخلص قلبه فسيعرف فطرته ، ومن عرف فطرته عرف " تيان " ، فهي لا تجعل الإله مركزا كليا لدينها مثل المسيحية ، بل تجعل تركيزها على كيفية الوصول إلى الأخلاق السماوية بواسطة تكميل الأخلاق الفاضلة ، وهذه الميزة الخاصة جعلت كثيرا من الناس يظنون أن الكونفوشيوسية لا تبالي بالإله ، والحقيقة خلاف ذلك .

النقطة السادسة : إن فكرة الوحي موجودة في الكونفوشيوسية من قديم الزمان ، ولكنها لم تركز عليها في كيانها الديني ، بل تهتم بالفطرة الإنسانية الخيرة ، والعمل بمقتضاها للوصول إلى الأخلاق السماوية ، والدخول في الوحدة بينهما.[١]

---

[١] خصائص الفلسفة الصينية - الأستاذ : مو زونغ سان - الطبعة الثانية - مطبعة الكتب القديمة بشانغهاي – عام ١٩٩٨م ، ص ٩٣- ١٠٦ .
أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ١٧ – ١٩ .

هذه أبرز النقاط التي أكد عليها الأستاذ المذكور في محاضرته ، وليس بالضرورة أن نوافق الأستاذ (مو زونغ سان) على كل ما قاله ، ولكن الذي نريد أن نصل إليه هـو أن الكونفوشيوسية ليست مجرد فلسفة أخلاقية كما يزعم البعض ، بل هي ديـن مـستقل قائم بنفسه له خصائصه التي تميزه عن غيره من الأديان .

كما أن أكثر علماء المسلمين في الصين ، والذين لهم اهتمام بعلم مقارنـة الأديـان ، يعدون الكونفوشيوسية دينا من الأديان ، وقد قام بعضهم بالمقارنة بينهـا وبـين الأديـان الأخرى ، وقام البعض الآخر بدراسة بعض أفكارها ومناقـشتها علـى ضـوء عقيـدتهم الإسلامية .[٢]

والواقع أن الكونفوشيوسية هي الآن وفي السابق ، دين من الأديان ، فقـد كـان كونفوشيوس ذاته رجل دين ، وقد تمثّلت فيه جميع العقائد الـصينية القديمـة . وقـد كان أتباعه ومريدوه رجال دين بكل مـا تحملـه هـذه الكلمـة مـن معنـى ، بـل إن الكونفوشيوسية كلما تقدم بها الزمن أمعنت في التدين ، ومهما يكـن مـن الأمـر فـإن الكونفوشيوسية – سواء أكانت فلسفة أم مذهباً خلقياً أم ديناً – فإنها قـد أدت جميـع الوظائف التي يمكن أن يؤديها أي دين من الأديان الوضعية .[٣]

وأحسب أن ما اشتملت عليه أبواب وفصول هذه الرسالة ، يدل دلالة واضحة علـى دينيـة الكونفوشيوسية . .

---

[٢] كما مر معنا سابقا في الكلام عن نظرية المعرفة الكبرى لدى الكونفوشيوسية . وإن كانت هذه المحاولات قليلة جدا .

[٣] الحكماء الثلاثة – أحمد الشنتناوي – ص ١٠٩ بتصرف .

الفصل الخامس

حاضر الكونفوشيوسية

وفيه :

الكونفوشيوسية في العصر الحديث

١- بداية العودة

٢- الكونفوشيوسية والثورة الصينية (١٩١١م)

٣- الكونفوشيوسية والشيوعية

٤- الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة

٥- التحديث الصيني انطلاقاً من الكونفوشيوسية

٦- الكونفوشيوسية والثقافة الغربية

٧- الكونفوشيوسية والثقافة العالمية

٨- الكونفوشيوسية المعاصرة (من وجهة نظر غربية)

٩- من أبرز مظاهر العودة إلى الكونفوشيوسية

١٠- موقف أهل الصين من الكونفوشيوسية في الوقت الحاضر

الكونفوشيوسية في العصر الحديث

١- بداية العودة

كان الصينيون يعتزون بأنفسهم ويعتبرون أنهم أهل العلم والتقدم والمدنية ، وأن غيرهم من الأمم " همج " أو " رعاع " وأنهم هم وحدهم الذين لهم الأهمية على وجه الأرض ، ولهذا كان اتصالهم بالعالم الخارجي اتصالا بسيطا في حدود الاعتراف باستعلاء الصين وسيادتها .

ولما ألحق بهم الإنجليز هزيمة ساحقة في حرب الأفيون (١٨٤٠ – ١٨٤٢م) ، وانتشرت الامتيازات الأجنبية ، وظهرت في الصين القوى الأجنبية ، وأحسوا بالذلة والصغار أمام هؤلاء الأجانب عنهم ، هذا الوضع ، جعل المفكرين الصينيين يعيدون حساباتهم ويفكرون في الأساس الذي قامت عليه حضارتهم ، وأسباب هزيمتهم ، وما هو المخرج مما وقع بهم ؟

فظن البعض أن الأمر يرجع إلى أن التراث القديم قد غدا فاسدا ، وأنه بحاجة إلى الإصلاح ، وذهب آخرون إلى القول بأن التطلع إلى الماضي بحثا عن حلول لمشكلات معاصرة هو في حد ذاته جذر المشكلة .[١]

إذن أين يكمن المخرج من هذه الأزمة ؟

حاول الصينيون أن يجيبوا على هذا التساؤل بثلاثة أساليب :

أ- فقد أصر البعض على أن الأنماط التقليدية الصينية للحياة والفكر أسمى من كل ما سواها ، وأن الصينيين وجدوا أنفسهم في مشكلة لا لأنهم كانوا محافظين تماما ، بل لأنهم لم يحافظوا على المثل العليا التقليدية إذ لو أنهم حافظوا عليها لكانت الصين بالغة القوة ، ولتخلصت من مشاكلها .

ب- فريق آخر مع إيمانهم بأن الثقافة الصينية تعد أهم أساس لتطوير الصين ، لكن كانوا يودون تعديلها كي تتمشى مع ظروف العالم الحديث وأن يأخذوا بتلك الفنون الغربية التي ظهرت فائدتها .

ج- وفريق ثالث أصر على أن النمط التقليدي الكامل في الصين ، للتنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي ،لا يتمشى مع عالم اليوم ، وأن كل أسلوب الحياة والفكر يجب أن يتبدل "[٢] .

---

[١] الفكر الشرقي القديم ، جون كولر - ت: كامل يوسف حسين - ص ٤٢٥ .

[٢] الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسى - تونج – هـ - ج - كريل – ت: عبدا لحليم سليم - ص ٣٤٣.

ومع استمرار الحوار ، والجدال ، بقي الحال هو الحال وتكررت الهزيمة مرة أخرى أمام اليابان عام ١٨٩٥م ، ووقعت الصين معاهدة سلام مع اليابـان ، وتكـرر الاحتجـاج ، والتمرد والاعتراض ، فقام "كانج - يو - وى" (١٨٥٨-١٩٢٧م) بتنظيم الـشباب المثقفـين من اثنتي عشرة مقاطعة للاحتجاج على معاهدة السلام مع اليابان، واقنـع الإمبراطـور بالانهماك في الإصلاح بدلا من التسليم بالمطالب اليابانية ونجح في ذلك وقـام الإمبراطـور بإصدار سلسلة من المراسيم التي تقضى بإجراء إصلاحات واسعة النطاق في العام ١٨٩٨م . إلا أن الإمبراطورة " دواجر " عارضت هذه الإصلاحات ودفعت الإمبراطـور إلـى التخلـي عنها بعد ثلاثة أشهر ، وهرب كانج من الصين ، ولما عاد في عام ١٩١٢م دعا إلى تبنى الكونفوشيوسية كديانة للدولة ، وبعد ثلاث سنوات شارك في المحاولة الفاشـلة لإعـادة الإمبراطور المخلوع "هسوان– تونج" وقد قضى حياته بأسـرها فـي محاولـة وضـع المبادئ الكونفوشيوسية موضع التطبيق[1]

٢– الكونفوشيوسية والثورة الصينية (١٩١١م)

عندما اندلعت الثورة الـصينية عـام ١٩١١م ، جـرت عـدة محـاولات لتحويـل الكونفوشيوسية إلى دين رسمي للدولة ، وفي هذا الإطار ، حاول بعض المفكرين الترويج لنظرية مؤداها أن الكونفوشيوسية لا تتعارض مع الحداثة والتقدم ، ولكن مـع تأسـيس الجمهورية بعد هذه الثورة ، منحت الدولة الحرية الدينية للجميـع ، وهكـذا أخفقـت محاولة جعل الكونفوشيوسية دين الدولة الرسمي .

ومن الحركات السياسية القوية آنذاك " الحزب الـوطني " الـذي كـان ذا نظـرة علمانية ، لكن مبادئه عكست المثـل الكونفوشيوسـية ، مثـل إكـرام الوالـدين والطاعـة والمحبة والسلام وفي العام ١٩٣٤م أعلن الزعيم (تـشيانغ كـاي شـيك) عـن ولادة " حركة الحياة الجديدة " وحتى بعـد تحـول تـشيانغ إلـى النـصرانية ، ظلـت العناصـر الكونفوشيوسية قوية جداً في فكره ، وأعلنت حركته أنها قائمة على أربعة مبـادئ أساسية ، هي : اللياقة ، والعدالة ، وسلامة الشخـصية وتماسـكها ، والتواضـع واحتـرام الذات .

وفي العام ١٩٣٧م أقامت الحكومة الصينية هيكلاً في (بكين) لـيس مكرسـاً لدين معين ، لكنه مكرس للفكرة القومية ، ورفعت في أعلى مكان منه لوحة تحوى

---

[1] الفكر الشرقي القديم – جون كولر – ت: كامل يوسف حسين – ص ٤٢٦ .
أنظر: الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٦٩ – ١٧٠ .
والصين بعيون مصرية – د/ محمد نعمان جلال – ص ٩٥ .

حكماً لكونفوشيوس ، وتحتها تمثال رخام نصفي لمؤسس الصين الحديثة صن يات سين ، كما وضعت لوحات تمثل " آباء الحضارة الحديثة " مثل نيوتن وباستور وغاليليو وجيمس واط وبنجامين فرانكلين ، ومعنى هذا أن نهضة الصين تقوم على المزاوجة بين العلوم الكلاسيكية القديمة والعلوم الغربية الحديثة . (١)

كما عمل بعض المفكرين على سلب سلطان الكونفوشيوسية ووجهوا لها الانتقادات ، ومن أبرز هؤلاء الفيلسوف الليبرالي (هوشي) الذي أدخل المذهب البراجماتي في الصين ، والفيلسوف (لي داجاو) (١٨٨٩ -١٩٢٧م) الذي قاد حملة مناهضة الكونفوشيوسية أثناء الحركة الثقافية الجديدة ، والكاتب الكبي (لوشون) (١٨٨٠ – ١٩٣٦م) الذي حمل لواء التنوير والديمقراطية في الصين الجديدة .(٢)

وبشكل رسمي أصدرت الحكومة الوطنية سنة ١٩٢٨م قراراً يقضي بتحريم تقديم القرابين إلى كونفوشيوس أو إقامة الطقوس له .

ومرة أخرى تأتي النكبة على بلاد الصين فتستولي اليابان على منشوريا ومرة أخرى تراجع الصين حساباتها فتبحث عن رمز تستلهم منه وحدتها السياسية والثقافية فاتجهت إلى كونفوشيوس ، وذهب أعضاء الحزب السياسي الديمقراطي الوطني (الكومنتانج) وكبار الموظفين إلى قبر كونفوشيوس ومعبده لإقامة الطقوس الدينية ، وأصلحت معابد كونفوشيوس في جهات الصين المختلفة واستمرت هذه الحركة البعثية للتعاليم الكونفوشيوسية حتى بعد قيام الحرب العالمية الثانية ، وحتى استطاعت الشيوعية أن تكتسح قوات الكومنتانج وتسيطر على الصين نهائيا سنة ١٩٤٩م .(٣)

---

(١) أنظر: الأديان الحية نشوؤها وتطورها – أديب صعب – ص ٩٣ .

(٢) التجربة الصينية – د/ عبد العزيز حمدي – ص ٤٣ بتصرف .

(٣) كونفوشيوس ، النبي الصيني – د/ حسن شحاته سعفان - ص ١٢٥ – ١٢٦ بتصرف .

٣- الكونفوشيوسية والشيوعية

كان اندحار القوات الوطنية أمام القوات الشيوعية اندحاراً للكونفوشيوسية حيث تلقت نكسة عظيمة على أيدي الشيوعيين الذين لم يرق لهم دفاع كونفوشيوس عن الأنظمة الملكية والإقطاعية وعن القيم القديمة ، وكان الزعيم الصيني (ماو تسي تونج)[١] يكن للكونفوشيوسية عداءاً مستحكماً وأخذ على نفسه أن يحرر الصينيين من تأثيرها .[٢] كما ظهر تيار معاد للكونفوشيوسية ومناهض لها ، ومناصر للفكر الغربي ومن أبرز أعضائه (فون يو لان) الأستاذ في جامعة بكين ، والذي شارك ، بعد إنشاء جمهورية الصين الشعبية ، في الجهود الماوية للإصلاح السياسي والأيديولوجي ، وأصبح مؤيدا متوهج الحماس لفكر ماو تسي تونج ، والناقد الصيني الرئيسي لكونفوشيوس خلال الحملة المناهضة لكونفوشيوس في أوائل السبعينات ، وفي الوقت ذاته كان مستشارا ثقافيا لزوجة ماو المعروفة باسم " شيانج شينج " وأصدقائها ، وهي المجموعة التي عرفت فيما بعد باسم " عصابة الأربعة " وبعد موت ماو بوقت قصير عام ١٩٧٦م سقطت شيانج ومجموعتها من السلطة .[٣]

وكان يعتقد البعض أن الكونفوشيوسية ستختفي عن المسرح السياسي والاجتماعي في الصين إلى الأبد ، إلا أنه في الواقع أن الشيوعية لم تقضي بحال ما على الكونفوشيوسية ، بل على العكس فقد عملت الكونفوشيوسية على تغيير معالم الشيوعية ، مما جعلها أبعد ما تكون عن الشيوعية الروسية ، وذلك لما للكونفوشيوسية من سيطرة روحية على الشعب الصيني .

فالكونفوشيوسية -كما يقولون- هي بمثابة قوة روحية هاضمة " أي تستطيع أن تهضم أية فلسفة وتحولها رويدا رويدا إلى صفها بدلا من الوقوف في وجهها . .[٤] فبالرغم من كل التغيير والتطور في المجتمعات الصينية بعد الثورة الشيوعية سنة ١٩٤٩م وانتشار الفكر الماركسي وإضافات ماو تسي تونج عليه،ظل تأثير المعتقدات الكونفوشيوسية ، سائداً في الصين بأشكال ونسب مختلفة ، رغم الثورة الثقافية التي

---

[١] ماوتسى تونج (١٨٩٣ – ١٩٧٦م) : من رجال الدولة في الصين – ترأس الحزب الشيوعي وقادة الثورة على النظام السابق حتى عام ١٩٤٩ م ، فأعلن جمهورية الصين الشعبية وكان رئيسها ١٩٥٤ – ١٩٥٩ ، خالف السوفيت في نهجه الشيوعي نادى بالثورة الثقافية . (المنجد في اللغة والإعلام ، ص ٦٣١) .

[٢] التجربة الصينية – د/ عبد العزيز حمدي – ص ٤٣ – ٤٤ بتصرف .

[٣] الفكر الشرقي القديم - جون كولر - ت: كامل يوسف حسين – ص ٤٣٧ بتصرف .

أنظر: الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٧٢ .

[٤] كونفوشيوس النبي الصيني – د/ حسن شحاته سعفان - ص ١٢٨بتصرف .

قادها ماو تسي تونج والحزب الشيوعي الصيني ، في الستينات من القرن العشرين ، ضد الفكر الكونفوشيوسي والتقاليد القديمة السائدة .

ومع ذلك ، ظلت الصين تتمسك بالأيديولوجية الكونفوشوسية للحفاظ على التراث القومي الصيني ، والطابع الفكري والسياسي للأمة الصينية ، وحماية العادات الصينية من الاندثار ، والانهيار ، وفي ظل التحولات والإصلاحات الأخيرة في الصين عادت الروح إلى تعاليم كونفوشيوس حيث اتخذت الحكومة الصينية من تلك التعاليم درعاً واقيا لمكافحة الرذائل السبع أو الرذائل الرأسمالية كما يعرفها الحزب الشيوعي الصيني وهي : الرذيلة ، الصور الإباحية ، القمار ، المخدرات، خطف الأطفال والنساء ، والاعتقاد بالخرافات الإقطاعية ، والعصابات المعروفة باسم الثالوث .

كما عاد الفيلسوف الصيني القديم كونفوشيوس يحلق في سماء الصين بعد حوالي ألفي عام ، ووصفه الرئيس الصيني " جيانغ تسي من " بأنه : " أعظم مفكر قديم في الصين وأنه لابد وأن يستفيد الشعب الصيني من تعاليمه وعمق فلسفته وهو بمثابة المصدر الذي من الممكن أن يستمد منه أشياء كثيرة [١].

ولا تزال الكونفوشيوسية تمثل الأساس الرئيسي للنظم الاجتماعية في فرموزا (الصين الوطنية) ، وكما ذكرت سابقاً ، فقد انتشرت في كوريا واليابان حيث درست في الجامعات اليابانية، وهي من الأسس الرئيسة التي تشكل الأخلاق في معظم دول شرق آسيا وجنوبها الشرقي في العصر الحديث .

كما أن المعتقدات الكونفوشيوسية موجودة في عقيدة أكثر الصينيين المعاصرين ، وهي تشكل مرتكزات الحضارة الصينية ، وهي دين مئات الملايين في الصين الذين يقاربون خمس سكان المعمورة [٢].

---

[١] جريدة الأهرام المصرية الصادرة في ١٩٩١/٧/١٣م .
أنظر: التجربة الصينية – د/ عبد العزيز حمدي – ص ٤٤ .

[٢] - من قاموس الأديان (الشنتوية –الكونفوشية) – د / أسعد السحمراني – ص ٩٢ بتصرف .

٤- الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة

قام عدد من العلماء والمفكرين في بداية القرن العشرين بالدفاع عن الثقافة الصينية بصفة عامة ، والكونفوشيوسية بصفة خاصة ، والتي كادت أن تضمحل تحت وطأة التبشير ، وانتشار الأفكار الغربية في الصين ، كما حاولوا إحياء التراث الكونفشيوسي في هذا العصر ، ولعل أشهر هؤلاء العلماء هو الأستاذ (مو زونغ سان).[١]

وأهم مميزات هذه المرحلة:

١- التمسك بالأخلاق المشرقة .

٢- الدفاع عن دينية الكونفوشيوسية .

٣- التأكيد على عقيدة الوحدة بين " تيان " والإنسان ،

٤- ضرورة الرجوع إلى روح الكونفوشيوسية الأصلية المتمثلة في تعاليم الأنبياء الملوك الأقدمين ، وبالأخص كونفشيوس نفسه ومن بعده مثل (تس سي) و(منشيوس) لإحياء الحياة العلمية ، وتجديدها حتى تتمشى مع روح العصر. وقد نشأت الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة في خارج الصين ، ولكنها نشطت داخل الصين منذ الثمانينات من القرن الماضي ، وجذبت أنظار الكثير من الصينيين إليها .

و كان ظهور الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة ردة فعل لمعاناة الصينيين مدة قرنين ، أو أكثر ، من الاستعمار الغربي سياسياً وعسكرياً وفكرياً ودينياً ، وقد شعر جماعة من علمائهم بخطر عظيم على ثقافة الصين وفلسفتها ، فعزموا على إحيائها وتجديدها بما يقتضيه نظام العصر الحديث الذي وجدوا أنفسهم يعيشون فيه ، وحاولوا أن يبرهنوا على أن الحياة العلمية والفكرية والدينية لم تفقد حيويتها في الصين ، خلافا لما زعمه المستشرقون وتلاميذهم من أهل الصين الذين تبنوا آراءهم ، وذهبت هذه الجماعة إلى أن ثقافة الصين وفلسفتها مازالت في التاريخ الصيني الطويل ، وهناك في الكونفوشيوسية من الروافد الثقافية والفلسفية والدينية الغنية ما يجعل الغرب يتعلم منها في عصرنا هذا والعصور المقبلة .

واشتهرت هذه الجماعة مع مرور الزمن بالكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة تمييزا لها عن الكونفوشيوسية المحدثة في عهد أسرتي "سونغ" و "مينغ" الإمبراطوريتين ، والكونفوشيوسية الأصلية في عهد كونفشيوس ومنشيوس . . .

وقد برز من بينهم بعض الشخصيات المؤثرة ، ومن أشهرهم الأستاذ (مو زونغ سان) والأستاذ (تانغ جيونغ يي) وقد درس هذا الأخير رأي مدرسة الحقيقة

---

[١] سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

ومدرسة القلب ، ونقد موقفهما من كتاب المعرفة الكبرى ومن نظرية المعرفة الكبرى ، وقدم رأيه الجديد وموقفه المجدد لنظرية المعرفة الكبرى ، وقد تبنى الكثير من مفكري الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة رأي الأستاذ (تانغ جيونغ يي) .

موقف الكونفوشيوسية المعاصرة من الأسفار والكتب القديمة

غيرت الكونفشيوسية المحدثة المعاصرة موقفها تجاه الأسفار والكتب المقدسة لديهم ، ويتمثل التغيير في نقطتين أساسيتين :

النقطة الأولى: أنها غيرت موقف الكونفوشيوسية المحدثة التي تهتم بالكتب الأربعة، وجعلت اهتمامها الشديد للكتب الخمسة ، وهي : كتاب الحوار ، وكتاب منشيوس ، وكتاب سنة التوسط ، وكتاب التعليقات على سفر التغيرات أي " يي جشوان " ، وكتاب المعرفة الكبرى .

ونلاحظ هنا أنها أضافت سفر التغيرات ، الذي لم يكن موجودا في قائمة الكتب الأربعة عند الكونفوشيوسية المحدثة ، إلى مجموعة الكتب التي تعظمها وتهتم بها في محاولتها لتجديد الكونفوشيوسية ، قال الأستاذ(مو زونغ سان) وهو يبين موقف الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة من الكتب الكونفوشيوسية القديمة :

" لذلك لابد لنا أن ننظر ما هي الأفكار الموجودة في كتاب الحوارات ، لأن مذهب الكونفوشيوسية بدأ من كونفوشيوس ، ثم جاء منشيوس بعد ذلك ، وما هي الأفكار الموجودة في كتاب منشيوس ؟ وما هي المسائل ؟ ثم ننظر ما هي الأفكار الموجودة في كتاب سنة التوسط ، وكتاب التعليقات على سفر التغيرات، وكتاب المعرفة الكبرى .... فالكونفوشيوسية ، وإن كنا ننظر إليها من حيث أصولها الأساسية وتعاليمها المحورية ، فهي هذه الكتب الخمسة [1] .

النقطة الثانية: أنها قدمت كتاب الحوار ، وكتاب منشيوس ، وكتاب سنة التوسط، وكتاب التعليقات على سفر التغيرات – هذه الكتب الأربعة – على كتاب المعرفة الكبرى ، هذا يعني أنها رفضت موقف الكونفوشيوسية المحدثة التي أعطت الصدارة والرئاسة لكتاب

[1] تسعة عشر محاضرة حول الفلسفة الصينية - مو زونغ سان - المحاضرة الرابعة - ص ٦٧ .
عن : كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ١٩٠ .

المعرفة الكبرى ، بل ذهبت إلى أن كتاب الحوار يجب أن يكـون أول الكتـب المقدسـة وأهمها لكونه أصح كتاب نسب إلى كونفوشيوس نفسه .[1]
وبهذا يتضح لنا موقف الكونفوشيوسية المعاصرة من الأسـفار والكتـب الكونفوشيوسـية القديمة .

٥- التحديث الصيني إنطلاقاً من الكونفوشيوسية

ويلاحظ الآن أن الصينيين يعملون على إفساح الطريق أمام تفكير التحديث الصيني انطلاقاً من المبادئ الكونفوشيوسية ، واعتبروا أن الفكر الكونفوشيوسي لم يكن عقبة فكرية تعرقل سبيل التحديث ، بل تعد القوة الدافعة لها أيضاً . ويسعى المجتمع الصيني الحديث ، والمفكرون الصينيون في العصر الحاضر ، إلى العودة إلى أصل الكونفوشيوسية ويعتبرون طريق " الأخلاق والحكمة في داخل الإنسان والمنجزات في الخارج " الروح الحقيقية للفكر الكونفوشيوسي في العصر الحاضر ، ويستمسكون دائماً بوجهة النظر القائلة " بالعودة إلى الأصل " في الثقافية الصينية ، والتحديث هو تحديث الثقافة الصينية ، وليس استخدام الثقافة الغربية لتحل محل الثقافة الصينية ، ولا يرفضون الثقافة الغربية رفضاً كاملاً ، ولكنهم ملتزمون بالثقافة الصينية التقليدية ، ويستخدمون معيار قيم الثقافة الصينية التقليدية لمعرفة الثقافة الغربية والحكم عليها واختيارها ، إنهم يدرسون " الغرب " من خلال " الصين " [٢].

ومع صراع الفكر الكونفوشيوسي مع الفكر الغربي ، أصر الصينيون على بعث المذهب الكونفوشيوسي واعتبروه أنسب الفلسفات للصين في عالم حديث محب للحرية بوصفها فلسفة ديناميكية للحياة واستندوا إلى قول " كونفوشيوس " أولوا الحزم والقوة وشدة المراس هم الأقرب إلى " جين " ، واستعادت الكونفوشيوسية مكانتها في العصر الحديث في الصين وخارجها .[٣]

٦- الكونفوشيوسية والثقافة الغربية

---

[1] أنظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ١٨٨- ١٩٠ .

[٢] الصينيون المعاصرون - وو بن - ت: د/ عبد العزيز حمدي - الجزء الأول – ص ٢٥٢، ٢٥٣ .

[٣] فلسفة القرن العشرين – داجوبرت ود/ رونز – ت/ عثمان نوية - ص ٣٥٢ بتصرف .
أنظر: الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ١٨٦ .

ويرى الكونفوشيوسيون المعاصرون أنه يجب على المجتمع الغربي أن يتعلم من المجتمع الشرقي ، وأن يستوعب التنوير المفيد في الثقافة الكونفوشيوسية للتغلب على التناقضات والأزمات المتعددة التي ظهرت في عملية تحديث المجتمع الغربي ، وذكر الكونفوشيوسيون الجدد أن الأشياء التي يجب على الغربيين تعلمها من الثقافة الشرقية هي :

١- روح " الحاضر " ، و " سعة الصدر والصبر " .
٢- الحكمة الدقيقة والخارقة للطبيعة .
٣- المشاعر الرقيقة العاطفية أو مشاعر الشفقة والآلام .
٤- استيعاب الحكمة التي تخلد الثقافة .
٥- مشاعر أن العالم عبارة عن أسرة واحدة .

وهذه - حسب رأيهم - أبرز جوانب تفوق الثقافة الصينية على الثقافة الغربية . والحضارة الغربية في العصر الحديث " تتجه نحو التهدم يوما بعد يوم " ، ولا يوجد سوي دراسة حكمة الثقافة الصينية حتى تستطيع التغلب على المساوئ المتعددة أملا في مستقبل الثقافة .

٧- الكونفوشيوسية والثقافة العالمية

ويقولون إن الثقافة الكونفوشيوسية لا تتحمل مسؤولية الثقافة الصينية الحديثة فحسب ، بل تتحمل مسؤولية الثقافة العالمية أيضا . وكما أشار (وي جينغ تونغ) بصورة جادة إلى أنه حسب الاستنتاج النهائي للكونفوشيوسيين الجدد: " أن مستقبل الثقافة العالمية سيكون في (تعميم تيار العلم الكونفوشيوسي الثالث) ، وفي عبارة أخرى أن ثقافة البشرية المستقبلية ستكون الفكر الكونفوشيوسي + الديمقراطية + العلوم " . [١]

---

(١) انتكاسة الكونفوشيوسية الحديثة وأحياؤها –وي جنغ تونغ - أنظر : " الكونفوشيوسية الجديدة في العصر الحديث " مكتبة سان ليانغ ، طبعة عام ١٩٨٩م ، ص ١٣٣ .
أنظر: الصينيون المعاصرون - وو بن - ت: د/ عبد العزيز حمدي - الجزء الأول – ص ٢٥٥ .

وفيما يبدو أن الكونفوشيوسيين الجدد يريدون تأسيس " المملكة السماوية الثقافية " ، ويؤمنون إيمانا راسخا بأن " الفكر الإنساني الذي على نمط المذهب الكونفوشيوسي إذا استطاع نقل الديمقراطية والعلوم الغربية أو التوافق معها واستيعابها ، فإنه لا يستطيع إنقاذ التهدم الذاتي الغربي فحسب ، بل يكفي ليصبح أسمى المبادئ لتقدم الحياة الثقافية أيضاً . بالإضافة إلى أنه يحدد اتجاها جديدا للبشرية " [١] .

ويعد " الكونفوشيوسيون الجدد " ظاهرة ثقافية خاصة ، ولهم أسلوبهم الخاص في الاستجابة للتحديث في القرن العشرين ، فذكروا: إنهم يواجهون معارضة " ٤ مايو " الكاملة للتقاليد ، ويتقدمون باقتراح تقييم الثقافة الصينية التقليدية من جديد ، وتذكير الناس بعدم نسيان تقاليدهم ، إنهم يصرون على معارضة التغريب معارضة شاملة ، وربما يقيدون بقوة منظري " التغريب " في طريق التحديث الصيني ، ويشجعون السير على درب دمج الثقافتين الصينية والغربية ، وظل ذلك بمنزله التفكير والاهتمام اللذين يتسمان بالقيم التنويرية للمهمة التاريخية في إعادة بناء الثقافة الصينية الحديثة والنهوض بها . [٢]

وعلى كل حال فالكونفوشيوسية الجديدة أو الحديثة ، تدعو إلى البعث الجديد للفكر الكونفوشيوسي ، وتوارث الفكر الثقافي للكونفوشيوسية بوصفه الهدف الرئيسي ، وهذا يعني التوافق مع البيئة الجديدة ، ويريد الكونفوشيوسيون الجدد جعل المنجزات الخارجية للعلوم وغيرها ، تتميز بالنبع الروحي الديني أو الأخلاقي ، وهذا ما جعل المفكرين الصينيين يرون أن ما عانته الصين أو ما تعانيه إنما يرجع إلى تخلف المنهج الصيني ، ولهذا يرى أصحاب الكونفوشيوسية الجديدة أنه يجب أولا بعث العلم الكونفوشيوسي لحل المشكلات الجديدة .[٣]

---

[١] وي جنيغ تونغ : " سيكولوجية الكونفوشيوسيين الجدد في العصر الحديث " أنظر : دراسة الكونفوشيوسية الحديثة " تحرير ليو إي ون ، دار الشعب للنشر ، شنغهاي ، طبعة عام ١٩٨٩ ، ص ١٧١ .

[٢] الصينيون المعاصرون - وو بن - ت: د/ عبد العزيز حمدي - الجزء الأول – ص ٢٥٨ .

[٣] الإسلام والأديان في اليابان - د/ سمير عبد الحميد - ص ٢٠١ .

٨- الكونفوشيوسية المعاصرة (من وجهة نظر غربية)

يقول صامويل هنتجتون (مدير معهد " جـون أولـن للدراسـات الاسـتراتيجية " بجامعة هارفارد الأمريكية): في بداية القرن العشرين ، كان المثقفون الصينيون بـالتوازي مع " ويبر " يعتبرون الكونفوشيوسية مصدر التخلف الصيني . وفي أواخر القرن العشرين ، القادة السياسيون ، بالتوازي مع علماء الاجتماع الغربيين يحتفون بالكونفوشيوسية كمصدر للنهضة الصينية .

في الثمانينيات بدأت الحكومة الصينية تنمي الاهتمام بالكونفوشيوسـية ، وكـان قادة الأحزاب يعلنون أنها " الاتجاه الرئيسي " للثقافة الصينية . كما تصبح الكونفوشيوسية بالطبع مركز حماس " لي كوان يو " الذي اعتبرها مصدراً لنجـاح سـنغافورة ، وأصـبح مبشراً بقيمها في كل العالم .

في التسعينيات أعلنت الحكومة التايوانية نفسها "وريثـة للفكـر الكونفوشيوسـي"، ويتحدث الرئيس " لي تنج هيو " عن تحول تـايوان الـديمقراطي " وموروثهـا الثقـافي الصيني " الممتد بجذوره إلى " كاو يـاو " (القـرن الواحـد والعـشرون قبـل المـيلاد) والكونفوشيوسية (القرن الخامس بعد الميلاد) و " منكيوس "[١] (القرن الثالث قبل الميلاد) وسواء كانوا يريدون تبرير السلطوية أو الديمقراطية ، فإن القادة الـصينيون يبحثـون عـن شرعية في ثقافتهم الصينية المشتركة وليس في المفاهيم الغربية المستوردة . [٢]

ويواصل هنتجتون قوله:" في بداية التسعينيات ظهر الانتصار الآسيوي مـن جديـد على نحو واضح فيما يمكن أن يوصف فقط بـ " الهجوم الثقافي السنغافوري " وابتداء من" لي كوان يو " كان قادة سنغافورة يتكلمون بملء الفم عـن صـعود آسـيا بالنـسبة للغرب ، ويقارنون بين قيم الثقافة الآسيوية التي هي كونفوشيوسية في الأساس ،(النظام ، الانضباط ، مسئولية الأسرة ، العمل الجاد ، الجماعية ، الاعتدال) وقيم الغرب المتمثلة في الانغماس الذاتي والكسل والفردانية والجريمة والتعليم الهابط وعـدم احتـرام الـسلطة و" التحجر العقلي " ، وكلها مسئولة عن انهياره . وكانت المحاجة هي : إذا كانت الولايات المتحدة تريد أن تنافس الشرق " فعليها أن تعيد النظر وبكل شك ، في نظمها الاجتماعيـة والسياسية ، وأثناء ذلك
تحاول أن تتعلم شيئاً أو أكثر من المجتمعات الشرق آسيوية ".[١]

---

[١] منشيوس – سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

[٢] صدام الحضارات – صامويل هنتجتون – ترجمة: طلعت الشايب –ط٢ سطور–١٩٩٨م –ص ١٧٤- ١٧٥بتصرف.

[١] المرجع السابق – ص ١٧٧ – ١٧٨ بتصرف .

نظرة هنتجتون إلى الإسلام والكونفوشيوسية

ومن المفارقات العجيبة أن صـاموبل هنتجتـون ، ينظـر إلـى الكونفوشيوسـية ، والإسلام ، باعتبارهما مصدرين يهددان الغرب والمصالح الغربيـة ، وذكـر أن هنـاك رابطـة عسكرية (كونفوشيوسية – إسلامية) قد تشكلت ، أو تتـشكل ، فـي الوقـت الحاضـر ، تهدف إلى دعم حصولها على الأسلحة وتكنولوجيات الأسلحة المطلوبة لمواجهة القوة العسكرية للغرب ، من جراء أن الدول الكونفوشيوسية والإسـلامية تـرفض الانـضمام إلـى الغرب وتسعى لتنمية نفسها والتعاون مع البلدان غير الغربية لتتحـدى المـصالح والقـيم والقوة الغربية . ويرى هنتجتون أن النزاع بين الغرب وتلك الـدول يتركـز علـى الأسـلحة النووية والكيميائية والبيولوجية والصواريخ البالستية من أجل تحقيق هذا الهدف [٢].

---

[٢] التجربة الصينية – د/ عبد العزيز حمدي – ص ٤٤ – ٤٥ بتصرف .

وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، أنظر : كتاب : " صدام الحضارات " مرجع سابق .

٩- من أبرز مظاهر العودة إلى الكونفوشيوسية :

١- عقد مؤتمر دولي عن الدراسات الكونفوشيوسية

عقد في أكتوبر عام ١٩٨٩م في " تـشي فـو " بمقاطعـة " شـاندونج " مـوطن كونفوشيوس ومحل ميلاده مؤتمراً دولياً عـن الدراسـات الكونفوشيوسـية وذلـك فـي الذكرى { ٢٥٤٠ لميلاده } حيث أجتمع أكثر من ٣٠٠ عالم ودارس من أكثر من ٢٥ دولة وإقليم وخمس قارات ، لكي تحتفل وتناقش أفكار وكتابات كونفوشيوس .[(١)]

٢- نصب تماثيل لكونفوشيوس في أنحاء متفرقة من الصين

ومنها على سبيل المثال:

في التاسع عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م نصب تمثال برونزي لكونفوشيوس ارتفاعه ٣,٣ م ووزنه طن في حديقة جامعة رنمين الصينية ببكين ، وهذه أول مرة يقام تمثال لكونفوشيوس في حديقة جامعية في بكين . وقال " جي باو تشنغ " (رئيس الجامعة) في مراسم إزاحة الستار للتمثال: " إن كونفوشيوس ليس مؤسس المذهب الكونفوشيوسي فقط ، بل رمز للثقافة الصينية التقليدية . هذا العالم العظيم ينتمي للصين والعالم ، ولأفكاره مغزى عميق قديما وحديثا ". وكان هذا التمثال هدية من تانغ ين جيا ، رئيس معهد هونغ كونغ للكونفوشيوسية الذي ينهض بمهمة تعليم الفكر الكونفوشيوسي ، وقد أهدى لبكين تمثالين برونزيين، الآخر ينتصب في قوه تس جيان .[(٢)]

كما نصب تمثال ضخم (لكونفوشيوس) في جامعة المعلمين في تشي فو ، في ميدان كبير في مدخل الجامعة، وقد رأيت هذا التمثال أثناء زيارتي العلمية للصين ولما اقتربت منه وجدت مكتوباً في أسفله أنه إهداء من رئيس معهد هونغ كونغ (تانغ ين جيا) الذي أهدى التمثالين السابقين لبكين .

---

(١) الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس – عبد الرحيم شعبان – ص ١٦٧ .

(٢) - شبكة الصين/ ٢١ سبتمبر ٢٠٠١/ الموقع :

http://٢٠٢,١٣٠,٢٤٥,٣٣/arabic/١٦٩٤٨.htm

٣- إقامة منتدى بعنوان: دور وتأثير كونفوشيوس ومذهبه في تطوير الحضارة العالمية في القرن الحادي والعشرين

التقى حوالي مائة من الخبراء والعلماء والصناعيين من داخل الصين وخارجها في مدينة شنتشن للمشاركة في "منتدى دور وتأثير كونفوشيوس ومذهبه في تطوير الحضارة العالمية في القرن الحادي والعشرين، ومعرض الرسوم الصينية حول كونفوشيوس ومذهبه في عام ٢٠٠٠م، ومناقشة بناء جامعة كونفوشيوس الصينية .

وفي المنتدى اتفق الخبراء والعلماء والضيوف الأجانب على " أن مذهب كونفوشيوس وضع حجر الأساس لثقافة الأمة الصينية التقليدية ، ولعب دورا لا بديل له لرسم صورة الأمة الصينية في العالم وتنمية روح الأمة الصينية المتوارثة جيلا بعد جيل ، فكان له أثر عميق بعيد المدى تجاوز العصر وحدود الدولة . وفي القرن الجديد مذهب كونفوشيوس له دور في تطوير المجتمع البشري " .

٤- التخطيط لبناء جامعة كونفوشيوس الصينية

في السنوات الأخيرة اقترح كثير من المهاجرين الصينيين بناء جامعة كونفوشيوس الصينية بهدف إبراز الثقافة الصينية الرائعة ودفع التبادلات الثقافية بين الصين والدول المختلفة . واستجابة لأمنية المواطنين في الصين وخارجها قرر المشرفون على "منتدى دور وتأثير كونفوشيوس ومذهبه في تطوير الحضارة العالمية في القرن الحادي والعشرين ، ومعرض الرسوم الصينية حول كونفوشيوس ومذهبه في عام ٢٠٠٠م ومناقشة بناء جامعة كونفوشيوس الصينية " . وهم:

- اتحاد المشروع الوطني الصيني
- جمعية البحوث العالمية لمذهب كونفوشيوس
- معهد البحوث المركزي للتربية والتعليم
- معهد العلوم الاجتماعية التابع للأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية .

وقد قرروا جميعاً التعاون في بناء جامعة كونفوشيوس الصينية .

وهذه الجامعة ستكون خاضعة للإدارة المحلية وستقوم بإعداد الكفاءات والبحوث العليمة والخدمات الاجتماعية . والجامعة ستدعي مجموعة من الخبراء والعلماء المشهورين في الصين ، وتنظم البحوث في الثقافة التقليدية الصينية التي يمثلها كونفوشيوس وتدفع نشر هذه الثقافة داخل الصين وخارجها . وتتكون الجامعة من ١٦ معهدا منها:

- معهد مذهب كونفوشيوس
- معهد التاريخ والثقافة
- معهد القانون
- معهد علم الحياة
- معهد الشئون المالية .

وسيتولى نائب رئيس اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب، شيوي جيا لو رئاسة الجامعة وسيكون العالم المشهور جي شيان لين مستشارا للجامعة . ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٠م .[١]

٥- رفع القيود عن الكونفوشيوسية في إندونيسيا

في (يناير) عام ٢٠٠٠م أصدر الرئيس عبد الرحمن واحد مرسوماً يقضي برفع القيود المفروضة منذ عام ١٩٦٧م على ممارسة الكونفوشيوسية . ولأول مرة منذ ٣٠ عاماً ، سمح لأعضاء الطائفة الكونفوشيوسية، ومعظمهم من الإندونيسيين المرتبطين بالأقلية الصينية ، بالاحتفال برأس السنة الصينية علناً وبممارسة عاداتهم الدينية بشكل مفتوح[٢].

---

[١] - صحيفة الشعب اليومية- الصين/٢٨ نوفمبر ٢٠٠٠م

http://www.china.com.cn/arabic/٣٤٣٢.htm

[٢] - إشادات أمريكية بحريات المسيحيين الدينية في الدول الإسلامية – شبكة إسلام أون لاين.نت

http://www.islam-online.net/iol-arabic/dowalia/alhadath٢٠٠٠-sept-١٥/alhadath١٢.asp

= اندونيسيا تضمن حرية أتباع الكونفوشيوسية

أكد الرئيس الاندونيسي (سوسيلو بامبانغ) في عام٢٠٠٥م أن حكومته تضمن حرية المواطنين الذين يؤمنون بالكونفوشيوسية ، وقالت صحيفة //كومباس// أن سوسيلو أشار إلى أن أتباع الكونفوشيوسية ، في أكبر البلدان الإسلامية سكانا ، يتوجب عليهم عدم التردد في الحفاظ على معتقداتهم لأن دستور عام ١٩٤٥م يضمن حريتهم . وذكر سوسيلو خلال الاحتفال الوطني برأس السنة الصينية الجديدة أنه " لا تستطيع الدولة ، ولا ينبغي لها التدخل في فلسفة دين ما ، وتتمثل المهمة الرئيسية للدولة في ضمان حماية الجماعات الدينية وتوفير البنى الأساسية لها ". كما أضاف الرئيس أن "الكونفوشيوسية تشجع أتباعها أيضا على التمسك بالقيم الأخلاقية". [١]

٦- إقامة يوم كونفوشيوس في الولايات المتحدة

وافق مجلس النواب لولاية كاليفورنيا الأمريكية في عام ٢٠٠١م على اختيار يوم ٢٨ سبتمبر، وهو يوم ميلاد كونفوشيوس، كيوم لكونفوشيوس، إحياءً لذكرى هذا المعلم والمفكر الصيني الكبير في فترة الربيع والخريف (٧٧٠ ق م – ٧٤٦ ق م) ومساهماته العظيمة في قضية التعليم البشرية .

وذكر عضو مجلس النواب [صاحب الاقتراح] أن الثقافة الصينية العريقة المشرقة تثري تنوع مضمون الثقافة الأمريكية إلى حد كبير وأن أفكار كونفوشيوس التعليمية من الكنوز النفيسة للثقافة العالمية وأن هذا النشاط لإحياء الذكرى يدل على دعم الولاية للتعليم واحترامها للثقافة الصينية التقليدية ، علما بأنها مركز تجمع لكثير من المواطنين من أصول آسيوية متأثرين بالكونفوشيوسية . ١٣ سبتمبر ٢٠٠١م [٢] .

---

[١] شينخوا نت – ١٤ / ٢ / ٢٠٠٥ م

http://www.arabic.xinhuanet.com/arabic/٢٠٠٥-٠٢/١٤/content_٧٩٣٥٧.htm

[٢] - شبكة الصين/ ١٣ سبتمبر http://٢٠٢,١٣٠,٢٤٥,٣٣/arabic/١٦٥١٣.htm٢٠٠١

٧- إقامة المراكز والمعاهد والكليات الكونفوشيوسية في الصين وأنحاء متفرقة من العالم

وقد بدا من الملاحـظ التوسـع فـي إقامـة مراكـز ومعاهـد وكليـات للدراسـات الكونفوشيوسية في أنحاء متفرقة . . . ومنها على سبيل المثال:

١- مركز الدراسات الكونفوشيوسية في جامعة المعلمين في (تشي فو) مـسقط رأس كونفوشيوس ، أول مركز تم تأسيسه ، ثم انتشرت بعد ذلك مراكز متعددة في عدد كبير من الجامعـات ، وفـي هـذا المركـز قـسمين ، احـدهما يعنـى بدراسـة تـاريخ الكونفوشيوسية (الكتب الأصلية ، والعـصر القـديم). والآخـر يعنـى بدراسـة الأفكـار الكونفوشيوسية وأهميتها في الوقت الحاضر . وبه عدد كبير مـن الأعـضاء وهـم مـن الأساتذة المتخصصين في هذا المجال ويتم اختيارهم مـن قبـل لجنـة متخصـصة فـي الجامعة ، وفي لقاء جمعني بمدير المركز ونائبه أخبراني أن المركز ومنذ عـشر سـنوات يخرج كل سنة مائة وخمسين مؤلفاً حول الكونفوشيوسية ، كما أن له جهوداً ومشاركات داخل الصين وخارجها، ومع المراكز الأخرى في الجامعات وغيرها، في بكين ، وشنخوا ، وشاندونغ... وغيرها، وفي كوريا الجنوبية ، واليابان ،وماليزيا ،ودول أخرى . . . [(١)]

٢- معهد هونغ كونغ للكونفوشيوسية الذي ينهض بمهمة تعليم الفكر الكونفوشيوسي منذ زمن طويل ، و رئيس هذا المعهد هو (تانغ ين جيا) ، الذي أهدى لبكين تمثالين برونزيين لكونفوشيوس ، كما أهدى تمثال ضخم لجامعة المعلمين في تشي فو ،"كما مر معنا سابقاً" .

٣- معهد كونفوشيوس في سيول عاصمة كوريا الجنوبية والذي أسس في نوفمبر عام ٢٠٠٤ م .

٤- معهد كونفوشيوس في العاصمة السويدية ستوكهولم ، أسس في فبراير ٢٠٠٥م .

٥- معهد كونفوشـيوس في مدينـة بوتييـه في فرنـسا ، وقـــد أســـس فـــي يونيو ٢٠٠٥م .

---

(١) -كما يوجد في "تشي فو" أيـضاً مركـز كونفوشـيوس الحـضاري - ومعبـد كونفوشـيوس - وقـصور أبنـاء كونفوشيوس - ومقبرة أسرة كونفوشيوس التي بها قبره - كما وضع تمثال كبير لكونفوشيوس وسط الساحة الرئيـسية لجامعة المعلمين - وكل هذه المعالم تحظى باهتمام حكومي وشعبي كما لاحظنا . . .

٦- معهد كونفوشيوس في ألمانيا ، وقد أسس في ٢٧ ابريل ٢٠٠٦ م .

أسس يوم الخميس(٢٧ ابريل) ٢٠٠٦ م في جامعة برلين الحرة أول معهد كونفوشيوسي برعاية جامعتي بكين وبرلين الحرة، وأعرب السيد(ما تسان رونغ) السفير الصيني لدى ألمانيا عن أمله في أن يلعب المعهد دورا فعالا في إثراء وتبادل اللغتين والثقافتين الصينية والألمانية وإشباع رغبة الشعب الألماني في معرفة اللغة والثقافة الصينية وتعزيز التفاهم والثقة المتبادلة بين شعبي البلدين والإسهام في التبادل الثقافي وتطوير العلاقات الودية بينهما .

وقال رئيس جامعة برلين الحرة (ديتير لينزين) إن تأسيس المعهد له مغزى هام للتبادل والتعاون الثقافي بين ألمانيا والصين ، معربا عن أمله في زيادة معارف الشعب الألماني بالثقافة الصينية . من جانبه ، قال رئيس جامعة بكين (شيو تشي هونغ) إن الثقافة الكونفوشيوسية لا تنتمي إلى الصين فحسب ، بل إنها تراث عالمي مشترك ، معربا عن أمله في أن يلعب هذا المعهد دورا في تعزيز الدراسة الكونفوشيوسية في العالم .[١]

كما يسعى مكتب فرقة القيادة لتعليم اللغة الصينية الموجه إلى الخارج الذي أسس في عام ١٩٨٧م لإنشاء مائة معهد مثل معهد كونفوشيوس في إنحاء العالم .[٢]

---

[١] http://ar.chinabroadcast.cn/١٨٩/٢٠٠٦/٠٤/٢٨/٨٢@٥٥٠٥٤.htm – ٢٨ / ٤ / ٢٠٠٦ م

[٢] موقع شنخوا نت على شبكة الإنترنت ١١ مارس ٢٠٠٥م .

٧- مؤتمر المعاهد الكونفوشيوسية

وقد انعقد مؤتمر المعاهد الكونفوشيوسية يوم الخميس (٦ يوليو ٢٠٠٦م) ببكين، حيث تعهدت الحكومة الصينية ببذل كل ما في وسعها من أجل دعم أعمال هذه المعاهد وتقديم تسهيلات للأجانب الذين يدرسون اللغة الصينية خارج الصين .

وجدير بالذكر أن الصين قامت بإنشاء مراكز لنشر اللغة الصينية في الخارج في عام ٢٠٠٢م ، وتحولت هذه المراكز فيما بعد إلى المعاهد الكونفوشيوسية المختلفة والتي بلغ عددها حاليا ٨٠ معهدا موزعة في ٣٦ دولة ومنطقة .

وقالت تشين تشي لي " عضوة مجلس الدولة الصيني " خلال المؤتمر: "إن المعاهد الكونفوشيوسية ظلت تدعو إلى التعاون في التعليم وتحترم التقاليد المحلية ، وأنها قد أصبحت أماكن مهمة لدراسة اللغة الصينية بالنسبة للدارسين الأجانب خارج الصين " . [1]

٨- كليات كونفوشيوس

كما قامت الصين بتأسيس كليات كونفوشيوس التي تهدف إلى نشر اللغة الصينية والثقافة الصينية ، حيث أسست عشرات الكليات في أمريكا وأوروبا وإفريقيا ، وقد جاء ذلك بعد تأسيس أول كلية كونفوشيوسية فى كوريا الجنوبية عام ٢٠٠٤م . كما أسست كلية كونفوشيوس بجامعة نيروبي في كينيا وهى الكلية الأولي والوحيدة التي أقامتها الصين في أفريقيا ، وتم تأسيسها بالتعاون بين جامعتي تيانجين للمعلمين (الصينية) و نيروبي (الكينية) ، وقد بدأت الدراسة في ١٩ ديسمبر ٢٠٠٥م ، تقول (سونغ لي شيان) نائبة عميد كلية كونفوشيوس: " بالإضافة إلى دروس اللغة الصينية فتحنا أيضا دروسا للثقافة الصينية، لأننا نعلم أن اللغة لا تنفصل عن الثقافة ، لذلك أقمنا نشاطات كثيرة للتعريف بالثقافة الصينية منذ بدء الفصل الدراسي ". ومن أجل تعزيز التبادل الثقافي فإن جامعة تيانجين للمعلمين تقدم سنويا منحة دراسية لعشرة طلاب من كلية كونفوشيوس في نيروبي للحضور إلى الصين لمواصلة الدراسة كما قام الرئيس الصيني (هو

---

[1] الحكومة الصينية تتعهد بمواصلة دعم تطور المعاهد الكونفوشية – ٦ / ٧ / ٢٠٠٦ م
http://ar.chinabroadcast.cn/١٨٩/٢٠٠٦/٠٧/٠٦/٨٤@٥٨٦٤٢.htm

جين تاو) باستقبال مجموعة من طلاب كلية كونفوشيوس التابعة لجامعة نيروبي وذلك عندما زار كينيا في (٢٧ – ٢٩) إبريل عام ٢٠٠٦م .[1]

٨-الاحتفال بعيد ميلاد كونفوشيوس كل عام .

تشهد الصين هذه الأيام عودة للكونفوشيوسية وذلك على المستوى الحكومي والشعبي ، ولا أدل على ذلك من الاهتمام البالغ بإقامة عيد ميلاد كونفوشيوس كل عام ، وقد جعلوا يوم ميلاده - وهو السابع والعشرين من أغسطس عيدا قوميا يحجون فيه إلى مسقط رأسه ، برعاية الحكومة (وينوب عنها موظف كبير في حفل الصلاة) وحضور أتباع الكونفوشيوسية من أرجاء الصين والدول الأخرى ، حيث يقام احتفال كبير في معبد كونفوشيوس في (تشي فو) مسقط رأس كونفوشيوس ، وتقدم القرابين من الأبقار والأغنام والخنازير وتذبح في مكان مخصص في المعبد ، كما يقومون بزيارة قبر كونفوشيوس والتعبد عنده ووضع الورود . . . إلى غير ذلك من الطقوس ، كما تتم الاحتفالات بهذه المناسبة في المعابد والمراكز والمعاهد الكونفوشيوسية في أنحاء متفرقة من العالم .

٩-العودة إلى الاهتمام بالمعابد الكونفوشيوسية داخل الصين .

وقد لاحظت ذلك في معابد متعددة في الصين ، ومنها معبد كونفوشيوس في تشي فو ، ومعبد بكين ، حيث يتعبد الكونفوشيوسيون في هذه المعابد وتقدم الهدايا والقرابين وتقام الاحتفالات ، خلاف ما كان عليه الوضع في السابق ، بل يلاحظ الاهتمام والعناية بهذه المعابد من قبل الجهات المعنية ، بالمباني والتجهيزات والموظفين ، وفتح أبوابها للزوار والسياح من كل أنحاء العالم . . .

---

(1) زيارة لكلية كونفوشيوس التابعة لجامعة نيروبى

http://ar.chinabroadcast.cn/١٨٩/٢٠٠٦/٠٤/٢٧/٨٣@٥٤٩٧٧.htm

١٠- كثرة المعابد الكونفوشيوسية وانتشارها خارج الصين .

يلاحظ انتشار المعابد الكونفوشيوسية خارج الصين في أغلب دول شرق آسيا ، بل وبعض دول أوربا ، وأمريكا ، ومن هذه المعابد :

١- معابد الكونفوشيوسية في اليابان .
٢- معابد الكونفوشيوسية في كوريا .
٣- معبد كونفوشيوس في تايوان .
٤- معبد كونفوشيوس في فيتنام .
٥- معبد كونفوشيوس في ألمانيا .
٦- معبد كونفوشيوس في أمريكا .

هذه بعض أشهر معابد الكونفوشيوسية في بعض الدول ، وهناك غيرها الكثير وخصوصاً في الدول التي فيها عدد كبير من الجالية الصينية من أتباع الكونفوشيوسية .

١١- الاهتمام بالآثار الكونفوشيوسية في (تشي فو) مسقط رأس كونفوشيوس .
ومنها:

١- معبد كونفوشيوس

يقع معبد كونفوشيوس في قلب مدينة تشي فو، وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من المباني ذات الطراز الشرقي ، ويعتبر هو والقصر الإمبراطوري ببكين والمصيف الإمبراطوري بتشنغده في مقاطعة خبي " أكبر البنايات الصينية القديمة ".
بدئ ببناء هذا المعبد في السنة التالية من وفاة كونفوشيوس، أي عام ٤٧٨ قبل الميلاد. وكان الأباطرة في مختلف العصور يقدمون الولاء والطاعة لكونفوشيوس فيه ، وكان في أيامه الأولى صغير الحجم مكونا من ثلاث غرف فقط . وحتى عهد الإمبراطور (وو دي) من أسرة هان (٢٠٦ ق م – ٢٢٠ م)، والذي كان يدعو الى إلغاء جميع المذاهب الفكرية وتكريم المذهب الكونفوشي وحده ، وجدير بالذكر أن الإمبراطور "تشيان لونغ" من أسرة تشينغ (١٦٤٤–١٩١١) ، ذهب إلى موطن كونفوشيوس ثماني مرات "للحج".

وقد اتسع حجم المعبد على مر الأيام ، فخلال عهد أسرتي مينغ وتشينغ (١٣٦٨-١٦٤٤) أجريت عمليات إعادة بناء وتوسيع للمعبد لتصبح معالمه كما هي اليوم ، على هيئة القصور الإمبراطورية ، قائمة في تسعة أفنية في كل فناء دار وعلى خط

محوري من الجنوب إلى الشمال . وفي المعبد ٤٦٦ غرفة ، منها القاعة الكبيرة والقاعة الصغيرة والمقصورة ومذبح القرابين والصالون و٥٤ قوس نصر، وتغطي كلها مساحة ٢١٨ ألف متر مربع . يحاط المعبد بجدران حمراء اللون تتوسطها أقواس النصر وأبراج الزاوية . يشتهر المعبد بكثرة التحف الأثرية المحفوظة فيه. ففيه ٢١٠٠ قطعة من الألواح الحجرية المنحوت عليها الكثير من العبارات ، تاريخها قديم ، تبدو وكأنها لوحة رسم عليها تاريخ الصين ، وهي معرض لفن الخطوط وفن النقش على الحجر.

ويلاحظ كما أسلفت الاهتمام الحكومي والشعبي بهذا المعبد ويتردد عليه الأعداد الكبيرة من الناس ما بين متعبد وسائح ومعجب بفكر وشخصية كونفوشيوس . . .

٢- غابات آل كونفوشيوس

تبعد غابات آل كونفوشيوس كيلومتر واحداً إلى شمال مدينة تشي فو .

وهي مقابر خاصة لكونفوشيوس وموتي أسرته من بعده ، وهي أطول المقابر العائلية في الصين عمرا، وأوسعها مساحة وأكملها تشكيلة .

وقد تكرر إعادة بناء هذه المقابر في عصور مختلفة . كما اتسعت مساحتها حتى غطت كيلومترين مربعين في عهد أسرة تشينغ . يحيط بالغابات جدران يبلغ ارتفاعها ٣,٤ م وطولها ٧,٥ كلم ، وفيها العديد من الحدائق الكبيرة والبنايات القديمة .

يمكن القول أن غابات آل كونفوشيوس حديقة اصطناعية واسعة . وفيها تنمو ١٠٠ ألف شجرة كبيرة ، ٢٠ ألفا منها تجاوز عمرها ألف سنة . تتناثر بين أشجار الغابات القديمة أنصاب حجرية شيدت في الفترة من عهد أسرة سونغ الشمالية (٩٦٠-١١٢٧م) الى عهد أسرة تشينغ (١٦٤٤-١٩١١م) ، منها الكبير والصغير . . .

وتحظى هذه الغابات بالعناية اللازمة هذه الأيام وتعتبر من المعالم البارزة في مدينة تشي فو[1]، وقد رأيت الأعداد الكبيرة من الناس يترددون عليها ومنهم من يركع ويجثوا على ركبتيه عند قبر كونفوشيوس وقبور بعض أحفاده ، ويضعون الورود عندها . . .

٣- قصور آل كونفوشيوس

قصور آل كونفوشيوس عبارة عن بيوت سكنها أحفاد كونفوشيوس جيلا بعد جيل . ومنذ عهد أسرة هان (٢٠٦ ق م – ٢٢٠ م)، نال أحفاده ألقابا تشريفية شتى من قبل الأباطرة ، منها لقب "يان شنغ قونغ" (أبناء الأستاذ الأعظم الحكيم) ، وتحتل بيوتهم اليوم مساحة ١٦٠ ألف متر مربع ، وطولها من الشمال إلى الجنوب ٢ كم وتحتوي على ٤٦٣ غرفة من البنايات بأنواعها المختلفة .

---

[1] في عام ١٩٩٤م أدرجت اليونسكو معبد كونفوشيوس ومقر أسرة كنفوشيوس ومقابر أسرة كونفوشيوس ضمن التراث التاريخي والثقافي العالمي .

وتقع قصور آل كونفوشيوس شرق معبد كونفوشيوس ، وهي مجموعة مـن البنايـات الضخمة تجمع الديوان الإداري الإقطاعي والمساكن العائلية في كيان واحد . وتتكـون من ثلاثة أقسام ، في القسم الشرقي معامل شتى تخـدم أفـراد آل كونفوشـيوس . والقسم الغربي خاص لتعليم الطقوس واستقبال كبار الضيوف . أما القـسم الأوسـط فهـو رئيسي يضم قطاعين أمامي لمعالجة الشئون السياسية وخلفي للسكن ، والأثاث والزخـارف والتراث فيها فاخر ، والنفائس من التراث الموجودة في القصور بعضها إهداء من الأباطرة وكبار الموظفين ، وبعضها الآخر شري بالأثمان الباهظة ، وكلها ذات أهميـة بالغـة فـي دراسة تاريخ وثقافة الصين القديمة .[1]

ولا تزال هذه القصور من المعالم البارزة في تشي فو وتحظي بالاهتمام والعناية . .

٤-معبد كونفوشيوس في المكان الذي ولد فيه

يبعد عن تشي فو ٣٠ كم تقريبا في سفح جبل تحيط به الأشجار من كـل جهـة ، وقد أقيم في مكان البيت الذي ولدته أمه قريباً منه ، ويأتي أعـداد مـن الـزوار لهـذا المعبد ، ويعتبر من الأماكن المقدسة لدى الكونفوشيوسية ، وفي أسفل الجبل الذي يقع في سفحه المعبد لوحة من الرخام تشير إلى كهف قريب منها بأنه المكان الـذي ولـد فيه كونفوشيوس ، وهناك بحيرة من المياه أسموها (البحيرة المقدسة) ، وذلك لوجودها بجوار المكان الذي ولد فيه كونفوشيوس .

ويحظى هذا الموقع بكل ما فيه باهتمام بالغ ويعتبرونه من المواقـع المهمـة دينيـاً وسياحياً . . .

---

[1] شبكة الصين http://www.china.org.cn/arabic/١٣٦.htm

١١- إقامة دورات علمية في فكر كونفوشيوس للأجانب .

في لقاء أجريته مع السيد (جو) ، وهو متخصص في إقامة دورات علميـة فـي فكر كونفوشيوس [١]، أخبرني أن لديهم مركزاً متخصصاً في إقامة دورات لغير الصينيين حول " فكر وحياة كونفوشيوس وكيف يمكن الاستفادة منها " وذلـك لمـدة أسـبوعين على الأقل ،وقد استفاد من هذه الدورات أعداد كبيرة من غير الصينيين ، والذين يسجلون في هذه الدورات كل عام .

١٢- كثرة المواقع على شبكة الإنترنت .

ومما هو ملفت للنظر ما اخبرني به السيد (جو) أن هناك أكثر من ألف موقع علـى شبكة الإنترنت عن كونفوشيوس والكونفوشيوسية ، والقائمين على هـذه المواقـع مـن داخل الصين وخارجها ، كما أن لهم جهوداً في المراسلة عبر الشبكة لمـن يريـد التعـرف على حياة وفكر كونفوشيوس . . .

ومما سبق وغيره يتضح لنا العودة لهذه الديانة والعناية بها من قبل كثير من أهل الصين ، كما يلاحظ إفساح المجال أمامها والحرص على نشرها في الصين وأنحـاء متفرقـة مـن العالم .

[١] - وكان اللقاء في معبد كونفوشيوس في مكان ولادته ، وكان على رأس وفد جـاؤوا لزيـارة المعبـد ورؤيـة المكان الذي ولد فيه كونفوشيوس . يوم الأحد ١٤/ ٢ / ١٤٢٥ هـ .
وقد لا حضت من كلامه تعصبه للكونفوشيوسية حتى أنه سألني عن عدد المهتمين بالكونفوشيوسية في السعودية ، وهل يمكن بناء معبد للكونفوشيوسية ، فأخبرته أن ا قد انعم علينا بنعمة الإسلام ، كما انعم علينا بحكـام صـالحين اتخذوا من الإسلام دستوراً ومنهج حياة ، فلا مجال للكونفوشيوسية ولا لغيرها في بلاد الحرمين . . .

١٠- موقف أهل الصين من الكونفوشيوسية في الوقت الحاضر

من خلال زيارتي للصين للإطلاع على واقع الكونفوشيوسية في الوقت الحاضر لاحظت أن في الصين:

١- الكونفوشيوسيون المتمسكون بدياناتهم ، فيسجدون ويركعون لكونفوشيوس في المعبد وأمام تمثاله في أي مكان ، ويقدمون القرابين ، ويذهبون للزيارة والتعبد عند قبره ، ويطبقون التعاليم الكونفوشيوسية في جميع أمورحياتهم . . .[١]

٢- من يذهب للمعابد الكونفوشيوسية ويمارس الطقوس في المناسبات ، مثل: عيد ميلاد كونفوشيوس ، وقت اختبارات الطلاب[٢] أيام الأعياد المختلفة، أو أي مناسبات أخرى. . .

٣- من يحترم ويقدر كونفوشيوس ، على أنه حكيم ومعلم ومربي على الأخلاق الفاضلة ، دون عبادة أو ذهاب للمعابد ، وقد قابلت عدداً من الأكاديميين ، والمعلمين ، والشخصيات ، كلهم على هذا الحال حتى من كان من أتباع الديانات الأخرى مثل : التاوية والبوذية ، ويمكن القول أن جميع أهل الصين على اختلاف مللهم ونحلهم يقدرون ويحترمون كونفوشيوس حتى المسلمين منهم ، عدا من تعلق منهم بالأفكار الغربية فأثرت على فكره ، فتعلق بها دون تمحيص أو تدقيق ليس لشيء ولكن لما تملكه من مقومات مادية . . .[٣]

٤- وهناك لا دينيين وهم كثر ، ويعيشون خواءً روحياً عجيباً ، حياتهم مادية دنيوية فحسب ، لا يتطلعون لما عند ا ، ولا يعرفون الطريق إلى ا ... لذلك هم بحاجة ماسة لمن يدعوهم للإسلام بجميع وسائل الدعوة ، وقد أحسست بتقصيرنا نحن المسلمين في دعوة أهل الصين للإسلام،لأني وجدتهم يميلون كثيراً إلى أهل الإسلام بل ويحترمون آرائهم وتصرفاتهم في أغلب الأحيان . . .

٥- وهناك المتعطشون للتدين والتعبد ولم يعرفوا الدين الصحيح فراحوا يجمعون الأصنام في بيوتهم ويتعبدون عندها في الصباح والمساء بإلقاء التحية ووضع

---

[١] وقد رأيت عدداً منهم وتحدثت إلى بعضهم ، في معابد الكونفوشيوسية في بكين ، وتشي فو ، وتيانجين

[٢] (يقدموا بعض ما يستطيعون من نقود وفواكه وخمور . . . الخ ، حتى يتمكنوا من اجتياز الاختبار)وقد سألت أحد الأساتذة في جامعة الشعب في بكين عن سبب ذهاب الطلاب لمعابد كونفوشيوس قبل الاختبارات فقال (حتى يوفقهم في اختباراتهم) ، (وما علموا أنه بشر لا يقدم ولا يؤخر ، وأن الموفق هو ا جل في علاه) وفي معبد كونفوشيوس في تيانجين اخبروني أن أكبر عدد يزور المعبد هم الطلاب قبل موسم الاختبارات

[٣] ولا ننسى الهجمة الغربية على حضارة الصين ، والتقليل من شأنها ، والجهود الكبيرة لنشر النصرانية في الصين

البخور . . . إلى غير ذلك ، كما يذهبون لمعابد الديانات المختلفة فيتعبدون فيهـا لإشباع رغبتهم في التعبد على غير هدى وقد قابلـت احـدهم فـي معبـد كونفوشيوس في بكين ومعه عدد من الرجال والنساء (يركعون ويسجدون في المعبد) فأخبرني أنهم يذهبون للمعابد الكونفوشيوسية والطاويـة والبوذيـة . . . وغيرها ، للتعبد ، كما أخبرني أن لديه في منزله سبعة أصنام يتعبد عندها ويضع عندها البخور كل يوم ، ومن هذه الأصنام ، صنم لكونفوشيوس ، وصنم لبـوذا ، وصنم للمسيح ، وصنم لـ لاو تس مؤسس الطاوية ،إلى غير ذلك من الأصنام ، ومع ذلك كله لم يجد ضالته ولم تطمئن نفسه ولن تطمئن بتعبده عند هذه الأصـنام ، وما علم أن الحل له ولأمثاله ، هو الدخول في الإسـلام وعبـادة الواحـد الأحـد سبحانه وتعالى .

ومثل هؤلاء لو وجدوا من أبناء المسلمين من يطبق الإسلام ويدعوهم إليه لدخلوا في دين ا أفواجاً بعد هداية ا لهم .

الباب الرابع

الكونفوشيوسية والإسلام

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أفكار الكونفوشيوسية ومعتقداتها في ميزان الإسلام

الفصل الثاني: موقف الكونفوشيوسية من الإسلام والمسلمين

الفصل الثالث: موقف المسلمين الصينيين من الديانة الكونفوشيوسية

الفصل الأول

أفكار الكونفوشيوسية ومعتقداتها في ميزان الإسلام

وفيه:

١- الكونفوشيوسية ليست ديناً سماوياً منزلاً من عند الله

٢- الكونفوشيوسية ليست فلسفة أخلاقية فقط بل هي دين وضعي

٣- من المآخذ على الكونفوشيوسية

٤- مناقشة موقف الكونفوشيوسية من الأمور الغيبية

٥- موقف الكونفوشيوسية من العبادة

٦- موقف الإسلام من نظرية المعرفة لدى الكونفوشيوسية

٧- الإصلاح الأخلاقي بين الإسلام والكونفوشيوسية

٨- الإصلاح الاجتماعي بين الإسلام والكونفوشيوسية

٩- الإصلاح السياسي في الإسلام

١٠- أساليب الإصلاح بين الإسلام والكونفوشيوسية

١١- الإسلام خاتم الأديان ورسوله خاتم الرسل

١- الكونفوشيوسية ليست ديناً سماوياً منزلاً من عند الله

بعد ما بينا سابقاً أن الكونفوشيوسية تتبع شريعة (تشو) ، لابد أن نذكر أن هذه الشريعة ليست منزلة من عند ا تعالى .

ولا تدعى الكونفوشيوسية أبدا بأن هذه الشريعة منزلة من عند الإله السماوي ، بل تقول أنها من وضع الأنبياء الملوك القدامى ، وبالأخص (تشو قونغ) منهم ، وهذا على الرغم من وجود بعض النصوص في سفر القصائد التي تدل على أن الحاكم السماوي الأعلى " شانغ دي " - وهو اسم آخر للإله السماوي - كان يكلم الأنبياء الملوك القدامى مثل تشو وون وانغ .

على هذا ، فإن شريعة (تشو) ليست شريعة منزلة من عند ا تعالى ، بل هي كما تقول الكونفوشيوسية من وضع الأنبياء الملوك ، وعلى هذا الأساس فالكونفوشيوسية ليست ديناً من الأديان السماوية المنزلة من عند ا تعالى بل هي دين وضعي .

٢- الكونفوشيوسية ليست فلسفة أخلاقية فقط بل هي دين وضعي :

والكونفشيوسية ليست مجرد فلسفة أخلاقية كما يزعم بعض العلماء المحدثين ، بل هي دين مستقل قائم بنفسه له خصائصه التي تميزه عن غيره من الأديان ، وفيها نظام فلسفي متكامل يشمل الجانب اللاهوتي ، والجانب التعبدي ، والجانب الأخلاقي ، والجانب الاجتماعي وكذلك الجانب السياسي . . . الخ .

وإذا أنكرنا كون الكونفوشيوسية دينا ، بغض النظر عن خصائصه ، وصحة نسبته إلى نبي من الأنبياء ، فسنضطر أن نتعرف أن الصينيين قد عاشوا أكثر من ثلاثين قرنا من الزمان بدون دين ، وهو موقف مخالف للعقل والنقل كما لا يخفي، وكما مر معنا سابقاً ، فقد ذهب أكثر علماء المسلمين في الصين إلى القول بأن الكونفوشيوسية دين من الأديان . [١]

وعلى هذا فالكونفوشيوسية دين من الأديان الوضعية وليست مجرد فلسفة أخلاقية كما يزعم البعض .

٣- من المآخذ على الكونفوشيوسية

[١] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية- د/ زهرة الدين طيب إدريس - ص ١٧-٢٠ .

ومما يؤخذ على الكونفوشيوسية بشكل عام

أ- عدم الوضوح والتحديد في كثير من القضايا

وهذه من الأمور الملاحظة على الديانة الكونفوشيوسية في كثير من قـضاياها ، وعلى سبيل المثال ما أعترف به الأستاذ (مو زونغ سان)وهو من أكبر الشخصيات الممثلـة للكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة ، في العصر الحاضر ، حين تكلم عن كتاب المعرفـة الكبرى ، وهو من الكتب المقدسة لدى الكونفوشيوسية ، وله أهميته لديهم ، حيث قال :

" إن كتاب المعرفة الكبرى يتكلم عن السنن الثلاث والخطوات الثماني ، وهو عبارة عن رحلة من التطبيق الموضـوعي أيـضا ، وقـد حـدد لـك نطـاق التطبيـق العلمـي الكونفوشيوسي ، ولكن هدفه غير محدد في نفسه ، فهو عدد في مغزاه الرئيـسي هذه السنن والخطوات التطبيقية ، ولكنه لم يوضح ما هـي هـذه الـسنن والخطـوات . فعلى سبيل المثال ، ورد في كتاب المعرفة الكبرى " تجليه الأخلاق المشرقة " ، ولكـن ما هي " الأخلاق المشرقة " ؟ وورد فيه " الاستقرار في كمال الخير ؟ أين يقع كمال الخير في النهاية ؟ وهذه الأشياء غير موضحة في كتاب المعرفة الكبرى " [١] .

ب- فقدان صلاحية التطبيق .

قال (مو زونغ سان) في هذا:

" فما هو الموقف المناسب الذي نتخذه من كتاب المعرفـة الكبـرى؟ وكتـاب المعرفة الكبرى عدد لك الأصول العامة للتطبيق فقط ، وأمـا مـسألة كيفيـة التطبيـق ومسألة الاتجاه الذي يقوده إليه ذلك التطبيق فهي غير واضحة فـي داخـل المعرفـة الكبرى .... " . [٢]

وإذا كان هذا في كتاب يعد من أهم كتبهم المقدسة ، فكيف بكثير من الأمـور التـي قامت عليها الكونفوشيوسية . . .

---

[١] تسعة عشر محاضرة حول الفلسفة الصينية - مو زونغ سان - المحاضرة الرابعة ، ص ٧٩ .

[٢] المرجع السابق .

وهذا الأمر غير مستغرب على ديانة وضعية لم يكن لها مستند من الوحي الإلهي وأكثر ما تستند إليه أقوال متعددة من عصور مختلفة ، حرفت وبدلت حتى توافق أهواء ورغبات معتنقيها . . .

ج- اقتصارها على الفطرة كأساس للتخلق بالفضائل .

الكونفوشيوسية ترى أن الإنسان مفطور على الأخلاق الفاضلة فطرة أصيلة ، وعلى هذا الأساس ترى أن الإنسان يتطلع إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة لأنها فطرته، فهو يتخلق بالأخلاق الفاضلة حبا للرجوع إلى فطرته الأصلية ونزوعا إلى العودة إلى طبعه الخير ، وهذا هو عين الفطرة الإنسانية ، وبالتالي لا يحتاج إلى مصدر خارجي يلزمه على الأخلاق الفاضلةِ، لأنه حينئذ لم يطلب شيئا غير موجود في فطرته ، بل توجه إلى شيء باطن مفطور عليه الإنسان حيث جبلته الأولى وبدايته الأصلية .

على هذا ، فإن الكونفوشيوسية لا تؤمن بالوحي المنزل من خارج الإنسان كمبدأ تستمد منه فلسفتها الأخلاقية ، كما لا تجعل الإيمان بالإله مصدرا للإلزام الأخلاقي على الرغم من إيمانها بأن " تيان " هو الخالق والمدبر لشؤون الكون كلها، وهذا موقف متناقض في نفسه لا يمكن أن يقبله العقل السليم ولا المنطق الصحيح، فكيف بإله سماوي يخلق الإنسان على الفطرة الخيرة فيتركه لتلك الفطرة من غير هداية إلى الصراط المستقيم. . . ؟ وما الفائدة من عقيدتهم في " تيان " (الإله السماوي) ، وهل الفطرة الإنسانية الخيرة تكفي وحدها أن تجلي الأخلاق المشرقة من الإنسان تلقائيا ؟ فالإيمان الجازم با هو المنبع القوي والسليم لجميع الفضائل والمصدر الفعال للأخلاق الفاضلة كما يراه الإسلام . .

والإنسان وإن كان مفطورا على الخير فإن فطرته النزاعة إلى الخير لا تكفي وحدها أن تأخذ بيده إلى الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ، وقد اعترف (ليانغ شو مين) ،أحد كبار علماء الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة ، بهذه الحقيقة قائلا :

" يعايش المسلمون الصينيين الكونفوشيوسيين في مناطق شمال غرب الصين جنبا إلى جنب ، لا يشرب المسلمون المؤمنون با الأفيون ، ولهم كثير من العادات الجميلة في

المعيشة ، وأما الصينيون فسمحوا لأنفسهم بالانحطاط الأخلاقي عفوا ، وذلك مع زعمهم تعظيم نبيهم كونفوشيوس " [١] .

د- الافتقار إلى عقيدة الإيمان بالآخرة والجزاء

نتجت هذه المشكلة من المشكلة السابقة ، فالكونفوشيوسية على الرغم من إيمانها بـ " تيان " كخالق الكون ومدبره لم تجعله مركزا لبنائها الديني والفلسفي، بل هي تركز على الجانب الإنساني كل التركيز كمحور يدور عليه نظامها الديني والفلسفي كله ، فهي لم تجعل الإيمان بالإله السماوي مصدرا للإلزام الأخلاقي ، بل ترى أن فطرة الإنسان هي مصدر الأخلاق المشرقة ، كما أنها تؤكد على الجانب الدنيوي تأكيدا شديدا وتهمل الجانب الأخروي وتطرحه جانباً ، وانطلاقا من هذا الموقف ، رفضت الكونفوشيوسية أن تتكلم عن الآخرة والحياة بعد الموت والجزاء الأخروي .

ولكن هل هذا يعني أن الكونفوشيوسية لا تؤمن بأي نوع من الجزاء؟ هل يذهب عمل الإنسان هباءً ؟ كلا ! فإن الكونفوشيوسية تقول إن الإنسان يجزى على أعماله ، إن كانت خيرا فخيرا ، وإن كانت شرا فشرا ، ولكن الجزاء يكون في الدنيا وذلك أن جزاء الخير السمعة الطيبة التي تبقى في الأجيال اللاحقة فيحمدونه ويثنون عليه إلى الأبد ، وجزاء الشر سمعة خبيثة تبقى أيضا في الأجيال اللاحقة يذمونه إلى الأبد .

ويتمشى ما ورد في كتب الكونفوشيوسية ، مع هذا الموقف السلبي من الآخرة والحياة بعد الموت والجزاء الأخروي ، فلم تجعل للجزاء الأخروي أية مكانة تذكر . هكذا نجد أن الكونفوشيوسية رضيت لنفسها أن تبقى ديانة دنيوية ، لا تسمح لأتباعها أن يرتقوا إلى أخلاق سامية وعالية ترتبط بالإيمان بالآخرة يعملون من أجل الآخرة ويسعون وراءها ، بل حددت الجزاء بنوع من الجزاء الدنيوي وهو السمعة الطيبة والذكرى الخالدة بين الناس ، نعم لا نستطيع أن ننكر أنها نوع من الجزاء الطيب المحمود لكن ماذا يقولون فيمن عمل خيراً وكان لهذا الخير تاثير عم مجتمعا مثلا ومات من توه كيف ياخذ جزاؤه . ومن عمل شراً واستطاع الهروب من الجزاء الدنيوي أو من عمل شراً تأذى به عدد كبير من الناس ومات من توه هل يكون ومن عمل الخير سواء العقل السليم ينفي ذلك ، فما بالك بالكونفوشيوسية التي يدعي أتباعها أنها ديانة تقر ذلك . وما ذلك إلا لأنها بعيدة عن هدى الإله الحق الذي لم يغفل ذلك وجعل الآخرة دار جزاء للخير والشر

---

[١] (ها قوانغ لو) ، رئيس تحرير ، الحوار بين النصرانية والكونفشيوسية والبوذية والطاوية ، دار النشر للوثائق في العلوم الاجتماعية ، بكين ، سنة ١٩٩٨م ، ص ٢٣٢ .

على السواء بل وأعد للخيرين جنة " فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " [١] بل إذا ما قورنت سعادة الدنيا للخيرين بسعادة الآخرة تبين أنها ضئيلة وحقيرة وليست جديرة بالذكر والثناء والطلب أمام تلك السعادة الأخروية الأبدية العظيمة .

. .

هـ – إهمال النفس الأمارة بالسوء .

ومما يؤخذ على الكونفوشيوسية أنها أكدت على جانب الفطرة الإنسانية الخيرة تأكيدا شديدا مبالغا فيه ، وأهملت في سبيل التأكيد على هذه النقطة جانب النفس الإنسانية الشريرة وفتنة الشيطان المضلة عن سواء السبيل ، وذلك تمشيا مع موقف الكونفوشيوسية في عدم اتخاذ موقف إيجابي من الملائكة والآخرة والحياة بعد الموت والشيطان .

لهذا السبب بعينه ، نشأ الجدال حول مشكلة طبيعة الفطرة الإنسانية ، خيرة أم شريرة ، وذلك في عصور مبكرة من التاريخ الكونفوشيوسي، بين الفيلسوف (هسون تس)[٢] الذي يمثل الاتجاه القائل بنظرية الفطرة الإنسانية الشريرة وبين (منشيوس)[٣]الذي تمسك بنظرية الإنسانية الخيرة .[٤]

ولو أن الكونفوشيوسية كان لديها ما يبين منبع الشر من النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان ، لما نشأت تلك المجادلات والمناقشات حول طبيعة الفطرة الإنسانية ، ولما احتاج علماء الكونفوشيوسية إلى منشيوس ليبين ويشرح نظرية الفطرة الإنسانية الخيرة فيما بعد ، والجدير بالذكر هنا أن الفيلسوف (هسون تس) قد هاجم نظرية منشيوس في الفطرة الإنسانية الخيرة بعد ما قدمها هو ، وهذا يدل على أن نظرية منشيوس لم تستطيع أن تقنع هذا الفيلسوف الكونفشيوسي ، ولم يجد إجابة مقنعة لمشكلة وجود الشر بمظاهره المتعددة في الواقع الإنساني . [١]

٤– مناقشة موقف الكونفوشيوسية من الأمور الغيبية

---

[١] الحديث متفق عليه ، رواه الإمام البخاري ٣ / ١١٨٥،ورواه الإمام مسلم ٤ / ٢١٧٤ .

[٢] سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

[٣] سبق الكلام عنه في الباب الثاني الفصل الثاني .

[٤] سبق الكلام عن هذه النظرية في الباب الثالث الفصل الثالث .

[١] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكنفوشيوسية – د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ٢١١ – ٢١٨ .

١ – الإيمان باليوم الآخر وما فيه :

يقوم الفكر الكونفوشيوسي على أساس الحياة الدنيا فقط ؟ ولا يؤمنون بحياة بعد الموت ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب إلا في هذه الدنيا .

وهذا تصور قاصر وفهم محدود ، إذ ما الفائدة في حياة فيها الكثير من الصعاب والعقبات والكبد والمشقات التي يقضي الإنسان فيها عمره ؟

وقد نرى في هذه الحياة الدنيا من يتمسك بالعدالة ، ويتحلى بالفضيلة ويراعي حسن السلوك ، لكنه يعيش مسلوب الحقوق كسير الجناح ، ونرى من يتصف بالجور والظلم والفساد ، دون أن ينال عقابه أو يلقي جزاءه!! .

فمن العدالة أن يكون هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة التي نعيشها ليلقي فيها المحسن جزاء الإحسان ، والمسيء الظالم عقاب إساءته وظلمه ، وكلما تذكر الإنسان حقيقة هذا الأمر وما فيه سارع إلى الخير وازداد منه وتحرر من الشر ونفر منه .

وإذا كان توحيد ا في ربوبته وأسمائه وصفاته وألوهيته يحرر القلب البشري من قبضة الأرباب المرهوبة فينطلق بكل حيويته وفاعليته في واقع الأرض معرضاً عن الطواغيت متبرأً منهم فإن الإيمان باليوم الآخر يحرر ذلك القلب من الأرباب المرغوبة من عبودية الهوى والشهوات فينطلق بكل حيويته وفاعليته ليقوم بدور الخلافة الراشدة في الأرض ، على المستوى الأعلى اللائق بالإنسان لا على المستوى الحيواني الذي كل همه الشهوات [٢] .

وقد ربط ا عز وجل سلوك المسلم في مجتمعه وأخلاقه نحو الآخرين وتعامله بالإيمان با واليوم الأخر مباشرة ، فنرى في القرآن سورة كاملة تبين أن الذين يهملون في حقوق الآخرين قوم لا يؤمنون بيوم الدين ، ولهم الويل والهلاك والعذاب الأليم ، ولو كانوا مؤمنين حقا لصلح حالهم واستقام سلوكهم ظاهرا وباطنا قال تعالى في سورة الماعون ا أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

[٢] الإسلام وحاجة البشرية إليه - د / رفعت فوزي عبدالمطلب - دار السلام القاهرة ، ط أولى سنة ١٩٨٦ ، ص ٥٧ - ٥٨ . عن/ الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٨٦ .

﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧ ﴾ [الماعون:١-٧]

كذلك اشتملت السنة المطهرة على ربط السلوك وحسن التعامل مع الآخرين بالإيمـان باليوم الآخر ، والثواب أو العقاب فيه على الخير أو الشر ، ومن ذلك : ما رواه أنس بن مالـك رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [١] وما رواه أبو هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال: " من نفس عن مؤمن كربه من كرب الدنيا نفس ا عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يـسر ا عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره ا في الدنيا والآخـرة وا فـي عـون العبد ما كان العبد في عون أخيه . . . الحديث " رواه مسلم [٢] .

وما هذه الحياة الدنيا مع ما فيها من الكدح والرزق والسعي والكبـد إلا تمهيـد وتهيئ لملاقاة لخالق في ذلك اليوم ، الذي تتم فيه رحلة الإنسان وتختم إمـا بالجنـة أو بالنار.

والموت ليس نهاية المطاف ، ولكنه حلقة في سلسلة ونقطة فاصلة بين مـرحلتين من الوجود، جعلت الديانات السماوية إحداهما للغرس والأخرى للحصاد فمن زرع خيـرا لا يجني إلا الخير والسعادة ومن زرع شرا لا يجني إلا الحـسرة والـشقاوة ا ﴿ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[سورة النساء: ١٢٣]

---

[١] حديث صحيح رواه البخاري (ح ١٢ / الإيمان) ورواه مسلم (ح / ٦٤ / الإيمان) ورواه الترمذي (ح / ٢٤٣٩ / صفة القيامة) النسائي (٤٩٣٠ / الإيمان) عن أنس بن مالك .

[٢] و الترمذي (٤ / ١٤٢٥) وأحمد في مسنده (٢ / ٢٥٢) .

كما أن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جزاء متمم للإيمان بوجود ا والهيته وربوبيته فما دمت سلمت بوجود إله خالق رحيم عدل يحب الخير ويكره الظلم فلابد أن تسلم بقدرته على جمع الناس مرة أخرى وحسابهم في دار غير هذه الدار ومعاقبة المسيء بالنـار ، ومجازاة المحسن بالجنة .

ولا يليق إن ينسب إليه تعطيل الخليقة ، وإرسالها هملا ، وتركها سدى ، تعـالى ا عن ذلك علوا كبيرا " قال ا تعالى ا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ {المؤمنون : ١١٥ -١١٦} .

وبهذا تبين لنا خطا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالحياة بعد الموت ، ولا يؤمنون بالآخرة وما فيها من جزاء وثواب وعقاب ، يقولون كما قال قدماء الكفـرة: إن هـي إلا أرحـام تدفع وأرض تبلع ، وما يهلكنا إلا الدهر

ا ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ {الجاثية – ٢٤}

فهؤلاء الذين استنكروا البعث رد ا عليهم بأن استبعادهم لا معنى له ! وأن دعـواهم لا تتعدى مرحلة الظن وفرق بين الظن واليقين أو الظن والعلم فرق بـين أن تبنـي حكمـا على ظن وأن تبنيه على علم يقين فالأول لا يكون مؤكداً ولا يسلم به الخـصم والثـاني مسلم به لا يرفضه إلا مكابر أو جاهل وصدق ا العظيم إذ يقـول ا﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾[النجم:٢٨-٣٠] والإيمان با واليوم الآخر عاملان مهمان جـدا في استقامة الأخلاق وصلاح المجتمعات ، وبدونهما ينهار كـل شـيء ، تنهـار الأخـلاق

وتنهار المجتمعات ويزول الأمن وتعم الفوضى ويسود قانون الغاب ، فإن معتقد الإيمـان با والیوم الآخر " هو رأس كل عقيدة ، وأساس كل إيمان ، وعليه مدار استقامة الإنـسان ، وصلاح خلقه وطهارة روحه ، وبدونه فالإنسان مخلوق لا خير فيه لا لنفسه ولا لغيـره ، وهو شر كله، لا يؤمن جانبه ولا يطمأن إليه ولا تسكن النفوس عنده ، وذلـك لمـا انعـدم عنده من أصول الخير ، وينابيع الفضيلة والكمال البشري " [١] .

والخلاصة : أن لكل شيء في الدنيا أجلا ينتهي إليه ، وكذلك العالم الـذي نعـيش فيه له أجل ينتهي إليه ويحل محله نظام آخر تكون قوانينه الطبيعية مختلفة عن قوانين هذه الحياة التي نعيشها ، وبعد انتهاء العالم وقيام الحياة الآخرة ورجوع الناس وجميـع الخلائق إلى ا ، سيحكم بينهم بالعدل ، ويجازى كل إنسان على عمله إن خيرا فخيـر ، وإن شرا فشر .

والدين الحق الذي يؤمن با واليـوم الآخـر ويبنـى تـصوراته وقيمـه ونظمـه وسلوكياته على أساسها هو الدين الإسلامي فقط دون سواه وبهذا تبين لنـا خطـا الـذين يسقطون من تصوراتهم وحساباتهم الإيمان باليوم الأخر والاعتقاد بالبعث والحساب والجنـة والنار . [٢]

٢-الإيمان بالقضاء والقدر :

يعتقد الكونفوشيوسيون بأن حالات الـسلم والحـرب والـصحة والمـرض والفقـر والغنى حالات مقدره لا يمكن الخروج عنها أو تغييرها أو الفكـاك مـن ربقتهـا إلا فـي حالات نادرة ببذل الجهد الذي في وسعه وترقب نصيبه من الأقدار ولكن ذلك منفـصل عن السماء أو إله السماء كما ذكرت ذلك بشيء من التفصيل سابقا .[٣]

تعريف القضاء والقدر لدى أهل الإسلام :

وردت بعض التعاريف للقضاء والقدر عن علماء المـسلمين اختلفـت فـي مبناهـا واتفقت في معناها نذكر منها :

أن القضاء والقدر: " علم ا تعالى الأزلي بكل مـا أراد إيجـاده مـن العـوالم والخلائـق والأحداث والأشياء ، وتقدير ذلك الخلق ، وكتابته في اللوح المحفـوظ كمـا هـو حـين يقضي بوجوده في كميته وكيفيته ، وصفته وزمانه ، ومكانـه وأسـبابه ومقدماتـه

---

[١] عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري ، دار الكتب السلفية القاهرة ، مصر ، ١٩٨٥ ، ص ٣٤٣ .

[٢] الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٨٧- ١٩١ بتصرف .

[٣] راجع ص ٢١٩ - ٢٢١ من البحث .

ونتائجه بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن إبانه ولا يتقدم عما حدد له من الزمن ولا يتبـدل في كميته بزيادة أو نقصان " [١] .

ومنهم من عرف القضاء تعريفا مغايرا للقدر فقال :

القدر : علم ا تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل .

والقضاء : إيجاد ا تعالى الأشياء حسب علمه وإرادته ، ومنهم من عرفهما تعريفا واحـد فقال : (هو النظام المحكم الذي وضعه ا لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التي يربط بها الأسباب بمسبباتها) [٢] .

يقول الإمام الطحاوي[٣]-رحمه ا - (وأصل القدر سر ا تعالى في خلقـه لـم يطلـع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخـذلان ، وسـلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا ووسوسة وفكـرا ، فـإن ا تعالى طوي علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى فـي كتابـه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(الأنبياء ٢٣) فمن سأل لم فعـل؟ فقـد رد حكم الكتاب،ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين"[٤]. وقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (الرعد: ٨)

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (الحجر:٢١)

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمـر: ٤٩). فالقـضاء والقـدر المتعلقـين بالنظـام الكوني بصفة عامة أو بالإنسان خاصة مردها إلى ا سبحانه خالق الكون عامة والإنـسان خاصة ليس لغيره سبيل إليها لأنه ليس غيره خالق أو مالك بإطلاق .

---

[١] عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري - ص ٤٣٣ .

[٢] الإيمان – أركانه – حقيقته – د / محمد نعيم ياسين - ص ٧٢ – ٧٣ بتصرف .

[٣] الإمام الطحاوي هو أبو جعفر أحمد بن سلامه الأزدي الطحاوي ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين بمصر ، إمام ثقة ثبت فقيه محدث ، حافظ أحد الإعلام والحفاظ الجهابذة .

[٤] شرح العقيدة الطحاوية - الطبعة الثامنة ١٩٨٤م - ص ٢٤٩ .

أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع :

أ- وإذا كان القضاء والقدر سرا أخفاه ا عن خلقه ، فلا ينبغي لأحد أن يتوكل أو يتكاسل أو يقعد عن السعي لتحسين أحواله الدينية أو الدنيوية احتجاجا بالقدر المسبق ، والقضاء المبرم ، بل ينبغي أن يجاهد ويكد يسعي ويسأل ا أن يهديه للخير ويوفقه للرشاد ، فيبعثه الإيمان بالقدر على النشاط والعمل الإيجابي والسعي الدءوب لتحصيل خيري الدنيا والآخرة .

ب- والإيمان بالقدر يجعل الإنسان يعيش أمنا مطمئنا في هذه الحياة ، فإذا مسه مكروه لا يحزن ، ولا ييأس ، وإذا حاز توفيقا ونجاحاً فلا يبطر ولا يطغى ، يعيش إنساناً سويا متزنا ، لا هم يحزنه ولا أمل يقلقه ولا حرص يجزعه لأنه ا مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد ٢٢ ، ٢٣)

ت- كما أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يكون ذريعة للتكاسل عن الطاعات أو التواني في أداء الواجبات أو التقصير في تنفيذ المهمات ، أو سلما لاقتراف القبيح من المنكرات بل يجب أن يدفع إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال .

ث- كما أن إيمان المؤمنين بالقضاء لا يدفعهم إلى ترك الأسباب أو تعطيلها ، وإنما قد بين رسول ا ﷺ أن الأخذ بالأسباب المشروعة من القدر ، فأمر بالسعي طلبا للرزق ، وأمر بالتعليم دفعا للجهل ، وأمر بالتداوي طلبا للشفاء ، وأمر بالجهاد إعلاء لكلمة ا ، وإعزازا لعباد ا وتخليصا للمستضعفين ، هذا هو الأثر الفعال للإعتقاد الصحيح بالقضاء والقدر ، أما أن يقعد الإنسان ويستكين للظلم أو يرضي بالضيم ، ويكتفي بالجهل ، ويخنع للذل ويستكين للقهر احتجاجا بالقدر ، أو يعتقد أنه مجبور في كل الأمور ، لا فكاك له من ترس الحياة ، ولا خلاص له من يد الجبر التي سلطت عليه ، توجهه حيث شاءت ولا إرادة له في ذلك ، فهذا هو الجهل بعينه

وهذا هو سر تخلف الأمم وتأخرها .[1]

---

(١) أنظر : الإيمان – محمد نعيم ياسين – ص ٨٠ . و العقائد الإسلامية – السيد سابق – ص ٨٦ .

٣– : الإيمان بالملائكة :

يغفل الكونفوشيوسيون الإيمان بالملائكة ، بحجة عدم الخلط والخطأ، وكذلك الكونفوشيون لأنهم لا يؤمنون إلا بما تراه عيونهم وتحسه جوارحهم ، أما ما وراء الطبيعة فلا يؤمنون به .

والملائكة موجودون خلقهم ا عز وجل من نور ، وقد رأي الأنبياء بعضهم ، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان جاء بذلك الكتاب والسنة قال تعالى ا يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء:١٣٦)

ومن السنة: حديث جبريل المشهور الذي أخرجه الإمام مسلم والبخاري عن عمر بن الخطاب رضي ا عنه ، عندما سأل جبريل عليه السلام رسول ا ﷺ عن الإيمان ، قال : (أن تؤمن با وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) [٢] . هؤلاء الملائكة ليسوا آلهة وليسوا أربابا ، وليسوا بنات ا كما ادعت ذلك بعض الأمم الضالة في العصور القديمة والحديثة ، بل هم عباد مكرمون لا يعصون ا ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فهم جنود طائعون عز وجل يصدرون عن أوامره ويتحركون بأمره ا وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم:٦٤)

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة ، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات ، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ووكل بالحساب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته ، ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالسؤال في

الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ١٩٣- ١٩٦ .

[٢] أخرجه مسلم (١ / إيمان / ٣٦ / ج١) والترمذي (١٥ ج ٢٦١٠) وأبو داود (٤ / ج ٤٦٩٥)

القبر ملائكة ، ووكل بالأفلاك ملائكة ووكل بالشمس والقمر ملائكة ، ووكل بالنار ملائكة ، ووكل بالجنة ملائكة ، فملائكة قد وكلوا بحمل العرش ، وملائكة قد وكلـوا بعمـارة السموات بالصلاة والتسبيح والتقديس . . . إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحـصيها إلا " .

أثر الإيمان بالملائكة:

- الإيمان الصحيح بالملائكة يخرج الفرد والمجتمع من شبهة الـشرك ، إلـى نـور الإيمـان والتوحيد وصفاء العقيدة ، والإيمان بالملائكة يوسع آفـاق الإنـسان ومداركـه فـي الإحساس بعالم الغيب الذي جعله ا لازمة من لوازم المتقين .
- ينظر المؤمن إلى الملائكة على أنهم أبرار مطهرون كرام لهم القربى والمنزلة الكريمة عند ا ، فيحاول أن يتطهر من الرذائـل ويجتنـب الموبقـات حتـى يحظـى بمثـل درجتهم عند ا .
- عندما يعلم الفرد أن هؤلاء الأبرار معه في كل مكـان لا يفارقونـه يحـصون عليـه أعماله ويكتبونها يستحي منهم فلا يخالف أمر ا في جميع أموره . [1]

وبهذا نعلم أن الإيمان بالملائكة عامل مهم في طمأنينة الفرد وسلامة المجتمع فالحمـد على نعمة الإسلام .

٤- : الجن والشياطين :

ومن فروع الإيمان بالغيب الإيمان بوجود خلق خفي يسمى الجن والشياطين.
ولم يكن الصينيون ولا الكونفوشيوسيون منهم يعتقدون بوجود الشياطين لأن الشر عندهم عرضي ، كما يقولون ، وليس عندهم إله للخير وإله للشر .

فأما مسألة عدم وجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر ، فهذه هي الحقيقـة لأنـه ليس هناك إلا ا الأحد الفرد الصمد الفاعل القادر المختار قال تعالى :

ا لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء:٢٢)

---

[1] الإيمان – محمد نعيم ياسين – ص ٢٨ بتصرف .

وأما وجود الجن والشياطين فهو ثابت بالنقل والعقل ، والجن لهم إرادة عاقلة مميزة مختارة كالإنسان ، وهم مستترون عن الحواس لا يرون على حقيقتهم المجردة ، ولهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، وهم مخلوقون من لهب النار ، وهم مكلفون كالأنس فمن سمع منهم وأطاع فله جزاء الحسنى ، ومن أعرض منهم عن هدى مولاه كانت له نار جهنم وساءت مصيرا .

ا وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن: ١٣ -١٥).

ومع الإيمان بوجود الجن والشياطين إلا أنه ينبغي أن نتذكر أنهم ليسوا آلهة ولا مساعدين للإله سبحانه ولا يعلمون الغيب فهم :

أ- في حاجة إلى الطعام والشراب : لأجل التغذية اللازمة لهم حسب طبيعتهم .

ب- يتوالدون ويتناسلون حسب طبيعتهم لأجل التكاثر .

ت- لا يعلمون الغيب : فإن علم الغيب مما أستأثر ا به ، وا لا يطلع على غيبه أحدا إلا إذا أراد أن يبلغ شيئا من ذلك العلم إلى رسله الكرام فقط إلا أن ا تعالى أعطى الجن والشياطين القدرة على الصعود إلى السماء الدنيا واستراق السمع من الملائكة ، فيعودون به إلى الأرض ، ويفضون به إلى أوليائهم من الإنس فيحدثون به الناس ويضلونهم ويفتنونهم ويوهمونهم أن أولياءهم من الجن يساعدونهم على معرفة الغيب واستشراف المستقبل ، واستقراء القدر المكنون ، وقد كذبوا في ذلك .

ث- الإنسان هو السبب في سيطرة الشيطان عليه والوقوع في حبائله .

ج- الإيمان بوجود الجن والشياطين يؤدي إلى الحذر من حبائلهم ومعرفة عداوتهم للإنسان ، فيستعين با أن يخلصه منهم ويعيذه من وساوسهم وكيدهم .[1]

٥- موقف الكونفوشيوسية من العبادة

---

[1] - الكونفوشيوسية سليم المسلمي - ص ١٩٩ ص ٢٠٠ بتصرف .

١- العبادة

الكونفوشيوسيون - كغيرهم من الصينيين - يعبدون أرواح الأجداد، ويعبدون كونفوشيوس والعظماء لديهم ولهذه العبادات طقوس وأشكال مختلفة وذلك حسب من يقوم بها ، ولا يستوي الجميع لديهم في القيام بهذه العبادة فلكل صنف أو فئة عبادة . . . وهذه العبادات مفروضا فيها أن تأتي بالنفع لبني الإنسان كما يدفع أداؤها - في نظر كونفوشيوس - إلى صلاح النظام الاجتماعي والأخلاقي .

أما العبادة في الإسلام فهي وحده وهي الغاية من خلق الإنس والجن كما قال تعالى: ا وما خلَقْت الْجِن والْإِنس إِلا ليعبدون﴾ (الذريات:٥٦)

كما أنها أشرف وأعلى مقامات الإنسان ، فقد وصف ا بها نبيه محمدا ﷺ في رحلة الإسراء فقال: ا سبحانَ الذي أَسرى بِعبده لَيلاً من الْمسجِد الْحرامِ إِلَى الْمسجِد الْأَقْصى الذي باركْنا حولَه لنرِيه من آياتنا إِنه هو السميع الْبصير﴾ (الإسراء:١)

والعبادة التي هي غاية الوجود الإنساني ، والتي هي وظيفة الإنسان الأولى ، أوسع وأشمل من مجرد الشعائر ، ووظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعاً، وحقيقة العبادة تتمثل في أمرين أساسيين :-

الأول : استقرار معنى العبودية في النفس أي استقرار الشعور أن هناك عبدا وربا عبد يعبد ورب يعبد ، وأن ليس وراء ذلك شيء ، وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الاعتبار ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود وإلا رب واحد ، والكل له عبيد .

الثاني : هو التوجه إلى ا بكل حركة في الضمير ، وكل حركة في الجوارح ، وكل حركة في الحياة ، التوجه بها إلى ا خالصة ، والتجرد من كل شعور آخر ومن كل معنى غير معنى التعبد ، بهذا وذلك يتحقق معنى العبادة ويصبح العمل كالشعائر ، والشعائر كعمارة الأرض ، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل ا ، والجهاد في سبيل ا كالصبر على الشدائد والرضا بقدر ا ... كلها عبادة

وكلها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق ا الجن والإنس لها " [١] .

٢-: العبادة لا تكون إلا لله وحده :

فطر ا الإنسان على الاتجاه إليه وحده بالعبادة . . . تتجه هذه الفطرة إلى الخالق الأعلى من أعماق نفسها ، وهي عهد ا الذي أخذه على بني آدم وهم بعد في عالم الذر في صلب أبيهم آدم عليه السلام :

ا وإذْ أَخذَ ربك من بنِي آدم من ظُهورِهم ذُريتهم وأَشهدهم علَى أَنفُسِهم أَلَست بِربكُم قَالُوا بلَى شهدنا أَنْ تقُولُوا يوم الْقيامة إِنا كُنا عن هذَا غَافلين ﴾ (لأعراف:١٧٢)

وعبادة ا وحده فطرة الإنسان ، وسعادة الإنسان في تجاوبه مع هذه الفطرة فالإنسان كائن متدين ومخلوق عابد ، وأصل عبادته أن تتجه إلى ا وحده الذي خلقه فسواه وعدله ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وسخر له ما في السموات والأرض رحمة منه وفضلا .

لكن قد تنحرف هذه الفطرة فتتجه إلى غير ا بالعبادة نتيجة عوامل مختلفة. لذلك كان من سنة ا في خلقه تصحيح هذا الإتجاه كلما انحرف بإرسال رسل من عنده جل وعز ليوجهوا الناس إلى الطريق الصحيح في العبادة وهو الإتجاه إلى ا سبحانه وحده ومع ذلك قد يؤمن ويصدق بالرسل أقوام ويكفر بهم آخرون وقد تغيب دعوة الرسل هذه عن البعض فتكون النتيجة أن يبتعد كل من الكفار ومن غاب عنهم خبر الرسالة عن المنهج الصحيح فجاء رسول الإسلام ﷺ عاماً لكل البشر وكلف كل من آمن به أن يبلغوا المنهج الصحيح في العبادة إلى كل فرد في أنحاء المعمورة حتى لا يحتج أحد بأنه لم تبلغه الرسالة . فيبقى من كفر بالرسالة وجحد بها أولئك الذين حق عليهم عذاب ا وأولئك الذين لم يشرح ا صدورهم للإسلام حيث جاء الإسلام العظيم يدعو إلى عبادة ا وحده ، ونبذ عبادة كل ما سواه ومن سواه من الآلهة المزعومين ، والأرباب المزيفين ، وسواء كانوا من البشر أم من الجن ،أم أي عالم من عوالم المخلوقات العلوية والسفلية وروح الإسلام هو التوحيد .. توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية الذي هو إفراد ا بالعبادة ، وأول ما دعا إليه رسول الإسلام ﷺ ملوك الأرض وأمراءها هو هذه القضية الكبرى: أن يعبد ا وحده

---

[١] في ظلال القرآن - سيد قطب - المجلد السادس - ص ٣٢٨٧ .

لا شريك له ، وأن تطرح الآلهة والأرباب التي أتخذها الناس من دون ا ، فأذلوا أنفسهم لمن لا يستحق الذل والخضوع " [١] .

فالعبودية لغير تورث الذل والقهر والاستعباد لمن لا يستحق ، أما العبودية وحده فإنها تورث العز والعظمة والشرف والكرامة ، فلا عبادة لشمس ولا لقمر ولا لأرض ولا لسماء ، ولا لآباء ولا لأجداد .

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت:٣٧)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : " يقول ا تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " [٢] .

ولما سأل رستم قائد الفرس ربعي بن عامر : ما جاء بكم ؟ قال ربعي : ا ابتعثنا وا جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة ا ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

وكما أن العبادة لا تكون إلا وحده لا شريك له ، لأنه المستحق للعبادة ، فلم يترك ا سبحانه مجال العبادة لكل واحد من الناس ، أو جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم ، تعبده على وفق هواها ، أو تبعا لأغراضها الشخصية تزيد وتنقص ، وتقدم وتؤخر ، وتحل وتحرم حسب ما يروق لها .. كلا بل يعبد ا وفق شرعه وأمره ، فلا يصح منهم أن يزيدوا أو ينقصوا فلا إفراط ولا تفريط فمن زاد أو نقص فقد أساء أو ظلم ، لا تصح عبادته ولا تقبل طاعته .

يقول الإمام ابن تيمية"رحمه ا " في رسالة العبودية : " جماع الدين أصلان : ١- ألا نعبد إلا ا .

٢- ولا نعبده إلا بما شرع .

لا نعبده بالبدع كما قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا ا ، وشهادة أن محمدا رسول ا ففي الأولى : ألا نعبد إلا ا ، وفي الثانية : أن محمدا هو رسوله المبلغ عنه ، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره ،

---

[١] العبادة في الإسلام - د / يوسف القرضاوي - ص ١٣٥ -١٣٦ بتصرف .

[٢] الحديث : رواه مسلم (٥٣٠٠ / الزهد والرقائق) وابن ماجه (٤١٩٢ / الزهد) عن أبي هريرة .

وكما أننا مأمورون ألا نخاف إلا ا ، ولا نتوكل إلا على ا ، فكذلك نحن نحن مـأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ، ونتأسى به ، فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمـه والـدين مـا شرعه " [١] .

٣- الغاية من العبادة :

نظرت الكونفوشيوسية إلى العبادة على أنها تجلب النفع المادي الدنيوي لبنـي الإنسان ، وتؤدي إلى صلاح الهيئة الاجتماعية في الدنيا فقط والعبادة في الإسلام تتسع لتشمل كل حركة وكل عمل ترتقي به الحياة ويسعد به الناس . . . كما بينا سابقاً .

والمسلم يعبد ا أولا وقبل كل شيء – لأنه الخالق الجدير بهذه العبادة والإنسان عبد .. يطيعه ويعبده بصرف النظر عن الثواب والعقاب أو الصلاح الاجتماعي والأمـان الدنيوي الذي يتحصل عليه بالعبادة ، ولهـذا فقـد اعتبـر العلمـاء أن أعلـى مقامـات العبودية أن يعبد الإنسان ربه لكونه الإله الخالق .

مع هذا .. فلا حرج على الإنسان أن يعبد ا خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ، هروبا من ناره ورغبة في جنته ، فالأنبياء والصالحين يسألون ا الجنة ويتعوذون به مـن النار ، ويسألونه صلاح الدنيا والآخرة ، هاهو يوسف عليه السلام يقول : ا رب قَد آتيتنِي من الْملْك وعلمتنِي من تأْوِيلِ الْأَحاديث فَاطر السماوات والْـأَرضِ أَنـت وليـي فـي الـدنيا والْآخرة توفنِي مسلماً وأَلْحقْنِي بِالصالحين ﴾ (يوسف:١٠١)

ومن بعده سليمان عليه السلام : ا (فَتبسم ضاحكاً من قَولها وقَالَ رب أَوزِعنِـي أَنْ أَشكُر نِعمتك التي أَنعمت علَي وعلَى والدي وأَنْ أَعملَ صالحاً ترضاه وأَدخلْنِي بِرحمتك في عبادك الصالحين﴾ (النمل:١٩)

وكذلك سائر الأنبياء والصالحين والمتقين يسألون ا الجنة ويعوذون به من النار .

" وإذا خلا القلب من ملاحظة الجنة والنار ورجاء هذه والهروب من هـذه فتـرت عزائمه وضعفت همته ووهي باعثه ، وكلما كان أشد طلبا للجنة وعملا لها، كان الباعث له أقوى ، والهمة أشد والسعي أتم [١] .

---

[١] العبودية - لابن تيمية - ص ١٧٠ -١٧١ .

فالعبادة في الإسلام ليست وسيلة للتهذيب الأخلاقي والنفع الدنيوي فقط ، بـل هي حق ا على عباده أولا والمقصود الأول منها " أن يعرف العبد نفسه فقيرا لا حول ولا قوة له إلا بربه ولا اعتماد له إلا عليه ، ولا قيام له بذاته ، ويعرف ربه عليا كبيـرا غنيـا عن العالمين ا يا أَيها الناس أَنتم الْفُقَرَاءُ إِلَى الله والله هو الْغنِي الْحميد * إِنْ يشأْ يـذْهبكُم ويأْت بِخلْقٍ جديد* وما ذَلكَ علَى الله بِعزِيزٍ﴾(فاطر: ١٥-١٧)

أما صلاح النفس وزكاة الضمير واستقامة الأخلاق فهي ثمرة لازمة للعبادة الحقـة وليست علة غائية لها " [٢] ، كما تقول الكونفوشيوسية وغيرها من الديانات الوضعية التي ترى في العبادة نفعا ماديا دنيويا فقط .

٥-: المساواة في أداء العبادات :

تختلف الطقوس والعبادات لدى الكونفوشيوسية حسب من يقوم بها ولا يتساوي الجميع في طقس معين .. بل ربما وجدنا لكل طبقة من الطبقات طقوسا تختلـف عـن الأخرى ، وكما رأينا فالإمبراطور له طقوس معينة ويتوجه – وحده – بعبادته إلى إلـه السماء .. والنبلاء والوزراء لهم طقوس أخرى ، وعامة الشعب لهم طقوس مخالفة . . .

ولكن في الإسلام ا سبحانه رب الناس جميعـا ورب الـسموات ورب الأرض رب العالمين .. إله واحد أنزل دينا واحدا وفرض فرائض محدودة وجعل الناس جميعا فـي القيام بها وأدائها سواء ، ويحاسب كلا على عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر . ا يـا أَيهـا الناس إِنا خلَقْناكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْناكُم شعوباً وقَبائلَ لتعارفُوا إِن أَكْرمكُم عند الله أَتقَاكُم إِن الله عليم خبِير﴾ (الحجرات:١٣)

والمساواة : من مبادئ الإسلام العظيمة ولها مظاهر كثيرة في جميـع جوانـب التشريع الإسلامي ، فالصلاة مكلف بها الجميع . . ينادى لها فيفتـرض مـنهم جميعـا أن يؤدوها في صف واحد في مكان واحد في وقت واحد بكلمات ودعوات واحـدة

---

[١] العبادة في الإسلام ، يوسف القرضاوي ، ص ١١٣ -١١٤ بتصرف .

[٢] المرجع السابق ص ١١٦ . انظر الكونفوشيوسية . سليم المسلمي ص ٢١١ .

ينادي ا عز وجل المؤمنين جميعا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركَعوا واسجدوا واعبدوا ربكُم وافْعلُوا الْخير لَعلكُم تفْلحونَ﴾ (الحج:٧٧)

" فليس في المسجد لائحة تخصص الصف الأول للوزراء ، والصف الثاني للنواب والثالث للمديرين ، أو موظفي الدرجة الأولى أو كبار الملاك .. وإنما الجميع سواسية كأسنان المشط الواحد .. فمن بكر إلى الذهاب إلى المسجد احتل مكانته في مقدمة الصفوف أيا كانت منزلته وعمله في الناس " [١] ، إنه الإخاء والمساواة نادى بهما الإسلام نظريا وينفذهما عمليا .. في الصلاة .

تتلاصق الأبدان وتتعارف الوجوه ، وتتصافح الأيدي .. وتتناجى الألسن وتتآلف القلوب ويلتقون على وحدة الغاية والهدف والوسيلة .. يصلون خلف رجل واحد (هو الأمام) ويناجون ربا واحد هو (ا) ويتلون كتابا واحد هو (القرآن) ويتجهون إلى قبلة واحدة (هي الكعبة) البيت الحرام ، ويؤدون أعمالا واحدة .. يشعر الجميع أنهم أمام ا سواء ، فلا يصح للأمير أن يخرج بهم عن دين ا لأنهم تعلموا في الصلاة أن يصححوا للإمام خطأه وأن يتبعوه طالما كانت صلاته صحيحة . . . وما هذا الأمير إلا واحد منهم وهو مثلهم تحمل أمانة القيادة والقيام على أمور الدولة وفق دين ا وشرعه ، وهو أخوهم وهم إخوانه، والكل يبتغي وجه ا ورضاه وجنته ورضوانه " [٢] .

والزكاة : مساواة بين الفقراء والأغنياء يكمل كل منهم الآخر ويعطي الواجد المعدم .

والصيام : يطالب جميع المؤمنين بهذا الصيام وليس هناك صيام أو شكل معين لصيام الإمبراطور ، وشكل آخر للوزراء والنبلاء وثالث للدهماء وعامة الشعب بل الجميع يصومون في أول الشهر ، وفي كل يوم يبتدئ صيامهم عند مطلع الفجر ويستمر حتى غروب الشمس وذلك كل يوم من أيام رمضان .

والمساواة في الحج :" نرى معنى المساواة في أجلى صورة وأتمها ، فالجميع قد أطرحوا الملابس والأزياء المزخرفة ، ولبسوا جميعاً ذلك اللباس البسيط – الذي هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى – يلبسه الملك والأمير ، كما يلبسه المسكين والفقير،

---

[١] العبادة في الإسلام – د. يوسف القرضاوي – ص ٢٣٠ بتصرف .

[٢] المرجع السابق – ص ٢٤٣ بتصرف .

وإنهم ليطوفون بالبيت جميعا فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك قوت يومه ، ويقفون ألوفا فلا تحس بفقر فقير ولا غنى غني . . .

وكما كان الناس متساوين في العبادات والحقوق والواجبات ، كذلك هم متساوون مساواة كاملة إمام شرع ا ، لا فرق بين سيد وعبد ولا بين شريف وضعيف ، وقد حذر الرسول ﷺ من عادة تطبيق الحدود على قوم دون قوم ، وعلى طبقة من الناس دون طبقة ، وبين أن هذا سبب هلاك الأمم الماضية فقال ﷺ " إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم ا لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [١] .

فوضع بذلك حدا للمظالم التي كانت قائمة في الأرض والتي ظلت قائمة في غير الإسلام ، ويضع بذلك حدا للخرافة البغيضة التي تفرق بين الناس في الخلقة وتفرق بينهم بعد ذلك في الحقوق . . .[٢]

---

[١] أخرجه البخاري (ح / ٣٤٧٥ / فتح) ومسلم (ح / ١٣١٥ / حدود) .

[٢] أنظر الكونفوشيوسية- سليم المسلمي -ص ٢١٢- ٢١٥.

٦- موقف الإسلام من نظرية المعرفة لدى الكونفوشيوسية

يرفض الإسلام نظرية المعرفة الكبرى في الكونفوشيوسية رفضا حاسـما لا تـردد فيه ، لأنه جاء ناسخا لجميع الأديان وما تدعو إليه من عقائد ونظريات وطقوس ونظـم ، وخاتما لسلسلة الهدي الإلهي بواسطة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذي بـدأ بـأبي البشر آدم عليه السلام ، وانتهي مع النبي العربي محمد بن عبد ا ﷺ .

ولم يكن هذا الرفض جهلا أو تعصبا ، بل كان مبنيا على الحقائق الثابتة والمعارف اليقينية الصحيحة ، لأن مما تقتضيه الرسالة المحمدية أنها جاءت تصديقا لجميـع النبـوات والرسالات الإلهية الصحيحة ، وتفصيلا لكل شيء لتكون هدى ورحمة للمؤمنين كما قـال تعالى : (لَقَد كَانَ في قَصصهم عبرةٌ لأُولي الْأَلْبابِ مـا كَـانَ حـديثاً يفْتـرى ولَكـن تصديق الذي بين يديه وتفْصيلَ كُلِّ شيءٍ وهدى ورحمةً لقَومٍ يؤمنونَ) [١].

ولا يتم هذا التصديق والتفصيل إلا إذا أقر ما كان في تلك النبوات والرسالات من رشد وخير ، وصحح ما طرأ عليها من نقصان وعيب ، وقوم ما أحدثه الناس فيها من انحـراف واعوجاج . كما قال (الْيوم أَكْملْت لَكُم دينكُم وأَتممت علَيكُم نِعمتي ورضـيت لَكُـم الْأسلام ديناً)[٢] .

نأتي الآن إلى نظرية المعرفة الكبرى في الكونفوشيوسية نفسها لنبين بشيء مـن التفصيل موقف الإسلام منها ، مستدلين بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهـرة من الأصول الكلية والقواعد الجامعة التي تمكننا من معرفة موقف الإسـلام مـن هـذه الأفكار والنظريات .

١- فالنقطة الأولى التي يمكن أن نبدأ بها في بيان موقف الإسلام من نظرية المعرفـة الكبرى هي : نظرية تجلية الأخلاق المشرقة التي تمثل القاعـدة النظريـة الكليـة والـسنة الأولى لهيكل نظرية المعرفة الكبرى ، وقد تبين لنا مما سبق أن " الأخـلاق المشرقة " عند الكونفوشيوسية عبارة عن نور حصله الإنسان من " تيان " وهو لطيف عارف شامل لجميع الحقائق الميتافيزيقية ، وهو يستطيع أن يرشد الإنسان في كافة شئونه إلـى

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١١١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٣ .

طريق الهداية ، وذاته مشرقة دائما أبدا لا تطفأ في حال مـن الأحـوال ، وإنمـا تغطيهـا ظلمات من الأهواء والشهوات الإنسانية ، فلا يظهر نورها في الخارج .

وعلى هذا الأساس بنيت نظرية الفطرة الإنسانية الخيرة ، لأن الأخلاق المشرقة فطرة خيرة فطر الناس عليها ، والمطلوب من الإنسان أن يجاهد في سبيل إماتة الأهواء والشهوات ليعود هذا النور مشرقا في الخارج أيضا كما حصله من الإله السماوي منذ البداية ، وهـذا هو المراد من تجلية الأخلاق المشرقة .

فالإسلام يقر بأن الإنسان مفطور على الإسلام ، كما جاء في القرآن الكريم:

(فَأَقم وجهكَ للدينِ حنِيفاً فطرْت الله التي فَطَر الناس علَيها لا تبديلَ لخلْقِ الله ذَلك الدين الْقَيم ولَكن أَكْثَر الناسِ لا يعلَمونَ) [1].

وكما جاء في الحديث المروي عن أبي هريرة رضي ا عنه قال النبـي ﷺ " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " [2].

كما ذهبت الكونفوشيوسية إلى القول بخيرية الفطرة الإنسانية ، ولكن لا بد أن نشير هنا إلى نقطة مهمة جدا ، وهي أن أوجه خيرية الفطرة الإنسانية مختلفـة بـين الإسـلام والكونفوشيوسية ، فالفطرة الإنسانية الخيرة في الكونفوشيوسية عبارة عن الميول القلبية الأربعة المفطور عليها الإنسان والتي تنشأ منها جماع الأخـلاق الفاضـلة ، وهـي الرحمـة والصلاح ، والأدب ، والحكمة ، وأما الإسلام فيرى أن الفطرة هـي: الإيمـان بـا وإقـرار التوحيد له عز وجل كما قال تعالى : (وإِذْ أَخذَ ربك من بنِي آدم من ظُهورِهم ذُريـتهم وأَشهدهم علَى أَنفُسِهم أَلَست بِربكُم قَالُوا بلَى شهدنا أَنْ تقُولُوا يوم الْقيامة إِنا كُنـا عـن هذَا غَافلين) [3].

وقال رسول ا ﷺ فيما يروي عن ربه في الحديث القدسي: " يقول ا : إني خلقـت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا "[1]

فالإسلام على الرغم من تصديقه بخيرية الفطرة الإنسانية ، فإنه لا يوافق على مـا ذهبت إليه الكونفوشيوسية من القول إن الفطرة الإنسانية الخيرة تكفـي لوحـدها فـي

---

[1] سورة الروم ، الآية ٣٠ .

[2] سبق تخريجه .

[3] سورة الأعراف ، الآية ١٧٢ .

[1] رواه الإمام مسلم ، الجزء الرابع ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ص ٢١٩٧ .

هداية الإنسان إلى الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ، بل يرى أن الإيمان با الواحد القهـار الذي يجازي على الخير ويعاقب على الشر هو منبع الخير والأخلاق الفاضـلة والأعمـال الصالحة ، وبدون هذا الإيمان الصادق يصبح الحديث عن تجلية الأخلاق المشرقة وتجديـد الشعب والاستقرار في كمال الخير كلها كلاما فارغا لا يكاد يكون تحته فائدة تنال .

ومن هنا يرى الإسلام أن نظرية الأخلاق المشرقة نظرية ناقصة ومنحرفـة، وفـي الإسلام ما يصحح نقص الكونفوشيوسية ويقوم انحرافهـا، وهـو : معرفـة ا تعـالى ومعرفة رسوله ﷺ والأيمان با ربا والإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ، وهذا الإيمان هو منبـع الأخلاق المشرقة فقط .

٢- **النقطة الثانية** التي لابد أن نذكرها في صدد بيان موقف الإسلام من نظرية المعرفة الكبـرى هـي : أن الإسـلام يهـتم بـالأخلاق الفاضـلة ويحـث عليهـا ، و الكونفوشيوسية جعلت تجلية الأخلاق المشرقة أولى سنن المعرفة الكبرى ، وهـذا يـدل على مدى اهتمامها الشديد بالأخلاق الفاضلة ، فـلا عجـب أن قيـل إن الكونفوشيوسـية فلسفة أخلاقية وليست بدين من الأديان كما أعترف بذلك معظم أتباعها .

ومنزلة الإخلاق من الدين الإسلامي حددها رسوله الكريم ﷺ بقوله: إنمـا بعثـت لأتمـم مكارم الأخلاق .

وقد وصف ا تعالى رسوله ﷺ بالخلق العظيم حين أثنى عليه في كتابه العزيز ، حيث قال مخاطبا له : (وإنكَ لَعلَى خُلُقٍ عظيمٍ)(٢) .

كما وصفت أم المؤمنين عائشة رضى ا تعالى عنها خلـق رسـول ا ﷺ فقالـت: " كان خلقه القرآن " (٣)

وقد ورد كثير من الأحاديث النبوية التي بين فيها رسول ا ﷺ مكانـة الأخـلاق الحميدة في الدين الإسلامي ومنها : ما روي عن أسامة بن شريك قال : كنا جلوسا عنـد النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ، ما يتكلم منا متكلم ، إذ جاءه أناس .... قالوا : فمن أحب عباد ا إلى ا تعالى ؟ قال : أحسنهم خلقا (١)

---

(٢) سورة القلم ، الآية ٤

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ، المجلد الخامس ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٥٤

(١) رواه الإمام الطبراني في المعجم الكبير ، الجزء الأول ، من حديث أسامة بن شريك الثعلبي ، باب ما جاء في التداوي وترك الغيبة وحسن الخلق ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، الدار العربية للطباعة ، بعداد ، الطبعة الأولى ، ص ١٤٧ .

وعن أبي الدرداء رضي ا   عنه قال : سمعت رسول ا   ﷺ يقول : ما مـن شـيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق ، وإن صاحب حـسن الخلـق ليبلـغ بـه درجـة صاحب الصوم والصلاة [٢] .

وعن عبدا   بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول : ألا أخبـركم بـأحبكم إلـى ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ؟ فسكت القوم ، فأعادها مرتين أو ثلاثا ، قال القـوم: نعم يا رسول ا   ! قال : أحسنكم خلقا [٣] .

بعد كل هذا ، لابد أن نشير إلى فرق أساسي كبير بـين الإسـلام والكونفوشيوسـية حول التحلي بالأخلاق الفاضلة أو تجلية الأخلاق المشرقة بالتعبير الكونفوشيوسي ، هـو أن المؤمن الصادق في الإسلام يسعى للأخلاق الفاضلة ونيته طلب رضـى ا   بالـسير علـى منهج رسوله ﷺ، منطلقا من العقيدة الإسلامية التي تدعو لذلك ورجاء ما ينتظره من الجزاء في الآخرة ، أما العارف الكونفوشيوسي فيسعى وراء الأخلاق الفاضلة ليجلـي فطرتـه الخيرة ويقيم إنسانيته أمام الناس ليكون " نبيا في الباطن وملكا في الظاهر " ، فـالأخلاق في الكونفوشيوسية منفصلة عن الإيمان با   وطلب الجزاء في الآخرة ، فالأخلاق لـدى الكونفوشيوسية أخلاق دنيوية خالية من القيم الأخروية .

هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، يرى الإسلام أن الوحي الإلهي أساس كل مـا في هذا الدين من عقيدة وشريعة ، وعبادات وأخلاق فمكارم الأخلاق في الإسلام كلها مبنية على الوحي المنزل من ا   تعالى على خاتم أنبيائه محمد ﷺ وهي مفصلة فـي القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد طبقها النبي عليه الصلاة والسلام فـي حياتـه تطبيقـا كاملا ، أما الأخلاق المشرقة في الكونفوشيوسية فلا تستند إلى وحي سماوي ، بل هـي مبنية على الفطرة الإنسانية الخيرة كما تزعم الكونفوشيوسية .

فالإسلام على الرغم من تصديق مذهب الكونفوشيوسية في الاهتمـام والعنايـة بالأخلاق فهو لا يقبل الأخلاق الكونفوشيوسية التـي لا تـستند إلـى الـوحي الإلهـي ولا يضبطها معيار إلهي ملزم . .

وقد تجلت مكارم الأخلاق كلها في سيرة النبي محمد ﷺ ، ولم يكن له مثيل في التاريخ البشري كله ، ويعرف هذا كل من درس سيرته ولو لم يكن من المـسلمين ، فعلـى

---

[٢] رواه الإمام الترمذي ، جامع الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص ٤٦٢

[٣] رواه الإمام أحمد في مسنده ، المجلد الثاني ، ص ١٨٥ .

جميع البشر أن يؤمنوا بما جاء به من ربه ويجعلوه أسوة لهم فهو خاتم الأنبياء ومتمم مكارم الأخلاق .

موقف الإسلام من السنة الثانية والثالثة من سنن المعرفة الكبرى لدى الكونفوشيوسية

وإذا أتينا إلى السنة الثانية والثالثة من سنن المعرفة الكبرى في الكونفوشيوسية ، وهما:(تجديد الشعب والاستقرار في كمال الخير) لبيان موقف الإسلام منهما ، نجد أن الإسلام يرفضهما أيضا طبقا لرفضه للقاعدة النظرية الكلية لنظرية المعرفة الكبرى الكونفوشيوسية ، وهي سنة تجلية الأخلاق المشرقة للأسباب المذكورة سابقا ، فإنه لا يخفي على كل ذي عقل سليم أن بطلان الأصل أو نقصانه يؤدي إلى بطلان الفروع ونقصانها بالضرورة ، وإذا كانت السنة الأولى من سنن المعرفة الكبرى الثلاث في الكونفوشيوسية باطلة وناقصة في نظر الإسلام ، وهي الأصل الذي بني عليه سائر تلك الفروع ، فإن تلك الفروع التي تفرعت عن ذلك الأصل الكلي أيضا باطلة ومردودة .

ولقد سبق فيما مضى أن المراد من تجديد الشعب لدى الكونفوشيوسية : الهجرة من رذائل الأخلاق القديمة إلى فضائل الأخلاق الجديدة وتقديم أسوة حسنة أمام الشعب للاقتداء ، هذا جميل جدا ، ولكن الأسف الشديد لا نجد في نظرية المعرفة الكبرى ذكرا شافيا للطريقة التي تتم بها هذه السنة العظيمة! فكيف يهاجر الإنسان من الرذائل إلى الفضائل ؟ وما هي الوسائل الضرورية التي يستطيع الإنسان من خلالها التحلي بالأخلاق الفاضلة وكيف يكون أسوة حسنة للشعب ؟ لن نجد الجواب المقنع لمثل هذه الأسئلة في نظرية المعرفة الكبرى لدى الكونفوشيوسية .

ولهذا السبب ذهب الكثير من الباحثين إلى أن الكونفوشيوسية ليست بدين كامل ، لأنها لا تقدم العبادات الملزمة للفرد ليتوصل بواسطتها إلى الأخلاق الفاضلة ، فالأخلاق الفاضلة تتكون في الإنسان بالعبادة وشدة المجاهدة ، وبدون هذا يبقى الحديث عنها كلاما مسطورا في الأوراق فقط ، ولا يمكن أن تؤتي ثمارها ، ومن هنا نرى أن الإسلام مرة أخرى يقدم حلاً للكونفوشيوسية وخصوصا تجديد الشعب ، وهو أركان الإسلام الخمسة التي جاءت في جواب الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام حينما سأله عن الإسلام : " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا ا ، وأن محمدا رسول ا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " .

أما السنة الثالثة من سنن المعرفة الكبرى لدى الكونفوشيوسية ، وهي الاستقرار في كمال الخير ، والمراد منها الوصول إلى الغاية من السنة الأولى والسنة الثانية ، فهي حال روحية يعود فيها الإنسان إلى الفطرة الخيرة حتى لا يبقى فيه مثقال ذرة من الأهواء النفسية ، والإسلام وإن كان لا ينكر إمكانية الوصول إلى مثل هذه الحال الروحية التي يعود فيها الإنسان إلى فطرته الخيرة ، فإنه يرى أن الفطرة الإنسانية الخيرة كما تراها الكونفوشيوسية ليست حقيقة الحقائق ، والميول القلبية إلى الخير التي تتكلم عنها الكونفوشيوسية ليست إلا استعدادات إنسانية لقبول نور الهداية الإلهية في الحقيقة ، وعلى هذا فهي ليست إلا أموراً مخلوقة تعالى ، فا تعالى هو خالق الكل ورب الجميع والمنتهي إليه كل شيء، وهو الفاعل الحقيقي والمدبر ، هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء[1]

ولهذا لا يكون الكمال الإنساني إلا في طاعة ا وعبادة ا والسير على منهج رسول ا ، ويرفض الإسلام من هذا المنطلق سنة الاستقرار في كمال الخير ، ويرى أن تلك الحال الروحية التي تزعمها الكونفوشيوسية حالة ناقصة لا تبلغ إلى درجة الكمال ، بل يؤكد أن الكمال الإنساني لا يكون إلا في درجة الإحسان التي حددها رسول ا ﷺ في حديثه: " أن تعبد ا كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "

موقف الإسلام من الخطوات الثمان في نظرية المعرفة الكبرى لدى الكونفوشيوسية

ثم إذا أتينا إلى الخطوات الثمان لتطبيق نظرية المعرفة الكبرى في الكونفوشيوسية ، وجدنا أن **القضية الأولى** التي تفرض نفسها علينا للمعالجة في صدد بيان موقف الدين الإسلامي منها هي قضية " البحث عن الأشياء والارتقاء إلى المعرفة " الواردة في نص رسالة كونفوشيوس ، أو نظرية " البحث عن حقائق الأشياء والارتقاء إلى المعرفة " عند الحكيم (جو شي) ، وهما الخطوة الأولى والثانية من خطوات تطبيق تلك النظرية، لأننا لا نستطيع أن نتكلم كثيرا عن " البحث عن الأشياء والارتقاء إلى المعرفة " الوارد في نص رسالة كونفوشيوس المنسوبة إليه قبل هذا الرجل ، لأن تلك النظرية لم تكتمل إلا عند ظهوره كما سبق أن ذكرنا فيما مضى من البحث ، فالنص الأصلي لكونفوشيوس قصير

(1) كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب– ص ٢٢٧ – ٢٣٤ .

جدا، والنص التفسيري للحكيم (تسينغ تس) لا يمكن أن يعتبر تفسيرا في الحقيقة كما رأينا .

وأهم ما جدد به الحكيم (جو شي) الطريقة الكونفوشيوسية في هذا الصدد هو إدخال مفهوم الحقيقة أو الحقائق في شرح النص الأصلي، فجعل القضية " البحث عن حقائق الأشياء والارتقاء إلى المعرفة " بدلا من " البحث عن الأشياء والارتقاء إلى المعرفة " في النص الأصلي ،وإذا أردنا الاختصار يمكن لنا أن نقول إن المراد من نظرية " البحث عن حقائق الأشياء والارتقاء إلى المعرفة " عند هذا الحكيم هو مباشرة الأشياء واستقصاء حقائقها للارتقاء إلى المعرفة المباشرة الشاملة المحيطة في النهاية .

فما هو الموقف الإسلامي من هذه النظرية التي قدمها الحكيم (جو شي) في مرحلة الكونفوشيوسية المحدثة ونال بها ما نال من الشهرة الكبيرة والمكانة المرموقة في الكونفوشيوسية ؟

إن الإسلام كدين سماوي مبني على حقيقة الوحي المنزل من ا تعالى ، يرفض هذه النظرية الوضعية الإنسانية رفضا تاما ، لأن هذه النظرية الكونفوشيوسية لا تستند إلى وحي منزل من السماء ولا تملك ضابطا معياريا صحيحا يكفل صحة البحث عن حقائق الأشياء واستقامة المعرفة .

والإسلام على الرغم من توجيهه العميق وحثه الشديد على ضرورة البحث عن حقائق الأمور والحصول على المعرفة العليا ، فإنه لا يقر أبدا أن الإنسان يستطيع وحده أن يهتدي إلى الحق والرشد من العلم والمعرفة دون تسليم إرادته تعالى والاستسلام التام لقبول نور الوحي الإلهي ، ولا يعتقد أن الإنسان يملك ضابطا معياريا يكفل صحة البحث عن الأشياء واستقامة المعرفة خارج دائرة الوحي الإلهي .

ويرى الإسلام أن ا تعالى هو المالك الحقيقي لما في الكون كله ورب السماوات والأرض وما بينهما من العالمين وليس للإنسان إلا أن يقبل هذه الحقيقة ويؤمن بها ، ويسلم إرادته ومشيئته لربه وملكه في الأمور كلها ، قال تعالى : (أَفَغير دينِ الله يبغونَ ولَه أَسلَم من في السماوات والأَرضِ طَوعاً وكَرهاً وإِلَيه يرجعونَ) [١] .

فيجب على الإنسان أن يقبل الوحي الإلهي والرباني في شؤون دينه وعقيدته ومنهج تفكيره ، وذلك هو السند الوحيد والضابط الفريد المتكفل برشده وهدايته تكفلا إلهيا يضمن صحة البحث عن حقائق الأشياء واستقامة المعرفة ، هذه حقيقة لا يجوز لأحد

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٣ .

ذي عقل سليم إنكارها ، لأنها حقيقة تاريخية يشهد لها التاريخ البشري كافة والتجربة الإنسانية شرقا وغرباً .

فالإنسان مازال يبحث عن الحقائق في كل عصر وفي كل بقعة راجيا الوصول إلى معرفة الحقائق ، ولكنه كلما تعمق في البحث عن حقائق الأشياء باستقلاله دون الاهتداء بنور الوحي خرج بفلسفة مختلفة لما وجده الآخرون من إخوانه الباحثين من حقائق مزعومة ، فقد خرج بعض الصينيين بفلسفة كونفوشيوسية والبعض الآخر منهم بفلسفة طاوية معادية لما وجده الكونفوشيوسيون ، وقد خرج بعض الهنود بفلسفة هندوسية والبعض الآخر منهم بفلسفة بوذية مخالفة لهم ، وقد خرج اليونان بفلسفة إغريقية بما فيها من مذاهب متضاربة ، وهناك فلسفات أخرى قديمة وحديثة لا تحصى ، وأصحاب كل هذه الفلسفات يدعون معرفة حقائق الأشياء دون الآخرين ، وتحت كل فلسفة مدارس كثيرة والكل أيضا يدعون معرفة الحقائق دون مخالفيهم ، وليس هذا فحسب ، بل نجد الفلاسفة والحكماء يختلفون في أهم قضية من القضايا الفلسفة والعقدية ، ألا وهي قضية العقيدة في الإله ، فمن قائل بإله واحد ، ومن قائل بإلهين اثنين هما النور والظلمة ، ومن قائل بتعدد الآلهة ، ومن منكر لوجود الإله أصلا ، والكل يدعون معرفة حقيقة الأمر دون غيرهم .

وهذا أقوى دليل على أن الإنسان لن يستطيع أن يصل إلى معرفة الحقائق بعقله أو قلبه ولو أنفق سائر عمره في البحث والدراسة وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالأمور الغيبية .

انطلاقا من هذه الحقيقة التي لا يجوز إنكارها في المنطق السليم أي : أن الإنسان عاجز عن معرفة الحقيقة بمحاولات بحثه وحده ، يرى الإسلام أن الإنسان يجب عليه أن يعترف بهذه الحقيقة ويقبل الهداية الإلهية المنزلة من السماء بواسطة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويرى الإسلام أن هذه هي المقدمة الأولى والشرط الضروري لبداية السفر الطويل للحصول على معرفة الحقائق ، لأن الحقائق كلها كامنة في داخل الوحي المنزل من عند ا تعالى ، وليس على الإنسان إلا أن يستسلم لهذه الحقيقة قبل بداية رحلته في البحث عن الحقائق والارتقاء إلى المعرفة .

ويتضح من هنا أن نظرية البحث عن حقائق الأشياء والارتقاء إلى المعرفة في الكونفوشيوسية نظرية ناقصة غير مبنية على الحقيقة الثابتة من الوحي المصون ، وما ذهبت إليه الكونفوشيوسية من أن سنة التوسط ضابط معياري يضبط صحة المعرفة

واستقامتها لا يمكن الاعتماد عليه ، لأنها أيضا وضع إنساني لا يستند إلى سلطان سماوي ، ومما يدل على صحة قولنا هذا أن الكونفوشيوسية على الرغم من زعمها الأكيد في التمسك بسنة التوسط لم توفق بين الاهتمام بالحياة الدنيا والاهتمام بالحياة الآخرة كما أشرنا إليه من قبل ، وفشلت أيضا في حفظ التوازن بين العبادات الدينية وبين تجلية الأخلاق المشرقة ، فإنها تبالغ في الاهتمام بالحياة الدنيا دون الالتفات إلى الآخرة كما تبالغ في الحث على الأخلاق وأغفلت أثر العبادات الدينية في تزكية النفس والتحلي بالفضائل الخلقية .

ويرى الإسلام من هنا أن الإيمان با تعالى وخاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ والاستسلام التام لهداية الوحي المنزل من السماء نقطة البداية لأية رحلة ناجحة إلى البحث عن حقائق الأشياء والارتقاء إلى المعرفة الصحيحة ، وبدون هذه المقدمة الضرورية لا يحصل الإنسان على شيء يليق باسم المعرفة .

فالإسلام بعد رفضه لهذه النظرية الناقصة التي لا حجة لها من الوحي السماوي ، يوجه دعوته الخالدة إلى الكونفوشيوسيين أن يفتحوا أعينهم لينظروا إلى شمس النبوة المحمدية لأنها وحي منزل من ا تعالى ، والحقائق والمعارف التي يطلبونها كلها كامنة في داخل هذا الوحي الذي ختم ا تعالى به هدايته للبشرية، وإذا استجابوا لذلك فسيجدون الحقائق والمعارف التي يبحثون عنها ويهتدون بها إلى الحق .

٢- **القضية الثانية** التي تفرض نفسها علينا للمعالجة في صدد بياننا لموقف الإسلام من الخطوات الثماني لتطبيق نظرية المعرفة الكبرى في الكونفوشيوسية هي ما يسمى عندهم بـ " طريقة النبي في الباطن " ، وهي كما مر ذكرها الخطوات الخمس الأولى من تلك الخطوات الثمان ، وهي البحث عن حقائق الأشياء والارتقاء إلى المعرفة ، وإخلاص النية ، وتقويم القلب ، وتزكية النفس كما يدعون .

فالكونفوشيوسية ترى أن الإنسان لا يمكن أن يكون " نبيا في الباطن " إلا إذا أتم هذه الأمور الخمسة وأكمل هذه الخطوات في رحلته إلى المعرفة الكبرى ، فمن بحث عن حقائق الأشياء وارتقى إلى المعرفة وأخلص نيته وقوم قلبه وزكى نفسه وفق ما جاء في كتاب المعرفة الكبرى ، يدخل حينئذ في زمرة"الأنبياء في الباطن " فما هو موقف الإسلام من هذه النظرة الكونفوشيوسية ؟

إن الإسلام لا يقبل هذه النظرية الكونفوشيوسية عن مفهوم " النبي في الباطن "، لأن النبي في المفهوم الإسلامي رجل أوحى إليه من عند ا تعالى سواء أكان من المكلفين

برسالة وشريعة أو لم يكن ، قال ا عز وجل في كتابه العزيز : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيلَ وإسحاق ويعقُوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارونَ وسليمانَ وآتينا داود زبوراً)[١].

وأما الذي بينه كتاب المعرفة الكبرى من مفهوم كونفوشيوسي عن " النبي في الباطن " ، وما لابد أن يستوفي فيه من أمور ، أو صفات ، أو خطوات ضرورية ، فليست صفة جوهرية للنبوة والنبي في نظر الإسلام ، نعم ، إن هذه الأمور ، أو الصفات مطلوبة ولازمة في النبوة والنبي ، ولكن الإسلام لا يرى أن من استوفي هذه الأمور ، أو الصفات يكفي أن يكون نبيا ، فالوحي الإلهي شرط جوهري ملزم في النبوة والنبي في الإسلام .

٣- **والقضية الثالثة** التي لابد لنا من التطرق لها في بيان موقف الإسلام من الخطوات الثماني لتطبيق نظرية المعرفة الكبرى لدى الكونفوشيوسية هي ما يسمى عندهم بـ " طريقة الملك في الظاهر " ، وهي عبارة عن رعاية الأسرة وتحسين سياسة المملكة ونشر السلام تحت السماء ، وهي الخطوات الثلاث الباقية الأخيرة بعد اجتياز تلك الخطوات الخمس الأولى التي تعتبر من " طريقة النبي في الباطن " في سبيل الحصول على المعرفة الكبرى .

فالكونفوشيوسية ترى أن الإنسان لا يصلح أن يقوم بـ " طريقة الملك في الظاهر " إلا إذا أتم الخطوات الخمس الأولى من " البحث عن حقائق الأشياء ، والارتقاء إلى المعرفة ، وإخلاص النية ، وتقويم القلب، وتزكية النفس " ، ويصبح بها " نبيا في الباطن " ، وإذا فعل ذلك ، جاز له أن يتولى أمور الناس لأنه قد أصبح كاملا في نفسه ، فيجوز له أن يكمل الآخرين ، أو بعبارة كونفوشيوسية يجوز له أن يشرع في تجديد الشعب بعد تجلية الأخلاق المشرقة في نفسه .

ويبدأ تجديد الشعب أو العمل بطريقة الملك في الظاهر في الكونفوشيوسية أولا من الأسرة التي يعيش فيها ، ثم يمتد إلى خارج المجتمع حتى المملكة والعالم بأسره ، ومن هنا ترى الكونفوشيوسية أن الإنسان إذا صار" نبيا في الباطن" واستطاع أن يرعى أسرته خير رعاية ، سيتلقى الأمانة السماوية المشهورة عندهم بـ " تيان مينغ " لتولي حكم المملكة ويصبح " ملكا في الظاهر " .

---

[١] سورة النساء ، الآية ١٦٣ .

ومن هنا ذهبت الكونفوشيوسية إلى أن الدين لا ينفصل عن الدولـة ، وأن الحـاكم المثالي الأكمل على المملكة السعيدة لا بد أن يكون " نبيا في الباطن وملكا في الظـاهر " معا ، وعلى هذا الأساس النظري رفضت الكونفشيوسية وجود " الملوك الأنبيـاء " بعـد أسرة " تشو " الملكية ، وحتى كونفوشيوس نفسه لم يكن " ملكا نبيا " لأنه لم يتلق الأمانة السماوية لتولي حكم المملكة ، وكان نبيا فقط ، واعتبرت سائر الملوك بعد عـصر الملـوك الأنبياء " ملوكا بالاسم " فقط ، بل طغاة في نظر بعض العلماء ، فما موقف الإسلام مـن هذه الطريقة ؟

إن الإسلام يشارك الكونفوشيوسية في عدم فصل الدين عن الدولة ، ويعتبر الإسـلام نفسه دينا ودولة معا كما يعتبر نفسه شـريعة وطريقـة ، وعبـادة وأخلاقـا ، وسياسـة واقتصادا ، ونظاما للحياة الدنيوية وطريقاً إلى الحياة الآخرة في نفس الوقت .

والإسلام دين الشمول والكمال ، يشمل كل جانب من الجوانب الإنـسانية المختلفـة ، وليس هناك مسألة تتعلق بالإنسان إلا ولها في هذا الدين جواب ، ولا مشكلة إلا ولها حـل ، ومن هنا كان للإسلام عناية شديدة بالدولة كما كان له عناية شـديدة بمختلـف مظـاهر الحياة الإنسانية الأخرى ، لقد اعتني العلماء والفقهاء بأمر الدولة وحددوا أصولها وغاياتها ووظائفها وبينوا الشروط اللازمة في الإمام أو الخليفة وفق ما جاء في القـرآن والـسنة ، ورأوا أن إقامة الدولة الإسلامية واجب بإجماع الأمة ، ومهمة الدولة فـي نظـر الإسـلام حراسة شؤون الدين والدنيا وتحقيق السعادة للبشر في الحياة الدنيا والآخرة .

وعلى الرغم من مشاركة الإسلام للكونفوشيوسية في عـدم فـصل الـدين عـن الدولة ، فإنه يرفض مفهوم الدولة الكونفوشيوسية ويراها دولة دنيوية لأنها قائمة على تحقيق السعادة الدنيوية لشعبها دون الالتفات إلى تحقيق سعادة الحيـاة الأبديـة فـي الآخرة ، وهذا واضح لمن يقرأ الفصول الثلاثة الأخيرة من كتاب المعرفة الكبرى ، ليعلم بأن اهتمام الكونفوشيوسية بالأخلاق الفاضلة أو بتجلية الأخلاق المشرقة ليس إلا وسيلة للوصول إلى تلقي الأمانة السماوية للحكم على المملكة ، وهذا يخالف تماماً روح الدين الإسلامي الذي يفضل الآخرة على الدنيا ويرى أن النجاة الأخروية هي الهدف الأسمى لكل مؤمن ، قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ : (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَـى) [١] .

---

[١] سورة الضحى ، الآية ٤-٥ .

وقال تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون : (يا قَوم إنما هذه الْحياةُ الدنيا متـاع وإن الْآخرةَ هي دار الْقَرار)[٢] .

وقال رسول ا ﷺ فيما رواه عبدا بن عمر رضي ا عنهما : يا عبـدا ! كـن في الدنيا كأنك غريب أو كأنك عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور . [٣]

فالإسلام لا يقر بنظرية " طريقة الملك في الظاهر " الكونفوشيوسية كمـا يـرفض نظرية " طريقة النبي في الباطن " رفضا قاطعاً ، لأنها لا تتمشى مع روحه المتمثلة في قوله تعالى (ومنهم من يقُولُ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الْآخرة حسنةً وقنا عـذَاب النار)[١]

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نرى أن هناك حقيقة عظيمة نحب أن نشير إليهـا فيما يتعلق بنظرية " طريقة الملك في الظاهر " في الكونفوشيوسية ، وندعو علمـاءهم بها إلى الإسلام ، وهي ظهور نبينا محمد ﷺ على العالم كنبي .

ونبينا محمد بن عبدا ﷺ قـد حقـق فـي سـيرته المباركـة مـالم يـستطيع كونفوشيوس أن يحققه ، كما أن كونفوشيوس كما علمنا من التاريخ الـصيني لـم يتلـق الأمانة السماوية من " تيان " للحكم على المملكة الصينية يوما مـن الأيـام باتفـاق علمـاء الكونفوشيوسية ، كما لم يظهر أحد من أتباعه من بعده استطاع أن يحقق نظريته فـي الواقع وصار " نبيا في الباطن وملكا في الظاهر " على طول تاريخ الصين .

ونرى من هنا أن هذه الحقيقة التاريخية كافية في البرهنـة علـى نبـوة سـيدنا محمد ﷺ ورسالته العالمية أمام الكونفوشيوسية ، وكأن كونفـشيوس لـم يطـرح هـذه النظرية في المعرفة الكبرى إلا ليحققها سيدنا محمد ﷺ بعد أكثر من عشرة قرون مـن الزمن ! وليس للكونفوشيوسية إلا أن تعترف بهذه الحقيقـة وا أعلـم بالحقـائق وهـو يهدي السبيل . [٢]

---

[٢] سورة غافر ، الآية ٣٩ .

[٣] رواه الإمام ابن ماجه في سننه ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، باب مثل الدنيا ، دار إحياء التراث العربي ، بـدون تاريخ ، ص ١٣٧٨

[١] سورة البقرة ، الآية ٢٠١

[٢] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب– ص ٢٣٥- ٢٤٢ بتصرف .

٧- الإصلاح الأخلاقي بين الإسلام والكونفوشيوسية

١- مطابقة الأسماء مع مسمياتها .

يرى كنفوشيوس وجوب مطابقة الأسماء مع مسمياتها أو عدم التلاعب بالألفاظ حتى لا يقع الخلط واللبس وأن الرجل الكامل لا يستهين بكلامه ولا يهمل في تعبيره .. وحقا .. فإن التلاعب بالألفاظ يوهن الأخلاق ، ويفسد السلوك ، ويخرب الضمائر .. ويوهن العلاقات ، ويضيع الحقوق .

والإسلام قد أعترف بخطورة الكلمة وأثرها .. فالكلمة إما أن تكون سببا في سعادة صاحبها في الدنيا والآخرة ، وإما أن تجلب له الشقاء في الدارين ، قال تعالى : ﴿ أَلَم تر كَيف ضرب الله مثَلاً كَلمةً طَيبةً كَشجرة طَيبة أَصلُها ثَابِت وفَرعها في السماءِ * تؤتي أُكُلَها كُل حينٍ بِإِذْن ربها ويضرِب الله الْأَمثَالَ للناسِ لَعلهم يتذَكَرونَ * ومثَلُ كَلمة خبِيثَة كَشجرة خبِيثَة اجتثت من فَوقِ الْأَرضِ ما لَها من قَرارٍ * يثَبت الله الذين آمنوا بِالْقَولِ الثابِت في الْحياة الدنيا وفي الْآخرة ويضل الله الظالمين ويفْعلُ الله ما يشاءُ﴾ (إبراهيم:٢٤- ٢٧)

وفي قول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل (كف عليك هذا)[١]فلما استوضح منه قال له ﷺ : (ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوهم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟)،- فظاهر هذا الحديث يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهي أعظم الذنوب عند الله عز وجل - ويدخل فيها القول على الله بغير علم ، وهو قرين الشرك ، ويدخل فيها شهادة الزور التي عدلت الإشراك بالله عز وجل ، ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصغائر،كالكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي الفعلية لا تخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها ، قال ﷺ:"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن يبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه"[٢]وروى الإمام مالك أن عمر دخل على أبي بكر

---

(١) الترمذي ٥/ ١١ ، وابن ماجه ٢/ ١٣١٤ .

(٢) البخاري ٥/ ٢٣٧٧ .

رضي ا   عنهما وهو يجبذ لسانه فقال عمر : مه غفر ا   لك ، فقال أبو بكر : هذا الذي أوردني الموارد .[1]

وكان ابن مسعود رضي ا   عنه يحلف با   الذي لا إله إلا هو ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان "[2]

وفي عصرنا هذا وجدنا التلاعب في الألفاظ وتمييع القضايا فمثلا وجدنا : تسمية الخمر بغير اسمها – التحايل على الربا باسم التجارة وفوائد البنوك أو ضرورات العصر ، و الانحلال الأخلاقي تحت مسمى الحرية الشخصية . . .

والحرية الحقيقة في الإسلام : هي التي تعني انعتاق الإنسان من عبودية أخيه الإنسان ، وانعتاق الشعوب من عبودية الشعوب الأخرى ، وانعتاق الإنسان من عبودية المال والشهوة والجنس والمنصب والكرسي وما إلى ذلك .

- احترم الإسلام ذات الإنسان وقدرها وكرمها وحرم كل ما يؤذيها في العاجل والأجل .
- احترم الإسلام حرية المأوى في البيت والوطن دون مصادرة أو سجن أو نفي إلا أن يرتكب جرما أو يقترف إثما عظيما ..
- احترم الإسلام حرية الاعتقاد وحرية العبادة [3] .

لكن أن يستعمل الإنسان الحرية الشخصية في إفساد ذاته أو التعدي على حقوق الآخرين ، أو أخذ أموالهم بغير حق أو انتهاك الحدود والتعدي على الحرمات تحت مسمى الحرية الشخصية فلا يجوز هذا .

وإذا ذهبنا نستقصى الألفاظ التي يتلاعب بها والأسماء التي تطلق على غير مسمياتها لطال بنا الحديث ، لكن تكفينا هذه الإشارات السريعة التي أشرنا إليها .

مصدر الأسماء :

لم ينسب (هسون تزو) الأسماء والمصطلحات إلى مصدر إلهي وإنما هي في نظره من وضع البشر ، ليسهل التعامل والتخاطب فيما بينهم دون تدخل للإله في هذه الأسماء ، وربما كان كونفوشيوس نفسه وباقي أتباعه على هذا الاعتقاد.

---

[1] البزار ١ / ١٦١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥ / ٣٢٠ .

[2] الطبراني في الكبير ٩/ ١٤٩ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥ / ٣٢٠ .

[3] حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية – د/ عبدا   ناصح علوان - ص ٥٠

لكن علماء المسلمين يرون أن الأسماء فطريه في الإنسان وأن ا هو الذي أودعهـا في هذا الإنسان وعلمه إياها في شخص أبيه آدم – كمـا قـال تعـالى : ا وعلـم آدم الْأسماءَ كُلها ثُم عرضهم علَى الْملائكَة فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسماءِ هـؤلاءِ إِنْ كُنـتم صـادقين﴾ (البقرة:٣١)

قال ابن عباس ومجاهد وجبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلهـا جليلهـا وحقيرهـا وإذا كانت الأسماء والصفات والحكم على الأشياء ، وأدوات النطق والكلام وآلات الفهم والبيان من ا سبحانه وتعالى ، فإنه سيسأل كل إنسان عما فعله بهذه الآلات وما تكلم به ، فا عز وجل يقول : ا ولا تقْف ما لَيس لَك بِه علْم إِن السمع والْبصر والْفُؤاد كُلُ أُولَئـك كَـانَ عنه مسؤولاً﴾ (الاسراء:٣٦)

٢- الفطرة البشرية بين الخير والشر :

اختلف الكونفوشيوسيون حول الفطرة البشرية فمن قائل:

إن أصلها الخير والشر طارئ عليها ، ومن قائل : إن أصلها الشر والخير طارئ عليها بالاكتساب والثقافة الاجتماعية ، ومن قائل : إنها مزيج من الخير والشر وذلك فـي الكونفوشيوسـية الجديدة .

والقرآن الكريم له كلمة الفصل والحسم في هذا الأمر لأن القرآن كلمـة ا ، وهـذا الإنسان خلق ا وصنعة ا والخالق الصانع هو الذي يعلم ما في داخل صنعته، ومـا يحركها ويدفعها وما يصلحها وما يضرها . ا أَلا يعلَم من خلَق وهو اللطيـف الْخبِيـر﴾ (الملك:١٤) .

جاء الإسلام ليضع الكلمة الفصل في هذه المسألة التي حيرت علماء الشرق والغرب منذ القدم .

الفطرة البشرية هي قبضة الطين ونفخه الروح العلوية في ذلـك الطـين وامتزاجهـا بـه وتوحدها فيه .. والإسلام يربط بين الروح والجسد ويوحد بينهما في كل ما يصدر عنهـا من مشاعر وأفكار وأعمال .

هذا لأن الإنسان هو إنسان بامتزاج الطين مع الروح ، القبضة الأرضية مـع النفخـة العلوية التي خرجت هذا المخلوق العجيب الذي سما على كثير من المخلوقات وفضله

ا على كثير من خلقه تفضيلا ، وأعمال الجسد التـي يتعاطاهـا حـين توجـه وجهتهـا الصحيحة وتصدر باسم ا وعلى منهاج ا تكون أعمالا روحية.. وعبادات نورانية .

الخير والشر فطرت في الإنسان وهو مستعد للاثنين معا ، فمن غلـب فـي نفـسه جانب الخير كان خيرا حسب طبيعته واستعداده زاده ا هدى وآتاه تقواه ، ومن غلـب جانب الشر كان شريرا حسب فطرته واستعداده ، وأضله ا وأتبعه الـشيطان فكـان مـن الغاوين ، أي أن النفس البشرية خليط من الخير والشر كلاهما مركوز في أصل الفطرة البشرية لا طارئ .

يقول الأستاذ محمد قطب : الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملك ولا بـالحيوان ، وإن كان قادرا في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوا من الحيوان ، وفـي بعـض حـالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر .

ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك ، مشتمل علـى اسـتعداده للخيـر كما هو مشتمل على استعداده للشر ، وليس أي العنصرين غريبا عن طبيعتـه ولا مفروضـا عليه من خارج نفسه . (1)

ومهمة الإسلام وغايته من هذا الإنسان هي إيجاد التوازن في نفس الفرد ، فيؤدي إلى إيجاد التوازن في المجتمع ، بل في الإنسانية كلها بعد ذلك في حـدود الإمكـان والقرآن الكريم يذكر هذه النفس .. يـذكرها فـي جميـع حالاتهـا .. يـذكرها مؤمنـة وكافرة .. خيرة أو شريرة .. مقبلة أو معرضة ويبين أستعدادها لقبول جميـع الأعـراض :

قال ا تعالى : ا إنا خَلَقْنا الْإنسانَ من نطْفَة أَمشاجٍ نبتليه فَجعلْناه سميعاً بصيراً* إنا هديناه السبِيلَ إِما شاكراً وإِما كَفُوراً﴾ (الانسان:٢ - ٣).

ا ونفْسٍ وما سواها * فَأَلْهمها فُجورها وتقْواها * قَد أَفْلَح من زكاها* وقَد خاب مـن دساها﴾ (الشمس:٧- ١٠)

ا إن الْإنسانَ لربه لَكَنود * وإِنه علَى ذَلك لَشهيد * وإِنه لحب الْخيرِ لَشديد﴾

(العاديات: ٦ - ٨)

---

(1) أنظر الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص٢٢٥ .

ومن هذه الآيات – وغيرها يتبين لنا خطأ من يفسر النفس البشرية على أنها خير محض ، أو يفسرها على أنها شر محض ، وما ذاك إلا لأنه قطع صلته بالوحي المعصوم الذي نزل من عند ا خالق هذه النفس ا ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك:١٤).

فليس الإنسان كما رأينا جسدا خالصا وليس روحا خالصة ، فينشأ الخير من الإنسان إذا ما غلبت عليه الروح ، وينشأ الشر إذا ما غلب عليه الجسد .. ولا شك أن النفس قد تعلو بصاحبها فتدفعه إلى الخير ، وتقوده إلى البر أو تهوي به فتجذبه إلى الشر ، وتدله على الفجور ، فإما إتباع للهوى فيكون شريرا ، ومصيره إلى النار، وإما فعل للخير وسعى للبر فيكون مئاله إلى الجنة والسعادة في الدارين : ا ﴿فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾

(النازعات : ٣٧ – ٤١) .

والإنسان هو الذي يختار بنفسه : إما طريق الخير ويسلك أسبابه فييسر له الخير ويهديه ا إليه ، وإما إن يختار طريق الشر ويسلك الأسباب الموصلة إليه فيكله ا إلى نفسه ويظل في هذا الشر : ا ﴿إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى﴾ (الليل : ٤ – ١٠) .

ويقول ﷺ : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ، فالنفس إذا تركت بفطرتها أقرت بالألوهية ، وعبدته لا تشرك به شيئا واستقامت على الخير وسعت إليه ، ولكن يفسدها أثر شياطين الإنس والجن وإفسادهم لها ، بالاستعداد الفطري أيضا الذي وضعه ا فيها لحكمة بالغة ورحمة سابغة . .[1]

٣- الوسطية في الأفعال والأخلاق :

---

[1] قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي – د/ مصطفى حلمي – ص ٢١٢ -٢١٣.
عن الكونفوشيوسية – سليم المسلمي – ص ٢٢٩ .

منهج الإسلام وسط في الأخلاق التي وضعها للإنسان بين من أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرا محضا ، ووضعوا له من القيم والآداب مالا يمكن له ، وبين من أساءوا الظن بالفطرة البشرية فعدوها شرا محضا ، فوضعوا له وأرادوا له من السلوك ما لا يليق به .

والإسلام ينظر للإنسان على أنه مزيج من الروح والجسد من الطين والنور من الخير والشر ، والإسلام في أخلاقه وضع للناس القيم العليا والأخلاق الفاضلة وحبب لهم الصعود إليها لكنه لم يقسرهم قسرا ولم يجبرهم جبرا بل اعترف بما يجول في أنفسهم وما يعمل في غرائزهم ، ودعاهم إلى السمو والارتفاع فلم يجذبهم إلى المثل العليا جذبا عنيفا ، ولم يتركهم يخلدون إلى الطين والانحطاط دون منبه لهم وموقظ لمشاعرهم .

فالإسلام في أخلاقه وأعماله دين وسط يوازن بين الدنيا والآخرة بين الدين والدنيا بين الفرد والمجتمع وبين أمة الإسلام وغيرها من الأمم الأخرى ، فلا يهتم بجانب دون جانب أو يدعو للأخلاق في مكان دون آخر ، بل يوازن بين الجميع ويعطي لكل ذي حق حقه ، وجعل الإسلام للأخلاق المحمودة حدا وسطا من مال فيها إلى أحد جانبيه فقد أساء وظلم وخير الأمور الوسط .

يقول ابن القيم رحمه ا تعالى :

" للأخلاق حد متى جاوزته صارت عدوانا ، ومتى قصرت عنه كان نقصا ومهانة فللغضب حد وهو الشجاعة المحمودة والأنفة من الرذائل والنقائص وهذا كماله، فإذا جاوز حده تعدى صاحبه وجار ، وإن نقص عنه جبن ولم يأنف من الرذائل .

وللحرص حد وهو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ منها ، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة ومتى زاد عليه كان شرها ورغبة فيما لا تحمد الرغبة فيه . وللحسد حد وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره فمتى تعدى ذلك صار بغيا وظلما يتمني معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه ، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصغر نفسي قال النبي ﷺ : " لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه ا مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه ا الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس " [1] .

---

[1] رواه البخاري (١ / ٣٩) ومسلم (١ / ٥٥٨) .

فهذا حسد منافسة يطلب الحاسد به نفسه أن يكـون مثـل المحـسود ، لا حـسد مهانة يتمنى به زوال النعمة عن المحسود ، وللشهوة حد وهو راحة القلب والعقل مـن كد الطاعة واكتساب الفضائل والاستعانة بقضائها على ذلك ، فمتـى زادت علـى ذلـك صارت نهمة وشبقا والتحق صاحبها بدرجة الحيوانات ، ومتى نقصت عنه ولم يكن فراغا في طلب الكمال والفضل كانت ضعفا ، وعجزا ومهانة .

وللراحة حد وهو اجمام النفس والقوى المدركة والفعالـة للاسـتعداد للطاعـة واكتساب الفضائل وتوفرها على ذلك بحيث لا يضعفها الكـد والتعـب ويـضعف أثرهـا، فمتى زاد على ذلك كان توانيا وكسلا وإضاعة وفات به أكثر مصالح العبد ، ومتى نقص عنه صار مضرا بالقوى موهنا لها وربما انقطع به كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى .

والجود له حد بين طرفين ، فمتى جاوز حده صار إسرافا وتبذيرا، ومتـى نقـص عنه كان بخلا وتقتيرا ، وللشجاعة حد متى جاوزته صارت تهورا ، ومتـى نقـصت عنـه صارت جبنا وخوراً .

وللتواضع حد إذا جاوزه كان ذلا ومهانة ومتى قصر عنه انحـرف إلـى الكبـر والفخر ، والغيرة لها حد إذا جاوزته صارت تهمة وظنا سيئا بالبرى وإذا قصرت عنه كانت تغافلا ومبادئ دياثة ، وللعز حد إذا جاوزه كان كبرا وخلقا مـذموما وإن قـصر عنـه انحرف إلى الذل والمهانة ، وضابط هذا كله العدل وهو الأخذ بالوسـط الموضـوع بـين طرفي الإفراط والتفريط وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به " [٢].

وفي مجال العبادات : الوسط والاعتدال أيضا مطلوب ، فلا ينبغي للمسلم أن يرهق نفسه أو يؤذي جسده ، يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن

---

[٢] الفوائد - الإمام ابن القيم الجوزية . ص ١٢٤ – ١٢٦ بتصرف.

أنس رضي ا عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول ا ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، قالوا : أين نحن من رسول ا ﷺ وقد غفر له ما تقدم مـن ذنبه وما تأخر؟!

قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا وقال الآخر : وأنا أصـوم الـدهر ولا أفطـر، وقال الثالث : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول ا ﷺ فقال : أنتم الـذين قلـتم كذا وكذا ، أما وا إني لأخشاكم وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني .[1]

وتعذيب الجسد وتحميله ما لا يطيق ليس من مناهج الإسلام ووسائله لبلوغ الكمال المنشود إذ ليس من لوازم هذا الكمال ومقتضياته فعل ذلك ولا من مقاصد الإسلام تعذيب الجسد . . . ومن ظن ذلك فهو واهم مثالية الإسلام يمكن بلوغها بنهج معتدل وسير مريح "[2] .

٤- عدم الإنغماس في الشهوات :

دعى كونفوشيوس أتباعه إلى التقليل من الدنيا وخشونة العيش حتـى يتفرغـوا للعلم والتحصيل ، ويرضوا بالقليل ، ويتدربوا على شظف العـيش الـذي سـيلاقونه فـي رحلاتهم العلمية ، وقد وقع أتباعه من بعده في التزلـف للـسلطان أو انتظـار عطـا يـا السلطان والأمير ، ليسدوا خلتهم ويشبعوا حاجاتهم ، وإن كان منشيوس – ومن سـار علـى دربه من علماء الكونفوشيوسية - قد علق هذا العطاء بوجوب أن يكون رسميا وأن يرسل للعلماء عن طريق موظف كبير يكون عادة رئيس الوزراء مثلا ، كـذلك مـن قبـل فـرح كونفوشيوس فرحا عظيما عندما أسند إليه منصب مهم وهو تـولى منـصب القـضاء أو وزارة الجريمة ، مما يدل على تعلقه بالدنيا ، وسعيه وراء الشهرة والجـاه . . . نعـم هـو كان يريد التغيير من خلال هذا المركز لكن ظهر عليه التعلق والرغبة في الظهور . . .

وقد حذر رسول ا ﷺ أمته من حب الدنيا والتعليق بها ودعاهم إلى التقلل منها وجعلها مطية للآخرة يزرع المرء خيرا ليحصده غدا جنات عدن ، كما دعـاهم أيـضا أن

---

[1] أخرجه البخاري (٥ / ١٩٤٩) ومسلم (٢ / ١٠٢٠) .

[2] أصول الدعوة – عبد الكريم زيدان – ص ٧٢ .

يرضوا بما قسم ا لهم فيها وأن يقنعوا بما أتاهم منها لأنها ليست دار مقر بل هي دار ممر ، فعليهم أن يسخروها في مرضاة ا .

وفيما يسعدهم في دار البقاء فعن ابن عمر رضي ا عنهما قال : أخذ رسول ا ﷺ بمنكبي فقال : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " وكان ابن عمر رضي ا عنهما يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك "[1] ومعناه : ألا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها . . .

فالعاقل هو الذي لا ينغمس في الدنيا ولا يركن إليها ولا يطمئن بها ، إن الانكباب على الدنيا وعمارتها والاهتمام بها حق مشروع على أن تكون وسيلة إلى ما وراءها ، أما الانكباب عليها والغفلة عما سواها فضلال بعيد .. قال تعالى : امن كَانَ يرِيد حرثَ الْآخرة نزِد لَه في حرثه ومن كَانَ يرِيد حرثَ الدنيا نؤته منها وما لَه في الْآخرة من نصيبٍ) (الشورى:٢٠)

ولا يصح أن تكون الدعوة إلى عدم الإنكباب على الدنيا والإغراق في الشهوات دعوة إلى تحريم الحلال ، أو تعطيل الحياة ، كلا فما يريد ا هذا من عباده فقد قال تعالى ا يا بنِي آدم خذُوا زِينتكُم عند كُلِّ مسجِد وكُلُوا واشربوا ولا تسرِفُوا إِنه لا يحب الْمسرِفين﴾ (لأعراف:٣١)

فلا يصح من العاقل أن يزهد في الدنيا كلية أو يحرم على نفسه طيبات الرزق معتقدا أن ذلك قربة تعالى ، فربما يكون تناوله لنعيم الدنيا معينا له على طاعة ا مقويا بدنه على العبادة ، فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى ا من المؤمن الضعيف .

---

[1] البخاري (٥ / ٢٣٥٨) .

٥- قبول الأخلاق للتغيير والتهذيب :

يرى كونفوشيوس ومن معه أن الأخلاق الإنسانية قابلة للتهذيب والتغيير لما هو أفضل وأحسن وأكمل عن طريق التهذيب والترويض والمجاهدة والتعليم، وذلك خلافا لما كان يعتقده " لاو تس " وغيره من المتشائمين الذين يقولون بأن أخلاق الناس لن تتغير للأحسن ، فالأولى عندهم – أن يترك الناس وشأنهم .

وبالتقويم والتهذيب يستقيم الخلق ، وتتأدب النفس وتزكو الطباع ويتعدل السلوك ، ولا غرو فقد امتدح ا من عمل على تزكية نفسه وتطهيرها فقال عز وجل ا قَدْ أَفْلَح من زكاها * وقَد خاب من دساها﴾ (الشمس ٩ – ١٠)

ومما لا شك فيه أن ا سبحانه وضع في الإنسان استعداداً للكمال وهيئه لقبول الأخلاق العظيمة الحسنة .

ولهذا كان من أهم ما بعث به الرسول ﷺ : تقويم أخلاق الإنسان الذي خلقه ا وجعل فيه استعدادا للكمال الخلقي ، ورسم الطريق لهذا الأخلاق ، وتحديد معالمها وتوضيح حدودها كي تسير في الطريق السليم قال تعالى ا كَما أَرسلْنا فيكُم رسولاً منكُم يتلُو علَيكُم آياتنا ويزكيكُم ويعلمكُم الْكتاب والْحكْمةَ ويعلمكُم ما لَم تكُونوا تعلَمونَ﴾ (البقرة:١٥١) .

فالوصول إلى الأخلاق الحسنة والابتعاد عن الرذائل منها أمر ممكن، فقد أمر الشرع الحنيف به ، والإسلام لا يأمر إلا بأمر مستطاع غير مستحيل ، ومما يؤكد عليه المنصفون في كل عصر ومصر أن " الأمم لا تنهض من كبوة ولا تقوى من ضعف ، ولا ترقى من هبوط إلا بعد تربية أصيلة حقة ، وإن شئت فقل : بعد تغير نفسي عميق الجذور، يحول الهمود فيها إلى حركة والغفوة إلى صحوة ، والركود إلى يقظة، والفتور إلى عزيمة والعقم إلى إنتاج ،والموت إلى حياة تغير في عالم النفس أشبه ما يكون " بثورة " أو " انقلاب " في عالم المادة ، تغير يحول الوجهة والأخلاق والميول والعادات ، تغير نفسي لابد أن يصاحب كل حركة أو نهضة قال تعالى ا إن الله لا يغير ما بِقَومٍ حتى يغيروا ما بِأَنفُسِهِم وإِذَا أَراد الله بِقَومٍ سوءاً فَلَا مرد لَه وما لَهم من دونِه من

والِ﴾ (الرعد١١)[١]

" إن المسلم لا يكتفي بأن يعرف الحق .. ولا يكتفي بالوقوف إلى جانب الحق واثبات الولاء له .. كما يفعل بعض الانطوائيين وغلاة الصوفية - (وكذلك ما كان يريده لاوتسى ومريدوه) ولكنه مطالب دائما بإقناع الناس به وضمهم إليه ، ووسيلته في ذلك : الحكمة .. والصدر الرحب ، والفكر المستنير ، والتسامح مع الآخرين دون قهر ولا إجبار .

وإن دعوى أن الأخلاق غير قابلة للتغيير ولا جدوى من محاولة تهذيبها لأن الخير خير بطبعه والشرير شرير بطبعه كما يولد الحمل وديعا ، والنمر مفترسا، ولا يمكن تغيير هذه الطبائع ، هذه الدعوى دعوى باطلة ينقضها الشرع والعقل والواقع والتجربة . . . فالنفس الإنسانية وما فيها من قابليات واستعدادات وسجايا وجبلات حينما نتعهدها بالأخلاق ، ونمدها بالعلوم ، ونرفدها بالعمل الصالح فإنها تنشأ على الخير وتدرج على الكمال ، أما إذا أهملها وتركها للأيام حتى علاها صدأ الجهل ، وغشيها عدوى خلطاء السوء ، وتراكمت عليها أنقاض العادات الذميمة .. فإنها ولا شك تنشأ على الشر والفساد والإباحية [٢]

---

[١] الإيمان والحياة - د . يوسف القرضاوي - ص ٣٠٦ بتصرف .

[٢] أخلاقية الداعية - عبدا ناصح علوان - ص ١٠-١٣ بتصرف

أنظر: الكونفوشيوسية- سليم المسلمي - ص ٢٣٢- ٢٤٢ .

٨- الإصلاح الاجتماعي بين الإسلام والكونفوشيوسية

١ – العلاقة بين الفرد والمجتمع :

الفرد الصالح هو الأساس لكل مجتمع سليم ، والفرد والمجتمع لا ينعـزل أحـدهما عن الأخر ولا تنفصم العلاقة بينهما إلا في حالات القسر والشذوذ ، والانحراف عن الفطـرة السوية التي فطر ا الناس عليها ..

والفرد الصادق الصالح حقا هو الذي يحترم نفسه مع مجتمعه ويقـدر تبعاتـه ومسئولياته تجاه هذا المجتمع ، فيقوم بالحقوق ، ويؤدي الواجبـات ويـنهض لإنقـاذ المجتمع من براثن الفساد وغيوم الضلال ، ومضلات الفتن .

ولقد جعل الإسلام التكافل بين الفرد والمجتمع متكاملا في كل الأمور:

أ- لقد بدأ الإسلام فجعل التكافل علاقة تربط بين المرء ونفسه ، فجعل الفرد مسئولا عن نفسه أمام ا ، يمتعها بالطيبات ، ويصدها عن الخبائث، ويمنحها حقهـا مـن العمل والراحة ، فلا يدعها تترهل من البطالة أو تنهك من الإجهاد ، وهـو تكافـل فردي في ظاهره ولكنه في حقيقته تكافل اجتماعي على المعنى الواسـع الذي يعنيه الإسلام ، ذلك أن تربية الفرد على هذا النحو إنما هي إعداد لـه فـي ميدان الحياة الاجتماعية ، ولهذا التهذيب نتائجه في السلوك الاجتماعي والإنساني .

ب- بعد ذلك ينقل الإسلام التكافل بين الفرد والأسرة، فيقيم الأسرة على أسس وطيـدة من التكافل الذي يتعادل فيه الغنم والغرم وتتناسق فيه الحقـوق والواجبـات ، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، والتكافل في الأسـرة لـيس مجـرد تكافل اقتصادي ، إنما هو تكافل إنساني كامل يشمل واجب الحمايـة للأمومـة ، وواجب العناية بالأطفال وإعدادهم للحياة جسميا وعقليا وروحيا ، وواجب الرعاية للآباء والأمهات عند الكبر والهرم إلى جانب التكاليف المادية التـي تقـوم عليهـا الأسرة ، والتي حرص الإسلام فيها على تحقيق العدل بين الرجل والمرأة في أعباء الحياة .

ج- فإذا انتقلنا من الأسرة إلى محيط الجماعة وجدنا التكافل الاجتمـاعي يـشمل كل العلاقات الاجتماعية ولا يقف عند حدود المال والاقتصاد ، فكـل فـرد مكلـف أن

يحسن عمله الخاص لأن ثمرة عمله عائدة على الجماعـة ، ويرعـى حرمـات الجماعـة ويجاهد في سبيل صيانتها ما استطاع .

وجملة القول أن الفرد عضو في المجتمع ، والمجتمع مجموعة أفراد ، لا يمكن أن ينظر إلى أحدهما بمعزل عن الآخر، لأن مصلحة كل منهما مرتبطة بمصلحة الآخر .

٢- الاختلاط بالمجتمع ومحاولة إصلاحه :

يجب على الفرد الصالح أن ينخرط في المجتمع ، ليصلح الفاسد ويـرد الـشارد ، ويقوم المعوج ، ويدعو إلى عمارة الأرض بما أراد ا ، حتى يحقق بإسلامه ودعوتـه رحمة ا التي أرسل بها نبيه محمدا ﷺ ، أما أن يقعد المسلم مع القاعدين يستهلكه الحزن على واقع الأمة ، ويضنيه الألم لما ألم بالمسلمين من مصائب ونكبات وما يصدر منهم من معاصي وسيئات ، ومع هذا يمنعه الخوف من تحمل التضحيات عن العمل . . . فينعـزل هو والمتخاذلون في مساجدهم وبيوتهم ، يبكون الإسلام ويتركـون الأجيـال وجمـاهير الشباب الساذج لمن يربيها من دعاة الإلحاد ولمن يجرها إلى الفساد والحياة الشهوانية .

إنه لا يجوز لأهل الخير أن يلوذوا بالفرار إذا طفح الشر ، والمرء الصالح الـذي يلـوذ بالفرار اليوم إنما يمهد لشر قد يجتاحه غداً أو يجتاح حتمـاً أولاده بعـد غـد، إنهـا روح الإسلام التي تدفع المسلم إلى الانطلاق .. إلى الدعوة .. إلـى الإصـلاح .. إلـى الهدايـة والإرشاد .. وتأبي عليه أن يتقوقع على نفسه . . . ويترك مسرح الحياة لغيـره .. فمـن ذا الذي يبلغ دين ا إذا اعتزل كل عالم وكل صالح ؟

من الذي يدحض الشبهات ويرد الافتراءات عن الشريعة الإسلامية؟ من الذي يجاهد بالقرآن الفاسقين والمفسدين ؟ من الذي يصدح بالسنة ليرد الحيارى والتـائهين؟ مـن الـذي ينظر في ملكوت السموات والأرض ويأخذ بأسباب العلم والتقدم ليرد للإنـسانية حـضارتها الإسلامية الإنسانية المستمدة من نور رب العالمين ؟

فدعوة الإسلام دعوة حية متصلة بالحياة بكل ما تعنيه كلمة الحياة وهؤلاء النفر الـذين فهموا الإسلام فهما ضيقا دفعهم إلى تعطيل طاقة الفرد وحيويته وإنتاجه

بحجة العزوف عن الدنيا والمبالغة في الزهد والإقبال على ا (وبدعوى أنـه لا أمـل في الإصلاح) فمنهم من اعتزل المجتمع .. ومنهم من تخلى عن الوظيفة .

هذا المنهج من هؤلاء النفر فضلا عن كونـه يـصطدم مباشـرة بطبيعـة الإسـلام الحركية ، فإنه أيضا يسهل على أعداء الإسلام احتلال مراكز القـوى فـي بـلاد المـسلمين والحيلولة دون عودة هذه البلاد إلى قيادة الإسلام ومنهجه في الحياة(1)

٣- النبل الحقيقي :

ليس النبيل في نظر الإسلام هو من انحدر من أصل عريق في المجد أو انتسب إلى عائلة كبيرة ارستقراطية ، وفقط إنما النبيل أو الكريم أو الشريف والفاضل هو الـذي تحـسن أخلاقه مع الناس جميعاً، وتكون أفعاله كريمة طيبة ، ويتسلح بالعلم ويتحلى بـالأدب ، ويتزين بالحلم ، ويتصف بالسخاء ويتسم بالمروءة ، ويتصف بالشجاعة .. الخ .

هذا هو النبيل ولو كان عبدا حبشيا ، وذلك هو الكريم ولو كان من آباء مغمـوري النسب والجاه ، ولا قيمة لحسب ولا نسب إذا كان صـاحبه يحيـد عـن طريـق الفـضيلة وينحرف عن الإسلام ، ويتبع سبل الضلال والفساد ، وقد قال ا تعالى ا يا أَيها الناس إنا خلَقْناكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْناكُم شعوباً وقَبائلَ لتعارفُوا إن أَكْرمكُم عند الله أَتقَاكُم إن الله عليم خبِير﴾ (الحجرات:١٣)

والنبيل أيضا هو من يقدم الخير للناس ، ويسدى معروفه إلى مجتمعه دون انتظار شكر أو مدح من الناس ، قال تعالى ا إنما نطْعمكُم لوجه الله لا نريد مـنكُم جـزاءً ولا شكُوراً * إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قَمطَرِيراً﴾ (الإنسان ٩ – ١٠)

والنبيل الشريف حقا هو الذي يسعى لإعادة مجد أمته وإيقاظها من سباتها وردها عن غيها ،وانتشا لها من ضلالها ، وإنقاذها من ربقة الهلاك والبوار .

كذلك كان النبيل في نظر كونفوشيوس مع الفارق حيـث أن النبيـل المـسلم يتخلـق بهذه الأخلاق إقتداء برسول الإسلام ﷺ وابتغاء وجه ربه ومرضاته بينمـا هـو فـي نظـر كونفوشيوس يبتغي وجه الناس ولا يعرف نبيا مبعوثاً ولا رسولاً معصوما.

---

(1) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية – فتحي يكن – ص ٧٨ بتصرف .

٤- مراعاة حقوق الكبار:

ومن الأمور التي وضعها الإسلام لصلاح المجتمع وإصلاحه : مراعاة حقوق الكبار ، وإن مجتمعا لا يحترم فيه الكبار ولا يقدرون حق قدرهم ، ولا يعرف لهم فضل شيبتهم في الإسلام ، ولا ينزلون منزلتهم ، لهو مجتمع متهالك متداعي ، ولا نظام فيه ، ولا خير فيه .

فقد بين رسول ا ﷺ وجوب احترامهم وتقديمهم وأن من لم يوقرهم يكون إيمانه ناقصا ، فقد روى الترمذي وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي ا عنهم قال : قال رسول ا ﷺ : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا [١] .

ومن هذه الأسس يتدرج أبناء المجتمع على احترام الكبير وإجلال العلماء وإكرام ذي الشيبة المسلم ويفهم الناشئ منذ نعومة أظفاره حق من يكبره سنا وأدب من يفوقه علما وفضلاً ومنزلة ، وهذا لعمري غاية الأدب ومنتهى التوقير والاحترام ، فإذا تحققت هذه التربية وبرزت هذه المعاني وصلت الأمة الإسلامية إلى الذروة في الخلق الاجتماعي النبيل .. والأدب الإسلامي الرفيع ..

٥- مراعاة حقوق الجار :

فقد روى مسلم عن رسول ا ﷺ:"لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه" [٢]
وذكر لرسول ا ﷺ امرأة تصلى الكثير وتصوم الكثير ، ولكنها تؤذى جيرانها فقال : " هي في النار " [٣] .

" ولا يصح في الإسلام أن يأكل المسلم ملئ معدته ، وجاره يبيت على الطوى لا يجد ما يسد جوعه ، وإذا كانت حرمة العرض تشمل كل مسلم فإن الإسلام يشدد ويؤكد على حرمة عرض الجار .

فإذا أشيعت هذه الآداب وذكر بها الكبار ولقنها الصغار ، وشب عليها الشباب، وتعمقت في نفوس الرجال والنساء ، فإننا لا نجد جارا محتاجاً ، أو يشعر بالغربة والوحشة في وطنه .

وهذا من أقرب الطرق إلى صلاح المجتمع وتماسكه .

---

[١] أخرجه أبو داود (ح / ٤٩٤٣) بلفظه والترمذي (ح / ١٩٢٠) وأحمد (ح / ٨٥ ، ٢٠٧) بسند صحيح .
[٢] أخرجه البخاري (٥ / ٢٢٤٠) ومسلم (١ / ٦٨) .
[٣] رواه أحمد (٢ / ٢٤) والحاكم في المستدرك (٤ / ١٨٣) .

٦- مراعاة حقوق الوالدين:

يهدف الإسلام إلى إيجاد أسرة قوية البنيان ، متماسكة الأركان ، شـامخة الأوصـال ، باسقة الفروع ، يشيع فيها جو المودة والرحمة ، والسكن والألفـة والاحتـرام المتبـادل ، ويحافظ على حاضر الأمة ومستقبلها من الشقاق والخلاف والنـزاع والفرقـة ، والـزواج الشرعي في حد ذاته مصلحة اجتماعية لما فيه من المحافظة على بقاء النوع الإنساني واستمرار وجوده على ظهر الأرض إلى إن يرث ا الأرض ومن عليها قال تعالى ا واللـه جعلَ لَكُم من أَنفُسِكُم أَزواجاً وجعلَ لَكُم من أَزواجِكُم بنِـين وحفَـدةً ورزقَكُـم مـن الطيبات أَفَبِالْباطلِ يؤمنونَ وبِنِعمت الله هم يكْفُرونَ﴾ (النحل:٧٢) .

إن الأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمعات الإسلامية نظمتها الـشريعة الإسـلامية ، ووزعت فيها الاختصاصات وحددت الواجبات ، وبينت الحقوق ، والهدف من ذلك كله : العمل على استقرار المجتمع ولقد أوجب الإسلام على الأولاد البر بآبائهم وأمهاتهم ، فالأم جعل ا الجنة تحت قدميها ، وجعل حقها على الأبناء ثلاثة أضعاف حق أبيهم عليهم .. وجعل رضى ا في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما ، فمن أرضى والديه فقد أرضى ا تعالى ، ومن أسخطهما فقد أسخط ا ، ومن برهما وأحسن إليهما فقد شـكر ربه ، ومن أساء إليهما فقد كفر بنعمة ربه والوالدان هما الباب الموصل إلى الجنـة فمـن برهما وصل ومن عقهما منع ، قال عز وجل ا ووصينا الْإنسانَ بِوالديه حملَته أُمـه وهنـاً علَى وهنٍ وفصالُه في عامينِ أَن اشكُر لي ولوالديك إِلَي الْمصير﴾ (لقمان:١٤).

الإسلام أوجب البر ، والبر أسم جامع لكل خير ، وحذر من العقوق والعقوق كلمة جامعة لكل شر ، بل حذر من مجرد توجيه كلمة تأفف ولـو بـسيطة إلـى الوالـدين ا وقَضى ربك أَلَّا تعبدوا إِلَّا إِياه وبِالْوالدينِ إِحساناً إِما يبلُغن عندك الْكبر أَحدهما أَو كلاهما فَلا تقُلْ لَهما أُف ولا تنهرهما وقُلْ لَهما قَولاً كَرِيماً﴾ (الاسراء:٢٣)

أيضاً يعلم الإسلام الأبناء مع آبائهم ألا يمشوا أمـامهم وألا ينـادونهم بأسـمائهم ، وألا يجلسوا قبلهم ، وألا يتضجروا من نصائحهم ، وألا يحرمهم من طعـام ينظـرون إليـه وألا يرقوا مكانا عاليا فوقهم وألا يخالفوا أمرهم وألا يتسببوا في أن يشتمهم أحد أو يلعنهم :

فعن عبد ا بن عمرو بن العاص رض ا عنهما أن رسول ا ﷺ قال:" من الكبـائر شـتم الرجل والديه قالوا يا رسول ا وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم يسب أبا الرجل فيـسب أباه ويسب أمه فيسب أمه " [١] .

لكن هذا البر المأمور به وهذا العقوق المنهي عنه ، ليس معناه فـي الإسـلام أن يطيع الرجل والديه في معصية ا أو يسكت على خطئهما أو يتغاضى عن كبائرهما أو لا يشهد عليهما إذا سرق أحدهما كما استنكر كونفوشيوس على من فعل هذا وعده من العقوق .

فالإسلام يعلمنا أن طاعة الوالدين تالية لطاعة ا تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ ، فإذا أمرا بما يخالف أوامر ا ورسوله فلا طاعـة لهمـا ، وإنمـا الإحـسان إليهمـا وإسـداء المعروف دون طاعة في معصية ا ، قال تعـالى ﴿ وإِنْ جاهداك علَى أَنْ تشرِك بِي ما لَيس لَك بِه علْم فَلَا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفـاً واتبِع سبِيلَ من أَناب إِلَي ثُم إِلَي مرجِعكُم فَأُنبئُكُم بِما كُنتم تعملُونَ﴾(لقمـان:١٥) ، وقـال تعالى ﴿ يا أَيها الذين آمنوا كُونوا قَوامين بِالْقسط شهداءَ لله ولَو علَى أَنفُسِكُم أَوِ الْوالدينِ والْأَقْرَبِين إِنْ يكُن غَنِياً أَو فَقيراً فَالله أَولَى بِهِما فَلَا تتبِعوا الْهوى أَنْ تعدلُوا وإِنْ تلْـووا أَو تعرِضوا فَإِن الله كَانَ بِما تعملُونَ خبِيراً﴾ (النساء:١٣٥)

٧- العدل في الحكم والبعد عن المحاباة :

ومن الأمور التي نادى بها الإسلام لإصلاح المجتمع وترابط أفراده هو العدل فـي الحكم على الأشياء ، والبعد عن المحسوبية والمحاباة : فقد دعا الإسـلام إلـى وجـوب السعي والجد في الأخذ بالأسباب المشروعة في سبيل الوصول إلـى الأهـداف المبتغـاة والآمال المرجوة ، وأن يصل الإنسان إلى مكانته ومنزلته بعمله وجده ، فـلا محابـاة ، ولا محسوبية ولا رشوة . وقد كان هذا الأمر واضحا في الإسلام منذ أيامه الأولـى ، ففـي الصحيحين عن أبي هريرة رضي ا عنه قال : قال رسول ا ﷺ حين أنزل عليه : ﴿ وأَنذر عشيرتك الْأَقْرَبِين﴾ (الشعراء:٢١٤) قال : " يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من ا لا أغنى عـنكم

---

[١] أخرجه البخاري (٥ / ٢٢٢٨)ومسلم (١ / ٩٢) .

من ا شيئاً يا بني عبد المطلب لا أغنى عنكم من ا شيئا يـا عبـاس بـن عبـدالمطلب لا أغنى عنك من ا شيئا ، يا صفية عمة النبي ﷺ لا أغني عنك من ا شيئا يا فاطمـة بنـت محمد سليني ما شئت لا أغنى عنك من ا شيئا " [١] .

" فالعدل هو : الميزان الذي تقرر به الحقوق والواجبات دونما تحيز لأيـة فئـة أو طبقة بل إن الإسلام إنما جاء ليطارد الروح الطبقية ويقارب بين الناس وسبيله فـي ذلـك أن يؤسس روح وعاطفة الأخوة والتراحم على الأيمان با . . . [٢].

فإذا كانت مثل هذه الأمور السالفة موجودة في الكونفوشيوسية فـإن المتخلـق بها - وكما أشرت سابقاً - إنما يبتغي بتخلقه الناس وأن يذكر بينهم وبالتـالي فـلا يلقـى جزاء تخلقه هذا إلا من الناس وفي حياته الدنيوية فقط ، بينما المسلم حينما يتخلق بهذه الأخلاق إبتغاء مرضاة ربه أولاً وفي الأساس فإن قدرها الناس فذلك فـضل مـن ا عليـه وينال عليها جزاؤه من ا في الدنيا والآخرة لكن إن فعلها إبتغاء ذكر الناس لـه فهـي غير مقبولة ومردودة عليه من ا وليأخذ جزاءها منهم لكن ليس له جزاء عند ا .

وهذا فرق وبون شاسع بين المتدين لرب العالمين الذي لا رب ولا معبود حقيقـي سواه وبين المتدين للأرباب من دون ا .

---

[١] أخرجه البخاري (٤ / ١٧٨٧) ومسلم (١ / ١٩٢) .

[٢] الكونفوشيوسية - سليم المسلمي - ص ٢٤٦ - ٢٦٥ بتصرف .

٩- الإصلاح السياسي في الإسلام

الخلافة الإسلامية وتعيين الخليفة :

من الأمور البديهية والمسلمات الأولية – والتي لا يمارى فيها عاقل ولا منـصف أن الإسلام دين ودولة .. دين يوجه ويرشد ، ويربى ويضبط الأمور ويضع المـوازين ، ودولـة تحكم بهذا الدين وتقود العباد إلى الخير والرشاد في الآجل والعاجل والمعاد .

وأن الإنسان : " خليفة ا سبحانه وتعالى ، الحامل لأمانة عمران الحياة الدنيا كابتلاء وامتحان ومعيار للحياة الآخرة التي هي خير وأبقى فسياسته لعمران الـدنيا ليـست هـي المقاصد والغايات ، وإنما هي السبل والوسائل للدار الآخرة ، والإنسان بحكم خلافته . . ، ليس سيد هذا الكون .

وإنما هو عبد لسيد هذا الكون ، وإن كان سيداً فيه فهو عبد ا وحده ، وسـيد لكل شيء بعده ومن ثم كانت حرية هذا " العبد – السيد " محكومة بشريعة خالقـه ، التي هي بنود عقد وعهد الاستخلاف ، الأمر الذي جعل المضمون الإسلامي للسياسة في العمران الإسلامي لا يقف عند المعايير المادية في حدودها الدنيوية معزولة عن معـايير الصلاح الأخروي، وإنما ربط هذا المضمون الإسلامي لمصطلح السياسة بين المعايير الدنيويـة والأخروية بعروة وثقى [١] .

ورأينا بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة تكونت نواة الدولة الإسلامية متمثلة فـي الشعب والأرض والقيادة . وأن الرسول ﷺ تولى مسئوليات رئيس الدولة بالمفهوم الحديث ، فقد نظم شئون الحرب والسلم . . . وباختصار أشرف علـى إدارة شـئون هـذا المجتمـع الإسلامي الناشئ في المدينة بما يحقق له مصالحه على أفضل الوجوه

وبعد وفاة الرسول عليه السلام كان لابد لهذه الدولة الإسلامية التي أقامهـا مـن قائد يتولى أمورها ويدبر مصالحها في ضوء مفاهيم الإسلام ومبادئه . وهكـذا أجمـع المسلمون على ضرورة اختيار من يخلف الرسول ﷺ في هذه المهمة الجليلة وهي مهمة

---

[١] الإسلام والسياسة . الرد على شبهات العلمانيين - د . محمد عمارة . . مجمـع البحـوث الإسـلامية بـالأزهر ، سلـسلة البحوث الإسلامية السنة الرابعة والعشرون . الكتـاب الأول ١٩٩٢م ص ١٢ بتـصرف . نقـلاً عـن الكونفوشيوسـية – سـليم المسلمي – ص ٢٧٢ .

قيادة المجتمع الإسلامي ، فكان اختيار أبى بكر ثم عمر ثـم عثمـان ثـم علـى " [١] - رضي ا عنهم أجمعين-

فالسياسة الإسلامية جزء لا يتجزأ من الإسلام ، وقاعدة من قواعد المجتمع الإسلامي لا تنفصم عنه ، ولا ينفك عنها ، وإنما : " يفترض الإسلام الحنيـف الحكومـة قاعـدة مـن قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس ، فهو لا يقر الفوضى ، ولا يدع الجماعـة المسلمة بغير إمام " [٢]

١- معنى الخلافة والإمامة :

الخليفة : اسم يقال لمن استخلفه غيره ولمن خلف غيره في أمر من الأمور .

والإمام : هو كل من ائتم به قوم سواء كانوا على هدى أو ضلالة .

والخلافة في الإسلام: رئاسة الدولة الإسلامية ، فالخليفة أو الإمام الأعظم هو رئيس الدولة الإسلامية الأعلى .

٢- طريق اختيار أو تعيين الخليفة :

الصحيح – الذي عليه الأصل في الإسلام – هو اختيار الخليفة عن طريق الـشورى ولابد فيه من الإيجاب والقبول ، إيجاب من الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد ، وقبـول من الخليفة المنتخب ، ثم بيعة عامة من باقي الأمة .

ولابد أن يكون الخليفة العام على المسلمين أو الإمام الأعظم لهم واحداً ، وهـذه هي الخلافة الصحيحة الكاملة .

" ولكن الظروف قد تلجئ المسلمين – وقد تمزقت وحدتهم – أن ينقسموا أممـا لكل أمة حكومتها ، فيجوز تعدد الخليفة للضرورة ، ولكن الخلافة هنا تكـون خلافـة غير كاملة . على أن الخلافة الكاملة يمكن تحققها إذا اجتمعت كلمة المسلمين لا علـى أن تكون لهم حكومة مركزية واحدة ، فذلك قد يصبح مستحيلا، بل يكفي أن تتقـارب حكومات الإسلام المختلفة [٣]، وأن تتفاهم فيما بينها .

---

[١] محاضرات في النظام السياسي والمالي في الإسلام - د/ عبدالرحمن سالم ص ١١ -١٢ بتصرف .

[٢] حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة – د/ عبدالحميد الغزالى- ص ٢٠٦ .

[٣] الإسلام والسياسة – د/ محمد عمارة - ص ١٢١ – ١٢٢ .

وإذا اختير خليفة للمسلمين ونصب إمام لهم ، فإن هذا الخليفة " بحكم نظام الإسلام من الخيرة بينهم إيمانا با ومعرفة بمبادئ الإسلام ، وأكثرهم تجنبا للظلم وإحقاقاً للحق وإقراراً للعدل " [١] .

٣- متى يعزل الخليفة أو الحاكم :

الحاكم في الإسلام من الخيرة بين إخوانه إيمانا با ومعرفة بمبادئ الإسلام، فإذا تحققت فيه هذه الصفات وعمل بمقتضى شرع ا فإنه يستمر في منصبه لا يخلع منه ولا يعزل ، ولا ينازع ، بل يجب له السمع والطاعة في المنشط والمكره ، طالما لم ير منه كفر بواح عندنا من ا فيه برهان ، أو يخالف معلوماً من الدين بالضرورة .

ففي الإسلام قد يستمر الخليفة يتولى مهام منصبه طالما كان بهذه الصفات وطالما لم يرغب هو في اعتزال المنصب .

وإن في بقاء الخليفة في منصبه نزعاً للشقاق ورأبا للصدع ، ودرءاً للفتنة ولقد رأينا الخلفاء الراشدين رحمهم ا يحددون ضوابط بقائهم في الخلافة وحدود السمع والطاعة ، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق بعد مبايعته بالخلافة يقول : " أما بعد فإني قد وليت هذا الأمر وأنا له كاره ، وا لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم مثل عمل رسول ا ﷺ لم أقم به ، كان رسول ا ﷺ عبداً أكرمه ا بالوحي وعصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير منكم ، فراعوني فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوموني".

فالأصل أن الواجب على المسلمين السمع والطاعة للحاكم طالما كان يسير فيهم بما أراد ا ، فقد قال تعالى : ﴿ يا أَيها الذين آمنوا أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسولَ وأُولي الْأَمرِ منكُم فَإِنْ تنازعتم في شيءٍ فَردوه إِلَى الله والرسولِ إِنْ كُنتم تؤمنونَ بِالله والْيومِ الْآخرِ ذَلكَ خير وأَحسن تأْوِيلاً﴾ (النساء:٥٩).

٤- ضرورة الخلافة لتطبيق الشريعة وحماية المسلمين :

[١] سلسلة على طريق الأصالة الإسلامية ٣٧ (التجربة الفرنسية في بلاد المسلمين) د . أنور الجندي ، دار الأنصار ، القاهرة ، مصر ، ص ١٦ -١٩ بتصرف .

إن الكثير من الواجبات الشرعية يتوقف على إقامة خليفة أو إمـام .. ومـا لا يـتم الواجب إلا به فهو واجب شرعا .. وفيه أيضا جلب منافع للأمة وهو واجب أيضا، ذلك أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات والجهاد والحدود وشعائر الـشرع وغيرها إنما هي مصالح عائدة على الخلق ..

وهذه المصالح لا تتم إلا بإمام يرجعون إليه فيما يختلفون فيه .. وهم مع اختلاف الأهواء وتشتت الآراء قلما ينقاد بعضهم لبعض فيفضى ذلك إلى التنازع والنوائـب وربمـا أدى إلى إهلاكهم جميعاً .

والتجربة تشهد بذلك وتشهد بأن عدم إقامة خليفة يـؤدي إلـى تعطيـل الـدين والخروج عن الإسلام وتفرق المسلمين [١] .

ومن هنا وجد الخلفاء واحداً تلو الآخر بدءا من الخلفاء الراشدين رضـى ا عـنهم وانتهاء بسلاطين وخلفاء آل عثمان الذين أسقطت الخلافة من دولتهم وإلـى الآن " وكـان الكثير من هؤلاء الخلفاء يشعرون بمسئوليتهم أمام ا ، ويعملون مـا اسـتطاعوا لخدمـة المسلمين ، كما كان هناك البعض منهم الذي قصر في مسئولياته وأخطأ في التطبيـق ، ولكن مهما كانت أخطاء بعض الخلفاء العثمانيين، فقد شكلوا قـوة ، وصـنعوا للإسـلام هيبة في الشرق والغرب ، حيث كان ملوك أوربا يتملقونهم ويخطبون ودهم .. وهذا ما دفع أعداء الإسلام إلى الخوف من نظام الخلافة وبالتالي دفعهم إلى وضـع الخطـط للقضاء عليها " [٢] .

وفعلا وصلوا إلى ما يريدون – عن طريق صنائعهم وعملائهم – من إلغاء الخلافة الإسلامية ، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة ألمانيا وتركيا، وسيطرت الجيوش الإنجليزية واليونانية والإيطالية والفرنسية على جميع أراضي الدولة العثمانية .[٣]

٥- علاج الجريمة بين الإسلام والكونفوشيوسية :

---

[١] أهدافنا – أخطر قضايا المسلمين ، د . عبدالحميد الكناني ، دار الوفاء ، المنصورة ، مصر الطبعة الأولى ١٩٨٨ ص ٣٥ .

[٢] أحذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام – د/ سعد الدين صالح ، دار التقوى ، بلبيس ، مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٩٥ص ١٦٨ بتصرف .

[٣] الكونفوشيوسية سليم المسلمي - ص ٢٧١ ص ٢٧٨.

ينظر كونفوشيوس إلى علاج الجريمة بالأخلاق والتهذيب فقط ولا يعـول علـى القانون ، لأن القانون لا يصنع أمة مهذبة ، ولا يوجد الأفراد الصالحين ، بل ينبغي أن يكون الإصلاح داخليا فقط .

لكن الإسلام ينظر إلى الأمر من الجهتين من الناحية الأخلاقيـة والناحيـة التـشريعية ، فيهذب الأخلاق أولا ويربى الضمير على المراقبة عز وجـل والابتعـاد عمـا يغـضبه ، وفي نفس الوقت يسن القوانين ويضع التشريعات التي تزجر كـل مـن تـسول لـه نفـسه الخروج عن مبادئ الجماعة وقيمها ، وآدابها وأخلاقها ، بل يخرج على مبـادئ الـدين الصحيح الذي ارتضاه ا للأمة ..

١- مفهوم العقوبة :

العقوبة هي : الجزاء الشرعي الذي يستحقه الجاني على اقتراف الجريمـة وهـو نوع من الأذى والضرر ، يلحقه مقابل ما ارتكب ، تحقيقا للعدالة بين الناس وردعـاً لهـم عن معاودة الوقوع في الجريمة .

والعقوبات في الشريعة الإسلامية نوعان :

النوع الاول: عقوبات مقدرة : ورد تحديدها في كتاب ا عز وجل أو سـنة رسـوله ﷺ أو الإجماع ، ويدخل فيها : عقوبات الحدود ، وعقوبات القصاص .

النوع الثاني : عقوبات غير مقدرة ، وهي : ما لم يرد نص شرعي بتحديد قـدرها ولا كيفيتها ، وإنما فوض تقديرها لولى الأمر ، بشرط الالتزام بمبادئ وقواعد شـرعية عامـة وقد أطلق الفقهاء على هذا النوع من العقوبات اسم " التعزيز "

٢- ضرورة العقوبات في زجر الناس وضبط سلوكهم :

الإسلام لا يعتمد على القانون وحده في ضبط السلوك إنما يكل ذلك إلى الأخـلاق والضمير لأن القانون يكفل الحد الأدنى من التنظيم وإذا كان القانون غير إلهي ، والـضمير غير حي ولا يقظ في نفس الإنسان فإنه سرعان ما يتفلت من عقوبات القانون وملاحقاتـه ولذلك فإن " الوازع الذي يمنع من ارتكاب الجرائم ليس هو الدين في حد ذاته فإنـه لا يقدم لنا تشريعاً فحسب وإنما يخبرنا أن صاحب هذا التشريع يراقب كل أعمالنا من خير أو شر .. فنياتنا وأقوالنا وحركاتنا بأكملها تسجل بواسطة أجهزة هذا الشرع . . . ولو أننا استطعنا الهروب من عقاب محكمة الدنيا فلن نتمكن – بالتأكيد – من أن نفلت من عقاب صاحب التشريع السماوي .

ولو أننا حاولنا تفادي عقاب الدنيا فسوق نذوق عذاباً مـضاعفاً يـوم القيامـة ، يفوق عقاب الأرض ملايين المرات قسوة وعنفا . [1]

فالإسلام يفترض في الناس الخير والنية الطيبة والسلوك الحـسن والأعمـال الـصالحة المستقيمة ، ويعمل على تهيئة وإيجاد البيئة الصالحة التي يعيش فيهـا الفـرد ، ويعمـل على توفير حاجياته وتوفير ضرورياته وإشباع رغباته في حدودها المعقولـة الموائمـة للفطرة والمتمشية مع مصالح الآخرين وفق شرع رب العالمين .

---

[1] الإسلام يتحدى – وحيد الدين خان – ص ١٤٣ بتصرف .

١٠- أساليب الإصلاح بين الإسلام والكونفوشيوسية

سلك كونفوشيوس بعض الوسائل والسبل في سبيل نشر فكرته ، وإيمان النـاس بهـا ، وتغيير أخلاقهم وتهذيب طباعهم ، وكان من أبـرز هـذه الوسـائل التـي اعتمـد عليهـا كونفوشيوس في دعوته الإصلاحية هي : القـدوة – التـدرج – التلطـف والترفـق - ضرورة العلم والتعلم - ووجود المربي

وهذه الوسائل يركز الإسلام عليها أيما تركيز ويؤكد على أهميتها في الدعوة إلى الإسلام ، وسنتناول هذه الوسائل من وجهة النظر الإسلامية بشيء من التفصيل:

١- القدوة :

لا يكفي الكلام وحده ليكون حافزاً على العمل ، ودافعاً للإتباع ، بل لابـد مـن التطبيق العملي والسلوك الواقعي لما يقال ، وهذا أبلغ دليل على صدق المقـول وأيـسر طريق للاهتداء .

قال الإمام ابن القيم رحمه ا : (علماء السوء جلسوا على أبـواب الجنـة يـدعون إليها الناس بأقوالهم ويصدونهم عنها بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا ، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المـستجيبين لـه ، فهـم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق " [١] .

وقال تعالى : ا أَتأْمرونَ الناس بِالْبِر وتنـسونَ أَنفُـسكُم وأَنـتم تتلُـونَ الْكتـاب أَفَـلا تعقلُونَ﴾ (البقرة:٤٤) . وقال تعالى : ا يا أَيها الذين آمنوا لم تقُولُونَ ما لا تفْعلُونَ *كَبر مقْتاً عند الله أَنْ تقُولُوا ما لا تفْعلُونَ﴾ (الصف:٢- ٣)

فالقدوة العملية أقوى وأشد تأثيرا في نـشر المبـادئ والأفكـار ، لأنهـا تجـسيد وتطبيق عملي لها ويسهل مشاهدتها والتأثر بها وتقليدها ، بخلاف الأقوال أو المحاضـرات والكتابات " فقد لا يستوعبها بعض السامعين أو القارئين ، أو قد لا يـدركون مقاصـدها ، وقد تنسى كلها أو بعضها . أو قد تظل نظرية ويجهل الكثير تطبيقهـا عمليـا ، أو قـد يخطئ بعض الناس عند التطبيق ولقد كان رسول ا ﷺ قـدوة بـشرية عمليـة وسـط

---

[١] الفوائد- الإمام ابن قيم الجوزية - ص ٥٥ .

المسلمين الأوائل فكان له الأثر الكبير في تعرف المسلمين على الإسلام نظرياً وعملياً واقتدوا به في كل صغيرة وكبيرة " [١] .

قال ا تعالى : ﴿لَقَد كَانَ لَكُم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كَانَ يرجـو اللـه والْيوم الْآخر وذَكَر الله كَثيراً﴾ (الأحزاب:٢١) .

ولهذا نرى صحابه رسول ا ﷺ كانوا يقتدون به ويتبعون سنته ويهتدون بهديـه طاعة وتقربا إليه ، ولو لم تظهر لهم الحكمة في الأمر ، ولهذا قال عمر أبن الخطاب رضي ا عنه وهو يقبل الحجر الأسود : (أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول ا ﷺ يقبلك ما قبلتك)[٢] .

تعريف القدوة :

القدوة والقدوة في اللغة : الأسوة ، يقال : فلان قدوة يقتدي به .

والقدوة : المثال الذي يتشبه به غيره فيعمل مثل ما يعمل [٣] .

وقد تكون القدوة حسنة أو سيئة كما جاء في الحديث الشريف :

" من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " (رواه مسلم) [٤]

والقدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين :

أ- قدوة حسنة مطلقة : أي معصومة من الخطأ والزلل : كما هـي فـي الأنبيـاء والرسل عليهم السلام قال تعالى : ﴿قَد كَانت لَكُم أُسـوةٌ حـسنةٌ فـي إبـراهيم والذين معه . .﴾ (الممتحنة: ٤)

---

(١) القدوة على طريق الدعوة - الأستاذ : مصطفى مشهور- ص ٣١ .

(٢) البخاري (٢ / ٥٧٩) ومسلم (٢ / ٩٢٥) .

(٣) لسان العرب مادة " قدوة " (١٥ /١٧١) والمعجم الوسيط (٢ / ٧٢٧)

(٤) رواه الإمام مسلم (٢ / زكاه / ٧٠٤ ، ٧٠٥ / ٦٩) (٤ / العلم / ٢٠٥٩ / ١٥) .

وقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٩٠)

ب- وقدوة حسنة مقيدة : أي مقيدة بما شرعه الله عز وجل ، لأنها غير معصومة، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فغير الرسل والأنبياء قد يقتدي بهم في أمور دون أخرى ، وذلك لاحتمال صدور بعض تصرفاتهم عن ضعف بشري أو خطأ اجتهادي ، لذا كان الإقتداء بهم مقيداً بموافقة الشرع .

أهمية القدوة الحسنة العملية :

تبرز أهمية القدوة الحسنة في عدة نقاط مهمة نذكر منها :

١- إن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة .

٢- إن القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل الممتازة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة .

٣- إن أيسر ما يؤثر في الناس هو الفعل دون القول ، لأن الناس قد يتفاوتون في فهم الأقوال ولا يتفاوتون في فهم الأعمال .

٤- ولما كان رسول الله ﷺ أسوة حسنة ومثلا أعلى لم يأمر أصحابه وأتباعه بأمر إلا وقد سبقهم إلى العمل به ، ولم ينههم عن شيء إلا وكان أسرعهم في الانتهاء عنه ، لذا أعظمه أتباعه وأكبروه وعظموا أمره ونهيه .

خطب النبي ﷺ الناس في حجة الوداع فقال : " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا . . . ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله "[1] .

---

[1] أخرجه مسلم (في الحج ١٢١٨) وأبو داود (٣٣٣٤) وابن ماجه في المناسك (٣٠٥٥) وأحمد (٢/ ١١) .

فنراه ﷺ يبتدئ بحكم عام ، فيسقط الربا كله ، ثم يخص ربا العباس بالإسقاط ليبين للناس أنه يبتدئ بتنفيذ الأحكام على أقرب الناس إليه ، فيكون في ذلك أسوة حسنة ،وقبله يبين أن دماء الجاهلية ساقطة موضوعة ، لا يؤخذ بثأرها ، ولا يطالب بحقها ، وأول دم يسقطه دم من يعد هو من أوليائه ليكون أول الآخذين بحكم الدين .

ونتصر ا رسوله ﷺ فترجم هو وأصحابه القول إلى العمل ، والنظرية الإسلامية إلى نموذج حي يتحرك ويسرى بين الناس فيهديهم إلى الإسلام بالقدوة الحسنة .

وهذا التجسيد الواقعي ، وهذه القدوة العملية تذكير فعلي للناس جميعاً بأن الوصول إلى المثل العليا والأخلاق السامية أمر ممكن الوقوع وسهل التنفيذ لو سلك الإنسان طريقها ، لأن أمامه من يقتدي به في واقع البشر :

فالتربية على المثال الأعلى وبعث النزوع والتطلع إليه والإغراء به في نفوس البشر لابد له من نماذج ورموز في كل عصر ، لابد له من أفراد ممتازين يجسدونه ويثيرون الإقتداء به عند الآخرين لمحاكاته والارتقاء إليه ، إلى جانب استصحاب الأنبياء والصحابة لتواصل الحلقات التربوية التاريخية وتدلل على الصلاحية لكل زمان ومكان " [١].

قال سعد بن أبي وقاص رضي ا عنه " كنا نعلم أولادنا مغازي رسول ا ﷺ كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم " .

وهذا ما أوصى به ا عز وجل عندما قص علينا قصص الأنبياء السابقين والصالحين من عباد ا فقال ا تعالى : ﴿لَقَد كَانَ في قَصصهم عبرةٌ لأُولي الْأَلْبابِ ما كَانَ حديثاً يفْترى ولَكن تصديق الذي بين يديه وتفْصيلَ كُل شيءٍ وهدى ورحمةً لقَومٍ يؤمنونَ﴾ (يوسف:١١١)

وقد كان كونفوشيوس كثيرا ما يضرب الأمثال بمن اعتبرهم مخلصين وأبطال وصالحين من قدماء سلف أمته .

٢- أسلوب التدرج:

كان كونفوشيوس يتدرج مع تلاميذه شيئاً فشيئاً حتى يتشربوا مبادءه ويتفهموها ، ويذعنوا لها ، كذلك رأينا في منهج الإسلام هذا الأسلوب القويم أسلوب التدرج واتخاذ الخطوات التي يوصل السابق فيها للاحق ويمهد الأول للثاني.

---

[١] مراجعات في الفكر والدعوة والحركة - د/ عمر عبيد حسنة - ص ٧١ – ٧٢ بتصرف .

عن معاذ بن جبل رضي ا عنه قال : بعثني رسول ا ﷺ إلى اليمن، فقـال : إنـك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا ا وأني رسـول ا ، فـإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن ا تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن ا تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيـائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين ا حجاب " [1].

نتعلم من هذا الحديث الشريف أن أسلوب التدرج هو من أنجح الأساليب إن التـدرج سـنة ا في كونه ألا ترى أنه سبحانه: ﴿ يغشي الليلَ النهار يطلُبه حثيثاً ﴾(الأعراف:٥٤) فـلا يـأتي النهار فجأة بعد الليل ، ولا يأتي الليل مباشرة بعد النهار وإنما يدخل هذا في هـذا رويـدا رويدا ، حتى لا يبغت الناس ولو حدث ربما خطفت أبصار الخلـق ، واضـطربت الأمـور ، ولكن من عدل ا وسنته أن كلا منهما يخلف الآخر في تدرج وخطوات وئيدة .

٣- أسلوب الترفق والتلطف:

ومع أهمية القدوة ، وأثرها في التهذيب والتربية ، ومع ضرورة التدرج والتـأني بخطوات في الدعوة إلى الإصلاح والتغيير ، لابد من أسـلوب الرفـق واللـين، أو الترفـق والتلطف . ذلك أن النفوس التي جبلت على طبائع منفـردة ، وعـادات مـستهجنة ، لـو قابلناها بالمثل ، أي بالغلظة والقسوة لانتهت إلى دمار وبوار ، لكننا لـو قابلناهـا بـالرفق واللين ، والمعالجة الحكيمة لاستقامت ذلك هو صنع الرفق والتلطف واللين ، إنه الرفـق زينة كل شيء ولا ينبغي أن يخلو منه شيء ، عن أم المؤمنين عائشة رضي ا عنها عـن النبي ﷺ قال:(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه
ولا ينزع من شيء إلا شانه) [1] .

عن أبي هريرة رضي ا عنه عن النبي ﷺ قال : " إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة " [2] .

---

[1] أخرجه البخاري (٣ / ح ١٤٩٦ / فتح) ومسلم (١٠ / إيمان / ٥٠ / ح ١٩) وأبو داود (٢ / ح ١٥٨٤) والترمذي (٣ / ح ٦٢٥) وابن ماجه (١ / ح ١٧٨٣) .

[1] رواه مسلم (ح ٨٩٦٤ / البر والصلة والآداب) عن عائشة ورواه أبو داود (ح٤١٧٤) ورواه أحمد (ح ١٣٠٤٢) عن أنس

[2] رواه البخاري (ح ٣٨ / الإيمان) والنسائي (ح ٤٩٤٨) عن أبي هريرة .

وعن عائشة رضي ا عنها أن النبـي ﷺ قـال : " إن ا رفيـق يحـب الرفـق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على سواه " [٣] .

إنه الرفق واللين الذي واجه به رسول ا ﷺ جهالة قومه ، فراضـهم وهـذبهم واستوعبهم واستمالهم إلى دعوته .

فكان ﷺ رفيقا في دعوته رفيقا في إصلاحه رفيقا في تعليمه حتى استقامت له القلوب بالحب والإخلاص ، وانقادت له النفوس بالألفة والتضحية ، وصدق فيه قـول ا تعالى : ﴿ فَبِما رحمة من الله لنت لَهم ولَو كُنت فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لَانفَضوا من حولـك ﴾ (آل عمران:١٥٩). " وللرفـق والتيسير أثره القوي فـي تـأليف القلـوب ، وجمـع النفـوس، وتطويع الطباع وانفتاح العقول ، وتحويل البشر من جلامـدة صـم، وجعـدة مـارقين وحقدة غلاظ جهلة إلى سادة حكماء أتقياء ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم تواقة إلى الحق والخير نفوسهم" [٤]

<u>٤- ضرورة وجود المعلم المربي :</u>

وما من شك في أن وجود المعلم المربي الحقيقي لحمة العملية التربوية وسداها ، ولبها ومبناها ، وحقيقتها ، ولقد بعث الرسول الكريم ﷺ معلمـاً ، وقـد ذكـر القـرآن الكريم هذه المهمة الأساسية لرسول ا ﷺ بصراحة فقال ﴿ هو الذي بعثَ فـي الْـأُميين رسولاً منهم يتلُو علَيهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الْكتاب والْحكْمةَ وإِنْ كَانوا من قَبلُ لَفي ضلالٍ مبينٍ﴾ (الجمعة:٢)

فقد أحصت هذه الآية من مهمات الرسول ﷺ : التربية والتعلـيم ، تعلـيم الكتـاب والحكمة ، وتربية الأنفس عليها ، وكان الجانب الأعظم من حياة رسـول ا ﷺ مـستغرقاً بهذا الجانب ، إذ أنه هو الجانب الذي ينبع عنه كل خيـر ، ولا يـستقيم أي جانـب مـن جوانب الحياة : سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو عسكرياً أو أخلاقياً إلا به ، ولا يؤتى الإنسان ولا تؤتى الإنسانية إلا من التفريط في العلم الصحيح والانحراف عنه : إمـا إلـى الجهـل أو إلى ما يضر علمه ولا ينفع .

---

[٣] رواه مسلم (ح / ٧٧ / البر) وأبو داود (ح ٤٨٠٧) عن عبدا بن مغفل .

[٤] مقومات الدعوة والداعية - د / بدير محمد بدير - ص ١٣٧ .

ومما لا شك فيه أن الإسلام قد عنى بالعلم أبلغ عناية ، وأهـتم بـه أيمـا اهتمـام ، دعوة أليه وترغيباً فيه وتنويها بشأنه ، وإعلاء لقدره ، واعترافـاً بفـضل العلـم والعلمـاء والتعليم والتربية .

ولابد لصاحب العلم من الالتزام بالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله، والتي جعلتهم أهلا لأن يكونوا خلفاء الأنبياء وورثتهم ، وقد جعل الإسلام للمعلم والمتعلم آدابـاً وأخلاقاً ووظائف يجب على كل منهما الالتزام بها .

ومنها : الشفقة على المتعلمين وألا يطلب على إفادة العلـم أجـراً ولا جـزاء ولا شكورا وألا يدع من نصح المتعلم شيئاً ، وأن يخاطب المـتعلم علـى قـدر فهمـه ، وأن يكون قدوة عملية لتلاميذه ، وأن يستشعر مسئوليته في توصـيل هـذا العلـم وتعليمـه وتبلغيه ، وأن يكون متواضعاً ، وأن يكون عزيز النفس في مواجهة المستكبرين [١] .

وإذا كان لابد للفرد من أن يتعلم ، وأن يتلقى العلم على يـد الأسـاتذة والمـربين والفقهاء والمعلمين ، فلابد له من أن يتحلى ببعض الصفات ويقـوم بـبعض الواجبـات ، حتى يتهيأ له تحصيل العلم والاستفادة منه نذكر منها :

الواجب الأول : تنقية الظاهر والباطن والإقلاع عن الذنوب .

الواجب الثاني : تصحيح النية .

الواجب الثالث : إكرام المعلم والتواضع له .

الواجب الرابع : أن يلتزم آداب الدخول والجلوس بين يدي أستاذه.

الواجب الخامس : الاستمرار في طلب العلم .

الواجب السادس : الصبر على متاعب الطلب .[٢]

---

[١] إحياء علوم الدين- الإمام أبو حامد الغزالي - ج الأول ، ص ٥٤ -٥٦ .

[٢] أنظر: الكونفوشيوسية سليم المسلمي – ص ٢٩٨ – ٣٢٥ .

١١- الإسلام وحاجيات البشرية

جعل ا نبي الإسلام محمد ﷺ هو نبي آخر الزمان الذي لا نبـي بعـده علـى الإطلاق ورسالته جاءت خاتمة للرسالات السماوية كلها ، وقد وصفه ا تعالى في كتابه العزيز قائلا : (ما كَانَ محمد أَبا أَحد من رِجالكُم ولَكن رسولَ الله وخاتم النبِيين وكَانَ الله بِكُل شيءٍ عليماً) [١].

وقد أوجب ا تعالى على جميع الأنبياء الإيمان بهذا النبي الأمي العربي ﷺ كما أوجب عليهم نصره أيضا إن هم أدركوه ، وليس هذا فحسب ، بل أخذ منهم الميثاق على ذلك فقال تعالى : (وإِذْ أَخذَ الله ميثَاق النبِيين لَما آتيتكُم من كتابٍ وحكْمة ثُم جـاءَكُم رسولٌ مصدق لما معكُم لَتؤمنن بِه ولَتنصرنه قَالَ أَأَقْررتم وأَخذْتم علَـى ذَلكُـم إِصـرِي قَالُوا أَقْررنا قَالَ فَاشهدوا وأَنا معكُم من الشاهدين)[٢] .

وأنزل معه القرآن الكريم بالحق مصدقا ومهيمنا على جميـع الكتـب الـسماوية السابقة ، قال تعالى : (وأَنزلْنا إِلَيك الْكتاب بِالْحق مصدقاً لما بين يديه من الْكتابِ ومهيمنـاً علَيه فَاحكُم بينهم بِما أَنزلَ الله ولا تتبِع أَهواءَهم عما جاءَك من الْحق) [٣].

وقد جاء هذا القرآن تبيانا لكل شيء ، قال تعالى : (ونزلْنا علَيك الْكتاب تبياناً لكُـل شـيءٍ وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين)[٤] . ومن صفة هذا القرآن أنه يهدي للتي هي أقوم ، قال تعالى : (إِن هذَا الْقُرآنَ يهدي للتي هي أَقْـوم ويبـشر الْمـؤمنين الـذين يعملُـونَ الصالحات أَن لَهم أَجراً كَبِيراً) [٥] .

فالرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام إنما جاءت رسالة عالمية ، غير منحصرة في بقعة من بقاع الأرض ولا محـدودة لقـوم دون قـوم ، تأخـذ بأيـدي العالمين أبيضهم وأسودهم ، عربيهم وعجميهم إلى الصراط المستقيم الذي يضمن السعادة الدنيوية والأخروية معا ، وإلى النجاة الأبدية ، وإلى الرحمة الإلهية ، قال تعالى مخاطبـا خاتم الأنبياء محمد ﷺ : (وما أَرسلْناك إِلا رحمةً للْعالَمين) [١] .

---

[١] سورة الأحزاب ، الآية ٤٠ .

[٢] سورة آل عمران ، الآية ٨١ .

[٣] سورة المائدة ، الآية ٤٨ .

[٤] سورة النحل ، الآية ٨٩ .

[٥] سورة الإسراء ، الآية ٩ .

[١] سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

(وما أرسلْناك إلا كَافةً للناس بشيراً ونذيراً ولَكن أَكْثَر الناس لا يعلَمونَ) [٢] .

وقال تعالى في وصف هذا الدين الحنيف :

(إِن الدين عند الله الْإسلام وما اختلَف الذين أُوتوا الْكتاب إِلا من بعد ما جاءَهم الْعلْم بغيـاً بينهم ومن يكْفُر بِآيات الله فَإِن الله سرِيع الْحسابِ) [٣]

انطلاقا من هذا الموقف الحاسم فإن الإسلام خاتم الأديان بأسرها وأنه يملك جميع ما يحتاج إليه البشر من حلول إلهية مناسـبة لـسائر مـشاكلهم الماديـة والروحيـة ، الدنيويـة والأخروية ، الأخلاقية والسلوكية ، العلميـة والمعرفيـة ، الفكريـة والفلـسفية ، الفرديـة والاجتماعية ، الاقتصادية والسياسية ، ويرى الإسلام أنه دين الكمال والشمول والاعتدال فلـم يترك أي جانب من الجوانب الإنسانية إلا وقد اعتنى به ، وهيأ للإنسان هديا إلهيا ملائما يتناسق مع كيانه الكلي ، ولا نجد هذه السمة العظيمة في أي دين من الأديان الأخـرى سـواء أكان دينا سماويا مثل النصرانية واليهودية أو دينا وضعيا مثـل البوذيـة والكونفوشيوسـية وغيرهما وعلى سبيل المثال : فقد فصلت النصرانية الدين عـن الدولـة ، وأعطـت سلطة الكنيسة وأعطت لقيصر سلطة الدنيا ، ففرقت بين الحياة المادية والحيـاة الروحيـة حينما رأت اليهودية أنها دين قومي يخـص بنـي إسـرائيل ، ورضـيت لنفـسها التعـصب العنصري البغيض ، ودعت البوذية إلى نظرة تشاؤمية للحياة الإنسانية ، وإلى الهروب مـن ميدان الحياة إلى الغابات والكهوف والمعابد ليعيش رجال دينها حياة تأملية منعزلة عـن دنيا الناس ، بينما دعت الكونفوشيوسية إلى الحصول على المعرفـة ، " تجليـة الأخـلاق المشرقة " عن طريق الفطرة الإنسانية ، وإلى " طريقة النبي في الباطن والملك في الظاهر " كما سبق أن ذكرت ، وأغمضت عينيها عن الحيـاة الأخرويـة تـستهزئ منهـا شـقيقتها الوطنية وخصمها الفلسفي (الطاوية) أيما استهزاء آلاف السنين ! [٤]

أما الإسلام فهو برئ من كل ما تعاني منه هذه الأديان مـن مـشاكل ونقـائص وانحرافات ، فبقى كاملا ، شاملا ، معتدلا كما أنزله ا عز وجل لأنه سبحانه هـو الـذي خلق البشر وهو أعلم بحقيقة فطرتهم وما يصلح حالهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة .

---

[٢] سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

[٣] سورة آل عمران ، ١٩ .

[٤] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية – د / زهرة الدين طيب– ص ٢٢٥- ٢٢٧ بتصرف .

الفصل الثاني:

موقف الكونفوشيوسية من الإسلام والمسلمين

وفيه:

١- دخول الإسلام بلاد الصين

٢- طرق وصول الإسلام إلى الصين

٣- مكانة المسلمين عند بعض الأسر الملكية الصينية

٤- موقف الكونفوشية من الإسلام

٥- قول ملك الصين في الصحابة

٦- أقوال بعض عظماء الصين في محاسن الإسلام

٧- وصية أبى الجمهورية الصينية بشأن المسلمين

٨- لماذا فتح الصينيون الأبواب

٩- عدد المسلمين في الصين

١٠- الحقيقة على لسان أحد كبار علماء الكونفوشيوسية المعاصرين

١- دخول الإسلام بلاد الصين

لقد مضى على دخول الإسلام إلى الصين حوالي أكثر من (١٤٠٠) سنة ، ويجمع المؤرخون على أن أول بعثة إسلامية جاءت إلى الصين كانت في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي ا عنه ،أي في عام ٦٥١م في عصر الإمبراطور (يون هون) الملك الثالث للأسرة الملكية " تانغ " (٦١٨ -٩٠٧م) ، وكان الخليفة عثمان بن عفان رضي ا عنه أرسل بعثته الرسمية إلى عاصمة الصين " تشانغ آن" لزيارة الإمبراطور وتبليغه رسالة الإسلام وتطورها في العالم العربي ومسيرة توحيدها القبائل العربية لكي يفتح مجال الدعوة الإسلامية في الصين ، وكان لهذه البعثة أثر كبير على أهل الصين ، وساهمت في تطور العلاقات بين الصين والعالم الإسلامي .

ثم توالت تسع وثلاثون بعثة رسمية منذ بداية البعثة الأولى (٦٥١م) حتى عام (٧٩٨م) وسجل المؤرخون في كتاب (تاريخ أسرة " تانغ " القديمة) أن الفترة من عام ٦٥١ حتى أواخر الأسرة الملكية شون الجنوبية (خلال ستمائة عام تقريباً) تعد فترة تطور وازدهار في تاريخ الصين القديم [١] .

٢- طرق وصول الإسلام إلى الصين :

١- طريق الفتح : وهو ما يخص تركستان الشرقية التي تقع في غرب الصين ومع أنها وما حولها من مقاطعات تقع ضمن العالم الإسلامي إلا أنها اليوم تخضع للصين .

فتح قتيبة بن مسلم الباهلي تركستان الشرقية ، ودخل مدينة كاشغر عام ٩٦ للهجرة وتبعت هذه المنطقة الدولة الإسلامية حتى ضعف أمر المسلمين وذهبت ريحهم ، وهذا ما شجع الصين لغزو تركسان الشرقية ، وتمكنت من دخولها بين عام ١١٤٩ – ١١٩٩ م، أي في العهد المانشوري و أطلق عليها أسم (شينجيانغ) أي الأرض الجديدة ، ولكن الحركات لم تهدأ فيها أبدا وكلها تناهض الاستعمار الصيني ، وتدعو إلى الاستقلال وكانت تركستان الشرقية تتألف من منطقتين رئيستين هما : زو نغارية في الشمال وتعيش فيها قبائل (دونغارية) وقاعدتها مدينة (غولدجا) ومنطقة كاشغر في الجنوب ، ويطلق على قبائـــــــــــــــــــــــــــــل (الكاشغارية) وعاصمتها (كاشغار) وتعرف المنطقة باسم (هوي خي) أي أرض

---

[١] الموسوعة الإسلامية الصينية .

المسلمين ، وبين المنطقتين جبال (تيان شان) أي جبل السماء، وكانت منطقة تركستان الشرقية مقسمة إلى عدد من الأقسام يحكم كل قسم أمير محلي ، ومن هذه الأقسام أورومجي وكاشغر وحامي وتارقند ،ويأخذ حاكم كل قسم لقب (بيك) أو (شاهان) أما أمير (أورومجي) فيلقب بـ (وهي هوي وانغ) أي السلطان المسلم ، وهو أقوى أمراء تركستان الشرقية .

٢– طريق الدعوة والانتقال في المناطق الداخلية وخاصة الجهات المجاورة لتركستان الشرقية وربما كان العهد المنغولي أكثر العهود انتشاراً للإسلام في المناطق الداخلية من الصين ، ومن تركستان الشرقية بدأ المسلمون يدخلون الصين تجاراً ودعاة ، حتى تكونت جاليات كبيرة في بعض المدن مثل مدينة (يانغ تشو) .

ويعود وجود الجالية الإسلامية في هذه المدينة إلى القرن الثاني الهجري وقد هلك عدة آلاف من المسلمين فيها عام ١٤٢ هجرية عندما حدثت فيها ثورة ، ونهب قائدها المدينة وقتل آلاف البشر ، وكانت هذه الثورة بإمرة (تيان زين كونغ) .

وكذلك عاصمة الصين القديمة (تشانغ آن) المعروفة الآن باسم (شي آن) عاصمة مقاطعة (شان سي) في شمال الصين ، وقد أقام في هذه المدينة عدد من أفراد الجيش الإسلامي الذي بلغ عدده أربعة آلاف جندي جاؤوا للقضاء على الثورة التي قامت عام ١٣٩من الهجرة (٧٥٦ م) في عهد أسرة تانغ ، ومن أبناء هؤلاء : المسلمون الذين يعيشون هناك في شمال غربي الصين ، وقد أنشئ مسجد في هذه المدينة منذ عام ٦٥ هجرية (٦٨٤م) ، وقد دعم المسلمون الحكم في الصين لأنه لم يكن يقف في وجه الدعوة الإسلامية .

٣– طريق الدعوة والتجارة البحرية في المناطق الساحلية : يقسم الصينيون التاريخ الإسلامي في الصين إلى سبع مراحل حسب الأسر الملكية الحاكمة وهي :

أ- عهد تانغ – التاريخ القديم .

ب- عهد سونغ ٣٠٨ -٦٧٥هـ = (٩٦٠ – ١٢٧٩ م) .

ج- عهد يوآن (العهد المنغولي) ٦٧٥ -٧٦٩هـ = (١٢٠٦ – ١٣٦٨م) .

د- عهد منيغ ٧٧٠-١٠٥٢ هـ = (١٣٦٨ -١٦٤٢م) .

هـ - عهد تشينغ (العهد المانشوري) ١٠٥٤ – ١٣٢٩ هـ = (١٦١٦ – ١٩١١م)

و – عهد الجمهورية الوطنية ١٣٢٩ – ١٣٦٩ هـ = (١٩١٢- ١٩٤٩م) .

ز – عهد الجمهورية الشيوعية ١٣٦٩ ---هـ = (١٩٤٩ ---م) .

وصل الإسلام إلى الصين عن طريق البحر ، وقد اتجه المسلمون إليها تجاراً ودعاة بل كان التجار هم الدعاة وما كانت التجارة لديهم إلا وسيلة للسفر والاتصال بالناس كي يدعوهم إلى عبادة ا ، وكانت مدينة (كانتون) أول مكان استقروا فيه ومنها توغلوا إلى الداخل فوصلوا إلى مدن (تشوان تشو) و (يانغ تشو) و(هانغ تشو) على ضفاف نهر (يانغ تسي) .

٣- مكانة المسلمين عند بعض الأسر الملكية الصينية

تقلبت الأحوال بالمسلمين في الصين بين استقرار في الحياة وفترة نفوذ وقوة وبين فترة ضعف وهوان ومعاناة ، وكان أحسن أحوالهم في الصين عند بداية دخول الإسلام إلى الصين ، أي في عام (٦٥١ – ٩٠٧ م) ، وأوائل أيام الأسرة الملكية " سونغ " (٩٦٠ – ١٢٧٩) ثم من أواسط الأسرة الملكية " يوآن " إلى أوائل الأسرة الملكية " مين " .

كانوا يتمتعون بالحرية الكاملة في الإقامة والعمل والتجارة والدعوة في الصين ، وبالاستقرار في الحياة في أيام الإمبراطور (قو جون) من أسرة " تانغ " حيث أكرم المسلمين إكراما بالغا وجعل إقامتهم بجوار قصره في وسط العاصمة – مدينة تشانغ آن – (تشي آن) الآن ، وحتى الآن يسكن فيها أحفادهم المسلمون وسميت هذه المنطقة باسم " المنطقة المسلمة " وكانوا يديرون اقتصاد الأسرة الملكية " تانغ " ويبنون المساجد داخل العاصمة وخارجها مما ساهم في تطور الدعوة الإسلامية آنذاك .

ثم أنتشر المسلمون أيام الأسرة الملكية " سونغ " (٩٦٠ -١٢٧٩) خلال مئات السنين في أنحاء الصين حيث أقاموا وبنوا المساجد بجانب دعوة الناس إلى الإسلام وظهرت الدعوة الإسلامية في شتى أنحاء الصين وأصبحت في نمو وازدياد وكثر عدد المسلمين بسرعة ،وسميت هذه الفترة بـ " عصر التطور والازدهار الإسلامي في الصين " .

وفي عهد الأسرة الملكية " يوآن " (١٢٠٦ -١٣٦٨) اعتدى المنغوليون على دول آسيا الوسطى الإسلامية وأسروا المسلمين من هذه الدول والعراق والشام وجاؤوا بهم إلى الصين في عصر الإمبراطور الظالم (جين جي سين خان ١٢٠٦ -١٢٢٨) و(قبلاي خان ١٢٦٠-١٢٦٤) واستعبدوا المسلمين وسخروهم للأعمال الشاقة ، وعاني الأسرى المسلمون في عصر هذين الإمبراطورين الظالمين معاناة شديدة وعاشوا تحت الجور والظلم ، ومع ذلك فإنهم لم يتركوا الدعوة الإسلامية، ولم ينسوا تبليغ رسالة الإسلام ، ولما مات هذان الظالمان تحسنت أوضاع المسلمين تحسناً كبيراً حتى عين المسلمون من قبل

الأسرة الملكية " قومية ثانية " بعد القومية المنغولية بدرجة مفضلة على غيرهم من القوميات الأخرى وحصلوا على الحرية مرة أخرى ، حتى أسلم بعض أحفاد جين جي سين خان بعد موته ، وقام المسلمون بدور كبير في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية المختلفة ، ويقول التاريخ الصيني مشجعاً الناس على دراسة الثقافات المتنوعة : إن المنغوليين سيطروا على المسلمين بالسيف ، ولكن المسلمين قهروهم بثقافتهم السامية العادلة السماوية . [1]

وزاد نفوذ المسلمين أيام المغول ، إذ جاء بعضهم من تركستان وبلاد ما وراء النهر جنوداً في الجيش ، وترقوا في المناصب ، ولعل أشهر هؤلاء القادمين كان سيد الأجل شمس الدين عمر الذي جاء عام ٦٥٧ من الهجرة كضابط في الجيش ثم أصبح حاكماً عسكرياً على مدينة (تاي يوآن) ثم حاكماً لمدينة(بنيانغ) ثم قلد منصب القاضي في مدينة (يان جين) بكين الآن ثم حاكماً عليها ثم أصبح مديراً سياسياً في بلاط (قبلاي خان) ثم عين عام ٦٧١ من الهجرة حاكماً على ولاية (سينشوان) ثم حاكماً لولاية (يونان) عام ٦٧٣ من الهجرة ، وقد أنشأ المدراس والمعاهد الدينية في هذه الولاية وترك بعد وفاته خمسة أولاد كان لهم كلهم دور في الإدارة ، وكانوا من كبار الموظفين في الدولة وهذا نموذج لأثر المسلمين في عهد المغول ، إذ كان المسلمون حكام ثماني ولايات من أصل اثنتي عشرة ولاية تتألف منها دولة الصين .

واستمرت هذه الأوضاع إلى أوائل الأسرة الملكية " مين " (١٣٦٨- ١٦٤٤) حتى وصل بعض المسلمين إلى المناصب الوزارية مثل : (تشانغ يي شوانغ) و (هو دا هاي) . . . وكانوا قد تأثروا بالحياة الصينية واندمجوا فيها مع الاحتفاظ بالسمة الإسلامية الكاملة ، وكان لهم أكبر الأثر في إدارة شؤون الدولة أيضاً .

ومن أسوأ الفترات التي مرت بالمسلمين في الصين ، أيام حكم الأسرة الملكية " تشين " المانشورية (١٦١٦ -١٩١١)، هذه الأسرة تختص بها قومية "مانغ" – إحدى الأقليات القومية – وكانت هذه القومية تسكن في شمال شرق الصين ، وأسست دولتها الذاتية في بلدتها ثم بعد ذلك سيطرت على الصين كلها ، ومن أجل السيطرة الكاملة وإضعاف قوة غيرها عملت هذه القومية الفاسدة الظالمة على دق الإسفين وإثارة الفتن بين

---

[1] تاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية - الشيخ عبدا قاسم .سوجي يوان الصيني ص ١٨-٢٤ بتصرف .

المسلمين وبين قومية "هان"- قومية كبرى في الصين - حتى قتل بعضهم بعضاً ودمر الكفار بيوت المسلمين والمساجد وقتلوا الأبرياء منهم فاضطر المسلمون إلى القيـام بعـدة انتفاضات في جنوب غرب الصين بقيادة الشيخ دو ون شو (١٨٥٦ -١٨٧٤) وفي شـمال غرب الصين (١٨٦٢-١٨٧٧) من مقاطعة قانسوا وشـانغ سـي ونينـشانغ شـين جـان (تركستان الشرقية) وتشيانهاي ، وعاشوا عيشة قاسية تحت الظلـم والطغيـان فـي أحلـك فترات تاريخهم ، ولجأ المسلمون إلى داخل الجبال والمناطق الفقيرة وحتـى إن بعـضهم لجؤوا إلى قازاكستان ، وقتل الكثير من علماء المسلمين في هذه الفترة ، واستمرت هـذه المصائب طوال حكم هذه الأسرة الغاشمة ولم ينس أحد من أبناء المسلمين في الصين هذه الفترة العصبية ، وإن تاريخ الصين العام يصف هـذه الفتـرة بعـصر الانتفاضـات للمـسلمين ومقاومة طغيان أسرة " تشين " قـائلا : إن المـسلمين فـي عـصر الأسـر الملكيـة " تـشين" المانشورية يقودون تاريخ الصين إلى التطور والتقدم خلال مكافحتهم الأعـداء والـدفاع عن دينهم وأنفسهم ، وقدموا لغيرهم من القوميات الأخرى أسوة حـسنة للـدفاع عـن النفس " . [1]

---

[1] المرجع السابق ص ٢٦ .

الحقد على المسلمين ومحاربتهم خلال حكم الأسرة الملكية (تشين)

كان المسلمون بشكل عام أحسن من الصينيين البوذيين أو الكونفوشيوسين من الناحية المادية والفكرية والثقافية مما أثار عليهم الحقد كما أثارت عادات المسلمين وشعائرهم حسداً وكرهاً لهم من قبل الحكام الصينيين ، حيث يرون فيهم مجتمعاً خاصاً لا يدين لهم بالولاء ، ولا يأخذ بأسلوبهم في التقدير والاحترام ، هذا إضافة إلى الحقد الذي أشعل ناره الموظفون الصينيون لمصالحهم الخاصة ، ومنها تسلم المناصب مكان المسلمين ، إذ كان المسلمون يتسلمون الوظائف العليا لإمكاناتهم ومؤهلاتهم ، فيحسدهم الصينيون الذين هم دونهم في التأهيل والإمكانات ، ولكنهم لا يعترفون بذلك ، ويسعون لتسلم المناصب فيحيكون المؤامرات ويدسون الدسائس ، وحدثت اشتباكات مسلحة لم تكن في صالح المسلمين .

وأخطر ما في الأمر أن اثنين من قواد المسلمين وقفا بجانب (ينغان وانغ) و (ميراين) إذ أعلنا العصيان في ولاية (قانسوا) عام ١٠٥٨ من الهجرة (١٦٤٨م) ففشلت الحركة ، وقتل خمسة آلاف مسلم ،وهذا ما جعل الحكم المنشوري يشك في نيات المسلمين تجاهه ، فزاد حقد الحكام على المسلمين ، وانتظروا الفرصة المناسبة للنيل منهم ، ولهذا كره المسلمون الحكام وأساؤوا الظن بهم ، وتمنوا الخلاص منهم وقاموا بالحركات ضدهم ومن هذه الحركات :

١- انتفاضة لانتشو عام ١٩١٦ م : كان الناس في (سينينغ) على رأي في قراءة القرآن الكريم ، وهي القراءة بصوت خفي وقد سافر أحد علمائهم وهو محمد أمين (ما مين شين) إلى مدن آسيا الوسطى حتى وصل اليمن وأخذ العلم فيها ، ورأي الناس هناك يقرؤون القرآن بصوت مرتفع ثم عاد إلى الصين بعد إقامته الطويلة في اليمن ودعا الناس إلى ما تعلمه في اليمن مما أدى إلى الخلاف والقتال بين المسلمين واستغلت الدولة هذا الخلاف ، وأرسلت جيشها عام ١٩١٦ م فحاصر المسلمين في بلدة (لانتشو) وقتل منهم الكثير .

٢- انتفاضة جينجبوا : وهي تتمة للانتفاضة الأولى إذ حاصر الجيش الصيني المسلمين في هذه المدينة ، ورفض المسلمون تسليم أنفسهم للجيش فقتل منهم الكثير.

وصدرت أوامر ملكية بمنع المسلمين من المجادلة في الأمـور المذهبيـة الدينية ، كانت هاتان الحركتان في محافظة (نين شا) التي عاصمتها (لانتشوا) .

٣- انتفاضة شانسي : حدثت الخلافات بين المسلمين وغيرهم في ولاية شانسي عام ١٢٧٩ هجرية (١٨٦٢م) فجاء القائدان الصينيان(تو لو نغ أو) و (شـن بـاو) وأخرجا المسلمين من مدينة (شي آن) عاصمة الولاية (عاصـمة أسـرة تانغ السابقة) ففر عدد من المسلمين ، وهلك قـسم كبيـر مـنهم ، واسـتنجد المسلمون في شانسي بإخوانهم في ولاية قانسوا .

٤- انتفاضة فانسوا : أنجد (ما هوا لونغ) هو خليفة الإمام محمـد أمـين فـي قانسوا إخوانه في شانسي عندما طلبوا منه النجدة ، كما جاءت المـساعدات من مدن وولايات أخرى ، وانتصر المسلمون على قـوات الحكومـة ، فجـاء القائد (تسو تسونغ تانغ) وهو القائد الأعلى لإقرار الأمن ، وأتخـذ مدينـة (شين آن) مقراً لقيادته ، واشتبك مع المسلمين بقتـال اسـتمر حتـى عـام ١٢٨٨ هجرية تقريباً وانتهت المعارك بهزيمة المسلمين، وفرار بعـضهم إلـى تركـستان الشرقية حيث اشتركوا في الانتفاضات هناك .

٥- انتفاضات يونان : جاء المسلمون إلى يونان أيام الحكم المغـولي عنـدما عـين الإمبراطور قبلاي خان السيد الأجل حاكماً على يونان فانتقل إليهـا عـدد مـن رجال الجيش المؤلف من المسلمين حيث أنشأ المدارس والمعاهد الدينية حيث كثر المسلمون في هذه الولاية ، وعندما جاء الحكم المانشوري وزادت المفاسـد ، وعمت الفوضى قامت الحركات في يونان ، وكانت أولى هـذه الحركـات عام ١٢٣٣ – هجرية وقد قتل عدد كبير مـن المـسلمين علـى يـد قـوات الحكومة ، وتبع ذلك حركة عام ١٢٤١هجرية واستمرت سنتين وحركة عـام ١٢٤٩هجرية واستمرت ست سنوات ، وقتل ٢١٠٧٤ من المسلمين فـي مدينـة (يون تشانغ) ثم قامت انتفاضة في مدينـة (يونـانفو) عـام ١٢٧٢ هجريـة واستمرت حتى عام ١٢٩٠ هجرية أي بقيت ثماني عشرة سنة ، وسببها خـلاف وقع بين العمال من المسلمين وغير المسلمين ويعود ذلك إلـى تفـوق العمـال المسلمين الذي أدى إلى حقد زملائهم عليهم ، وكان بين قتلى المسلمين زعيم يدعى (ما هو تشانغ) وله شقيق يدعى (ما هسيان) من ضـباط المدرسـة العسكرية فتزعم حركة المسلمين وجاء رئيس الأركان الصيني لحيل النـزاع بـين

الطرفين غير أنه أوقع مجزرة رهيبة بالمسلمين إذ كان يحقد علـيهم مـع أن والي المقاطعة كان بجانب المسلمين ، ويرى أنهم أصحاب الحق ، وقد ذهب ضحية هذه المجزرة ثلاثمائة عائلة مسلمة في بلدة (نينغ تشو) وكـان ذلـك في ١٦ رمضان من عام ١٢٧٢ هجرية .

ومن جانب آخر قام المسلمون في منطقة العاصمة ونصبوا (ماتسه هسينغ) إماما لهم واتخذوا مدينة (كوان آي) مركزا للعمليات العسكرية التابعة لهم وبـدؤوا فـي قتـال الصينيين أيضا ، وقد انتصروا في عدة معارك .

ومن ناحية ثالثة قام زعيم آخـر وهـو (دو وون شـو) المـشهور فـي التـاريخ الإسلامي الصيني وتلقب بالسلطان سليمان ، ودعا إلى استقلال منطقة يونان وجعل (داليفو) عاصمة له وكانت نداءاته باللغة العربية ، وألف كتاب تاريخياً باسم (كتـاب ترجمـة شخصية لقائد الانتفاضة دو وون شو) سجل فيه جميع مراحل انتفاضات المـسلمين فـي مقاطعة يونان وعدد ضحايا المسلمين .

وهكذا كان (ما هي سيان) الضابط في المدرسة العسكرية يسيطر على المناطق الواقعة إلى الشرق من العاصمة (يونانفو) ، و (ما تسه هسينغ) يحاصر العاصـمة ، و (دو وون شو) يفرض نفوذه على الجهات الواقعة إلى الغرب مـن العاصـمة وسـاعد المسلمين على ذلك انشغال حكومة الصين بحرب الأفيون مع إنكلترا وبمواجهـة انتفاضـة يعقوب بيك في تركستان الشرقية ، الأمر الذي جعل حل مشكلة يونان إلى الأمراء المحليين .

عرض قائد الجيش الإمبراطوري طلب المفاوضات مـع المـسلمين لإحـلال الـسلام فوافق بعضهم ، ثم قدم عروضا لزعماء المسلمين منها منح (ما هي سيان) رتبـة زعـيم الجيش الإمبراطوري فوافق على ذلك ، وأصبح اسمه (ما جو لو نغ) وغدا أمـر ولايـة يونان بيده فعين صينيا في منصب رئيس خزانة الولاية ، وبعد مدة تـسلم هـذا الـصيني منصب الوالي على المقاطعة فقام بأكبر المجازر ضد المسلمين .

وعرض القائد للجيش الإمبراطوري على (ما تسه هسينغ) منـصبا عاليـا ولكنـه رفـــض وقبـــل راتبـــا شـــهريا قـــدره مائتـــا مثقـــال مـــن الفـــضة ، أمـــا (دو وون شـــو) فقـــد رفـــض المبـــدأ أساســـا ، ودخـــل المـــسلمون بـــإمرة (ما جو لونغ) فـي العاصـمة (يونـانفو) ، وقـسم بـإمرة (دو وون شـو) فـي (داليفو) وبذلك نجحت الحكومة في تفريق المسلمين والسيطرة عليهم .

ثم بدأ الصراع بين الطرفين ، ورجحت كفة (دو وون شـو) الـذي اسـتطاع أن يفرض الحصار على العاصمة (يونانفو) قاعدة خصمه وذلـك عـام ١٢٨٦ هجريـة ثـم دارت عليه الأيام ، وهزم واضطر في النهاية أن يسلم نفسه للوالي في ١٥ ذي القعـدة من عام ١٢٨٩ هجرية (١٥ كانون الثاني من عام ١٨٧٣م) .

وهكذا يتبين لنا مما سبق حال المسلمين في الصين وكيف توالت عليهم الأيام مـن فترات سيطرة ونفوذ إلى فترات ضعف وتفرق وانشغالهم تارة في القتال بينهم ، وتـارة مع عدوهم . [1]

حملة قتيبة بن مسلم[2] وأنتشار الإسلام في الصين

كانت معركة القادسية (٦٣٦م) قد هددت حياة الإمبراطورية الساسانية العتيـدة مـــن أعماقهـــا ، ثـــم كـــان انتـــصار المـــسلمين فـــي نهاونـــد (٦٤٢م) قد قوض دولة كسرى إلى غير رجعة ،وفر يزدجرد آخر الملوك الساسانين إلى بلاد الصين ، وكان ذلك من جهة أخرى نذيرا للإمبراطور الصيني (تانج جونج) في عـصر أسرة (تانج) العظيمة برياح الزحف العربي المنطلق من شبه الجزيرة العربية باتجاه منطقة الشرق الأقصى .

ولقد تمثل هذا الزحف الإسلامي في حملة قتيبة بـن مـسلم البـاهلي إلـى آسـيا الوسطى وكان قتيبة من رجال الحجاج بن يوسف الثقفي والي العـراق ، فقـاد قتيبـة قوة من العرب إلى خراسان ثم اندفع إلى ما وراء النهر ضد الأتراك ، وتقدم نحو بيكند ، وفتح كلا من مدينة صغد ، ورامتين ، وبخاري ووازدن ، وكش ، وسمرقند ، وفتح قتيبة هذه المدن وهو متجه صوب مدينة كاشغر أقرب مدن الصين إلى تلك المناطق ، وأسـس قتيبة في مدينة بخاري مسجدا معروفاً باسم مسجد قتيبة في عـام ٧١٤م ، ولا يـزال حتى يومنا هذا .

ولقد عمد قتيبة إلى إجازة ترجمة القرآن الكـريم إلـى اللغـة الفارسـية لمـا رأي صعوبة فهم معانيه بلغته الأصلية ، وصار سكان بخاري يفهمون معـاني القـرآن باللغـة الجديدة فهما كاملا ، ولقد أفادت هذه الطريقة إفادة عظيمة في نشر الإسـلام فـي

---

[1] تاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية - الشيخ عبدا قاسم .سوجي يوان الصيني ص ٢٩ - ٣٣ بتصرف .

[2] سبقت الإشارة إلى فتح قتيبة لتركستان الشرقية في ص ٤١٣ ونذكرها هنا بشيء من التفصيل لأهميتها في التاريخ الإسلامي في الصين .

بلاد التتار العليا وانتشر الإسلام منها في الأيام اللاحقة إلى تركستان الصينية ومنها إلى شمال غرب الصين [١] .

على أن قتيبة لما فرغ من تنظيم سمرقند وبخاري زحف بجيوشه نحو خوقند ، ثم توجه نحو الشرق عبر مضيق تيرك حتى دخل مدينة كاشغر فاتحا في ٩٥هجرية ، ولما كان منهج المسلمين في غزواتهم أن يعرضوا على أهل البلاد إما الدخول في الإسلام ، أو دفع الجزية ، فقد فعل ذلك قتيبة بن مسلم مع إمبراطور الصين يوانج شونج (٧١٣ -٧٥٥م).

وفي هذا يقول ابن الأثير ما ملخصه " .... في سنة ٩٦هـ (٧١٥م) غزا قتيبة بن مسلم كاشغر وحمل مع الناس عيالهم ليضعهم بسمرقند فلما عبر النهر، استعمل رجلا على المعبر ليمنع من يرجع إلا بجواز منه ومضى إلى فرغانة وأرسل إلى شعب عصام من يسهل الطريق إلى كاشغر وهي أدنى مدن الصين ، وبعث جيشا تحت قائد كبير إلى كاشغر وختم أعناق أهلها ، وأوغل حتى قرب الصين فكتب إليه ملك الصين يقول : " ابعث إلي رجلا شريفا يخبرني عنكم وعن دينكم " .

وعمد قتيبة إلى إنتخاب عشرة من خيرة رجاله أمر لهم بعدة حسنة والبسة من الخز والوشي ، ومن الخيول وقال لهم : " إذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفت لا انصرف حتى أطأ بلادهم ، واختم ملوكهم ، واجبي خراجهم ، فساروا إليه وعليهم هبيرة بن مشمرج وحضروا عند الإمبراطور ثلاث مرات ، ولبسوا في كل مرة ملابس تختلف عن المرة الأخرى ففي الأولى لبسوا ثيابا بيضاء تحتها الغلائل ، وتطيبوا ولبسوا النعال والأردية ، وفي المرة الثانية لبسوا الوشي والعمائم والخز والمطارف ، وفي الثالثة شدو سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر ، وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا خيولهم .

وتعجب إمبراطور الصين من هذا وسأل هبيرة عن سر التنوع في لباسهم فقال : " زينا الأول هو لباسنا في أهلنا ، وفي اليوم الثاني لباسنا أمام أمرائنا وفي اليوم الثالث كان زينا أمام عدونا ، فقال الإمبراطور "ما أحسن ما دبرتم دهركم" فقولوا لقائدكم ينصرف فإني قد عرفت قلة أصحابه وإلا لبعثت إليكم من يهلككم. فردوا عليه بالقول : " كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادكم وأخرها في منابت الزيتون وأما تخويفكم إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل ، ولسنا نكرهه ولا نخافه ، وقد حلف قائدنا ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم وتعطوا الجزية " .

---

[١] العلاقات بين العرب والصين - بدر الدين حسن الصيني - ص ٢٦- ٢٧ بتصرف .

رد الإمبراطور : " أن نبعث إليه تراب أرضنا فيطؤه وبعض أبنائنا فيختمهم وجزية يرضاها " وبعث إليه بهدية وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن الجزاء ولقد رضي قتيبة بهدية الإمبراطور حيث كان قد بلغه خبر وفاة الوليد بن عبدالملك وبيعة أمراء دمشق لسليمان الذي تولى الخلافة الأموية لفترة وجيزة .

وعلى أية حال كان مقتل قتيبة بن مسلم إيذانا بضعف الإسلام فيما وراء النهر ، وإثارة الخلاف والشقاق بين صفوف المسلمين ، وتوقفت فتوحات المسلمين إلى الشرق الأقصى بسبب مقتل هذا القائد الهمام ، فتخلصت الصين من حملة المسلمين عسكريا ، ولأنها لم تستطع مقاومة الدين الإسلامي الذي كان ينتشر بسرعة إلى أواسط أسيا فدخل الصين ليستقر في مناطقها الغربية والشمالية .

ولقد أورد الشيخ بيرم التونسي المتوفي عام ١٨٨٩ في مؤلفه (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار) " إن أصل المسلمين في الصين ، وهم ينيفون على الستين مليونا من السكان ومن العساكر المسلمين الذين جلبهم ملك الصين في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور حيث ثارت عليه رعاياه ، فاستنجد بالخليفة على أن يؤدي معلوما إذا أنجده ، فأرسل إليه أربعة آلاف من صناديد المسلمين وقهر بهم رعاياه ، وجازاهم على ذلك بجواز الإقامة في مملكته ....الخ [١]

---

[١] بدر الدين الصيني : المرجع السابق ، ص ٤٠ بتصرف .

من مآثر المسلمين في الصين

ومن المآثر التي يذكرها الصينيون للمسلمين حتى في الأيام العصيبة التي حلت بهم . أنه كثيرا ما كانت المجاعات تجتاح بلاد الصين فيضطر الآباء إلى بيع أبنائهم في الأسـواق فيسارع المسلمون إلى شرائهم وتربيتهم على الإسلام ويعاملون معاملـة كريمـة ، وقـد حدث هذا مرارا منذ القرن الثامن عشر وفي عام ١٩٠٠م عندما لقي المسيحيون الاضطهاد على أيدي حركة (الملاكمين) في الصين عمد بعض المسيحيين إلى بيع أبنـائهم فلـم يجدوا لشرائهم غير المسلمين لدوافع إنسانية محضة [١] .

---

[١] الصين والعرب عبر التاريخ - محمد محمود زيتون - ص ٥٢ .
أنظر: الشرق الأقصى – الصين واليابان - د / فوزي درويش ص ٢٢-٢٧ وص ٥٧

موقف الكونفوشيوسية من الإسلام

لم يكن للمسلمين مفر من التأثر بالظروف المحيطة بهم ، ومن ذلك أن المسلمين من قومية هوي غالباً ما يحذون حذو بني وطنهم من غير المسلمين في التعبير عن حزنهم على وفاة أمواتهم وهم يرتدون ثياب الحداد(ذات اللون الأبيض)[1] ويضحون بالمواشـي في تكريم مشيعي الجنائز ويقيمون الحفلات بقـدر المـستطاع فـي ذكـرى أعـزائهم الراحلين .

ولذلك فقد كان الشيخ شه يون شان (١٦٦٢ -١٧٢٢) ومـن معـه مـن العلمـاء وطلاب العلم قد تبنوا شعار " إتباع الكتاب والسنة وإزالة العادات المرعية " .

وعلى الرغم من أن الظواهر السالفة تخالف أحكام الإسلام ، فهـل تـأثر المـسلمون بعقائد الكونفوشيوسية.

رأى بعض الدارسين للحضارة الإسلامية إن الإسلام قد التقى هـو والكونفوشيوسـية في تيار واحد بعد وقت قصير من دخوله إلى الصين وقال بعـضهم الآخـر أنـه قـد " تكنفش " في البلاد محتجين بما يلي :

١- عدد من المساجد الصينية مميزة بالصبغات الكونفوشيوسية بدليل من أن النصب الصخري الذي نصب خصيصا لمسجد دينغنشو بمقاطعة خبي والعائد فـي تاريخه إلى سنة ١٣٤٨ يستفيد من الاصطلاحات الكونفوشيوسـية فـي وصـف المسلمين المحليين قائلاٍ: " أنهم يعبدون السماء ويطلبون منها تمديد عمر النبـي " ، وأن النصب الصخري القائم في مسجد تشينغنشيو بمدينة شيان منقوش عليه كتابات وانغ قونغ التي ورد فيها " ولد النبي في الغرب (يعنـي جزيـرة العرب) بعد كونفوشيوس، ويتباعد موطنه عن موطنه ويختلف عهده عـن عهده ولكن تعاليم النبي الغربي تتفق مع تعاليم النبي الـصيني " (وفـي الحقيقة أن قيمـة الإسـلام لا تتوقـف علـى اتفـاق تعاليمـه مـع تعـاليم كونفوشيوس أم لا)

---

[1] وقد لاحظت ذلك في الصلاة على جنازة في الجامع الكبير في مدينة (شي آن) حيث كان أهل الميت يلبسون ملابس بيضاء وقد سألت بعض المسلمين عن ذلك فقالوا أنها من العادات الكونفوشيوسية القديمة التي تأثر بها المسلمون .

٢- في الصين أعداد كبيرة من المساجد المميزة بالفن المعماري الكلاسيكي ليس فقط أنها مزخرفة بنقوش من التنانين والعنقوؤات بـل لوحظـت فيهـا ألـواح مكتوب عليها الأمثال الكونفوشيوسية مثل " أرضخوا للقضاء والقـدر وأطيعـوا أولي الأمر واتبعوا تعاليم النبي " و " إياك والنظر إلى القبائح ، والاسـتماع إلـى الأباطيل والتكلم باللغو وممارسة الفضائح " .

٣- ظهر عدد من المؤلفين والمترجمين الإسلاميين في أواخر عهد أسـرة مينـغ (١٣٦٨ -١٦٤٤) وعهــد أســرة تــشينغ (١٦٤٤- ١٩١١) تتميــز مؤلفــاتهم وترجماتهم بالصبغات الكونوشيوسية كثيرا أو قليلا ما عدا أعمال تـشانغ شـي تشونغ و وو تسون تشي .

وعندما كان شيو يوان تشنغ أحد الكونفوشيوسيين يعلق على كتـاب "عقائـد الإسلام " بقلم الشيخ ليو تشي قال: " إن هذا الكتاب ليؤدي إلى توضـيح كونفوشـيتنا وإن كان يقصد نشر الإسلام " وقد استنتج هؤلاء الدارسون من هذه الظـواهر الـثلاث أن الإسلام في الصين قد التقى هو والكونفوشيوسية في تيار واحد وأنه قد " تكنفش " على حد زعمهم .

يقول الشيخ محمود يوسف [١] لقد كانت هذه الظواهر الثلاث موجودة في التـاريخ ومع ذلك فإن استنتاج أولئك الدارسين على هذا النحو يبدو بعيدا عن الصحة فيما يرى لأن وجود تلك الظواهر كان لا يخلو من مبررات أبدا .

فأولا : منذ أدلاء الفليسوف الصيني الكبير دونغ تـشونغ شـو(١٧٩ -١٠٤ق .م) بشعار " لابد من إلغاء كل أنواع التعـاليم واحتـرام الكونفوشيوسـية وحـدها " أصـبحت الكونفوشيوسية عقيدة المجتمع الصيني أكثر من ألفي سنة ،وطوال هذه الفترة الطويلة ما من دين أو عقيدة واردة من الخارج لتثبيت أقدامها في الصين إلا وتعرضت للإبعاد من قبل الكونفوشيوسيين . . .

أما الإسلام الذي دخل إلى الصين متأخرا فلم يكن للمسلمين مفر من نشره في البلاد متبعين إستراتيجية التصالح مع الكونفوشيوسية ، وذلك بالبحث عن النقـاط المـشتركة بـين الطرفين وترك الخلافات بينهما جانبا .

---

[١] الشيخ محمود يوسف (لي هوا ين) – من أبرز الشخصيات الإسلامية في الصين في الوقت الحاضـر – لـه عـدد مـن الكتب باللغة العربية – ترجمة وتأليف – قابلته أبان زيارتي للصين وأجريت معه لقاء مطول – وسياتي المزيد عنـه فـي الفصل الثالث من هذا الباب .

ثانياً : يدعو الإسلام إلى كبح القوى لصالح الضعيف ، وإيتاء المساكين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبغي ، والإحسان بالوالدين واحترام الكبار والاعتناء بالصغار ومعاملة الناس بلطف والبيع والشراء بالعدل ..الخ .

كل ذلك متشابه مع المبادئ الأخلاقية الكونفوشيوسية ، وبالإضافة إلى ذلك يدعو الإسلام إلى السعي وراء السعادة في دار الفناء ودار البقاء ، ومعنى ذلك أنه من الضروري الاهتمام بالآخرة والحياة الدنيا في آن واحد ، ومع أن التعاليم الإسلامية تختلف عن التعاليم الكونفوشيوسية ، إلا أنها تقترب منها في نظر الكونفوشيوسيين قياسا على الأديان التي تدعو إلى اعتبار كل شيء في الدنيا تافها وتتهرب من الواقع .

وإذا نظرنا إلى هاتين الناحيتين تبين لنا أن هناك نقطة مشتركة بين الإسلام والكونفوشيوسية . . ، وعلى كل حال فهما متعارضان تعارضا غير قابل للصلح أبدا من الناحية الأخرى ، فمثلا : تشدد الكونفوشيوسية على الاهتمام بالتشريفات وهي تدعو إلى السجود للأباطرة وكبار المسئولين والأعيان والآباء والأمهات في بعض المناسبات .

بيد أن ذلك في نظر الإسلام كفر لا يتحمل أبدا فلا غرو أن الإسلام كان عرضة لهجوم بعض الكونفوشيوسيين من جراء ذلك ، ومن الأمثلة: أنه كان هناك كونفوشيوسي شديد الحقد على الإسلام تمادى في سخافته إلى درجة أنه استنكر الإسلام قائلا بأنه " دين لا يدعو إلى احترام السماء والأرض وعبادة آلهتهما .. دين إيجاد النبي الجديد وإنشاء التقويم الغريب وحث أتباعه على تضليل الجماهير وإفادة الطالحين والإساءة إلى الصالحين " .

ومقابل هذا النوع من التحديات اضطر المسلمون المحليون الذين كانوا في الظروف غير الصالحة لهم إلى اختيار ما لا يخالف أصول دينهم من التعاليم الكونفوشيوسية في تزيين مساجدهم وإيضاح الشريعة الإسلامية بدافع من رغبتهم في إبقاء الإسلام وسطهم جيلا بعد جيل . . .

ومن هذه الزاوية فإن إضفاء الصبغات الكونفوشيوسية على المساجد والمؤلفات والترجم باللغة الصينية كان ناجما عن سبب سياسي ليس غير فلا يمكن اعتبار ذاك دليلا على " كنفشة " الإسلام في الصين . . .

أما أولئك العلماء العاملون في مجال التأليف والترجمة فقد كانوا يهدفون من وراء الاستفادة من بعض التعاليم الكونفوشيوسية إلى إظهار الإسلام في الظروف التاريخية آنذاك على خير وجه . وخير دليل على ذلك أن أحد الكونفوشيين أبدى ، بعد قراءته كتاب

الشيخ وانغ داي يو بعنوان " جامع أحكام الدين الحنيف " ، ملاحظاته له قائلا : إن الإسلام " قد تدارك نواقص كونفوشيتنا في " تطهير النفس من الشوائب والعيوب " وأنه " ليتفوق على سائر الأديان بدعوته إلى عدم الفرق بين " ما هو لي " و " ما هو لك " وإلى إظهار المحبة للقريب والبيعد على حد سواء وإلى تضامن ملايين الناس بقلب واحـد والانـسجام التام بين الشرقيين والغربيين " .

زد على ذلك أنه كان هناك عدد مـن الكونفوشيوسـيين أسـلموا بـسبب قـراءتهم للمؤلفات والتراجم الإسلامية باللغة الصينية ، وكان منهم مثقف من قومية هان اسمه ليـو تشه سان ... تربى على الكونفوشيوسية في شبابه ولكنه اهتدى إلى الإسلام فـي أوائـل القرن العشرين متأثرا بالكتب الإسلامية، والطريف هو إن أيمانه القوي قد حداه إلى دراسـة علوم الدين باللغة العربية بهمة عالية ، وانتهى به الأمر إلى أن أصبح إماما محترما لـدى المسلمين في خنان وشانغهاي .

بعد هذا . . . هل عبادات المسلمين الصينيين ومعاملاتهم تأثرت بالكونفوشيوسية أم لا ؟

يقول الشيخ محمود : يحق القول أن عباداتهم ومعاملاتهم لم تتـأثر بالكونفوشيوسـية على وجه العموم .

ولا أبالغ إذا قلت أن مسلمي الصين المخلصين ليـسوا أضـعف مـن إخـوانهم مـن المسلمين خارج البلاد من حيث صحة فهمهم لأصول الـدين وشـدة تمـسكهم بالـشرائع الإسلامية ومدى اهتمامهم بالحلال والحرام في المأكولات والمشروبات .

ونظرا لأن الإسلام يقف في وجه عبادة الأصنام والتماثيل فقد نتجـت عـن ذلـك الخلافات والصراعات بين المسلمين والحكام المفضلين للكونفوشيوسية ، مراراً وتكراراً وذلـك في الفترة التي سبقت ظهور النظام الجمهوري في الصين .

ومما يستحق الذكر أن دعوة السلطة التابعة لحزب الكومينتانغ بعد ثـورة ١٩١١م إلى الركوع أمام صورة الدكتور (صن يات صن) قد أثارت معارضـة شـديدة مـن قبـل بعض المسلمين الصينيين .

ومن أجل تفادي شبهات العبادة الخاطئة يمتنع بعض المسلمين عن تعليق صـور الكائنات الحية على جدرانهم إلى جانب قيام بعضهم الآخر بتغطية هذه الـصور فـي شهر رمضان وفي حين قراءة الآيات القرآنية .

وتـشير هـذه الأمـور وغيرهـا إلـى أن المـسلمين الـصينيين لـم يتـأثروا بالكونفوشيوسية في عباداتهم . . .

وصفوة القول أن الهدف من إضفاء الصبغات الكونفوشيوسية على المساجد والكتب الإسلامية في المجتمع الصيني القديم يستهدف حمل الطبقات الحاكمة على مسامحة أهل الإسلام وليس من أجل الدعاية للكونفوشيوسية وسط المسلمين.

وجدير بالذكر أن كل ما تطرقنا إليه في هذا البحث يشار به إلى كيف كانت الكونفوشيوسية في نظر المسلمين من قومية هوي فقط أما أبناء القوميات المسلمة الأخرى مثل أبناء الويغور والقازاق والأوزبيك والطازك وتاتار والقرغيز وسالار ودونغشيانغ وباوأن .. الذين يمثلون حوالي ٥٠ بالمائة من المسلمين الصينيين فلا يمتون إلى الكونفوشيوسية بصلة أبدا بسبب ابتعادهم عن قلب الحضارة الدينية أكثر ولذلك فإن القول بأن الإسلام في الصين قد تكنفش ليس له أساس من الصحة .

ويدل هذا على أن الشريعة الإسلامية تتحدى بنظامها المحكم كل الشرائع وليست شريعة فانية وإنما هي شريعة خالدة صالحة لكل مكان وزمان لتكون مصداقا لما أراد ا لعباده بقوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا " . [١]

---

[١] المساجد في الصين . محمود يوسف – لي هوا ين ، ص ١٨٨ – ص ١٩٥ بتصرف .

قول أحد ملوك الصين في الصحابة رضوان الله عليهم

جاء في كتاب (حياة الصحابة) للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي جـ ٣ ص ٦٩٧ وهي آخر فقرة في الكتاب = ما نصه = (ذكر ابن جرير ايضاً في تاريخه (٣ / ٢٤٩) أن يزدجر كتب إلى ملك الصين يستمده فقال للرسول : قد عرفت أن حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم ، فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم ، فقلت سلني عما أحببت ... فقال يوفون العهد ؟ قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم . قلت يدعوننا إلى واحدة من ثلاث : إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنعة ، أو المنابذة .. قال فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت أطوع قوم لمرشدهم قال فما يحلون وما يحرمون ؟ فأخبرته فقال أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم ؟ قلت لا قال : فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلو حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال: أخبرني عن لباسهم فأخبرته ، وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها ، فقال نعمت الحصون هذه ، ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحملها ، فقال هذه صفة دواب طوال الأعناق وكتب إلى يزدجر : إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ، لو خلى لهم سربهم أزالوني ، ما داموا على ما وصف – فسالمهم وراض منهم بالمساكنة ولا تهجم ما لم يهجوك .

خبران عجيبان عن تمكن الإسلام في الصين

خبران عجيبان نقلهما المؤرخون عن تمكن الإسلام في الصين منذ قرون. **الأول** : ذكر (توماس ارنولد) أن السيد (الأجل) المسلم الذي اسمه (عمر شمس الدين) كان حاكماً في الصين في القرن الثالث عشر الميلادي حكم بالعدل واستقامت البلاد في عهده وتوارث أبناؤه وأحفاده الملك ونشروا الإسلام هناك وقد حصل أحدهم على ثبت رسمي من إمبراطور الصين عام ١٣٣٥م هذا نصه (الإسلام هو دين ا الحق الخالص) وشيدت المساجد في ذلك العهد واستقر المسلمون ونشروا علوم الإسلام .

الثاني : ابن بطوطة يجول ويصول في الصين ويسجل ما فعل وما رأى فيقول: إنه أقام في دهلي وعين قاضياً وما فتئ أن بعث له سلطان الهند خيلاً مسرجة وجواري وغلمانا وثياباً ونفقة) وقال له إني اخترتك رسولاً إلى ملك الصين ... فيقول ابن بطوطة : (وكان ملك الصين قد بعث إلى السلطان مائة مملوك وجارية وخمسمائة ثوب منها مائة من التي تصنع بمدينة الزيتون ، ومائة من صناعة مدينة الخنساء ، وخمسة أمنان من المسك ، وخمسة أثواب مرصعة بالجوهر وخمسة من التراكش مزركشة وخمسة سيوف) وطلب إليه أن يأذن له في بناء بيت للأصنام (بوذا) في موضع يعرف (بسمهل) يحج إليه أهل الصين وقد تغلب عليه المسلمون في الهند وخربوا المعبد كله ولما وصلت الهدية إلى سلطان الهند كتب إليه بان هذا الطلب لا يجوز في ملة الإسلام ، ولا يتاح بناء معبد أو كنسية في ديار الإسلام والسلام على من اتبع الهدى .

فكانت هذه الهدايا مقابل تلك وقد حملها ابن بطوطة ووصل عن طريق البحر إلى (تسي ثون) وكان معه أحد الأمراء ليسلمها للإمبراطور . .

وقد وجد المسلمين يقيمون شعائرهم وهم كثيرون ولهم قيمة وعزيزون وكانوا امتداداً لقبائل ما وراء النهر . [١]

وهذان الخبران يدلان على قدم الإسلام في الصين وانتشاره واحتفاظ المسلمين هناك بدينهم إلى يومنا هذا .

---

[١] الصين ويأجوج ومأجوج- عبدالعزيز المسند ص ٥٤ -٥٥ بتصرف .

بيان الإمبراطور يوانج تشين ١٧٣١م

لقد أثارت نذر الظلم والتضييق على المسلمين واضطهادهم – التي هبت ريحها مع قدوم أسرة مانشو – شعورا عاما بالاضطراب والتوتر في صفوف المسلمين وقد حاول الإمبراطور يوانج تشين في سنة ١٧٣١م أن يهدئ من روعهم فأصدر بيانا هاما يحدد فيه سياسة حكومته تجاه المسلمين وهذا نص البيان الذي نشره توماس ارنولد في كتابه " الدعوة إلى الإسلام " :

" في كل ولاية من ولايات الإمبراطورية ، ويوجد منذ قرون كثيرة مضت ، عدد كبير من المسلمين ، يؤلفون جانبا من الشعب ، اعتبرهم كأبنائي وأنظر إليهم كما أنظر إلى بقية رعيتي تماما ، ولا أفرق بينهم وبين الذين لا يدينون بالإسلام ، وقد تسلمت من بعض الموظفين ظلامات سرية ضد المسلمين، سببها أن ديانتهم تختلف عن ديانة غيرهم من أهل الصين ، وأنهم لا يتكلمون بلغة الصين ، ويلبسون لباسا يختلف عما يلبسه سائر الأهالي .

وهم متهمون بالعصيان والغطرسة والميول الثورية ، وقد طلب مني أن اتخذ ضدهم تدابير صارمة ، فلما بحثت هذه الظلامات والاتهامات لم أجد لها أساسا من الصحة والواقع أن الدين الذي اتبعه المسلمون إنما هو دين أجدادهم ، والحق أن لغتهم ليست كلغة بقية الصينيين ، ولكن ما أكثر اللغات في الصين .

أما فيما يتعلق بدور عبادتهم ولباسهم وطريقتهم في الكتابة – وكلها مختلفة عما عند غيرهم من أهل الصين – فهذه مسائل لا أهمية لها مطلقا ، وما هي إلا عادة من عادات المسلمين ، أنهم يتحلون بالأخلاق الفاضلة كغيرهم من الرعية ، وليس هناك ما يدل على ميلهم إلى الثورة .

من أجل ذلك كانت رغبتي أن تطلق لهم الحرية في إقامة شعائر دينهم ، الذي يهدف إلى تعليم الناس التمسك بالحياة الفاضلة وتأدية واجباتهم الاجتماعية والمدنية ، إن هذا الدين يحترم النظم الأساسية للحكومة ، فماذا نستطيع أن نطلب منه أكثر من هذا ؟ فإذا ظل المسلمون بعد ذلك يتصفون بما يتصف به الرعايا الأخيار المخلصون ، فسأبسط لهم رعايتي بقدر ما أبسطها إلى أبنائي الآخرين ، لقد ظهر منهم مدنيون وعسكريون ارتقوا إلى أعلى المناصب .

وهذا أقوى دليل على أنهم تطبعوا بطباعنا وتعودوا عاداتنا،وتعلموا كيف يلائمون بين أنفسهم وبين شرائع كتبنا المقدسة ، أنهم يجتازون امتحاناتهم في الآداب كما يجتازها أي إنسان آخر، ويقومون بما يفرضه عليهم القانون من تضحية.

وقصارى القول إنهم أعضاء خلص في الأسرة الصينية العظيمـة وأنهـم يجـدون دائما في أداء واجباتهم الدينية والمدينة والسياسية ، وعندما ينظر القضاة قضية مدنية ، لا تعنيهم ديانة المتخاصمين ، فليس هناك إلا قانون واحد لرعيتي، فمن عمل صالحا كوفئ عليه ، ومن عمل سيئا حق عليه العقاب " (١) .

أقوال بعض عظماء الصين في محاسن الإسلام

من أقوال بعض عظماء الصين غير المسلمين عـن محاسـن الإسـلام لكـي نعرف إلى أية درجة وصل فهمهم للإسلام وكيف وجدوه

نصب سنة ٧٤٢م في الجامع الأعظم الذي بني بأمر الملك في " سيغانفو" عاصمة الصين القديمة نصب تذكاري حجري حفر عليه مذكرة لمراقـب الـبلاط الملكـي " وانـغ هوانغ " جاء فيها : " إن حكيم العرب محمد صلى ا عليه وسلم ولـد بعـد حكـيم الصين " " كونفوشيوس " ونشأ في جزيرة العرب فكانت الفترة بينهما طويلـة والمـسافة بين القطرين بعيدة فما اتفقت سنتاهما مع اختلاف لغتيهما إلا لأن قلبيهما متحد فاتحدت سنتاهما وقد مضى الحكيم ولكن آثاره ما زالت باقية علمنا منها أنه ولد عبقريا يعلم أسرار السماوات والأرض وأخبار الدنيا والآخرة وعلم أتباعه أن يطهروا أبدانهم بالوضـوء والغـسل ويربوا أرواحهم بكسر الشهوات ويروضوا نفوسهم بالصيام ويجتهدوا في الخير ويبتعـدوا عن المنكر ويعاملون الناس بصدق النية والوفاء ويتعاونوا على عقد الزواج وتشييع الجنائز وبالجملة ما من أصل من أصول المجتمع الإنساني إلا وقد أثبته وما من قاعدة من قواعد الصحة والأخلاق إلا وقد شيدها " .

وأمر الملك الأول من ملوك أسرة " مينغ " الملقب بلقب " تايتسو" سـنة ١٣٢٨م ببنـاء جامع في " نانكينغ " ونظم هو قصيدة مكونة من مائة كلمة فـي مـدح محمـد صلى ا عليه وسلم معناها الحرفي كالآتي :-

" ولد في جزيرة العرب النبي الأعظم الذي كتب اسمه فـي اللـوح المحفـوظ وتلقى من الملك العلي كتابا منقسماً إلى ثلاثين جزءا وبعث رحمة للعالمين فكـان ملكـا مربيا للخلق كافة وسيدا كريما للرسل والأنبياء أجمعين وكاشفا للفيض الأقدس حاميا للرعية يصلى كل يوم خمس مرات داعيا للعالم بالأمن والسلام ويخاف من الملك الحـق ويـشفق

---

(١) الدعوة إلى الإسلام - توماس ارنولد - ص ٣٣٧ .

أنظر الإسلام في الصين - فهمي هويدي ص ٩٢- ٩٣

على الفقراء والمساكين ويعين على الشدائد ويعلم أسرار الدنيا والآخـرة ويـشفع لـلأرواح وينقذها من النار فقد غمر العالمين بفضله وبهر المتقدمين والمتأخرين بسنته وجمع الأديان فهذبها حتى صار دينا طاهرا حقا وأن محمدا لأفضل الأنبياء " .

وانتقد ذات يوم الملك " أو تسونغ " الملك العاشر من ملوك أسـرة " مينـغ " أديـان الصين قائلا لخدمه وحشمه إن الكونفوشيوسية تكفـي معالجـة المـصالح فـي عـالم الشهادة وتقصر عن كشف الأسرار في عالم الغيب وأما البوذية والطاوية فكأنهما تكشفان حجب الغيب ولكن لا تفيدان الرجوع إلى الفطرة فإن كـل واحـد مـن هـذه الأديـان منحرف إلى جانب واحد بخلاف الإسلام فإنه دين يعرف به الخالق ويبنى على القواعـد المعقولة فلا جرم أن يبقى ما دامت السماوات والأرض ".[1]

ويقول:(ليانغ شو مين) أحد كبارعلمـاء الكونفوشيوسـية المعاصـرة " يعايش المسلمون الصينيون الكونفشيوسيين في مناطق شمال غرب الصين جنبا إلى جنب ، لا يشرب المسلمون المؤمنون با الأفيون ، ولهم كثير من العادات الجميلة فـي المعيـشة ، وأما الصينيون فسمحوا لأنفسهم بالانحطاط الأخلاقي عفوا ، وذلك مع زعمهـم تعظـيم نبيهم كونفوشيوس " [2] .

وها هي الحقيقة فقد وصل فهم الصينيين غير المسلمين للإسلام إلى هذه الدرجة واعترفوا بفضله على الأديان صراحة ولم تكن هناك دعاية إسلامية قـط ومـا زال الإسـلام في الصين دراً مكنوناً لو كشف للناس جميعه لسطع نوره على قلوب الذين لم يتـدينوا بدين سماوي ولدخلوا في دين ا أفواجا .

---

[1] نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين . محمد مكين - ص ٢٠- ٢٣ .

[2] (ها قوانغ لو) ، رئيس التحرير ، الحوار بين النصرانية والكونفشيوسية والبوذية والطاوية ، دار النشر للوثائق في العلوم الاجتماعية ، بكين ، سنة ١٩٩٨م ، ص ٢٣٢ .

انظر: كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية- د/ زهرة الدين طيب إدريس – ص ٢١٥ .

وصية أبي الجمهورية الصينية بشأن المسلمين

وصى الدكتور " صن يات صن " أتباعه بالتعاون مع أبناء وطنه المسلمين وأخوانهم في الخارج في كتابه المشهور بالمبادئ القومية الثلاثة المقدس عند أتباعه أعضاء الحزب الحاكم وترجمتها كالآتي : - " الغرض الأول من المبادئ القومية الثلاثة فك رقاب شعوب الصين من الاستبدادات والاستعمار وتحقيق المساواة في الحقوق المدنية بينها وما أصاب المسلمين في الصين فيما مضى من الظلم والاضطهاد كان أشد مما أصاب مواطنيهم والحمية عندهم أقوى منهم عند مواطنيهم أيضا فيجب علينا أن نشتغل بتنبيه المسلمين ليشتركوا في الحركة الوطنية ، وقد اشتهر المسلمون في العالم بالشجاعة والتضحية فإذا تنبه المسلمون في الصين كانوا حصنا حصينا للحركة الوطنية والأمة الصينية لن تنسى في صفحات تاريخ المساواة والحرية ما يقدم إليها أخوانها المسلمون من الإعانة والمساعدة ، وأول عمل من أعمال الحركة الوطنية مقاومة الاستعمار ولكن هذا العمل لن يتم على أيدي الأمة الصينية وحدها فلا بدلا تمامه من اتحاد الأمم المستضعفة في آسيا .

ويذكر(صن يات صن) الأمم المستضعفة في عصره حين يواصل قائلاً: الأمم المستضعفة هي الإيرانية والتركية والهندية والأفغانية والعربية وهذه الأمم كلها إسلامية تكون منها الممالك الإسلامية التي تحرز قوة هائلة في المطالبة بالحرية والاستقلال وقد أصابتها ضغطه شديدة فلابد لنا من القيام في صف واحد لمقاومة السياسة الاستعمارية وتخريبها وبالجملة لن تنجح الحركة الوطنية الصينية بدون اشتراك الشعب الإسلامي ولم يتم عملنا في مقاومة السياسة الاستعمارية بدون الاتحاد مع الأمم الإسلامية ".[١]

---

[١] نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين - محمد مكين - ص ٥١ - ٥٣ .

لماذا فتح الصينيون الأبواب

يقول الدكتور فهمي هويدي لماذا فتح الصينيون الأبواب لنا على هذا النحو ؟ شغلني السؤال فصرت أطرحه على الذين لقيتهم في بكين ، من الأجانب والصينيين .

فقالوا : إن المد الإسلامي المتعاظم الآن في أنحاء كثيرة كان لابد أن يقابل من جانب أي دولة لها مصالح مع المسلمين بقدر متكافئ من الاهتمام وهم في الصين ترجموا العديد من الكتب الإسلامية ، وعلى سبيل المثال ، فإن كتب أحمد أمين ، فجر وضحي وظهر الإسلام ، وكتب الدكتور حسن إبراهيم ، الإسلام السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها قيد الترجمة من العربية إلى الصينية .

ثم إن هناك دراسات تجرى أيضا حول الشيعة والتصوف والحركات الإسلامية المعاصرة ، وفي خط مواز ، فقد وجهت الدعوة إلى أكبر عدد من المسئولين عن الشئون الإسلامية في مختلف الدول العربية لزيارة الصين على فترات متعاقبة .

وعندما يكون مسرح هذا المد الإسلامي هو مناطق البترول والطاقة ، فإن الاهتمام بالظاهرة لابد أن يكون أعظم ، والإلحاح على إقامة جسور قوية مع هذه المناطق لابد أن يكون أشد ، وفضلا عن عامل البترول ، فإن أكثر مناطق البترول هذه – دول الخليج خاصة – هي بمثابة أسواق هامة للمنتجات الصينية .

وقد كان الغزو السوفيتي لأفغانستان في ٢٧ ديسمبر ٧٩ بمثابة نقطة تحول في السياسة الصينية تجاه الإسلام والمسلمين ، ففي أعقابه مباشرة نشطت السياسة الصينية في اتجاه مجاملة المسلمين لأجل أن يظهر أمام الجميع أن السوفيت هم المعتدون على الإسلام والمسلمين ، بينما يقف الصينيون في المربع المعاون والداعم للإسلام والمسلمين .

وهذه الرسالة كانت موجهة إلى العالم الخارجي من ناحية ، والى المسلمين الصينيين من ناحية أخرى ، وهم الذين تمتد مناطق تجمعاتهم الأساسية (سينكيانغ) على الحدود المتاخمة للاتحاد السوفيتي .[١]

---

[١] الإسلام في الصين - فهمي هويدي - ص ٢٤ .

وقد تجسد هذا الاهتمام بالمسلمين في داخل الصين ، في الدعوة لعقد المـؤتمر الرابـع للجمعية الإسلامية الصينية بعد ثلاثة أشهر فقط من الغـزو الـسوفيتي لأفغانـستان ، وهـو المؤتمر الذي انعقد في بكين العاصمة ، في إبريل ١٩٨٠م ، بعد غيبة ١٧ عام (المـؤتمر الأول عقد لتأسيس الجمعية سنة ٥٣ ، والثاني والثالث عقـدا سـنتي ٥٦ و ٦٣) ثـم عقـد مؤتمر آخر لمسلمي مقاطعة سينكيانغ – معقل المسلمين – في أوائل يوليو ٨٠ .

وفي ذلك المؤتمر الرابع للجمعية الإسلامية الصينية ألقى نائب رئيس الجمعية خطابا ، استهله بقوله : " إن الجمعية حققت منذ تأسيسها عام ١٩٥٣م كثيرا من النتائج الحميدة ، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني ، ورعاية وتأييد الحكومة الشعبية " ثم أعلـن أنـه " بعد سحق عصابة الأربعة ، فقد فتحت الآن بعض المساجد من جديد، وأما البعض الآخر فشرع في إصلاحه وترميمه ، وسوف يفتح أبوابه أيـضا فـي المـستقبل القريـب حـسب الظروف الواقعية للمناطق إلى جانب ذلك أضاف نائـب الـرئيس أصـبحت الحيـاة الدينيـة للمسلمين الصينيين تسير على نحو طبيعي بصورة تدريجية ، مثل تلاوة القرآن الكريم ، وأداء الصلاة والصوم ، كما لقيت من جديد التقاليد الإسلامية المتعلقة بالموت وعادات الأطعمة الاحترام اللائق بها " ![١] .

ثم قال نائب رئيس الجمعية أيضا إنه تقرر إعادة طبـع المـصحف الـشريف ، بعـد توقف هذه العملية طوال ١٥ عاما ، واستئناف إصدار مجلة " المسلمون في الصين " التـي احتجبت طوال نفس الفترة ، وقال إن هناك اتجاها لفتح معهد العلوم الإسـلامية ، الـذي تعطل منذ عشرين عاما ، ولإصدار كتاب خاص عن تاريخ الإسلام في الصين .

ثم كانت هذه اللفتة المثيرة للانتباه في هذا الصدد ، عندما عين أحد المسلمين نائبا لرئيس الوزراء – لأول مرة – وذلك ضمن التعديلات التي طـرأت علـى خريطـة المناصـب السياسية في القيادة الصينية ، خلال النصف الثاني من عام ١٩٨٠م .

وقد اختير لهذا المنصب واحد من مؤسسي الجمعية الإسلامية الصينية ، هو إبراهيم يانغ جنفرين ، الذي كان يشغل منذ عام ١٩٧٨م منصب رئيس لجنـة شـئون القوميـات ، وشغل قبل ذلك منصب المسئول الأول عن مقاطعة نينغشيا الإسلامية ، التي تتمتع بـالحكم الذاتي .

---

[١] مجموعة وثائق المؤتمر الإسلامي الصيني الرابع – ص ١٦ إصدار الجمعية الإسلامية الصينية في بكين .

وهذا الاهتمام الصيني بالإسلام والمسلمين –الذي تزايدت درجة حرارته بعـد غـزو السوفيت لأفغانستان – لا يزال يجد صداه فيما ينشره ويذيعه الإعلام الصيني موجها إلـى العالم الخارجي .

قالوا أيضاً : إنه بالإضافة إلى عاملي المصلحة ومهاجمة السوفيت ، فإن هنـاك – من جهة ثالثة – مناخا من الانفراج النسبي يسود الصين منذ عام ٧٨ ،أي منذ سحق عصابة الأربعة ، وتولي القيادة الجديدة زمام السلطة ، وهذا المناخ استفادت منه أطراف كثيرة ، منها أصحاب الأديان بوجه عام ، وهم الذين أصابهم الكثير من العنف والاضـطهاد طـوال سنوات الثورة الثقافية العشر .

لهذه الأسباب جميعها – قيل لي – إن هناك اتجاهـا لمجاملـة مـسلمي الـصين ، وللأسباب ذاتها فتحت لك الأبواب ، ووصلت إلى هنا .. في بكين .[١]

---

[١] الإسلام في الصين - فهمي هويدي - ص ٢٥ .

عدد المسلمين في الصين

الصين : دولة واسعة جدا حيث تزيد مساحتها على (٩,٥ ميلون كـم٢) ويزيـد عدد سكانها على (مليار ومائة وعشرين ألف نسمة) ، فهـي أول دول العـالم سـكانا ، ورابعها مساحة - بعد الاتحاد الروسي ، وكندا ،والولايات الأمريكية – ويسكن فيها أكثـر من (مائة وعشرين مليون مسلم) ينتشرون في كل أرجاء الصين ، ولكن تختلف نسبتهم بين منطقة وأخرى .

وهناك مقاطعتان يشكل المسلمون فيها أغلبية مطلقة ، وكانت في يوم من الأيام تابعة لدار الإسلام من وقت مبكر ، وهما :

١- إقلـــيم تركـــستان الـــشرقية (ســـينكيانج) أي : المقاطعـــة الجديـــدة ، و (تركستان) ، تعني : أرض الترك . وقد تم الاستيلاء التدريجي على الجزء الغربي منها مـن قبل القياصرة الروس عام (١٨٦٥م) ، ثم تبعت الاتحاد السوفيتي بعد قيامه على الفكر الشيوعي سنة (١٩٢٢م) ثم حصلت على استقلالها بعد انهيار الاتحاد الـسوفيتي سـنة (١٩٩٠م) وهي تنقسم الآن إلى خمس جمهوريات كلها أعـضاء فـي منظمـة المـؤتمر الإسلامي ، وهي (أوزبكستان ، طاجاكستان ، وكازاخستان ، وقيرغيزستان ، وتركمانستان) .

وأمـا الجـزء الـشرقي ، فقـد تـم الاسـتيلاء عليهـا مـن أيـام حكـم أسـرة (مانشو الصينية) عام (١٨٧٦م) ولا زالت تابعة للحكـم الـصيني الـشيوعي إلـى الآن ، وتتمتع رسميا بالحكم الذاتي – وفي الواقع والحقيقة هـي أشـد الولايـات خـضوعاً للحكم المركزي الصيني – وهي تعد أكبر مقاطعات الصين ، وتشغل ما يقارب من سدس مساحتها الكلية ، إذ تقارب مساحتها (١,٧ مليون كم٢) أي أكبـر مـن مـساحة بريطانيـا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا مجتمعة ، وكانت عاصمتها (كاشغر) التي فتحها قتيبة بن مـسلم الباهلي سنة (٩٦هـ) ويقارب عدد المسلمين فيها الآن (١٤,٠٠٠,٠٠٠ مسلم) ويمثلون (٧٠%) من عدد سكان المقاطعة – وكان المسلمون قبل احتلال الـصين يمثلـون (٩٥%) من عدد السكان .

٢- إقليم (كانسو) ، وهو يجاور تركستان ودخلها الإسلام عن طريق الدعوة من تركستان الشرقية ، ويبلغ مساحتها ما يقارب (٠,٥ مليون كم٢) بما فيها إقليم (نينـغ هـسيا) التي اقتطعت من (كانسو) وجعلت ولاية مستقلة مساحتها (٦٦,٥٠٠ كم٢) ،وبها ما يقارب من (٢,٥مليون مسلم) ، - ويبلغ عدد المـسلمين فـي (كانـسو)الآن (

٢٠,٧٠٠,٠٠٠) نسمة ويمثلون (٨٠%) من سكان الإقليم – ويسميهم الصينيون بـ (هـواي هواي) ، وهم يحبون اسم (كياومن ، أي : أهل الدين) .

وهناك مقاطعات أخرى يتجاوز عدد المسلمين فيها (٣٠%) ، ومقاطعات يزيـد عدد المسلمين فيها عن (١٠,٠٠٠,٠٠٠ مسلم) ، ولكنهم يمثلون نسبة صغيرة لكثرة السكان فيها ، والشكل الآتي يبين أهم الأقاليم والمقاطعات التي تحوي تكتلا للمسلمين ، من حيث عدد السكان أو من حيث النسبة على النحو التالي:

الرقم	اسم المقاطعة	عـــــــدد المسلمين	النسبة	ملاحظات
١	تركستان الشرقية سينكيانج	١٤,٠٠٠,٠٠٠	٧٠%	كـانوا يمثلـون ٩٥%
٢	كانسو ومعها مقاطعات نينغ	٢٠,٠٠٠,٠٠٠	٨٠%	ومعهـــــــا مقاطعة بينـغ هسيا
٣	ستشوان	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٨%	وتجــــــــاور (كانسو)
٤	شنسي	١٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٦%	
٥	يونان	١٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٠%	
٦	شانسي	٥,٠٠٠,٠٠٠	١٥%	
٧	هيونان	٧,٠٠٠,٠٠٠	١١%	
٨	هونان	٥,٥٠٠,٠٠٠	٧%	
٩	هيوبه	٧,٠٠٠,٠٠٠	١٣%	
١٠	شانتونغ	٦,٠٠٠,٠٠٠	٦%	
١١	هوبه	٤,٠٠٠,٠٠٠	٥%	
١٢	شنغهاي	٢,٥٠٠,٠٠٠	١٤%	
١٣	فوكيين	٣,٠٠٠,٠٠٠	١٠%	
١٤	بكين	١,٥٠٠,٠٠٠	١٠%	[١]

[١] المسائل العقدية المتعلقة بالأقليات الإسلامية - د . عبدالمنعم عبدالغفور حيدر- ص ٦٥ ص٦٦ .

الفصل الثالث

موقف المسلمين الصينيين من الديانة الكونفوشيوسية

وفيه:

١- تأثير الإسلام على أهل الصين

٢- موقف المسلمين من الكونفوشيوسية

٣- تأثير المسلمين في الصين على قومياتهم

٤- أبرز من ألفوا عن الإسلام باللغة الصينية

٥- تأثر المسلمين بالمظاهر الكونفوشيوسية

٦- بعض الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين التي درست الكونفوشيوسية أو تأثرت بها .

٧- الحرية الدينية والمسلمون

٨- **حاضر الإسلام في الصين**

١- تأثير الإسلام على أهل الصين

دخل الإسلام إلى الصين منذ أقدم العهود الإسلامية بواسطة التجارة والدعوة السلمية - كما سبق أن ذكرت - فكان المسلمون يعيشون في هذه البقعة من الأرض منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة ، وكانت لهم أفراحهم وأحزانهم كما كانت لهم أيامهم المتألقة ، ولما كان لهم من حضارة فلقد أثروا تأثيراً عظيماً على عجلة التقدم والرقي في الصين كما بذلوا جهوداً مضنية في خدمة المجتمع الصيني على وجه العموم . ولن نستطيع أن نتكلم بالتفصيل حول هذا التأثير على مر العصور لما فيه من إطالة ليس هذا محلها لذا نكتفي بمجرد عرض أهم ملامحه في النقاط التالية:

١- صاغ الإسلام قومية جديدة إسلامية متكونة من عدة عناصر عرقية مثل العرب والصينيين والفرس والمغول وشعوب أسيا الوسطى وغيرها في أرض الصين تعرف هذه القومية اليوم بقومية " هوي هوى " وهي إحدى القوميات المعترف بها في الدستور الصيني ، وهذه القومية تتكلم الآن باللغة الصينية ويشترك جميع أفرادها في الانتماء إلى الإسلام وينتشرون في جميع أنحاء الصين ، وكان الدين الإسلامي هو الدافع الرئيسي الذي صهر هؤلاء المسلمين المختلفين في اللغة والجنسية والبلاد والثقافة والعادات في بوتقة إسلامية واحدة وقد شهد التاريخ الصيني شعوبا كثيرة دخلت إلى الصين وحكمت بعضها بلاد الصين ولكنها سرعان ما انصهرت في بيئة الحضارة الصينية ولم يبق لها وجود مشهود وصوت مسموع ، وأقرب مثال على هذا المانشوريون الذين حكموا الصين لمدة قرنين وأكثر لا نسمع صوتهم اليوم قد انصهروا تماما ، وكذلك اليهود والنصارى النسطوريون ، أما هذه القومية الإسلامية الجديدة فبقيت بفضل ا ثم بالتزامها بالإسلام وثقافته وستبقى فيها في المستقبل بإذن ا عز وجل وإن كانوا في حاجة ماسة إلى مزيد من الثقافة الإسلامية الصحيحة

٢- ظهور الثقافة الإسلامية الصينية : أدخل المسلمون الثقافة الإسلامية إلى وسط الثقافة الصينية التي كانت تتنافس في ميدانها الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية فقط ، ولقد حاول العلماء المسلمون في أواخر حكم " مينغ " والعهد المانشوري أن يشرحوا الإسلام في قالب الثقافة الصينية باستخدام المصطلحات الدينية الفلسفية الكونفوشيوسية والطاوية ليشرحوا بها الأفكار

الإسلامية ، ونتيجة هذه المحاولات من جانب العلماء المسلمين في الصين ظهرت ظاهرة ثقافية علمية جديدة على ساحة الثقافة الصينية تسمى " الثقافة الإسلامية الصينية " ، وهذه الثقافة تسمى الإسلامية الصينية لأن روحها وأصلها إسلامي كما أن مصطلحاتها وتعبيراتها مستمدة من الثقافة الصينية .

٣- أثر المسلمون على الحضارة الصينية تأثيراً عظيماً في مجالات شتى وذلك في العهد المنغولي خاصة في مجال السياسة والحرب ، فتح القائد المسلم السيد الأجل شمس الدين جنوب غرب الصين وهذه المنطقة تسمى اليوم بمقاطعة يونان وعينته الحكومة المنغولية واليا على هذه المنطقة ففتح المدارس الإسلامية والكونفوشيوسية وعمل مشاريع الري لتطوير الزراعة وكانت سياسته سياسة عادلة تهدف إلى خدمة الشعب فصار شخصية سياسية معروفة في تاريخ الصين ، وفي مجال البناء والعمارة كان اختيار شمس الدين هو المهندس العام في تخطيط بناء العاصمة، والفضل في جمال بناء قصور بكين وحوائطها ورونقتها كله يرجع إلى هذا المهندس الكبير ، وفي مجال الطب أنشأ الأطباء المسلمون طبا جديداً تحت اسم " طب هوي هوي " وهو طب ممزوج بين الطب الإسلامي والطب الصيني التقليدي وكان لهذا الطب مكانة جليلة ويد طولي في علاج الأمراض حتى أسست الحكومة هيئة خاصة تشرف على أمور هذا الطب الإسلامي في العاصمة وما زال هذا الطب باقياً إلى اليوم ، وفي مجال علم الفلك اخترع الفلكي المسلم جمال الدين الذي كان رئيساً يشرف على دار الأرصاد الفلكية الإسلامية سبع آلات للأرصاد والفلك ، وفي مجال صناعة الأسلحة كان هناك صناع ماهرون مثل علاء الدين وإسماعيل

٤- كما بلغ تأثير الإسلام على أهل الصين قمته في عهد حكم أسرة "مينغ" الإمبراطورية حتى أعلن الإمبراطور الأول المؤسس لحكومة أسرة " مينغ " جويران جاشنغ " (حكم ما بين سنة ١٣٦٨م وسنة ١٣٩٨م) إحلال التقويم الإسلامي محل التقويم القمري الصيني القديم في العام السابع عشر من حكمه الموافق لسنة ٧٨٦هـ . ولم يتغير هذا القرار السياسي إلا بعد سقوط هذه الحكومة بعد قرنين ونصف ، كذلك أمر هذا الإمبراطور ببناء مسجد في مدينة " نانكين " عاصمة الدولة في ذلك العصر وأصدر قرارات سياسية في صالح المسلمين مثل تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وحث على التزاوج

بين المسلمين والصينيين، الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يقولون إنه كان مسلماً لم يظهر إسلامه تحت الضغوط السياسية (١). وقد كتب هذا الإمبراطور أبياتا من الشعر في مدح النبي صلى ا عليه وسلم- كما ذكرت سابقاً-(٢) وكثيراً ما نجد شعره منقوشا أو منحوتا أو مكتوبا على حوائط المساجد في الصين وهو يذكرنا بتأثير الإسلام على الصين على خير وجه .

والإمبراطور الحادي عشر من هذه الأسرة " مينغ ووتشونغ " (حكم من ١٥٠٦م إلى ١٥٢١م) كان مولعاً بدراسة الأديان فدرس الإسلام وأمتدح الإسلام أمام وزراءه - كما سبق معنا -

ومما تجدر الإشارة إليه أن حكومة " مينغ " كانت تهتم بإقامة العلاقات الودية بينها وبين البلدان الإسلامية فأرسل الإمبراطور الثاني عشر من هذه الأسرة "يو لي" (حكم من ١٤٠٣م إلى ١٤٢٤م) وفداً تحت قيادة الرحال البحري المسلم " جينغ هاي " (١٣٧١م – ١٤٣٥م) إلى البلدان الإسلامية في سنة ١٤٠٥م .

وقد سافر هذا الرحالة سبع مرات خلال ثمانية وعشرين عاماً ويذكر التاريخ أن وفده في إحدى رحلاته كان يتكون من سبعة وعشرين ألفاً من رحالة الجنود والموظفين والعمال والأطباء والتجار والمترجمين ولقد اشتهرت قصص هذا الرحال البحري المسلم ، فصار شخصية رمزية للشجاعة والمخاطرة في أعين الصينيين يعرفه العام والخاص .

---

(١) " ما مين طاو " رسالة تحقيق عقيدة أسرة " مينغ " الإمبراطورية ، دار الطباعة صندوق الثقافة والتربية الصينية بتايوان ، ١٩٨٤م . عن : جهود العلماء المسلمين في الصين في مجال علم مقارنة الأديان – د/ زهرة الدين طيب – ص٢١ .

(٢) أنظر: ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

٢- موقف المسلمين من الكونفوشيوسية

في الصين كانوا يرون أن الديانة الكونفوشيوسية ديانة أصلية لدولة الصين تـدعو إلـى المعرفة بالإله " تيان " والخدمة له والاتحاد به وتزكية النفس وإعادة الـشريعة القديمـة والتحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الرذيلة ، وليست هي فلسفة أخلاق فقط كما هو الرأي الشائع في العصر الحديث . وقد سبق تفصيل هذه المسألة .

وعلى الرغم من دخول الإسلام إلى الصين منذ ألف سنة حتى نشأة الجهـود العلميـة الأولى من جانب العلماء المسلمين ، بقى الإسلام في هذه الفترة الطويلة دينـاً أجنبيـاً لـم تعرف تعاليمه ولم تترجم كتبه إلى اللغة الصينية ، لم يكن في وسعه أن ينـاقش هـذه الأديان الثلاثة علمياً وثقافياً ، وفي نفس الوقت دخل المسلمون في مرحلة مـن التـصيين تدريجاً مع زيادة اشتراكهم في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية فـي الصين ، فالمسلمون يواجهون خطورة فقدان دينهم وشخصيتهم الإسلامية في هذه البيئة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فهم بعض العلماء المفكرين أن الـدعوة الإسـلامية لا يمكن انتشارها في أرض الصين بدون شرح رسالة الإسلام وتعاليمه أمـام المثقفـين الـصينيين باللغة الصينية وكذلك يجب أن تشرح الثقافة الإسلامية في قالب جديد باستعارة المفـاهيم والمصطلحات الدينية والفلسفية الصينية حتى تسهل عليهم فهم حقيقـة رسـالة الإسـلام والثقافة الإسلامية .

فكان من هذا المنطلق أن نشأت هذه الجهود فحاول العلماء أن يـشرحوا الإسـلام شرحاً جديداً في قالب الثقافة الصينية ، وسوف نرى تأثير البيئة الدينية على هذه الجهود من موقفهم من هذه الأديان .

كان موقفهم من الكونفوشيوسية موقفاً مسالماً لأنه ديـن الـشعب والحكومـة بالإضافة إلى أن روحه أقرب إلى الدين الإسلامي من الطاوية والبوذية وكـان مـوقفهم من الطاوية والبوذية موقفاً مخالفاً يكثر فيه الهجوم والجدل لأن الطاوية ديـن مبتـدع خارج على الكونفوشيوسية والبوذية دين دخيل من خارج الدولة وهي كثيراً ما تـصادم أفكار الشعب الصيني الأصلية .

هذه من ناحية البيئة الدينية ، وأما من ناحية البيئة الفكرية فقد كانت هناك نهضة فكرية جديدة في الكونفوشيوسية في القرنين الثاني والثالـث عـشر الميلاديـين تحـت مسمى " مدرسة معرفة النفس والذات " ، ولقد نجحت هذه المدرسة إلـى حـد كبيـر

حتى أصبحت هي المدرسة السائدة في الكونفوشيوسية وبلغت هذه النهضة أوجها بعد ذلك ، فأخذ العلماء المسلمون أفكار هذه المدرسة بالدراسة والنقد ، ولهذا السبب نجـد أن هؤلاء العلماء يكثرون من مناقشة أقوال " جوشـي "(١١٣٠م – ١٢٠٠م) وشـروحاته على الأصول الكونفوشيوسية عند ذكر النصوص وتحليلها ، وكان " جوشي " أكبر علماء " مدرسة معرفة النفس والذات " والجدير بالذكر أن أحد العلماء المسلمين وهـو صـالح " اليوجشي " قد ألف كتاباً بعنوان " معرفة النفس والذات الإسلامية " ليواجه هذه المدرسة مواجهة علمية .

وأما البيئة السياسية فلقد كان عصر نشأة هذه الجهود عصر الفتنة والضعف بالنسبة للمسلمين ، عندما استولى الجيش المانشورى على حكـم الـصين بالحديـد والنـار أعلنـت الحكومة المانشورية القرارات السياسية العنصرية والتفريقية ضد الإسلام والمسلمين ، فلم يجد المسلمون مفراً من الثورات المتتالية العنيفة ضد الحكومة ، فرأي أولو الألباب مـن العلمـاء المفكرين أن هذا الواقع المؤلم ليس في صالح المسلمين كأقلية ضعيفة تعيش في تلـك الدولة فلابد من محاولة التصالح وتغيير الواقع ، ولابد من تقديم حقائق الدين الإسلامي للحكام حتى يعرفوا رسالة الدين الإسلامي فإذا عرفوا ذلك ، فيرجى منهم تغيير الموقف العدائي تجاه المسلمين وهذا هو الذي فعله السيد يوسـف " مـاجو" صـاحب كتـاب " الهداية الإسلامية " الذي ألف أصلاً لإهدائه إلى الإمبراطور الصيني المانشوري ، وهذه البيئـة السياسية أيضاً من الأسباب التي جعلت العلمـاء المـسلمين يتخـذون موقفـاً مـسالماً تجـاه الكونفوشيوسية لأنها ديانة رسمية لا تـسمح الأوضـاع الـسياسية لأي أحـد أن ينقـدها وإلا فسيتعرض المؤلف للقتل أو التعذيب من قبل الحكومة .[1]

---

[1] جهود العلماء المسلمين في الصين في مجال علم مقارنة الأديان – د/ زهرة الدين طيب – ص١٩ – ٢٧.

هل هناك كتب أو رسائل لعلماء الصين من المسلمين في الرد على الكونفوشيوسية ؟

قد يتساءل البعض فيقول: هل هناك كتب أو رسائل لعلماء المسلمين في الصين في الرد على الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية ؟

فالجواب لا ، والسبب في ذلك أن هذه الأديان ليست ديانات تبشيرية أو بالتعبير الأدق أنها لا تحرص على دعوة الناس إليها مثل ما تحرص النصرانية كل الحرص وتستخدم في ذلك كل الوسائل المتاحة لها . فما وجدنا أي عالم من علماء هذه الأديان الثلاثة في الصين قد كتب كتاباً أو رسالة بقصد الرد على الإسلام أو دعوة المسلمين إلى انتحال هذه الأديان مثل ما فعل المبشرون النصارى منذ دخول الإسلام إلى أرض الصين ، فلم تكن هناك حاجة عملية وثقافية إلى تأليف كتب الرد عليها ويتضح من هذا أن جهود العلماء المسلمين في الرد على النصرانية كانت وليدة الحاجة العلمية والبيئة الضرورية ومقاومة للتحدي الديني من جانب المبشرين النصارى ، ولم تكن من باب الاعتداء أو الطعن أو حب المجادلة السيئة وهم بريئون من ذلك .[1]

٣- تأثير المسلمين في الصين على قومياتهم

أصطبغ أبناء الأقليات القومية المسلمة العشر الذين يعيشون في شمال غربي الصين بالصبغة الإسلامية من حيث السياسة والاقتصاد والثقافة والأحوال النفسية ، وكذلك من حيث عاداتهم وتقاليدهم ، فقد أصبح بعض العادات والتقاليد الإسلامية مع مر الأيام عادات وتقاليد لقومياتهم ، فأصبح محرما عليهم مثلا الميتة والدم ولحم الخنزير ولحوم الحيوانات الشرسة ، وأصبحوا يفضلون إقامة حفلات الزفاف في أيام الجمعة ، ويوارون موتاهم التراب في لحود بغير توابيت بعد تغسيلهم وتكفينهم والصلاة عليهم ، ويتخذون عيد الفطر وعيد الأضحى ومولد النبي أعيادا رئيسية لقومياتهم .[1]

---

(١) جهود العلماء المسلمين في الصين في مجال علم مقارنة الأديان .د/ زهرة الدين طيب أدريس . ص ١٥٣

(١) القوميات المسلمة في الصين- تشونينغ - ص ٢ .

٤- أبرز من ألفوا عن الإسلام باللغة الصينية

قام بعض المثقفين من المسلمين الصينيين بتأليف بعض الكتب عن الإسلام باللغة الصينية ، ومن ضمن أولئك المؤلفين " وانغ داي يو " (١٥٨٤ -١٦٥٧) الذي ألف عدداً من الكتب منها كتاب " الأجوبة الصحيحة عن الحق " و " توضيح الدين الحنيف " كما ألف الكاتب " تشانغ تسونغ " (١٥٨٤-١٦٧٠) عدت كتب منها " الفصول الأربعة " و " علم العقائد " و " الأحكام العامة للرجوع إلى الحق وكذلك المؤلف " ماتشو " (١٦٤٠ – ١٧١١) صاحب كتاب " دليل الإسلام " هو يتحدث عن الموت والحياة ، وما بعد الموت من أهوال ، كما يتحدث عن كيفية تهذيب النفس البشرية .

وكذلك الكاتب " ما فوتشو " (١٧٩٤- ١٨٧٤) ألف عدداً من الكتب منها " هدف الحياة " و " أصول التقويم الهجري " والأقوال المأثورة لتوعية الناس " و " خلاصة الفصول الأربعة ، أما في الحقب اللاحقة فقد برز عدد من المؤلفين والمترجمين ، منهم الشيخ " محمد مكين " الذي عاش في العصر الحديث ، وما زالت ترجمته لمعاني القرآن الكريم ، هي الأكثر انتشاراً في الوقت الحاضر ، وكذلك " الشيخ عبدالرحمن ناشونغ " وقد جاوز ٩٥ عاماً ، وكذلك الشيخ " محمد صالح " الذي قام بترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اليوغورية ، وهو يجيد الشعر باللغة العربية الفصحى ، وقد القى قصائد كثيرة في مناسبا متعددة ، وكذلك الشيخ " نعمان " الذي قام بترجمة كتاب " اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان " إلى اللغة الصينية في مواصلة نشاطه في مجال الترجمة والتأليف ، والشيخ " محمود يوسف " الذي ألف كتاب " المساجد في الصين " و " الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين " باللغة العربية ، كما قام بترجمة كتاب " الإسلام في الصين " الذي كتبه السيد " فنغ جين يوان " إلى اللغة العربية[1] (وقد قابلته في سفارة خادم الحرمين الشريفين في بكين إبان زيارتي لها).

ولقد تنبه بعض علماء المسلمين في الصين إلى أهمية كتاب المعرفة الكبرى بين الكتب المقدسة في الكونفوشيوسية ، وخطورة نظرية المعرفة الكبرى منذ وقت مبكر ، وحاولوا أن يناقشوها حسب الموقف الإسلامي .

---

(١) حضارة الصين د . محمد عبدالرحمن البشر ص ٨٣-٨٤

ولذلك فلا غرابة أن أول كتاب ألف عن الإسلام باللغة الصينية من جانب العلماء المسلمين في هذه الأرض ، هو : كتاب المعرفة الكبرى الإسلامية وكان مؤلف هذا الكتاب الإسلامي شيخ الإسلام في الصين داود وانغ داي يو [٢] .

وكان من جملة العلماء المسلمين الذين لهم جهود طيبة مشكورة في نشر الثقافة الإسلامية في الصين من خلال قالب الثقافة الصينية [٣] .

٥- تأثر المسلمين بالمظاهر الكونفوشيوسية

لقد كان المسلمون يتصرفون – ككل الأقليات – بوعي وحذر شديدين فقد كانوا حريصين على ألا يظهروا بأي مظهر متميز عن الصينيين ، حتى لا يلفتوا الأنظار إليهم ، ولكي لا يتركوا انطباعا لدى الصينيين بأنهم " أجانب " وأثناء جولة في عدد من المدن والقوى الصينية لاحظت أن بعض المساجد بغير مآذن ، ووجدت مساجد مصممة على الطراز الصيني ، بحيث لا يمكن أن يميز الناظر إليها من الخارج بينها وبين أي معبد أو منشأة عامة في الصين .

من ذلك على سبيل المثال مسجد تشينغ تشن داسي (بيت ا العلي) في شيآن ، الذي يرجح أن يكون قد بنى في عصر أسرة مينغ (١٣٦٨ -١٦٤٤) منتصف القرن الثامن الميلادي .

وقيل إن سر عدم بناء مآذن فوق مساجد المسلمين ، يرجع إلى أنهم لجئوا إلى هذا الأسلوب مراعاة لشعور الصينيين ، وتجنبا لاستفزازهم ، وهم الكارهون بالطبيعة للأجانب .

وفي ثيابهم ومظهرهم كان المسلمون لا يتميزون في شيء عن الصينيين ، بل كانوا يذوبون بينهم ، حتى لا يكاد يعرفهم أحد لأول وهلة ، فاغطية رءوسهم ،

---

[٢] داود (وانغ داي يو) : ولد في سنة ١٥٨٤ م تقريبا ، وتوفي في سنة ١٦٧٠م ، أول من قام بتأليف الكتب عن الإسلام باللغة الصينية من جانب علماء الإسلام في أرض الصين ، واشتهر بأنه " العارف المسلم المتبحر بالأديان الأربعة " ، ومن أهم مؤلفاته كتاب المعرفة الكبرى الإسلامية ، وكتاب شرح الحق لدين الحق ، وكتاب إجابة الحق لمن أراد الحق (ملخصا من الموسوعة الإسلامية الصينية) لجماعة من الباحثين تحت رئاسة (وان باو بين) دار الطباعة للمعجم بمقاطعة سي تشوان ، سنة ١٩٩٤م ، ص ٥٨٠ .

[٣] كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشيوسية . زهرة الدين طيب إدريس ص ٣٣ .

وثيابهم الفضفاضة الواسعة ، وضفائر الشعر، هذه كلها كانت جزءا لا يتجـزأ مـن مظـاهر المسلمين في المسجد فقط كان الشيوخ يضعون العمامة ، والمصلون العاديون يرتـدون " الطاقية " البيضاء في الأغلب ، والسوداء استثناء .

وكان في كل مسجد لوح مكتوب عليه بالصينية عبارة تقول" دانغ جين هوانغ دي وان شوى وأن وأن شوى " ، وترجمتها : عاش الإمبراطور الحالي عشرة آلاف سـنة ... عشرة آلاف سنة ! أمام هذه اللوحة كان المسلمون ينحنون احترامـا ، جريـا علـى العـادة الصينية المتبعة ، وكانت لهم حيل عديدة في التخلص من ذلك ، إرضاء لضمائرهم وتفاديا من الاتهام بالوثنية .

حتى في بلاد التتار الصينية ، التي كان مباحا فيها للمسلمين امتياز خاص يخـولهم أن يعيشوا غير مندمجين في غيرهم ، وإن يكونوا طائفة منفصلة – كما يـذكر تومـاس ارنولد – كان كبار الموظفين من المسلمين يرتدون الزي المخـصص لمناصـبهم ، ويرسـلون شواربهم، وجدائل شعرهم ، ويقومون في أيام العطلة بما كان مفروضا على الموظفين من شعائر الولاء المعهودة لصورة الإمبراطور ، وذلك بأن يسجدوا لها ثلاث سجدات [١] .

وكذلك كان جميع أصحاب المناصب من المسلمين وغيرهم مـن المـوظفين فـي الولايات الأخرى يؤدون فـي أيـام الأعيـاد الـشعائر الخاصـة بوظـائفهم فـي معابـد كونفوشيوس [٢]، والواقع أن المسلمين احتاطوا كل الحيطة كي لا يظهر دينهم بمظهـر المعارض لدين الدولة ، وقد نجحوا- من أجل هذا – في تجنب الكراهيـة التـي كـان الصينيون ينظرون بها إلى أصحاب الديانات الأجنبية ، كاليهودية والمسيحية .

ويضيف أرنولد[١] أن المسلمين كانوا يصورون ديانتهم لمواطنيهم من الصينيين علـى أنها متفقة مع تعاليم كونفوشيوس ، مع فارق واحد، هو أن المسلمين يـسيرون وفـق تعاليم أجدادهم في الزواج ، والجنائز ، وغسل الأيدي قبل وجبـات الطعـام ، وتحـريم الخنزير والخمر والدخان ولعب الميسر ،وكذلك كانت مؤلفات المسلمين الصينيين تمجد كتب

---

[١] مجرد إنحناءات يفعلونها ظاهريا وليس في قلوبهم شيء من التعظيم والتبجيل . . .

[٢] مداراة وتقية ولكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان با تعالى .

[١] يجب أن أنبه هنا أنه لابد أن يأخذ القارئ المسلم كلام المستشرق أرنولد بالحيطة والحذر فلا يسلم بـه علـى إطلاقـه حيث جرت عادة المستشرقين حينما يتكلمون عن الإسلام اما أن يهاجموا مباشرة أو يشككوا أو يضعوا السم فـي العـسل وقد يكون كلام أرنولد من النوع الثالث . . .

كونفوشيوس وغيرها من الكتب الصينية، وتشير ما استطاعت إلى ما هنالك من الا تساق بـين ما في هذه الكتب الصينية وبين تعاليم الإسلام .[٢]

ومن مظاهر تأثر المسلمين في الصين بالكونفوشيوسية مسألة الحداد : على عـادة الكونفوشيوسيين أن يلبس البياض لموت الأقرباء حداداً عليهم ويقلـدهم بعـض المـسلمين الذين يسكنون مع الكونفوشيوسيين وقد لاحظت هذا عندما حضرنا صلاة الميت بالجامع الكبير في (متنيان) فيحرم بعض العلماء هذا التقليد لأنه تشبه بالكافرين وإسـراف فـي الأموال التي يجب أن يتصدق بها على الميت ، ويقـول الآخـرون أنـه حـلال لأن العـادة القومية لا مانع من مراعتها إذا لم تتعلق بالعقيدة .[٣]

بعض المفاهيم لدى المسلمين في الصين

لانعدام الصلات بالعالم الإسلامي أخذت مفاهيم الإسلام في الصين تتشكل بصورة خاصة ، وتختلط بالمعتقدات والتقاليد الصينية الوثنية القديمـة ، وأصـبح الإسـلام بالنـسبة للمسلم العادي مجموعة من الأسرار لا يعرفها إلا رجل الدين ، مما فتح الباب لنشأة ظـاهرة جديدة أقرب إلى " الكهنوت " وأفكار ومعتقدات غريبة عن الإسلام ،وأدى إلى انتشارها نقص الثقافة الإسلامية ، وعدم الإلمام الكافي باللغة العربية ، ولم يكن المصحف متوفرا .

وفي القرن العشرين ، في عام ١٩٣١ سافرت إلى مصر أول بعثـة مـن مـسلمي الصين للدراسة في الأزهر ، وكانت تضم خمسة من الشباب ، أوفدتهم " جمعيـة التقـدم الإسلامية " على نفقتها وكان بينهم عبدالرحمن ناجونج ، وكتب عبدالرحمن ناجونج مقالا باللغة العربية عن أحوال المسلمين الصينيين ، قال فيه " إن العلماء في الصين كانوا يبـالغون في ثواب النوافل فاشتغل المسلمون بها عن الواجبات ، فكان أكثرهم لا يصلون الفرائض ، ولا يصومون رمضان ، ولا يخرجون الزكاة ، ولا يؤدون فريضة الحج ، ويهتمـون بإقامـة المآتم ليقرأ فيها العلماء المسلمون بعض قصار السور من جزء عم ، أو جزءا من أجزاء القرآن ، ويصلون على النبي بالترجيع والتغريد ، ثم يجلسون إلى مائدة فاخرة ويتلقون الصدقات ، وإذا جاء مولد النبي ﷺ ومولد السيدة فاطمة أقاموا حفلة بصدقات المسلمين ، وعملوا

[٢] نقلاً عن الإسلام في الصين ، فهمي هويدي ص ٩٧- ٩٩ .

[٣] نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين - محمد مكين –ص ٧٦

الولائم في أروقة المساجد يحضرها المسلمون والمسلمات ليسمعوا القرآن والوعظ ، وعندما يحين وقت الصلاة يصلى بعضهم ، وبعضهم يأكلون ويشربون ، فلما أحس بعـض علمـاء المسلمين بخطورة هذه العادات نصحوا المسلمين بأداء الفرائض بدلا من النوافل ، وأخـذوا يحرمون الطعام والصدقة لمن يتلو القرآن ، فعارضهم المتعصبون والمنتفعون ، ووقعت الفتنة بينهم غير مرة ، وإن كانت الخصومة الآن أقل مما كانت بحمد ا " .

هذا الوصف لحال المسلمين في الصين في ذلك الوقت يكشف عن غيـاب الفهـم الصحيح للإسلام ، والاكتفاء بالظاهر ، حتى إن الزائر يلتقى بمسلمين لا يعرفون من الإسلام غير " السلام عليكم " ونتيجة انتشار المعابد البوذية تأثر المسلمون بها، فانتشرت ظـاهرة الأوليـاء وأضرحتهم . [1]

---

[1] رحلة الصين – رجب البنا – ص ٢٠٩-٢١٠

٦- بعض الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين التي درست الكونفوشيوسية أو تأثرت بها .

١- شمس الدين المؤلف المسلم الكبير

يعتبر شمس الدين من أشهر الساسة والعلماء في أواخر أسرة يوان (١٢٧٩ – ١٣٦٨)ألف كثيرا من الكتب يرجع أصله إلى بلاد العرب حيث هاجر جده إلى الصين في القرن الثالث عشر ، ثم أصبح موظفاً لأسرة إمبراطورية صينية في ذلك العهد ، إما أبوه فقد غرق في دراسة الكتب الكونفوشية طول حياته ، مستخفا بمصلحته الشخصية ، ومهتما بولائه وشهامته ، وغير مكترث بالمنصب الحكومي .

ولد شمس الدين عام ١٢٧٧ ، وقد ولع بالدراسة منذ نعومة أظفاره وكان قوى الذاكرة حتى أنه استطاع استذكار حوالي ١٠٠٠ كلمة من الكتب الكلاسيكية الكونفوشيوسية وهو بعد في التاسعة من عمره ، وعندما قارب العشرين تتلمذ على مشاهير العلماء ، وأصبح وأسع الإطلاع ، مما أسترعى اهتمام أهل موطنه .

لقد تأثر شمس الدين بأسلوب أبيه المتمثل في عدم الاكترات بالوظيفة الحكومية ، والميل إلى الحياة الهادئة التي يستطيع فيها الانهماك في قراءة الكتب ، وقد نزع إلى البحث في الكتب الكلاسيكية الكونفوشيوسية منذ بداية حياته .

٢- الشيخ هو دنغ تشو (١٥٢٢ –١٥٩٧) من مواليد شنشى، ولقبه مينغ بو كان أول من دعا إلى التعليم المسجدي الإسلامي في الصين ، وقد لقبه المتأخرون " أستاذ الأساتذة " تقديرا لجهوده وإسهاماته في نشر الإسلام في الصين .

وقد تعلم الكونفوشية منذ طفولته ، وبعد أن أصبح شابا عدل عنها إلى دراسة الشريعة الإسلامية على يد الشيخ الموقر قاو أحد أبناء ويبين أيضا ، وقطع شوطا كبيرا في هذا المضمار ، فأصبح متعمقا إلى حد ما في معاني القرآن الكريم وعلم التوحيد وأخذ على عاتقه نشر الدين الحنيف وكان من عادته أن يطعم جميع الوافدين لتحصيل العلم ويعلمهم بكل حماسة وعلى هذا النحو اضطلع الشيخ هو بمهمة نشر الدين في الصين .

٣- وانغ داي يوي أول مؤلف يعرف بالإسلام باللغة الصينية

لقبه وانغ يا ، وكنيته " تشن هوى لا ورن " (شيخ أهل هوى الحقيقية) وهو من مواليد نانجينغ من قومية هوى ، ولا يعرف بالضبط تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته ، ولكن بعض المؤرخين استدل على أنه ولد في عهد الإمبراطور وان لي (١٥٧٣ -١٦٢٠) مـن أسرة مينغ ، وتوفي في السنة الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة (١٦٥٧ – ١٦٥٨) مـن حكم الإمبراطور شون تشي في عهد أسرة تشينغ .

كان وانغ داى يوى من المثقفين ، وعلماء مرموقا في تـاريخ الـصين ، وأقـدم مؤلف ومترجم في التعريف بالإسلام باللغة الصينية .

وقد تلقى علوم الدين بصورة رئيسية قبل بلوغه سن العشرين ومن ثم أخذ يـتعلم اللغة الصينية ولكنه لم يستطيع أن يتعلم أكثر من قراءة الكتب الابتدائيـة وكتابـة الرسـائل العادية قبل بلوغه سن الثلاثين ، وبعد ذلك شهد تقدما ملحوظا في الدراسة ، مما مكنـه من دراسة " الكتب الفلسفية الكونفوشية والكتب التاريخية وكتـب المـذاهب المتنوعـة " دراسة منظمة .

ونتيجة جده واجتهاده إلى جانب ذكائه الفطري أصبح عالما بالأديان الأربعـة (الإسلام والمسيحية والبوذية والطاوية) وكان دائما ما يتجادل مع علماء مختلـف الأديـان والطوائف فيما يختص بمسألة نشوء الكون ، مستندا إلى امهات الكتب الإسلامية ومـستفيدا من وجهة النظر الإسلامية وكان يدون محتويات النقاش بينه وبين غيره في دفاتره وبعد سنوات من ذلك ازدادت تدويناته بالتدريج ، فأخرجها وانغ داى يوى في كتـاب تحـت عنوان " توضيح الدين الحنيف " .

ونظرا إلى كونه عالما متعمقا في الحضارة الإسلامية والحـضارة الـصينية فقـد استطاع تسليط الأضواء على الإسلام باللغة الصينية ، وكان ذلك حدثا منقطع النظيـر فـي حينه .

يضم كتاب " توضيح الدين الحنيف " ٤٠ فصلا ، ويقع في مجلـدين وقـد نقـل وانغ داى يوى كثيرا من المعلومـات مـن مختلـف المـصادر الموثقـة لنقـد التعـاليم الكونفوشية والبوذية والطاوية التي تخالف الإسلام متوصلا بذلك إلى توضيح وجهة النظر الإسلامية .

٤- العالم والمترجم المسلم وو تسون تشى

ولد وو تسون تشى (حوالي ١٥٩٨ – ١٦٩٨) في مدينة نانجينغ ، ولقبه تـسى شيان وهو عالم ومترجم صيني مسلم ، أنحدر وو تسون تشى من عائلة إسلامية وقد تعلم الكونفوشية منذ طفولته وقيل أنه حصل على درجة " شيوتساي " العلمية ولم يسع وراء الجاه والمال ، بل عزم على ممارسة الدراسات الإسلامية .

وقد ظل يشتغل بالأعمال العلمية والثقافية الإسلامية طيلة حياته ومن المرجح أنـه خلف وراءه مؤلفات وتراجم أخرى ، ولكن سوء ظروف الطباعة آنـذاك ربمـا حـال دون صدورها ، ومع ذلك ظل هذا العالم المحترم يحتل مكانة سـامية فـي ميـدان العلـوم الإسلامية الصينية .

٥- ما تشو (١٦٤٠ – ١٧١١) اسمه الإسلامي يوسف ، ولقبه ون بينغ ،وكنيته تشونغ شيو وهو من مواليد جينتشي (باوشان اليوم) بمقاطعة يوننان قيل أنه حفيـد للـسيد شـمس الدين _ أمير شيانيانغ في عهد أسرة يوان (١٢٧١ – ١٣٦٨) من الجيل الخامس عشر مـات أبوه وهو في السابعة من عمره ، وبرغم ما عاناه ماتشو من فقر وبؤس اتيحت له فرصة تعلم الكتب الكونفوشية وعندما كان في السادسة عـشرة مـن عمـره اجتـاز الامتحـان للحصول على رتبة " شيوتساى "(رتبة علمية في عهـد الحكـم الإقطـاعي الـصيني) وبعد سنتين من ذلك حصل على وظيفة بسيطة في بلاط الإمبراطور يونغ لـي . وفـي سنة ١٦٦٥ ترك وظيفته هذه ليشتغل بالتعليم وبفضل تعرف ما تشو على عدد غيـر قليـل من علماء الإسلام مال إلى دراسة العلوم والحضارة الإسلامية أكثر فأكثر وعلى الرغم من أن ما تشو لم يخلف وراءه مؤلفات في حقل العلوم الإسلامية عدا كتاب دليل الإسـلام إلا أن تأثيره الهائل جعله يدخل في مصاف مشاهير علماء الإسلام الصينيين .

٦- ليو تشي

لقبه جيه ليان ، وكنيته يى تشاى وهو من مواليد ناجينغ ، ولكن لا يعرف بالضبط تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته ، وقد استدل بعض المؤرخين علـى أنـه ولـد سـنة ١٦٦٤ وتوفي سنة ١٧٣٠ ، أنحدر ليو تشى من عائلة عالم إسلامي شهير كان والده ليو سان جيه ضالعا في الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية ، كما كان صديقا حميما لما تـشو العـالم الإسلامي الصيني ومؤلف كتاب " دليل الإسلام " والذي تحدثنا عنه سابقاً.

بدأ ليو تشى في تلقى التعليم الإسلامي الابتدائي منـذ طفولتـه ثـم أمـضى ٨ سنوات في دراسة الكتب الكونفوشية بدءا من الخامسة عشر من عمره ، ثم عـدل عنهـا

إلى دراسة الكتب الإسلامية مدة ٦ سنوات على يد الشيخ لي يونغ شو والـشيخ يـوان رو تشى اللذين كانا من علماء الإسلام المرموقين آنذاك كما سبق لـه أن درس الكتـب البوذيـة والطاوية والكتب الغربية أيضا .

ويقال بأن عدد تراجم ليو تشى يبلغ مئات المجلدات وصفوة القول أن ليـو تـشى قد تفوق على علماء الإسلام الأولين في الصين من حيث كثر تراجمه وسـعة محتوياتهـا ولكن ما بقى من تراجمه هذه حتى الآن لا يمثل إلا عشرها فقط .

٧- دو ون شيو قائد انتفاضة أبناء قومية هوى

إما لقبه فكان يوان هوان ، وكنيته باى تشون أنه من مواليـد قريـة شانغتـسون (١٨٢٧ -١٨٧٢) بمحافظة باوشان التابعة لولاية يونغشانغ من مقاطعة يونان وهو مـسلم من قومية هوى من عائلة فقيرة وقد أصبح قائدا لانتفاضة أبناء
قومية هوى في يونان في الفترة ما بين سنة ١٨٥١ وسنة ١٨٧٢ .

تبنته خالته وكانـت ميـسورة الحـال فألحقتـه بكتـاب خـاص لتلقـى التعـاليم الكونفوشيوسية وكان ذكياً وجاداً في الدراسة فاجتاز امتحان " شيوتساى " وهو في السادسة عشرة من عمره ، وكان دو ون شيو موضع التقدير العالى لدى أهل بلـده لبراعته في الإنشاء وعلم الخط من جهة ، وبسبب موقفه الواضح بين العدل والظلم وبين الحق والباطل ونصرة المظلومين على الظالمين من جهة أخرى .

لم يكن ما ليان يوان يكتفي بتعليم طلابه الكتب الإسلامية المؤلفة باللغتين العربيـة والفارسية ، بل كان يعلمهم أيضا المواد الدراسية المكتوبة باللغـة الـصينية، وبهـذا كـان مضرب المثل في الاهتمام بالحضارتين الإسلامية والصينية في آن واحد.

أما في الماضي فكان المتعلمون المسلمون من قومية هوى إمـا مـن دارسـي الكونفوشيوسية الذين لا يعرفون شيئا عن الإسلام ، وإما من دارسي الكتب الإسلامية باللغتين العربية والفارسية الذين لا يعرفون من قراءة اللغة الصينية أو كتابتهـا إلا القليـل ، أو أنهـم يجهلونها تماما ، وكان هذا الوضع في أمس الحاجة إلى التغيير .

وعليه فإن تعليم ما ليان يوان على هذا النحو كان في حد ذاته تجديدا للتعلـيم الإسلامي الصيني ، كما كان محاولة موفقة لتدريب الطلبة في مقاطعة يونـان علـى الحضارتين الإسلامية والصينية وقد عادت جهوده في هذا المضمار بنتائج إيجابية .

٨- ما تشى تشى

لقبه قونغ هوى ، واسمه الديني يحيى وهو من مواليد محافظة لينتان سنة ١٨٥٧ درس إبجدية المعارف الإسلامية في طفولته وعدل عن ذلك إلى دراسة التعاليم الكونفوشية وهو في الحادية عشرة من عمره ، وقد حصل على الدرجة العلمية " شيوتساى " بعد أن اجتاز الامتحان الرسمي في مدينة قونغتشانغ ١٨٨٠ .

ولكن لم يكن له رغبة في الحصول على وظيفة حكومية ، فتفرغ لدراسة مختلف أنواع المؤلفات الإسلامية المجازة على أيدى الشيخ ليو جيه ليان (أى ليو تشى) وعلماء الإسلام الآخرين وفي سنة ١٨٩١، وعندما كان في الرابعة والثلاثين من عمره ، أسس مدرسة خاصة في موطنه شيفنغشان حيث علم الكونفوشية بصورة رئيسية ، وفي الوقت ذاته قام بنشر التعاليم الإسلامية استنادا إلى مؤلفات علماء الإسلام الصينيين المكتوبة باللغة الصينية .

وكانت دعوة ما تشى شى إلى الإسلام المخالفة للعادة مثار نقد لأن ما كان يستند إليه في توضيح أحكام الإسلام ليس الكتب الإسلامية الحقيقية باللغة العربية ، ولا يستطيع أن يبين حقائق الإسلام بصفته مثقفا كونفوشيا .

وقد حاول ما تشى شى المتعمق في الحضارة الصينية إحلال الكتب الإسلامية باللغة الصينية محل مثيلاتها بالعربية في الدعوة إلى الإسلام .

٩- العالم الإسلامي بانغ شى تشيان

بانغ شى تشيان (١٩٠٢ -١٩٥٨) ، ولد لعائلة مسلمة فقيرة في قرية سانغيره بمحافظة منغشيان من مقاطعة خنان ، أخذ بانغ شى تشيان منذ اليوم الرابع في الشهر الرابع في السنة الرابعة من عمره يتلقى تربية إسلامية أولية في أحدى المدارس الإسلامية بقريته وأثر ذلك قرأ الكتب الكونفوشية .

ولما بلغ رشده عدل عن دراسة الكونفوشية إلى دراسة العلوم الإسلامية على أيدي مشاهير العلماء ، وفي الرابعة والعشرين من عمره سنة ١٩٢٦ شارك في تأسيس دار الدراسات الإسلامية في مدينة تشنغتشو بمقاطعة خنان وبالإضافة إلى اتخاذ هذه الدار دراسة العلوم الإسلامية هدفا هاما لها افتتحت دورات دراسية للكهول والنساء ومدرسة ابتدائية إسلامية ، مما أتاح للمسلمين والمسلمات وأولادهم فرصة الدراسة، ويعتبر ذلك مشروعا عظيم الشأن في ظل الظروف التاريخية آنذاك .

وفي سنة ١٩٣٨ أبحر بانغ شى تشيان إلى مصر للالتحاق بجامعة الأزهر على رأس بعثة من الطلاب الصينيين تتكون من ١٦ طالبا ، وقد عانى ما عاني من مشقات السفر

الطويل ، وعلى الرغم من أنه قد ناهز الأربعين من عمره إلا أنه تفانى في تحصيل العلم بعزيمة مثيرة للإعجاب، مما وسع افقه العلمي بحيث أصبح عالما إسلاميا فذا في الصين .

١٠- العالم الإسلامي محمد مكين

محمد مكين (١٩٠٦ – ١٩٧٨) اسمه الآخر ما يوى شو ، ولقبه تسى شى وهو من قرية شاديان بمحافظة منغتسى من مقاطعة يونان .

التحق محمد مكين بمدرسة جيجيه الابتدائية واخذ يتلقى تربية إسلامية في موطنه كما أقبل على دراسة اللغة العربية والمعارف الإسلامية .

وتتلمذ على يد عدد من العلماء في الصين ثم سافر في أول بعثة للطلبة الصينيين إلى مصر وبعد أن حط رحاله في مصر دخل إلى جامعة الأزهر وأثر ذلك انتقل إلى دار العلوم ،حيث أمضى ثمانى سنوات تفانى خلالها في دراسة القرآن الكريم وعلم التوحيد واللغة العربية وتاريخ الإسلام ، وقطع بذلك شوطا كبيرا في تحصيل العلم . وفي سنة ١٩٤٦ استقدم محمد مكين إلى جامعة بكين حيث عمل أستاذا للغة العربية طيلة ٣٢سنة ، كما تفرغ محمد مكين لدراسة العلوم والحضارة الإسلامية طوال حياته فقد ألف " موجز أحوال الإسلام في الصين " و " سيف محمد عليه السلام " وغيرهما من المؤلفات كما ألف بالتعاون مع زملائه مواد دراسية لتعليم اللغة العربية .

وخلال وجوده في مصر صمم على ترجمة أمهات الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية ، وترجمة الكتب الصينية الشهيرة إلى اللغة العربية ، فحقق أخيرا ما صمم عليه فخلال خمسين سنة من عمله في الترجمة انجز عدد كبير من الكتب القيمة ، ومن تراجمه من اللغة العربية إلى الصينية : " معاني القرآن الكريم " و" رسالة التوحيد " و " الرسالة الحميدة في حقيقة الديانة الإسلامية " و " الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية " و " العقائد " و " منهاج التقويم الهجري " ..... الخ .

ومن تراجمه من اللغة الصينية إلى اللغة العربية : " الحوار " (من كتب الكونفوشيوسية) و " الإساطير الصينية القديمة " و " أمثال الصين القديمة " .... الخ ومن تراجمه من اللغة الإنجليزية : " تاريخ علم الكلام الإسلامي " و " تاريخ التعليم الإسلامي " و " تاريخ العرب العام " و " موجز تاريخ العرب " وبالإضافة إلى ذلك أشرف على تأليف " معجم العربية الصينية " .

لقد أمضى محمد مكين عشر سنوات في ترجمة معاني القرآن الكريم ولقد جاءت ترجمته لمعاني القرآن الكريم التي نشرت سنة ١٩٨١ نتاجا لجهوده الدؤوبة ، وأثناء

عمله أستاذا في جامعة بكين كان له جهد كبير في تطوير التعليم كما أنه كان مضرب المثل في الاستقامة والجد في المعاملة والعمل ، وإن خصاله الحميدة وكفاءته العلمية وإسهاماته الهائلة في خدمة الإسلام وفي التبادل الثقافي بين الصين وبلاد العرب ستظل خالدة مدى التاريخ .

١١- المؤرخ الكبير باي شو يى

اسمه باى شو يى(١٩٠٩ – ٢٠٠٠) وأسمه الإسلامي كمال الدين وهو من مواليد مدينة كايفنغ في مقاطعة خنان ، وقد تعلم شيئا من اللغة العربية والآيات القرآنية من عمة أبيه منذ طفولته بحيث تلقى التربية الإسلامية وحين أصبح يافعا بدأ بدراسة الكتب الكونفوشية .

في حياته العلمية الممتدة أكثر من نصف قرن ركز - إضافة إلى تعليمه تاريخ الصين العام وتاريخ علم التاريخ الصيني وتاريخ المواصلات بين الصين والبلدان الأخرى - على ممارسته الدراسات العلمية بهمة عالية وتأثرا بعائلته ظل يحب قوميته المسلمة ويهتم بتاريخها وتطورها منذ طفولته .

وهذا ما دفعه إلى خوض غمار الدراسات الخاصة بتاريخ الإسلام وتاريخ قومية هوى وقد كان باي شو يى هو أول من قام بتأليف الكتب الخاصة بتاريخ الإسلام في الصين وتاريخ قومية هوى على أساس منهج .

ونشر عددا كبيرا من الأبحاث الخاصة بتاريخ قومية هوى والإسلام في الصين، وفي الفترة ما بين سنة ١٩٦١ و ١٩٦٥ قام بتوصية من وزارة التربية والتعليم بتأليف المواد التعليمية الخاصة بتاريخ علم التاريخ الصيني كما نشر سلسلة من المقالات حول هذا الموضوع ، مما ترك تأثيرا كبيرا وسط المؤرخين، وكانت جهوده هذه في حد ذاتها مفتاحا لباب تاريخ علم التاريخ في الصين .

وعلاوة على ذلك قام بمراجعة وتدقيق " ٢٤ سجلا تاريخياً " مسهما بذلك في تنقية تراث علم التاريخ الصيني ، انتخب نائبا لرئيس الجمعية الإسلامية الصينية أكثر من مرة ، ودعى إلى حضور الملتقيات العلمية مرارا بصفته مؤرخا مسلما .[١]

٧- الحرية الدينية والمسلمون :

---

[١] الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين - محمود يوسف ١٩- ١٦٩ .

الحرية الدينية أو بالأصح سياسة التسامح الديني التي تعتبر أحد أوجه سياسة الانفتاح الصيني الحديث ، هي حرية نسبية مثل الحريات الفردية الأخرى فالفرد حر في أن يمارس شعائر دينه التي تقتصر على الناحية الفردية المعتادة مادامت هذه الممارسـة لا تتعـارض مع سياسة الدولة ، مثل الصلاة في المساجد والجوامع التي أعيد افتتاحها للمسلمين منـذ بضعة أعوام بعد سنوات طويلة من الإغلاق والتهجيـر ، وتمكـن المـسلمون مـن تـرميم وإصلاح بعض المساجد التي عبثت بها أيادي التخريب والتدمير خلال الثورة الثقافية .

كما أعادت بعثات الحج سيرتها الأولى منـذ عـام ١٧٩٧م ، وعـادت العلاقـات والزيارات الإسلامية بين مسلمي الصين ممثلة في الجمعية الإسلامية الصينية ومختلف الهيئات الإسلامية على النطاق الرسمي ، وعادت المصاحف والكتب الإسلامية إلى التداول بعـد أن كانت معدومة نتيجة مصادرتها من أيادي المسلمين وإتلافها بالحرق أثناء الثورة الثقافية . (٢)

(٢) داخل أسوار الصين – ج ١ – محمد بن ناصر العبودي ص ٢١ -٢٧.

٨- حاضر الإسلام في الصين

نعم إن الكيان الإسلامي لا يزال حيا لم يمت ، يشهد أن لا إله إلا ا وأن محمداً رسول ا ، تراه في المساجد أحياناً ، وفي الجنازات والمدافن أحياناً ، وفـي حفـلات طهـور الأطفال والزفاف والأعياد كثيرا ، لكن الجراح والعاهات ومسيرة الأحزان غيرت منه الكثير .

هدت قواه وبدلت ملامحه ولم يبق فيه سوى القلب ، وباتت حالته فريدة مـن نوعها ، كأي جسد تلفت أعضاؤه وتعطلت وظائفه وماتت خلاياه، ولكن شاءت حكمـة ا أن يظل نبض القلب فيه مسموعا ، تتردد دقاته ، متحدية كل حسابات العقل والعلم .

لماذا ظل الإسلام محصوراً :

إن السؤال الذي يطرح نفسه – بعد هذه الرحلة – هو : لماذا ظل الإسلام محصوراً في إطار تلك القوميات العشر ، لم يتجاوزها ولم يتقدم أبعد من حدودها ؟

لقد راودت بعض المسلمين قبل قرون فكرة أن تصبح الصين دولة مسلمة ، وربمـا كان الشاة رخ بهارد واحدا من هؤلاء الذين خطر لهم هذا الحلم في أوائل القرن الخـامس عشر الميلادي ، عندما كتب إلى أحد أباطرة أسرة مينغ يدعوه إلى تطبيق الشريعة " لنيل سلطان الآخرة بدلا من سلطان الدنيا" .

وهذا الخاطر شغل البعثات التبشيرية كلها التي ذهبت إلى الصين خـصوصاً فـي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهو أيضاً ظل شاغل كتاب الغرب ومؤرخيه الـذين عنـوا بالصين ومستقبلها .

وكان الكاتب والرحالة الروسي فاسيليف – الذي زار الصين في ١٨٦٧ موفدا مـن قبل حكومة القيصر لتقصي أحوال الصين – قد كتب يقول إن الإسـلام مهيـأ لأن يـصبح الدين القومي للإمبراطورية الصينية ، ولأن يقلب تبعا لذلك الأوضاع الـسياسية فـي العـالم الشرقي راسا على عقب وكان مما قاله إنه " إذا انتشر الإسـلام فـي الـصين ، كمـا انتـشر مذهب بوذا ينقلب العالم " .

ولكن المستشرق توماس ارنولد يعقب – في كتابه الدعوة إلى الإسـلام – علـى هذا الكلام بقوله : وقد مر ما يقرب من نصف قرن على هذه " النبوءة المزعجة " ، ولم يحدث ما يحقق التكهنات التي تضمنتها بل على العكس من ذلك يبدو أن الإسـلام كـان خلال القرن الآخير – التاسع عشر – آخذا في التأخر بلاد من التقدم .

وتوماس أرنولد الذي عرف أنه عالماً راسخاً ومدققا يتخلى عن حيـاده العلمـي عندما يتعلق الأمر باحتمال – مجرد احتمال – أن تصبح الصين بلدا مسلما ، وهو عندما يصل

إلى هذه النقطة نشم في حديثه رائحة التعصب ، الذي لا يرى في فكرة انتشار الإسـلام في بلد عند آخر أطراف المعمورة سوى أنها " نبوءة مزعجة " ! .

المهم أن ذلك لم يحدث ،وهو أمر يثير الدهشة والغرابة والتـساؤل : لمـاذا تعثـرت خطى الإسلام في الصين ، وهو الذي غرست بذوره هناك منذ ١٣ قرنا ؟

يطول الشرح في الرد !

ما سبب ما آل أليه حال المسلمين في الصين

بعض ما ذكر من ملامح يرسم جانباً من الصورة التي آل إليها أمـر المـسلمين فـي الصين ، ولن نستغرب ذلك على الإطلاق ، إذ تذكرنا أن قنوات المعرفـة الـسليمة بالإسـلام مغلقة تقريبا منذ سنوات طويلة ، فمنذ عام ١٩٣٧، وحتى سنة ١٩٨٠ لم يتيح لأحد مـن المسلمين أن يدرس علوم الدين في أي معهد أو جامعة خارج الصين .

نعم ، هناك صينيون أوفدوا للدراسة في الجامعات العربية ، ولكنهم جميعاً ذهبوا لدراسة اللغة العربية فقط ، وهم يختارون بدقة لأنهم سيعملون عـادة بالترجمـة فـي مواقع هامة وحساسة بالدولة والحزب حين عودتهم ، الأمر الذي بسببه يستبعد المسلمون من مثل هذه البعثات .

الفرصة المتواضعة الوحيدة التي أتيحت للشبان المسلمين لدراسة علوم الدين كانـت خلال السنوات الأربع التي فتحت خلالها أبواب المعهد الإسلامي ببكين ، حتى تخرج منـه مائة شخص فقط ، وزعوا على مختلف الوظائف والمهن ، وبعضهم يعمل في فـروع الجمعية الإسلامية .

وإذا تذكرنا أن أكثر كتب المسلمين أحرقت خلال سنوات الثورة الثقافية، ممـا أدى إلى نقص فادح في مصادر المعرفة الأخرى ، حتى وأن كانت محفوظة وبالية ، فإننا نستطيع أن نستقبل الواقع الراهن بصدمة مبررة ، إذ هـل نتوقـع أي قـدر مـن الفهـم الصحيح للإسلام ، حتى في حده الأدنى ، بينما أجيال الشيوخ القدامى انقرضت أو فـي سبيل الانقراض ، والأجيال التالية سدت أمامها أبواب المعرفة والدراسة ؟ وحتى المـصاحف وكتب الفقه ذاتها اندثر معظمها ، ذلك فضلا عن أن المناخ العام السائد مناهض بطبيعتـه لأي فكرة أو ثقافة دينية .

ألا نظلم مسلمي الصين إذا طالبناهم بأن يكونوا أفضل مما هم عليـه الآن ؟ أليـست الصدمة مبررة ، كما قلت ؟ !

بعض ما ورد في ثنايا الكتب العربية العتيقة من كلام بعض المسلمين القدامى عن أوصاف أهل الصين

(حيث كشفت عن نظر ثاقب ومعرفة مبكرة بأحد أوجه الشخصية الصينية).

" في واحدة من ليالي " الإمتاع والمؤانسة " التي شهدها بلاط الوزير ابن سعدان ، قبل حوالي ألف عام ، سأل الوزير جليسه أبا حيان التوحيدي عن المفاضلة بين العرب والعجم ، فقص أبو حيان عليه قصة حوار جرى بين جماعة وبين ابن المقفع الذي لم يخف حرجه من هذه المفاضلة ، وهو الذي ينتسب بأصله الفارسي إلى أعاجم المسلمين ، ويسجل أبو حيان في كتابه الشهير أنهم بعد أن تحاوروا في تلك المفاضلة ، مضوا يسألونه عن أحوال العجم ، باعتباره أعرف من غيره بهم، وعندما سألوه عن أهل الصين ، كان جواب ابن المقفع أنهم : " أصحاب أثاث وصنعة، لا فكر لها ولا روية " [١] .

وفي تلك الفترة ، القرن الخامس الهجري ، كتب القاضي أبو القاسم صاعد الأندلسي مؤلفه " طبقات الأمم " ، وعد فيه الصين والترك من الأمم التي لم تعن بالعلوم ، وقال عن الصين أنها : " أكثر الأمم عددا، وأفخمها مملكة ، وأوسعها دارا ،ومساكنهم محيطة بأقصى المشارق المعمور ما بين معدل النهار إلى أقصى الأقاليم السبعة في الشمال " ثم قال إن " حظهم من المعرفة التي بزورا فيها سائر الأمم إتقان الصنائع العملية ، وأحكام المهن التصويرية ، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ، ومقاساة النصب في تحسين الصنائع "[٢].

وفي " مروج الذهب " (جـ١) كتب المسعودي يقول تحت عنوان " حذاقة أهل الصين " : إن أهل تلك البلاد من أحذق خلق ا كفا بنقش وصنعة وكل عمل ، لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم [٣] . وقد استخدام المسعودي نص الكلمات التي دونها أبو زيد السيرافي في القرن الثالث الهجري في رسالته التي حملت عنوان (من أخبار الصين والهند) .

وقد بلغ ذلك الحذق حدا أدهش ابن بطوطة عندما زار الصين ، وعاد يروي : أن أهل الصين أعظم الأمم أحكاما للصناعات وأشدهم اتقانا فيها ، وذلك مشهور من حالهم ،

---

[١] أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، جـ ١ ، ص ٧١ ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين .

[٢] القاضي أبو القاسم ، صاعد بن أحمد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص١٠ – ط السعادة .

[٣] المسعودي ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص ١٦٥ .

وقد وصفه الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيه ، وأما التصوير فـلا يجـاريهم أحـد فـي أحكامه من الروم ولا من سواهم فإن لهم فيه اقتدار عظيما ، ومن عجيب ما شاهدت لم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة في مدنهم ثم عدت إليها ، إلا ورأيت صورتي وصـور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد ، موضوعة في الأسواق [١].

هذه الملاحظات ، التي وردت في ثنايا الكتب العربية العتيقة ، لا تكـشف فقـط عن نظر ثاقب ولكنها تكشف أيضا عن معرفة مبكرة وجيـدة بأحـد أوجـه الشخـصية الصينية ، وهي معرفة لم تتوفر في ذلك الزمن البعيد للباحثين والمفكرين الغربيين الـذين لم يجدوا إشارات ذات قيمة عن بلاد الصين وأهلها فيما كتبه اليونان والرومان .

حتى إن هناك من يقول بأن أول معرفة حقة بالصين نقلت إلى أوروبا مـن خـلال ترجمة الكتابات العربية [٢] وليس ذلك مستبعدا ، خصوصاً أن العرب والفـرس كـانوا هـم واسطة الانتقال والتبادل بين الصين ودول حوض البحر الأبيض وأوروبا، منـذ عـصر طريـق الحرير ، فضلا عن أنه من الثابت أن صناعة الورق نقلت من الصين إلى أوروبـا عـن طريـق العرب .

ولم تذهب الدراسات التي قامت بها الأوروبيون في العصر الحديث حـول الـصين وشعبها بعيدا عن جوهر ما ذهب إليه ابن المقفع وصاعد الأندلسي والمـسعودي وابـن بطوطة .

لماذا تعثرت خطى الإسلام في الصين رغم أنه وصل إلى تلك البلاد قبل ١٣٠٠عام ؟

هناك حواجز طبيعية حالت دون انتشار الأديان السماوية كافة – والإسـلام بينهـا – تتمثل في الموقف النفسي الصيني الرافض لفكرة الغيب وعالم ما وراء الطبيعة ، بما في ذلك وجود ا   سبحانه وتعالى ، والرافض أيضاً لأي فكـر قـادم مـن الخـارج ، وهـو الموقف الذي ترجمه شعارهم الدائم " لا دين غريب في الصين " .

ثم إن هناك حواجز مصنوعة ، تتمثل في سياسة الحكومة المتعاقبة تجاه المسلمين ، قبل التحرير وبعده هي السياسة التي أدت إلى حصار المسلمين وقمعهم، كما أدت إلى عزلهم وتجهيلهم بدينهم .

---

[١] رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٣٠ .

[٢] محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، ص٦٠١ .

لهذه الأسباب تعثرت خطى الإسلام في الصين ولم يتقدم كثيرا على أرضها طوال الثلاثة عشر قرنا الماضية .

على أن ما ينبغي أن نلاحظه في هذا الصدد إن الإسلام الذي عاش في الصين – حتى في ذلك النطاق المحدود – وضع أيضا في القالب الصيني العتيد ، وأصابه ما أصاب البوذية القادمة من الهند ، والماركسية التي نبتت في أوروبا الغربية وأثمرت في الاتحاد السوفيتي، وأعني بذلك " تصيين " الفكرة وتشكيلها على نحو يناسب البيئة المحلية وذلك لا يعد فقط تعبيرا عن " عبقرية التجانس " و " قوة الامتصاص النادرة " التي تتمتع بها الصين ، ولكنه يعد أيضا تطبيقا عمليا لشعار: لا دين غريب في الصين .

لقد مر بنا كيف أنه تم " تصيين " الأسماء الإسلامية ، ثم كيف تحول -أحيانا- الإسلام عند مسلمي الصين إلى مجموعة من الطقوس والرموز ، التي تجسدت عند كثيرين منهم – قومية هوي بوجه أخص – في مجموعة من الأبنية والهياكل المحسوسة ، مسجد ومطعم ومدفن ، ولا أثر له يذكر خارج هذه الدوائر الثلاث ، إلا في إطار التقاليد مثل الزواج والختان .

وتلك خطوات أخرى على طريق التصيين ، فالمسجد هو " المعبد" عند الصينيين منذ الأزل ، وأن اختلف فيه " الهيكل " وبعض التفاصيل ، وعندما بني على الطراز الصيني فلم يعد هناك فارق يذكر يميزه عن أي مبنى أو منشأة صينية أخرى ، والمطعم مسرح لممارسة " طقوس " الإسلام في تناول الطعام بالامتناع عن لحم الخنزير ، ثم لا يمكن أن يحتل المدفن والرحلة إلى الآخرة هذا الاهتمام الزائد عن الحد عند مسلمي الصين ، دون أن يكون للطقوس والتقاليد القديمة السائدة دور في ذلك .

وإذا كانت عبادة السلف وعظماء الرجال من أركان عقائد الصينيين القدامى ، فإننا نجد في هذا السلوك تفسيرا لاهتمام المسلمين الملحوظ هناك سواء بالأضرحة ، أو بإحياء ذكرى الميت في اليوم الثالث للوفاة ، وبعد أسبوع ، ثم بعد أسبوعين ، وفي ذكرى الأربعين ، وفي كل عام ، ثم أحياء الذكرى على نطاق أوسع في العام العاشر ، وهو ما سبقت الإشارة إليه .

إن تعظيم الأموات على هذا النحو المبالغ فيه عند بعض المسلمين هو في حقيقة الأمر شاهد لا يخطئ على عمق تأثير عقائد الصين القديمة على الصورة التي تشكل بها الإسلام في الصين .

ولا تخلو الكتابات التي تتناول عقائد الصين من ذكر ظاهرة انتـشار القبـور الكبيـرة التي بنيت لعظماء الرجال في الأزمنة القديمة ، حتى أعاقت شق الطرق وفلاحة الأرض ، الأمر الذي مهد الطريق لقبول فكرة إقامة الأضرحة " للعظماء " من رجال الدين المسلمين ، واستمرار هذه الظاهرة إلى الآن ن وإن تقلص حجمها.

إن اختصار الإسلام في هذه الطقوس والهياكل هـو " التـصيين " بعينـه ، وهـي الصيغة التي بات بها الإسلام جزءا من المجتمع الدنيوي ، ذي القـيم الإيجابيـة العمليـة ، الذي يستخدم " الكف والصنعة " في كل شيء .

ولعل كل هذا راجع إلى محاولة المسلمين مداراة غيرهم مـن الكونفوشيوسـيين واصحاب الديانات الأخرى حتى يتفادوا خطر المواجهة والعنف من جانب هـؤلاء . كمـا اشرت إلى ذلك من قبل . وربما كان هذا التشكيل هو الصيغة التي أمكن بواسطتها نفـى صفة "الغربة " عن العقيدة الواردة ، وإسقاط شعور العداء والرفض مـن حولهـا ، الأمـر الذي كان بمثابة شرط ضمني لمنح الإسلام سمة الدخول والإقامة فـي ذلـك المجتمـع المنغلق والفريد !

الوجود الإسلامي في الصين

إن مسألة الوجود الإسلامي في الصين هي القضية العاجلة والملحة كيف يمكـن أن يحال دون انقطاع أسباب استمراره ، وكيف يمكن أن يصحح فهم المـسلمين لـديهم ؟ وكيف يمكن أن يتوفر لهم وضع صحي مستقر ، يحميهم من تقلبات " خـط الحـزب " ، وهو أمر وارد باستمرار؟ هذه الأسئلة وأشباهها ، هي ما ينبغي أن ننشغل به .

وأشد على الصين دون غيرها من الدول الشيوعية ، لأن الظروف المسلمين هناك أسـوأ كثيرا من ظروفهم في تلك الدول .

مد الجسور

إن مد الجسور بين العالم العربي والإسلامي وبين مسلمي الصين هو الخطوة الأولى والواجبة في السعي لبلوغ هذا الهدف ، وفوق هذه الجسور يمكن أن تعبر البعثات الدراسية والكتب والحجاج والوفود التي تشارك في مختلف النشاطات الإسلامية من ندوات ومؤتمرات .

وثمة عنصر هنا يجب ألا نغفله ، وهو أن القوى الغربية الكبرى مازالت حريصة على توسيع الفجوة ، أو الجفوة ، بين العالم العربي والصين ليس حماية للإسلام بكل تأكيد ،ولكن حماية لمصالحها وحرصا على احتكار الجسور مع العالم الإسلامي والعربي .

ومع ذلك فإن القدر الأكبر من الجهد مطلوب على الجانب الصيني الذي ينفتح الآن على العالم العربي بصورة أوسع ، لأسباب سياسية أو اقتصادية الأمر الذي يهيئ أرضية من التفاهم وحسن الظن تسمح بالاتفاق على منح دراسية لأبناء مسلمي الصين ، أو توفير كتب المعرفة الأولية بالدين للمساجد وفروع الجمعية الإسلامية الصينية في مختلف المقاطعات أو إيفاد مبعوثين لإرشاد المسلمين وتصحيح مداركهم ، وقراء يتلون على مسامعهم كتاب ا ، وهم الذين انفجر ممثلوهم باكين عندما سمعوا بعض آيات القرآن الكريم لأول مرة بعد الثورة الثقافية في افتتاح مؤتمرهم الذي عقد في إبريل من عام ١٩٨٠م.

إن المعرفة الصحيحة بالإسلام هو المطلوب ، وهو حد شديد التواضع في درجات ممارسة الحرية الدينية ، وهو جهد تستطيع أن تسهم فيه الوفود العربية التي تروح وتجيء من بكين على مدار كل عام كما يستطيع صندوق التضامن المتفرع عن المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي أن تفعل الكثير في هذا الصدد . إن هناك الكثير مما يمكن أن يفعل لإنقاذ الإسلام من الاندثار في الصين ، لكن المشكلة الحقيقية أنه لم يعد هناك من تشغله مثل هذه القضايا بشكل جاد إذا استثنينا بعض المبادرات .

إن الجهد متوفر ، لكن القصور في الهمة ومحنة مسلمي الصين لم تعد خافية معالمها على أحد ، لكن السؤال هو من يمد يد العون لهم ، وينتشلهم من ذلك المصير المحزن الذي يتهددهم ؟

إن غيرة أفراد معدودين قد تزيدهم ثوابا عند ا ، لكنها لن تغير شيئا من واقع مسلمي الصين ، بينما تحرك ثقل سياسي واقتصادي لعدد محدود من الدول العربية ذات المصالح المتنامية مع بكين يستطيع أن يثمر الكثير ، خصوصا وإن المطلب متواضع للغاية

كما ذكرت : أن يتاح لمسلمي الصين أن يعرفوا ا بعد إذ آمنوا به ! . وهذا الذي يجرى في الصين ينبغي أن ينبهنا إلى المأزق الحقيقي الذي يعيش فيه ملايـين المـسلمين فـي أطراف العالم الإسلامي ، الذين يعانون من نقص فادح في المعرفة بالدين ، إما لبعـدهم عن العالم العربي، الذي لا يختلف على أهمية دوره في التوجيه الإسلامي وإن تقـاعس عن مسئولياته ، وإما لظروف سياسية معينة يعيشون في ظلها ، وإمـا لإهمـال المؤسـسات الثقافية الإسلامية في بلادنا وعدم اكتراثها بمسئولياتها تجاه هذه المجموع المسلمة .

إن الإسلام يتقلص في هذه المناطق النائية الأسـيوية والأفريقيـة ، ويـشكل فـي قوالب وأشكال جديدة تختلط فيها البدع بالمعتقدات والتقاليد المحلية ، حتـى ليتبـدى في صورة يقال لها الإسلام ، وهي ليست من الإسلام في شيء .

وهو أمر مدهش وغريب حقا ، أن يتوجه القدر المتـاح فـي زماننـا مـن النـشاط الإسلامي إلى أوروبا والولايات المتحدة ، حيث معاقل المسيحية واليهوديـة ، ولا يلتفـت بأي قدر لملايين المسلمين القابضين على الجمر حينا والجهل أحيانا ، فـي أطـراف القـارتين الأسيوية والأفريقية .

إن الذين أزعجتهم نبوءة " أسلمة " الصين ، لابد أنهم سعدوا عنـدما بلغهـم نبـأ " تصيين " الإسلام ، وأكثر ما أخشاه أن تتكرر في بقية البلاد الأسيوية والأفريقية قصة الإسـلام في الصين وما انتهى إليه حاله فيها .

نعم إن كتاب ا يحفظه ا ، وللإسلام رب يحميه ، وتلك حماية مطلقة وباقيـة ما بقى الزمن ، ولكن هذه الحماية المطلقة للإسلام تتحول فيما يتعلـق بالمـسلمين إلـى حماية معلقة على شرط : أن يبادروا هم إلى التحرك بجدية في الاتجاه الصحيح يتغيرون فيتغير التاريخ .

" إن ا يدافع عن الذين آمنوا " وا سبحانه " لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا مـا بأنفسهم " .[1]

---

(1) الإسلام في الصين . فهمي هويدي ص ١٨٦ – ١٨٧ -٢٢١ -٢٢٣ -٢٣٩- ٢٥٠

الخاتمة

بعد دراستي لهذا الموضوع أحاول الآن أن أستخلص أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات التي رأيتها:

أ- النتائج

١– أن الكونفوشيوسية هي بالفعل عند أهل الصين دين ، قدمها كقدم الصين نفسها، وليست مجرد نظام للفلسفة الأخلاقية كما شاع بين بعض الدوائر الفكرية الحديثة ، وليست شبه دين كما يراه بعض العلماء الغربيين في مجال علم مقارنه الأديان ، بل هي في اعتقاد أهل الصين دين مستقل كامل قائم بنفسه ، له خصائصه التي تميزه عن غيره من الأديان . وهي تملك أهم العناصر الدينية ، مثل : العقيدة في الإله السماوي " تيان " ، والإيمان بالوحدة بينه وبين الإنسان ، تقديس النصوص الدينية المعينة مثل " سي شو " أي الكتب الأربعة و " وو جينغ " أي الأسفار الخمسة ، ولديها طقوس وشعائر دينية ، مثل تقديم الملك الصيني القرابين لـ " تيان " سنويا نيابة عن الشعب الصيني كشعيرة تعبدية ، كما أنها تعظم الأنبياء الملوك الأقدمين ،كما يقوم الكونفوشيوسيون بزيارة قبر كونفوشيوس وغيره ، ممن جاء بعده من تلاميذ وعلماء وأتباع بارزين ، ويبنون المعابد عندها ، ويقدمون القرابين . . . وهذا ما يفعله أتباع الكونفوشيوسية المعاصرة .

٢– غالت الكونفوشيوسية في تقديس أرواح الآباء والأجداد إلى حد لم يعرف له نظير عند الأمم السابقة .

٣– موقف كونفوشيوس من الغيبيات موقف سلبي ، فقد تنحى عن الحديث في هذا الجانب حتى وضعه البعض في كفة " اللاأدرين " .

٤– سادت تعاليم كونفوشيوس ونظرياته الصين أكثر من ألفي سنة واعتنقها حتى غزاة الصين وأثر فكر كونفوشيوس في كل مظهر من مظاهر الحضارة الصينية .

٥– في القرن السابع عشر والثامن عشر اتجه مفكرو أوروبا وعلماؤها إلى الصين وذلك عن طريق المنصرين وترجموا الكتب الصينية وبسطوا فكر كونفوشيوس الأخلاقي وأعلنوا أن تعاليمه شبيهة بالتعاليم النصرانية وحاول المنصرون الربط بين الكونفوشيوسية والنصرانية

وكانت وسيلتهم في ذلك قولهم إن النصرانية تؤكد دعوة كونفوشيوس ، واعتنق الأباطرة دعوة كونفوشيوس لأنها تدعو الشعب للطاعة حتى يبرروا وجودهم في الصين ، لدرجة أنهم قالوا إن التعاليم الكونفوشيوسية قد صدرت عن وحي وتنزيل وأن الصين قد تلقتها عن أبناء نوح عليه السلام

٦– أن الكونفوشيوسية جددت نفسها مرة بعد الأخرى على مر تاريخ الصين الطويل كما أنها تجدد نفسها اليوم أيضاً باسم " الكونفوشيوسية المحدثة المعاصرة " .

٧– أن الإسلام رسالة عالمية جاءت خاتمة للرسالات السماوية كلها ، وهداية ربانية تجسد الرحمة الإلهية ، ودين ينظم حياة الإنسان في جميع جوانبها . ومن هنا لا يقبل الكونفوشيوسية ، لأنها ديانة وضعية ، ولأنه جاء ناسخا لجميع الأديان وما تدعو إليه من عقائد ونظريات ، وشرائع ونظم ، ويرى الإسلام أن نبيه ﷺ النبي الخاتم ، ولا نبي بعده .

٨– أن هناك غفلة شديدة قديماً وحديثاً في العالم الإسلامي والعربي عن الحضارة الصينية وأديانها وفلسفاتها التي تعد من أعرق وأضخم الحضارات القديمة التي أنجزها البشر على وجه الأرض ، وهناك عشرات الترجمات للكتب الكونفوشيوسية والطاوية باللغة الإنجليزية ، وأما الترجمات العربية فنادرة جدا ، وأكثرها مفقودة تماما في المكتبة العربية والإسلامية . وليس من المعقول أن نسمح لهذا الواقع أن يستمر ، لأن الشعب الصيني يكون خمس سكان العالم ولهم ثقافة عريقة وتاريخ طويل ، خاصة وأن الصين الآن تتقدم في كل المجالات ، وسيكون لها مكانة عظيمة وتأثير كبير على العالم في مستقبل غير بعيد كما لا يخفي على المفكرين والمخططين ، لذلك فإني أدعو علماء الإسلام خصوصا المهتمين بمجال مقارنة الأديان إلى الاهتمام بدراسة الثقافة الصينية وأديانها وفلسفاتها .

٩– أن الأمة الإسلامية – وقد انتهت إليها رسالات الرسل جميعا – هي المسئولة عن القيام بالقسط واحترام قواعد الحق والعدل بين الأمم ، ولا يتأتي لها القيام بهذا الدور وهي مفككة الأوصال ممزقة الأشلاء متشعبة الأهواء !! فلابد من تضامنها واعتصامها بحبل ا المتين ، وتمسكها بصراطه المستقيم ، وتعاليها على شهواتها وانتصارها على لذائذها ، وإيثارها النفع العام لصالح البشرية ، لأنها – في هذه الآونة – هي الملجأ الوحيد والملاذ الآمن للبشرية التي فقدت توازنها وتماسكها ببعدها عن الخير والحق والعدل .

ب- التوصيات

بعد دراسة هذا الموضوع دراسة متأنية يوصي الباحث:-

أولاً : يوصي بإنشاء مركز للدراسات الصينية يتبع لإحدى الجامعات السعودية ويهتم بكل ما يتعلق بالصين من تاريخ وحضارة وفلسفات وسياسة واقتصاد وثقافة ولغات وأخلاق .

ثانياً : كما يلفت أنظار الباحثين في أقسام العقيدة في الجامعات بالاهتمام بالفلسفات والأديان الصينية (كما أهتم الغرب بدراستها) وذلك لإثراء المكتبة العربية بالمراجع الأصلية في هذا المجال .

ثالثاً : توثيق عرى التعاون بين الدول العربية والإسلامية والصين لما في ذلك من تلاقي الحضارات وتلاقح الأفكار وتبادل الثقافات بين الشعوب الشرقية من خلال تبادل الزيارات والمنح الدراسية ، وعقد المؤتمرات والندوات ، والترجمة بين اللغتين الصينية والعربية .

رابعاً : يوصي الباحث بضرورة دعم ومؤازرة إخواننا المسلمين في الصين بشتى الطرق والوسائل ، وذلك لما عانوه من تغريب عن دينهم ولما يعانون الآن من جهل بالإسلام ، وذلك بفتح المجال لدراسة أبنائهم في الجامعات ، وإرسال البعثات ، وإقامة المؤتمرات وعقد الندوات ، واستضافة اعداد كبيرة منهم في موسمي الحج والعمرة وعمل برامج دعوية وتزويدهم بالوسائل الدعوية المختلفة (وذلك لحاجتهم الماسة لها) ، وتفعيل دور الاتفاقيات الثقافية والتجارية مع الصين لدعم المسلمين ونشر الإسلام في الصين التي هي بأمس الحاجة إليه .

وصلى ا على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المراجع

١- الأخلاق في الكونفوشيوسية - سليمة إبراهيم الصينية - رسالة ماجستير ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م .

٢- الأخلاق والسياسة - إمام عبد الفتاح إمام - المجلس الأعلى للثقافة القاهرة - ٢٠٠١م .

٣- الأدب الصيني - أوديل كالتنمارك -ت/هنري زغيب منشورات عويدات - بيروت– باريس سلسلة (زدني علما) ١٩٨٨م .

٤- الأديان الحية نشوؤها وتطورها- أديب صعب- دار النهار للنشر- بيروت - ١٩٩٣م .

٥- أديان العالم - حبيب سعيد – دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية – القاهرة – بدون تاريخ .

٦- أديان العالم الكبرى - حبيب سعد- دار الشرق والغرب–بولاق مصر – بدون تاريخ .

٧- الأديان في تاريخ شعوب العالم- سيرغي أ. توكاريف- ت: د/أحمد فاضل الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق- سورية - ط١ - ١٩٩٨م .

٨- الأديان في كفة الميزان- محمد فؤاد الهاشمي- محمد حلمي المنياوي- دار الكتاب العربي بمصر .

٩- أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية- د/ حسن شحاته سعفان- دار النهضة العربية -١٩٦٦م .

١٠- أسرار الآلهة والأديان - أ.س.ميغوليفسكي - ت.د/حسان مخائيل اسحق - دار علاء الدين – دمشق- سوريا - ط ١- ٢٠٠٥م .

١١- الإسلام بين الشرق والغرب - علي عزت بيجوفيتش- سلسلة نافذة على الغرب - رقم :[٢] – مجلة النور الكويتية - و مؤسسة با فاريا .

١٢- الإسلام في الصين- فهمي هويدي - ضمن سلسلة عالم المعرفة- الكويت ، ١٤٠١هـ .

١٣- الإسلام في الصين - إبراهيم فنغ جين يوان . ترجمة: محمود يوسف لـى هوا ين - دار النشر باللغات الأجنبية - بكين الصين- ط١- ١٩٩١م - ط دار الهلال- ٢٠٠٣م .
١٤- الإسلام والأديان في اليابان - د/ سمير عبد الحميد إبـراهيم- مكتبـة الملـك عبدالعزيز العامة الرياض الأعمال المحكمة - ١٤٢١هـ - ـ٢٠٠١م .
١٥- الإسلام والمعتقدات الدينية القديمة - أحمد إسماعيل يحيى- مكتبة الـدار العربية للكتاب- ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
١٦- آسيا والسيطرة الغربية - ك - م - بانيكار - ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويـد - مراجعة أحمد خاكي - دار المعارف القاهرة- د - ت .
١٧- أصالة الثقافة - مجموعة مقالات لكتاب عالميين - ترجمة حافظ الجمالي مراجعة د / يوسف مراد - الإدارة العامة للثقافة القـاهرة - بـدون تاريخ .
١٨- أصلح الأديان للإنسانية – عقيدة وشريعة - أحمد عبد الغفـور عطـار - ط١- مكة المكرمة - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
١٩- الأصول الثقافية للنهضة اليابانية الحديثة - د/ رؤوف عبـاس حامـد - المجلة التاريخية المصرية- المجلد الثالث والعشرون - ١٩٧٦م .
٢٠- أعلام الفلاسفة [كيف نفهمهم] - د/ هنري توماس – ت: متـري أمـين - مراجعة وتقديم: د/ زكي نجيب محمود- دار النهـضة العربيـة - القاهرة - ١٩٦٤م .
٢١- أفكار في القمة - خالد محمد خالد- دار المقطم - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
٢٢- الإله في فكر البشر ووحـي الـسماء -[دراسـات فـي الأديـان الـسماوية والمذاهب الوضعية] د/ عبد الغفار عزيز- القاهرة- ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
٢٣- انتشار الإسلام في آسيا- د/محمد نصر مهنا - المكتب الجامعي الحـديث- الإسكندرية-٢٠٠١م .

٢٤- الإنسان في ظل الأديان - د/عمارة نجيب - مكتبـة المعـارف / الريـاض- ١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م .
٢٥- آي تشينغ أو كتاب التغير - رانيا مشلب - مؤسسة الانتشار العربي - بيـروت- لبنان - ط١- ٢٠٠١م .
٢٦- البيان في مقارنة الأديان - د/أسعد السحمراني - دار النفـائس بيـروت ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٢٧- تاريخ الأديان - د/ محمد الزحيلي – د/ يوسف العش- جامعـة دمـشق- ط٧ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .
٢٨- تاريخ الأيديولوجيات - الجزء الأول - العوالم الإلهيـة حتـى القـرن الثـامن الميلادي [الكونفوشـية] - فرانـسوا شـاتليه - ت: د/ أنطـون حمـصي - والكونفوشية: جان لاجروي- منشورات وزارة الثقافـة فـي الجمهوريـة العربية السورية – دمشق-١٩٩٧م .
٢٩- تاريخ الحضارات العام -[القـرون الوسـطى]- إدوار بـروى - وآخـرون- نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر- و فريد م . داغر دارعويدات - بيروت – باريس - ط٢- ١٩٨٦م .
٣٠- تاريخ الصين - [الجـزء الأول]- مجلـة بنـاء الـصين- ضـمن سلـسلة كتـب سور الصين العظيم- بكين ١٩٨٦م .
٣١- تاريخ الفكر الاجتماعي - حسن شـحاتة سـعفان - دار النهـضة العربيـة - القاهرة - ١٩٦٢م .
٣٢- تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر- بدر الدين و- ل – حي - دار الإنشاء - لبنان١٩٧٤م .
٣٣- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية - ميرسيا إلياد –ت: عبد الهادي عبـاس- دار دمشق للطباعة والنشر- دمشق - الجزء الثاني-ط١- ١٩٨٧م .
٣٤- تاريخ تطور ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية - الشيخ/ عبد ا سوجي يوآن الصين- مجمع الملك فهد لطباعـة المـصحف الـشريف بالمدينة المنورة - ندوة / ترجمة معاني القرآن الكـريم تقـويم للماضـي وتخطيط للمستقبل .
٣٥- تاريخ وقواعد الحضارات - فرناند بروديل- ترجمة وتعليق د/ حسين شريف

- الهيئة المصرية ١٩٩٩م.

٣٦- التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى تـوينبى - آلبـان- ج- ويـد جرى- ت: عبدالعزيز توفيق جاويد- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط٢- ١٩٩٦م .

٣٧- التجربة الصينية - د/عبدالعزيزحمدي عبدالعزيز - أم القرى- القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٣٨- التراث والتاريخ- شوقي جلال سينا للنشر- ط١- ١٩٩٥م .

٣٩- ترجمة لكتاب الحوار إلى اللغة العربية- ت: محمـد مكـين - مجلـة الفتح / مصر- ١٩٣٣م .

٤٠- التفكير الديني في العالم قبل الإسلام) مطالعة في مكتبة علماء الملايـو عرض وترجمة وتعليق – د/ رؤوف شلبي - دار الثقافة الدوحـة - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

٤١- تيارات الفلسفة الشرقية) محمد سليمان حسن- دار علاء الـدين – دمـشق - ١٩٩٩م.

٤٢- الثقافة السياسية الـصينية)- عـزة جـلال هاشـم- مجلـة الـسياسة الدوليـة العدد:١٣٢- إبريل ١٩٩٨م .

٤٣- الثقافة العربية وثقافات العالم)- حوار الأنداد [الثقافـة العربيـة والثقافـة الصينية – دراسة ومقارنة .أ.د.لي تشين تـشونغ المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافة والعلوم – إدارة برامج الثقافة والاتصال - تونس - ١٩٩٩م .

٤٤- الثورة الثقافية في تاريخ الصين) عبد الرحيم أحمد حـسين- مجلـة عـالم الفكر – الكويت - ابريل – يونيو- ١٩٨٨م .

٤٥- الجانب الفلسفي عند الأمتين الفارسية والصينية - د / علي محمد معبـد – دار الكتـــاب الجـــامعي – القـــاهرة – مـــصر – الطبعـــة الأولـــى – ١٩٨٤م .

٤٦- جهود العلمـاء المـسلمين فـي الـصين فـي مجـال مقارنـة الأديـان – زهرة الدين طيب إدريس- رسالة ماجـستير – الجامعـة الإسـلامية العالميـة باكستان - ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م .

٤٧- حضارات الأعماق والظواهر- د/ فهمي جدعان - مؤتمر المسلمون وحوار

لحضارات في العـالم المعاصـر- المجمـع الملكـي لبحـوث الحـضارة الإسلامية- عمان – الأردن – الدورة العاشرة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
٤٨- الحضارات القديمة - إشراف - ف– دياكوف س- كوفاليف- ت: نـسيم واكيم اليازجي- دار علاء الدين- دمشق جزءان- ط١- ٢٠٠٠م .
٤٩- حـضارة الـصين- الـسفير د/ محمـد عبـد الـرحمن البـشر- دار الهـلال الأزرق- هونغ كونغ -١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م .
٥٠- حقيقة التجربة الدينية في الصين - توختي آخون أركين- مجلة الرابطة- العددان: ٣٧١ –٣٧٢ السنة ٣٣ - رمضان وشوال ١٤١٦هـ - فبراير - مـارس ١٩٩٦م .
٥١- الحكماء الثلاثة - د/ أحمـد الـشنتناوي- دار المعـارف للطباعـة والنـشر - مصر .
٥٢- حكمة الأديان الحية - جوزيـف كـاير ت: المحـامي حـسين الكيلانـي . مراجعة - محمود الملاح- دار مكتبة الحياة – بيروت - ١٩٦٤م .
٥٣- حكمة الصين- هـ - فان براج ت: موفق المشنوق الأهالي للنـشر- ط١- ١٩٩٨م .
٥٤- حكمة الصين – د/ فؤاد محمد شبل- دار المعارف بمصر- ج ١- ١٩٦٧م .
٥٥- حكمة الطريق إلى الفضيلة[نص صيني مقدس] - لو تسو - ت: علاء الديب - دار سعاد الصباح - ط ١- ١٩٩٢م .
٥٦- داخل أسوار الصين - جزئان - محمد بن ناصـر العبـودي - مطـابع الفرزدق - الرياض - ط١- ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
٥٧- دراسات في علم الاجتماع الاقتصادي - د/ حسن شحاته سعفان- معهـد البحوث والدراسات العربيةجامعةالدول العربية- ١٩٧١م .
٥٨- الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى - د/محمد العريبي ضمن موسوعة :الأديان السماوية والوضعية - دار الفكر اللبنـاني - بيـروت ط١- ١٩٩٥م .

٥٩- الديانات والعقائد في مختلف العصور- أحمد عبد الغفور عطار- ج ١ – ط١ – مكة المكرمة - ١٤٠١هـ ١٩٨١م .
٦٠- دين الإنسان - فراس السواح - دار علاء الدين – دمشق- ط٤-٢٠٠٢م .

٦١- الدين المقارن - بحث في سائر الديانات العالمية - محمود أبـو الفـيض - نهضة مصر الفجالة ، القاهرة ، مصر ١٩٩٢ .
٦٢- الدين في الهند والصين وإيـران - أبكـار الـسقاف - العـصور الجديـدة – القاهرة - ٢٠٠٠م .
٦٣- الدين والفلسفة والعلم- السيد- محمود أبو الفيض المنـوفي- دار الكتب الحديثة – القاهرة .
٦٤- ذو القرنين وسد الصين - محمد راغب الطباخ - تحقيق/مـشهور حـسن آل سلمان- دار غراس - الكويت ط ١ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٦٥- رحلة إلى الصين - رجب البنا- دار المعارف .
٦٦- الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين - إعداد / محمود يوسف لى هوا ين وآخرون ترجمة/ محمود يوسف لى هوا ين وآخرون - دار النـشر باللغـات الأجنبية- الصين ط١ ١٩٩٣م – ط٢ - دار الهلال٢٠٠٣م .
٦٧- الشرق الأقصى الصين واليابان - د/فوزي درويش - الطبعة الثالثة- ١٩٩٧م .
٦٨- الشرق الفنان - د/زكي نجيب محمود- الهيئة المـصرية العامـة للكتـاب ١٩٩٦م .
٦٩- الشنتوية الكونفوشية - د/أسعد السحمراني - دار النفائس ط١- ١٤٢٠هـ.
٧٠- صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي - صامويل هنتنجتون - ت: طلعت اشايب تقديم – د/ صلاح قنصوة - سطور - ط٢ - ١٩٩٨ م .
٧١- صراع الحضارات في القرن الحـادي والعـشرين ودور الحـضارة الإسـلامية في هذا الصراع - د/ أحمد شلبي- مكتبة النهضة المصرية - ١٩٩٦م .
٧٢- الصين – معجزة نهاية القرن العشرين - إبراهيم نـافع - مؤسـسة الأهـرام ط١ - ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م .
٧٣- الصين التجربة والتحدي - شوقي جلال ضمن سلسلة إقرأ عدد رقم: ٦٦٩ .
٧٤- الصين بعيون مصرية - إعداد: د/محمد نعمان جلال- بقلـم- نخبـة مـن كبار الكتاب ضمن سلـسلة إقـرأ - سلـسلة ثقافيـة شـهرية تـصدر عـن دار المعارف عدد رقم:٦٧٨ .
٧٥- الصين بلاد الطبيعة والجمال - ت: محمـد أبـو جـراد- دار النـشر باللغـات

الأجنبية - بكين الصين- ط ١- ١٩٨٨ م .
٧٦- الصين والصينيون - لين يي تان - دار طباعة غابة الدراسة شانهاي - ط٤ - ١٩٩٥م .
٧٧- الصين والمسألة الصينية - لويس شيخو اليسوعي- مجلة المشرق - السنة الثالثة – العدد ١٣- ١ تموز- ١٩٠٠م .
٧٨- الصينيون المعاصرون التقدم نحو المستقبل انطلاقاً من الماضي- وو بن- ت: عبدالعزيز حمدي - م/ لي تشين – إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون – الكويت - ضمن سلسلة عالم المعرفة ٢١٠و٢١١ - جزئين ١٤١٧هـ .
٧٩- عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة - فوزي محمد حميد- دار حطين - دمشق - سوريا-١٩٩٣م .
٨٠- العبادات في الأديان السماوية - عبد الرزاق رحيم صلال الموحي- الأوائل - دمشق – سوريا- ط ١- ٢٠٠١ م .
٨١- العبادات في الديانات القديمة - عبدالرزاق الموحي- الأوائل – دمشق – سوريا - ط١- ٢٠٠٤م .
٨٢- عظماء قادة الأديان - د/ عبد الجليل شلبي – مؤسسة الخليج العربي – القاهرة – مصر – الطبعة الأولى .
٨٣- العقائد والأديان- موسوعة المعرفة - عبد القادر صالح- دار المعرفة – بيروت – لبنان - ط١- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .
٨٤- عقيدة الألوهية في الديانة الداوية دراسة مقارنة بالهندوسية - أيوب نور الحق دين شى رين - رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية - باكستان ١٤١٧هـ .

٨٥- العلاقات المصرية الصينية - [ماضيها وحاضرها وآفاق مستقبلها] د/كرم حلمي فرحات - عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية - ط١: ٢٠٠٢م .
٨٦- علاقة الدين بين العرب والصين - بدر الدين الصيني - مجلة الرسالة – العدد: ٢٣٧ السنة السادسة - ذي القعدة ١٣٥٦هـ- يناير ١٩٣٨م .
٨٧- العودة إلى الصين - محمد بن ناصر العبودي- مطابع النرجس - الرياض

- ط١ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٨٨- فجر العلم الحديث - الإسلام- الصين - الغرب - توبي أ – هف ت: د / محمد عصفور- سلسلة عالم المعرفة- ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ م .
٨٩- فجر العلم الحديث الإسلام) – الصين – الغرب توبي أ – هاف - ت: د/ أحمد محمود صبحي- سلسلة عالم المعرفة-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت- ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .
٩٠- الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة - محمد عبدا الشرقاوي - دار الجبل - بيروت - ط١ - عام ١٩٩٠م .
٩١- الفكر الأخلاقي عند كونفوشيوس وأثره في الفكر الحديث - عبد الرحيم شعبان صالح - رسالة ماجستير- جامعة الزقازيق- معهد الدراسات الآسيوية – قسم الأديان المقارنة- مصر- ٢٠٠٠- ٢٠٠١م .
٩٢- الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي - د/ جمال المرزوقي- دار الآفاق العربية – القاهرة - ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٩٣- الفكر الشرقي القديم - جون كولر- ت: كامل يوسف حسين مراجعة:إمام عبدالفتاح - ضمن سلسلة عالم المعرفة رقم: ١٩٩ .
٩٤- الفكر الشرقي - د/ يونج شوون كيم – ترجمة د/ طلعت مراد بدر . د/ حميد علي مفتاح - جامعة عمر المختار - البيضاء- ليبيا - ط ١- ١٩٩٧م .
٩٥- الفكر الصيني من كنفوشيوس إلى ماوتسي تونج - هـ- ج- كريل- ت: عبدالحليم سليم – م: علي أدهم - الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧١م - ط أخرى ١٩٩٨م .
٩٦- فلاسفة الشرق - و. ف. توملين - ترجمة:عبدالحميد سليم مراجعة: علي أدهم دار المعارف المصرية .
٩٧- فلاسفة إنسانيون - كارل يا سبرس – ترجمة: عادل العوا – عويدات بيروت - ١٩٨٠م .
٩٨- فلاسفة أيقظوا العالم - د/مصطفى النشار- دار قباء للنشر - ط٣- ١٩٩٨م .
٩٩- فلسفة الأخلاق والسياسة (المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس) - د / هالة أبو الفتوح - دار قباء- مصر٢٠٠٠م .

١٠٠- الفلسفة الشرقية - د / محمد غلاب - القاهرة ١٩٣٨م .
١٠١- الفلسفة الشرقية - رتشارد أوبنز و بورن فان لـون – ت: إمـام عبـد الفتـاح إمام - المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة - ٢٠٠٣م .
١٠٢- فلسفة القرن العشرين- جويرت ، ود . ونز - ترجمة عثمان نوية - مراجعة زكي نجيب محمود سلسلة الألف كتاب - مؤسسة سجل العرب رقم (٤٦٤) .
١٠٣- الفلسفة في الشرق - بول ماسون – أورسـيل - ترجمـة: محمـد يوسـف موسى - دار المعارف – مصر- ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥ م .
١٠٤- الفلسفة والفكر السياسي في الـصين القديمـة - د/ عمـر عبـد الحـي- المؤسسة الجامعية للدراسات - لبنان١٤١٩ هــ .
١٠٥- قاموس المذاهب والأديان - د/حسين علي حمد- دار الجيـل – بيـروت- ط١ ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .
١٠٦- قصة الحضارة - ول ديورانت- ت:محمد بدران ط- جامعة الدول العربية - الجزء الرابع/ الشرق الأقصى الصين .
١٠٧- قصة الديانات - سليمان مظهر- مكتبة الوطن العربي – القاهرة – مصر – الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
١٠٨- القصص الصيني القديم - الكاتب: وى تـانغ - ضـمن سلـسلة كتـب سـور الصين العظيم - مجلة بناء الصين بكين ١٩٨٤م .
١٠٩- القوميات المسلمة في الصين - تشونينغ – ت: وجيه هوا وى تـشينغ دار النشر- باللغات الأجنبية - بكين – الصين- ط١- ١٩٨٨م .
١١٠- القيم بين الذاتيـة والموضـوعية - د / صـلاح رسـلان - دار الثقافـة للنـشر والتوزيع ، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
١١١- كتاب التاو- تي- تشينغ - انجيل الحكمة التاوية في الصين - لاو- تـسو صياغة عربية للنص تقديم وشرح وتعليق/ فراس السواح- دار علاء الـدين - دمشق - ١٩٩٨م .
١١٢- كتاب التحولات - سارة ديننغ – ت: رزان حاج علـي نينـوى - للدراسـات والنشر - دمشق – سوريا - ط١- ٢٠٠٤م .
١١٣- كتاب الحوار كونفوشيوس - ترجمة/محمد مكين - المطبعـة الـسلفية -

القاهرة- ط١ - ١٣٥٤هـ .
١١٤- كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفشيوسية - زهرة الدين طيب إدريس - رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية - باكستان - ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م .
١١٥- كتب غيرت الفكر الإنساني - أحمد محمد الشنوانى - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ج١ ط٢- ١٩٩٩م .
١١٦- الكتب والمكتبات في العصور الوسطى - الشرق المسلم – الشرق الأقصى- د/شعبان عبدالعزيز خليفة- الدار المصرية اللبنانية - ١٤٢١هـ
١١٧- كل شي عن الصين - تشونغ تشينغ شي- دار النشر باللغات الأجنبية- بكين - ط ١- ١٩٨٨م .
١١٨- الكونفشيوسية المحدثة المعاصرة ، تحرير (فونغ زو شينغ) ، مطبعة (سان ليان) ، بكين ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٩م .
١١٩- كونفوشيوس : حكيم الصين - د / أحمد فخري- مجلة المجلة- مصر- العدد ٧ - ذو الحجة ١٣٧٦هـ يوليو ١٩٥٧م .
١٢٠- كونفوشيوس النبي الصيني - د/ حسن شحاته سعفان - مكتبة نهضة مصر- ١٩٥٦م .
١٢١- كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني - د/ صلاح بسيوني- دار قباء- مصر - ١٩٩٨م .
١٢٢- كونفوشيوس - عثمان الصالح- مجلة المنهل –جدة العدد: ١١- ١٢ ذو القعدة - ذو الحجة ١٣٩٥هـ نوفمبر- ديسمبر ١٩٧٥م .
١٢٣- الكونفوشيوسية - سليم السيد أحمد المسلمي- رسالة ماجستير – جامعة الأزهر – كلية الدعوة -١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .
١٢٤- الكونفوشيوسيون المحدثون في الحاضر - فون جيسين ، دار طباعة مكتبة اتحاد ثلاثة - بكين ط١ .
١٢٥- لغز ماوتسي تونج أم لغز الصين - أحمد بهاء الدين - مجلة العربي الكويت - العدد ٢١٦- ذو القعدة ١٣٩٦هـ - نوفمبر ١٩٧٦م .
١٢٦- لقاءات الصين مع بعض العلماء والأساتذة وبعض الشخصيات الإسلامية وبعض أتباع الكونفوشيوسية - الباحث أثناء زيارته للصين من ٢/ ٢إلى

٣/٣/ ١٤٢٥هـ .
١٢٧- ا - د / عباس العقاد- دار المعارف – القاهرة – مصر – بدون تاريخ
١٢٨- محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة - د/ محمد جلال شرف- جامعة بيروت العربية كلية الآداب - مكتبة كريدية - أخوان بيروت -١٩٨٠م .
١٢٩- محاضرات في تاريخ الفلسفة - هيغل – ت: د / خليل أحمد خليل مجد- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت - ط٢ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
١٣٠- محاورات كونفوشيوس - الملف الثقافي- مجلة الفيصل- العدد: ٢٩٤ ذوالحجة١٤٢١هـ- مارس ٢٠٠١م .
١٣١- محاورات كونفوشيوس - ترجمة: محسن فرجاني- المجلس الأعلى للثقافة - مصر-٢٠٠٠م .
١٣٢- المدخل في تاريخ الأديان - د/ سعيد مراد- عين للدراسات والبحوث-ط١ -٢٠٠٠م .
١٣٣- المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوس إلى تونبي البان - ج . ويدجيري – ترجمة- ذوقان قرقوط - دار القلم – بيروت - ط١-١٩٧٢م - ط٢- ١٩٧٩م .
١٣٤- المرجع في تاريخ الأخلاق - د/محمد عبدالرحمن مرحبا - جروس برس – طرابلس- لبنان- ط ١ - ١٩٨٨م .
١٣٥- المساجد في الصين - محمود يوسف لى هوا ين- دار النشر باللغات الأجنبية - بكين الصين- ط ١- ١٩٨٩ م - ط دار الهلال٢٠٠٣م .
١٣٦- المستظرف الصيني- من تراث الصين - هادي العلوي - دار المدى – سوريا - لبنان ٢٠٠٠م .
١٣٧- المسلمون الصينيون– أسئلة وأجوبة - إعداد : شيو يوان- دار النشر باللغات الأجنبية – الصين- ط ١-١٩٩١م .
١٣٨- المسلمون الصينيون من هم وأين هم - مجلة بناء الصين- ضمن سلسلة كتب سورالصين العظيم- بكين ط١ ١٩٨٣م .
١٣٩- المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية - د/ مصطفى النشار- دار قباء – القاهرة - ط١- ١٩٩٧م .

١٤٠- معتقدات آسيوية - [العراق- فارس- الهند- الصين- اليابان] د/ كامل سعفان - دار الندى - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
١٤١- المعتقدات الدينية لدى الشعوب - جفري بارندر- ت: د/ إمام عبد الفتاح إمام - مراجعة/ عبدالغفار مكاوى - مكتبة مدبولي - ط٢ - ١٩٩٦م رقم : ١٧٣ في سلسلة عالم المعرفة .
١٤٢- معجم المصطلحات الدينية - د/خليل أحمد خليل- دار الفكر اللبناني - ط١- ١٩٩٥م .
١٤٣- المعجم الموسوعي -[للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي]تعريب وتصنيف وتقديم أ.د/ : سهيل زكّار- دار الكتاب العربي- دمشق- ط ١- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .
١٤٤- معجم ديانات وأساطير العالم- د/ إمام عبد الفتاح إمام - مكتبة مدبولي – القاهرة-١٩٩٥م .
١٤٥- مقارنات الأديان - [الديانات القديمة] - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي القاهرة -١٩٩١م .
١٤٦- مقدمة في الفلسفة والسياسة - د/ صلاح رسلان- مكتبة المعارف الحديثة - الإسكندرية - ٢٠٠١ م .
١٤٧- الملل والنحل - الشهر ستاني– تحقيق سيد الكيلاني–دار صعب – بيروت عام ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م .
١٤٨- من أروع ما قال حكماء العالم - إميل ناصيف - دار الجيل- بيروت .
١٤٩- من حكمة الصين - د/ محمد عبدالهادي أبو ريدة - مجلة العربي الكويت- العدد ٢٥٨- جمادى الثاني- ١٤٠٠هـ - مايو ١٩٨٠م .
١٥٠- من قراءاتي في الأدب العالمي - (كنفوشيوس) - محمد بن أحمد العقيلي - مجلة المنهل – العدد ٥١٣المجلد 55 - رمضان١٤١٤هـ - فبراير –مارس ١٩٩٤م .
١٥١- المنجد في اللغة والإعلام – دار المشرق – بيروت – لبنان – الطبعة السادسة والعشرون .
١٥٢- منطلقات فكرية - د/ أبو القاسم سعد ا - الدار العربية للكتاب – ليبيا –

تونس .
١٥٣- موجز تاريخ الأديان - فيلسيان شالي - ترجمه عن الفرنسية : حافظ الجمالي - دار طلاس - دمشق- ط١- ١٩٩١م .
١٥٤- موجز تاريخ الصين - جيان بوه تسان - شاو شيون تشنغ - هوهوا- دار النشر باللغات الأجنبية- الصين- ط١- ١٩٨٥م .
١٥٥- موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين - جوزيف نيدهام ت: محمد غريب جودة - الهيئة المصرية - ١٩٩٥م .
١٥٦- موجز تطور الحضارات الإنسانية - د/ محمد صادق صبور- دار الأمين- مصر - ط١- ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .
١٥٧- موسوعة الأديان الميسرة - عدد من المؤلفين- دار النفائس- بيروت- لبنان - ط٢- ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .
١٥٨- موسوعة الأديان في العالم - إعداد دار كريبس- انترناشيونال المشرف العام/ جميل مدبك - ٢٠٠٠-٢٠٠١ م .
١٥٩- موسوعة الأديان - د/ مهدي البصري- دار أسامة – الأردن - عمان- ط١- ٢٠٠١م .
١٦٠- الموسوعة الفلسفية - د/إسماعيل الشرفا- دار أسامة –الأردن-عمان- ط١- ٢٠٠٣م .
١٦١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

١٦٢- موكب الفلاسفة - محمود عزت موسى- دار مكتبة الأنـدلس البركـة - بنغازي- ليبيا-ط ١- ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .
١٦٣- نظرة جامعة إلي تاريخ الإسلام في الـصين وأحـوال المـسلمين فيهـا - محمد مكين - المكتبة السلفية ومطبعتها- ١٣٥٣هـ .
١٦٤- نظرية كونفوشيوس الدينية - الأستاذ: أبـو بكـر هـو غـانجين الـصيني – مجلة الرسالة - مصر- العـدد: ٦٣٩ - والعـدد: ٦٣٨ شـوال ١٣٦٤هـ-- أكتوبر١٩٤٥م - وسبتمبر١٩٤٥م .
١٦٥- نقد نظرية برهان غليون في الدين والدولة - د/ سمير أمين- ضمن سلـسلة كتاب [قضايا فكرية] يصدر عن قضايا فكرية للنشر والتوزيـع - القـاهرة – الكتاب الثالث والرابع عشر أكتوبر ١٩٩٣م .
١٦٦- هداة الإنسانية في الشرق - د / سهير القلماوي وآخرون – دار المعـارف – القاهرة – مصر – بدون تاريخ .
١٦٧- ولا عجب إلا الصين - محـسن محمـد- مؤسـسة أخبـار اليـوم القـاهرة- بدون .
١٦٨- عدد من اللقاءات مع شخصيات مختلفة أجراها الباحث اثناء قيامـه برحلـة علمية إلى الصين في الفترة من ٢/٢ إلى ٣/٢/ ١٤٢٥هـ

ملاحق للبحث

بعض ما التقطته عدسة الباحث
أثناء رحلته العلمية إلى الصين في الفترة من
٢/٢/ إلى ٢/٣/١٤٢٥هـ



أكبر معبد كونفوشيوسي في العالم وقد كتب في الأعلى (الفوز العظيم)
تشي فو (مسقط رأس كونفوشيوس)



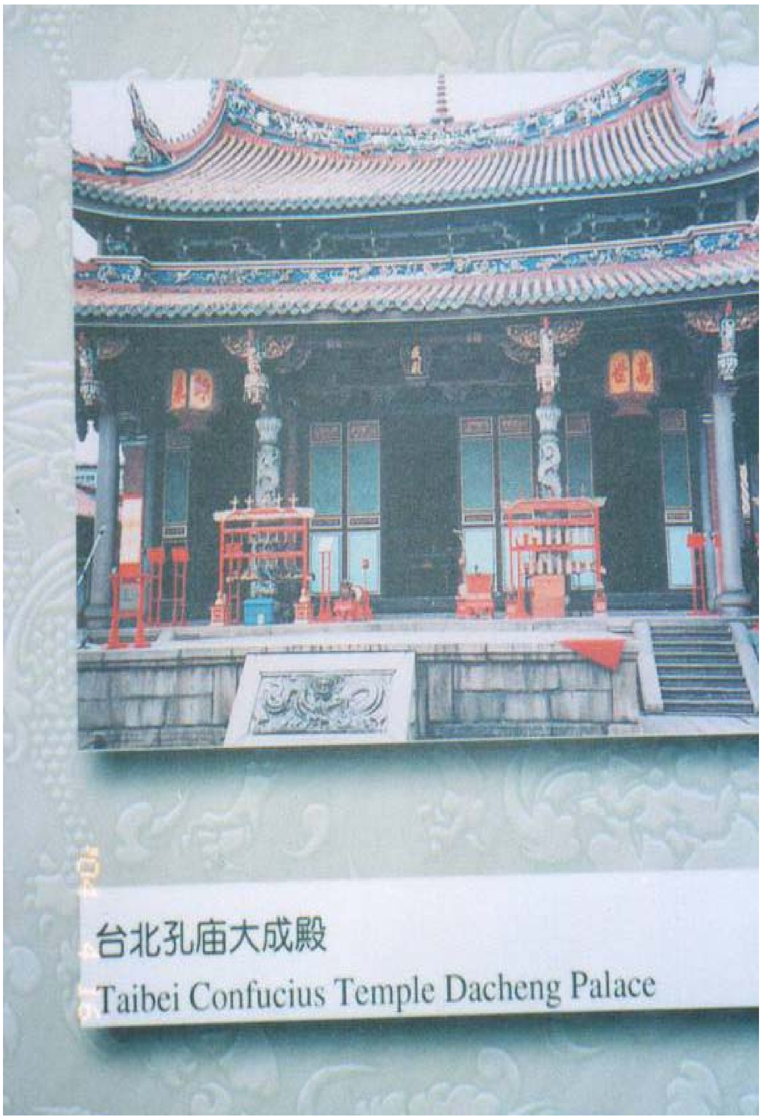
معبد كونفوشيوس في بكين
(مدخل القاعة الكبرى التي يتم فيها التعبد)



معبد كونفشيوس في مدينة تيانجين (يفتح في المناسبات أو من يريد التعبد ثم يغلق)



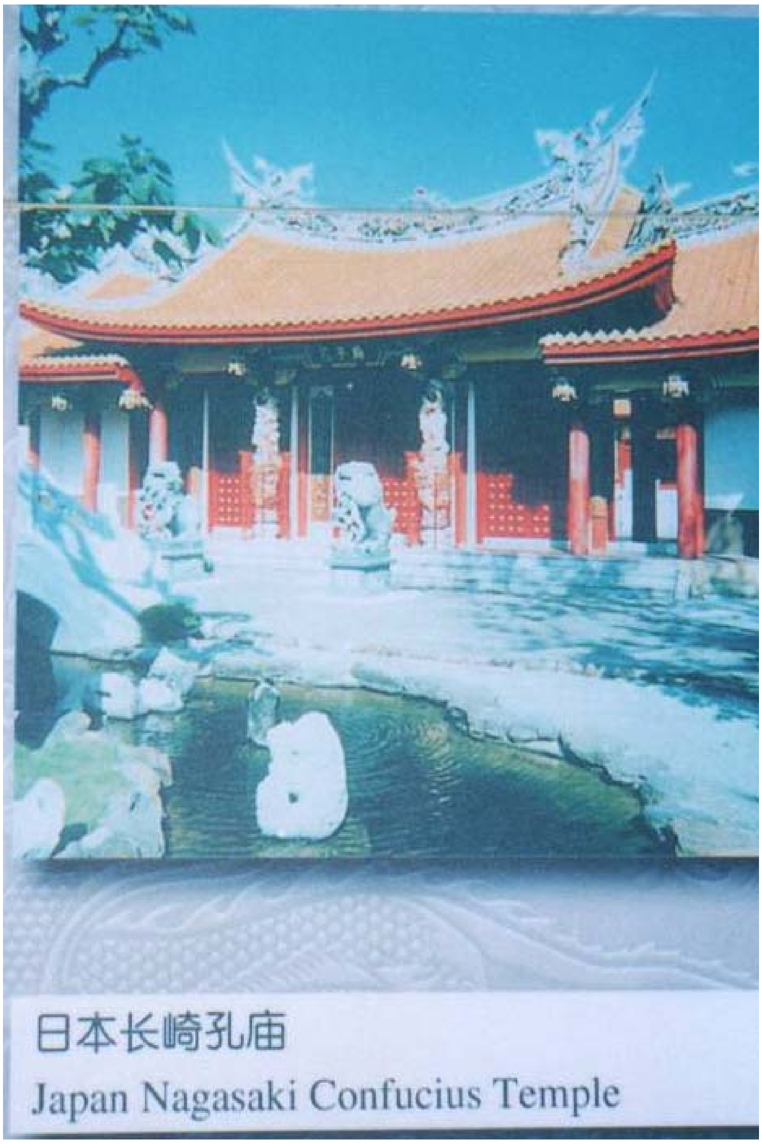
معبد كونفوشيوس في المكان الذي ولد فيه ويبعد عن مدينة تشي فو ٣٠ كم تقريباً



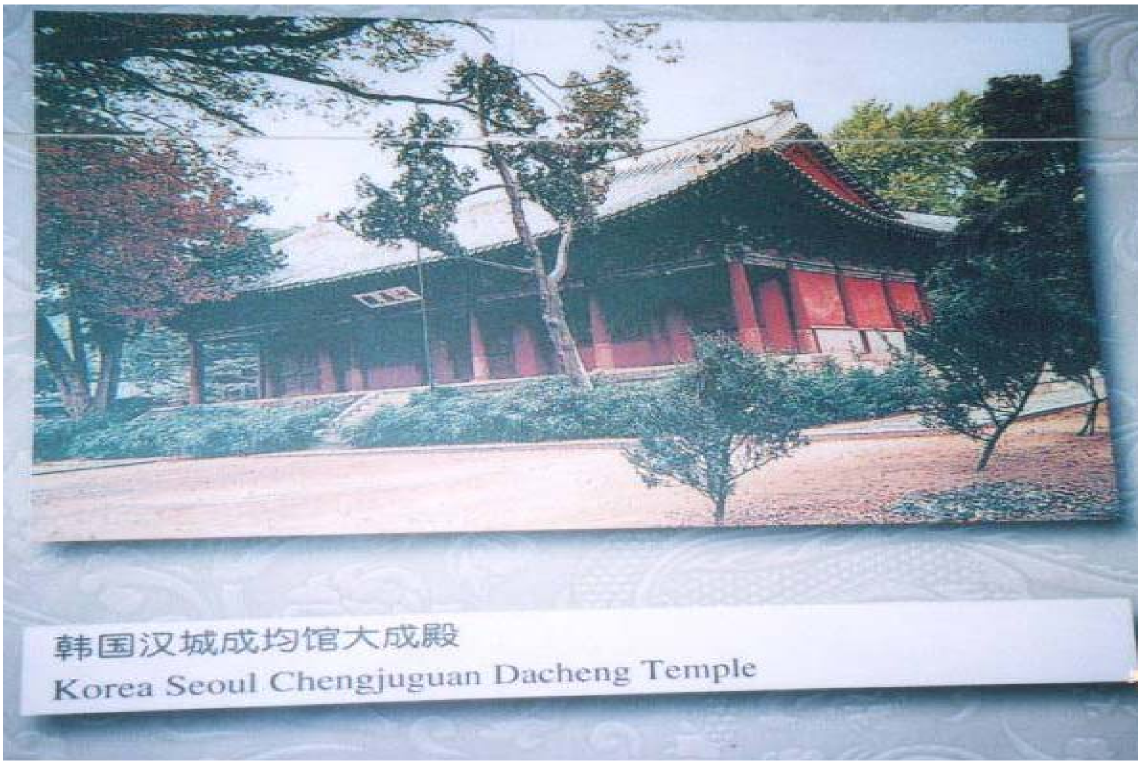
معبد كونفوشيوسي في تايوان



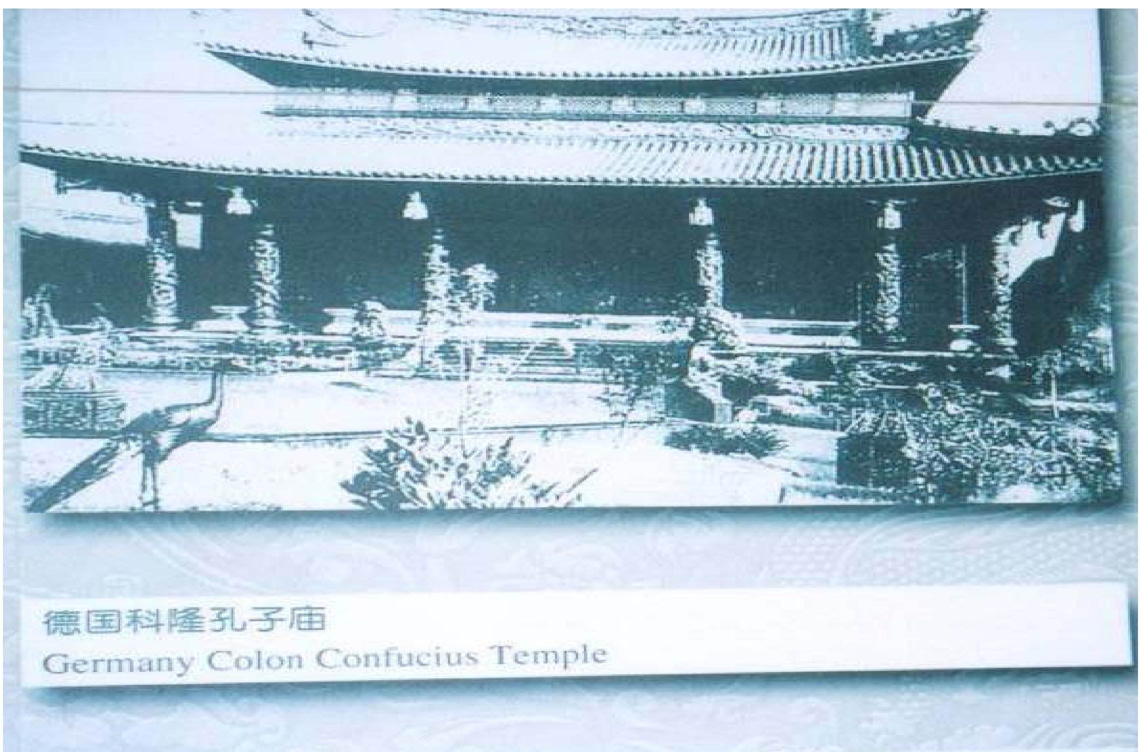
معبد كونفوشيوسي في اليابان



معبد كونفوشيوسي آخر في اليابان



معبد كونفوشيوسي في كوريا



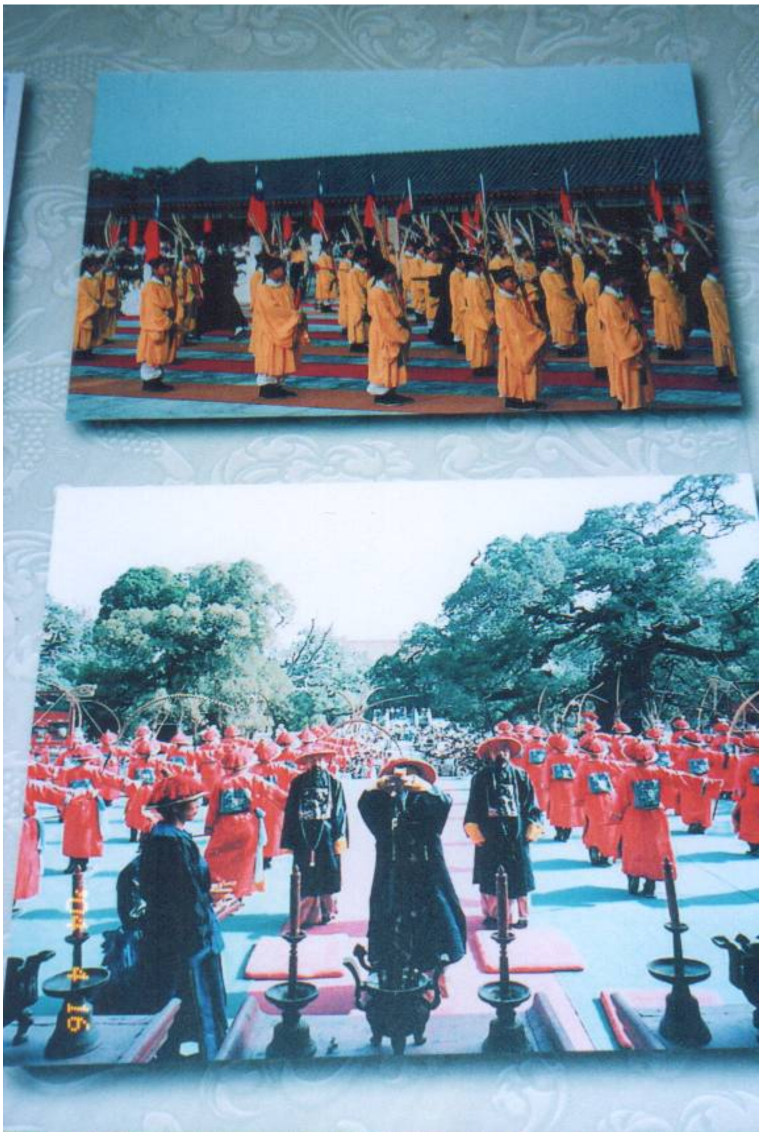
معبد كونفوشيوسي بألمانيا



معبد كونفوشيوسي في فيتنام



معبد كونفوشيوسي في أمريكا



الاحتفال بعيد ميلاد كونفوشيوس (تشي فو)



تمثال كونفوشيوس في جامعة المعلمين بمدينة تشي فو (مسقط رأس كونفوشيوس)



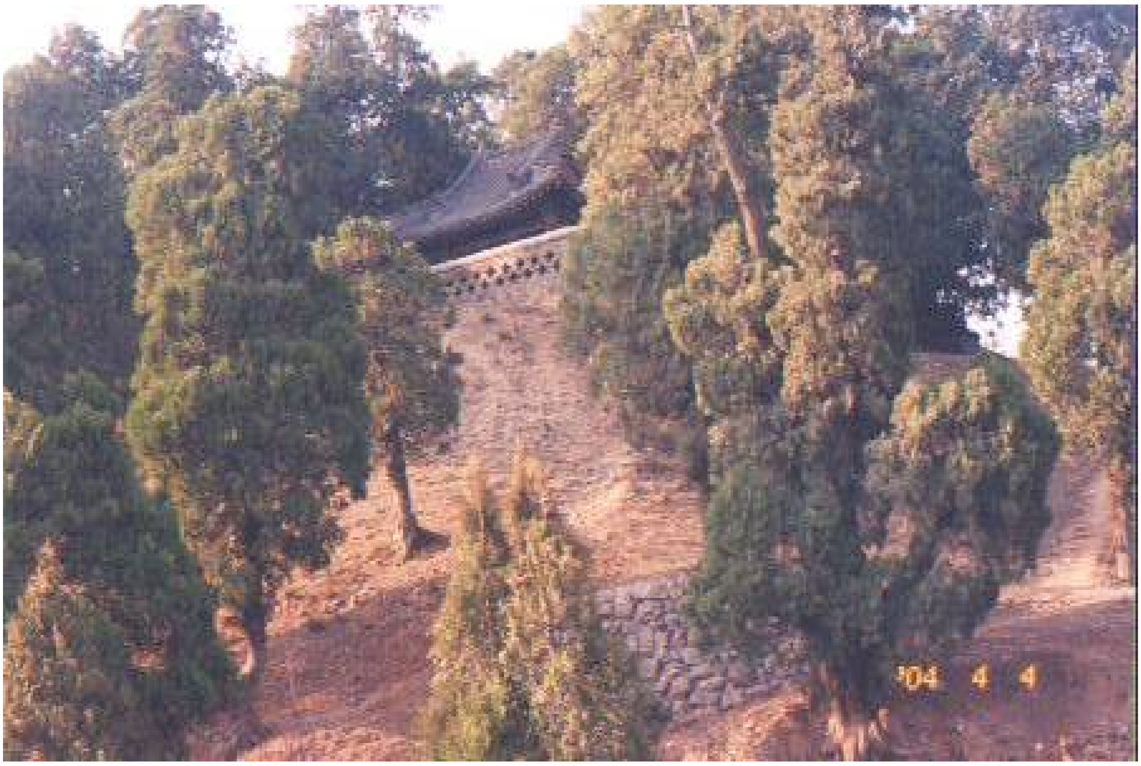
تمثال كونفوشيوس في جامعة الشعب (بكين)



تمثال كونفوشيوس في مدخل معبده في بكين



تمثال كونفوشيوس في معبده في مكان ولادته



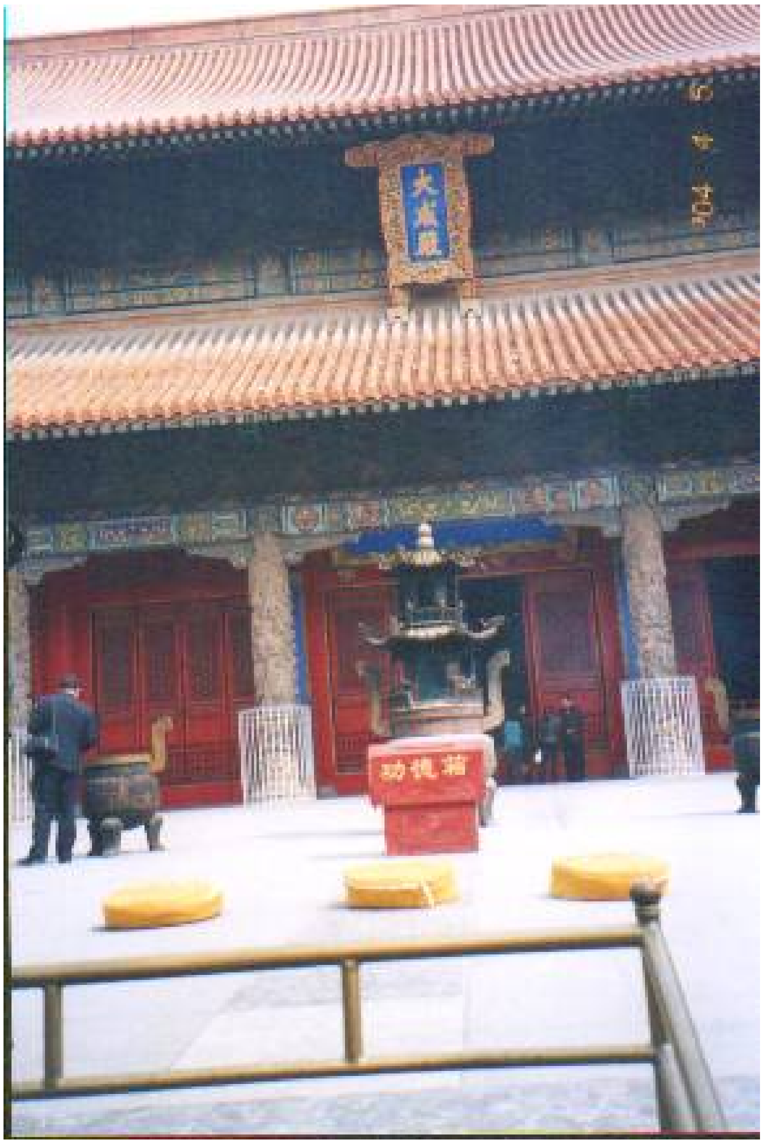
المنزل الذي كانت تسكنه أم كونفوشيوس أيام ولادته في أعلى التل



الكهف الذي ولد فيه كونفوشيوس وقد وضعوا بجواره لوحة رخامية تدل عليه وقد غمرته مياه البحيرة المقدسة كما يزعمون



تمثال لأحد تلاميذ كونفوشيوس في معبده بمكان ولادته



معبد كونفوشيوس (تشي فو)
ويلاحظ مكان التعبد وصندوق النقود ومحرقة البخور



وضع البخور في المحرقة وهو من طقوس العبادة (معبد كونفوشيوس في تشي فو)



هنا يحرق البخور للتعبد

(معبد كونفوشيوس – تشي فو)



التعبد على الطريقة الكونفوشيوسية (معبد كونفوشيوس في تشي – فو)



يتعبد بعد أن وضع البخور والنقود (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



هكذا يتعبد الكونفوشيوسي(معبد كونفوشيوس- تشي فو)



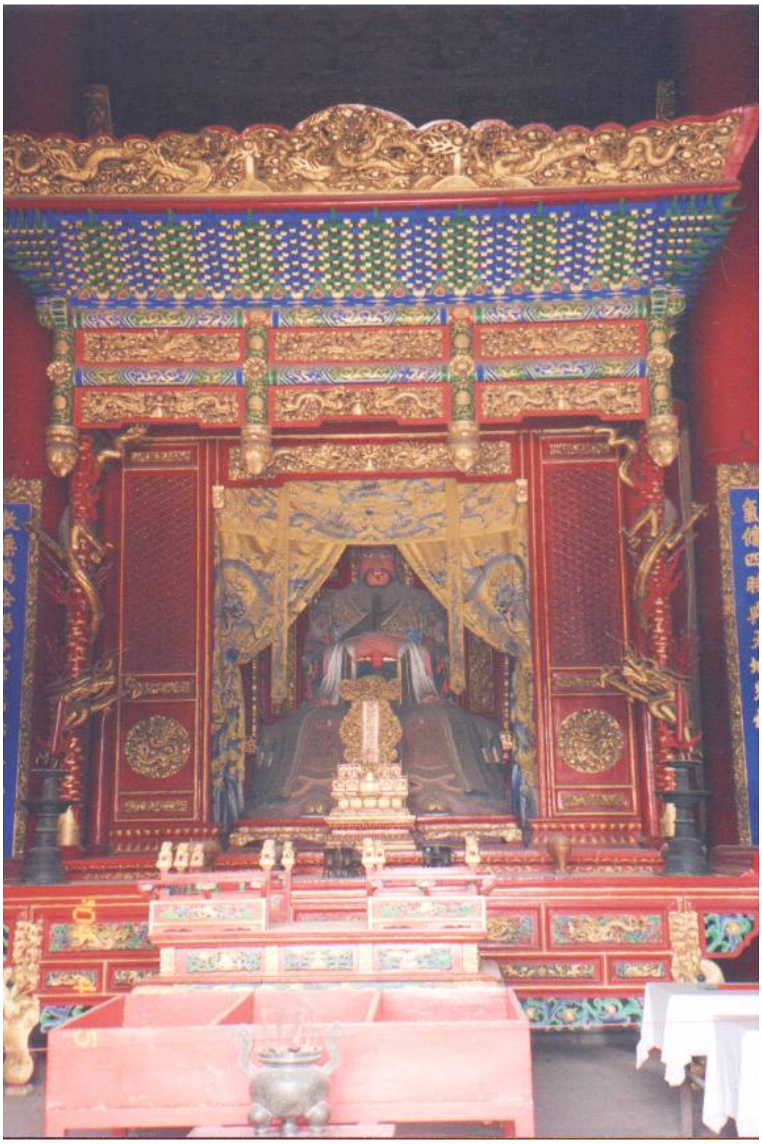
كونفوشيوسي يتعبد (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



كونفوشيوسي آخر يتعبد بعد أن قدم البخور والمال (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



كونفوشيوسي يتعبد ويلاحظ أمامه صندوق النقود ومحرقة البخور ثم
القاعة الكبرى التي فيها تمثال كونفوشيوس . (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



تمثال كونفوشيوس داخل معبده في (تشي فو)



سقف المعبد مزين بالألوان ومنحوت عليه صور حيوان اللو
(معبد كونفوشيوس – تشي فو)



صور لأعمدة المعبد الخارجية وقد نحتوا عليها أشكال مختلفة للزينة تظهر مدى عنايتهم بهذا المعبد
(معبد كونفوشيوس – تشي فو)



عبارات التبجيل لكونفوشيوس على لوحات فوق تمثاله وعن يمينه وشماله
مثل(المعلم الأول) وغيرها (معبد كونفوشيوس – تشي – فو)



سقف المعبد من الخارج ويلاحظ تزيينه بالأخشاب على الطريقة الصينية القديمة – كما يلاحظ وجود تماثيل لحيوانات صغيرة يزعمون أنها تحمي المعبد من الكوارث
(معبد كونفوشيوس – تشي فو)



فناء المعبد ويلاحظ بعض غرف تلاميذ كونفوشيوس (معبد كونفوشيوس تشي – فو)



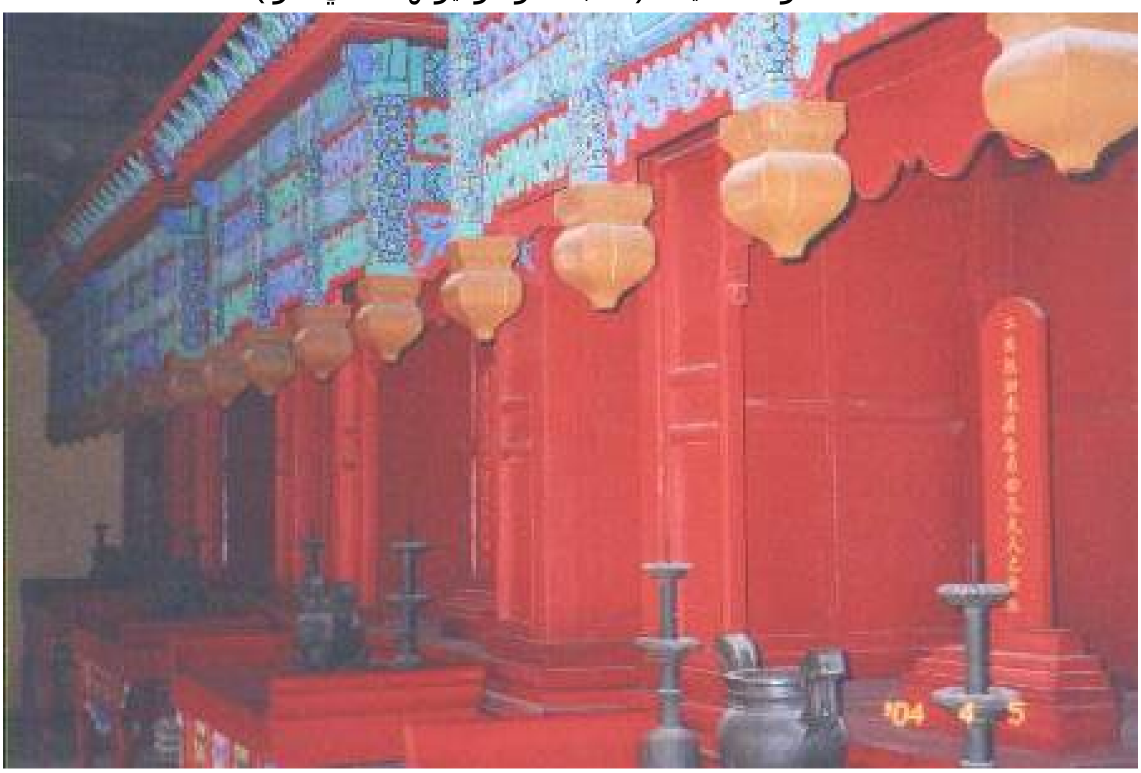
إحدى الحدائق في طريق الداخل إلى معبد كونفوشيوس في (تشي – فو)



إحدى بوابات الدخول إلى معبد كونفوشيوس في تشي فو



قاعة أبرز تلاميذ كونفوشيوس على يمين الداخل إلى المعبد وفيها لوحات كتب عليها
أسماء هؤلاء التلاميذ . (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



لوحات وأماكن متعددة لتقديم التحية لأبرز تلاميذ كونفوشيوس .
لكل تلميذ لوحة ومنصة خاصة داخل قاعة أبرز التلاميذ (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



أحد أعمدة الرخام المزخرفة والموضوعة على حيوان (البيشي) وهو إهداء للمعبد من أحد إمبراطورات الصين (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



ألواح من الرخام كتب عليها بعض حكم وتعاليم كونفوشيوس
محفوظة في قاعة خاصة في المعبد (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



قاعة خلف القاعة التي فيها تمثال كونفوشيوس وفيها لوحة ترمز لزوجة كونفوشيوس ويقدم لها
قربان أيضاً ولها عبادة (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



لوحة ترمز لزوجة كونفوشيوس في القاعة الخاصة بها في مؤخرة المعبد ويلاحظ الصندوق الذي توضع فيه النقود للتعبد (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



بعض المباني الملحقة بالمعبد (معبد كونفوشيوس - تشي فو)



فناء المعبد من الخلف (معبد كونفوشيوس – تشي فو)



مكان ذبح الخراف والعجول والخنازير في عيد ميلاد كونفوشيوس كل عام
(معبد كونفوشيوس – تشي – فو)



جزء من الجدار الذي أخفى فيه الكونفوشيوسون بعض كتبهم على عهد الإمبراطور (تشن) الذي أمر بإحراق كتبهم ودفن علمائهم أحياء – بجوار المعبد (تشي – فو)



البئر التي كان يجلب منها الماء لمدرسة ومنزل كونفوشيوس – يعتقدون أنها مقدسة ويلقون فيها النقود المعدنية (تشي فو)



مدرسة أبناء كونفوشيوس (بجوار معبد كونفوشيوس - تشي فو)



المنزل الذي كان يسكنه كونفوشيوس بعد أن أنتقل من منزل أمه إلى حيث دفن والده –
ويظهر أنه مجدد – ويتكون من ثلاث غرف بجوار المعبد والمدرسة (تشي فو)



منزل أبناء كونفوشيوس من الداخل ويلاحظ بقايا أشجار قديمة (تشي – فو)



منزل أبناء كونفوشيوس من الداخل (تشي – فو)



كانوا يهتمون بعزل النساء عن الرجال يلاحظ في الجدار المكان الذي يصب السقاء الماء فيه لينحدر من خلال مجرى خاص إلى داخل المنزل – حتى لا يرى السقاء النساء كما يقولون

منزل أبناء كونفوشيوس (تشي فو)



البوابة الرئيسية للدخول إلى مقبرة كونفوشيوس وأحفاده
(تبعد عن منزله ومدرسته ١,٥كم) (تشي فو)



بوابة خاصة للدخول إلى المكان الذي فيه قبر كونفوشيوس – داخل المقبرة (تشي فو)



صنمان يقولون أنهما وضعا ليحرسا قبر كونفوشيوس أحدهما يمسك سيفاً ويرمز للجندي والآخـر يحمـل كتاباً ويرمز للتلميذ ، وفي الخلف مبنى على هيئة معبد (كانت تحفظ فيـه بعـض ملابـس وأدوات كونفوشيوس) يفتح في عيد ميلاد كونفوشيوس



مقبرة كونفوشيوس من الداخل (تشي فو)



قبر كونفوشيوس وبجواره لوحة من الرخام كتب عليها عبارات التبجيل (تشي فو)



عجوز جثى على ركبتيه وأنحنى برأسه أمام قبر كونفوشيوس ولما سألناه قال أنه الحفيد الثالث والسبعون لكونفوشيوس (تشي فو)



يضعون الورود عند القبر ثم يؤدون التحية بالانحناء والركوع



بعض قبور أحفاد كونفوشيوس في مقبرته (تشي فو)



مكان نهر كان يجري داخل مقبرة كونفوشيوس (تشي فو)



الحفيد الثالث والسبعون لكونفوشيوس مع الباحث داخل مقبرة كونفوشيوس (تشي فو)



مركز كونفوشيوس الحضاري " متحف " (تشي فو)



مركز الدراسات الكونفوشيوسية في جامعة المعلمين في تشي فو



مدخل مركز الدراسات الكونفوشيوسية في جامعة المعلمين في (تشي فو) حيث وضع مجسم من النحاس لكونفوشيوس خلفه لوحة توضح معلومات عن المركز وتاريخ افتتاحه



الباحث مع مدير مركز الدراسات الكونفوشيوسية في جامعة المعلمين في تشي فو



الباحث يتوسط مدير مركز الدراسات الكونفوشيوسية ونائبه حيث قدم مدير المركز مجموعة من الكتب تمثل أخر إصدارات المركز



يقدسون حتى التماثيل في فناء المعبد (معبد كونفوشيوس – بكين)



وضع النقود في الصندوق - للتعبد -(معبد كونفوشيوس – بكين)



اللوحة التي ترمز لكونفوشيوس والتي تؤدي الطقوس أمامها
(معبد كونفوشيوس ببكين)



كونفوشيوسي في حالة سجود لتمثال كونفوشيوس في معبده ببكين



كونفوشيوسي يتعبد أمام تمثال كونفوشيوس في معبده ببكين



كونفوشيوسي يتعبد في معبد كونفوشيوس في بكين أجريت معه لقاء فاخبرني أنه يعبد سبعة أصنام في منزله



الآلات الموسيقية القديمة داخل المعبد حيث تقوم مجموعة من الفتيات بالعزف عليها لكبار زوار المعبد ثم يقوم هؤلاء الزوار بوضع النقود في الصندوق المجاور



مكان السجود أمام اللوحة التي ترمز لكونفوشيوس في معبده في بكين



الفاكهة والبخور والخمور المقدمة تقرباً (معبد كونفوشيوس في بكين)



مكان إحراق الهدايا التي تقدم لروح كونفوشيوس في عيد ميلاده كل عام ويزعمون أنها تذهب لروحه مع دخان النار (معبد كونفوشيوس – بكين)



ألواح من الرخام كتبت عليها بعض أقوال وحكم كونفوشيوس في عصور مختلفة
(معبد كونفوشيوس – بكين)



معرض داخل فناء المعبد للوحات تحكي حياة كونفوشيوس وطلابه أهداه للمعبد امرأة متخصصة في الرسم على الزجاج (معبد كونفوشيوس – بكين)



بعض لوحات المعرض من الداخل (معبد كونفوشيوس – بكين)



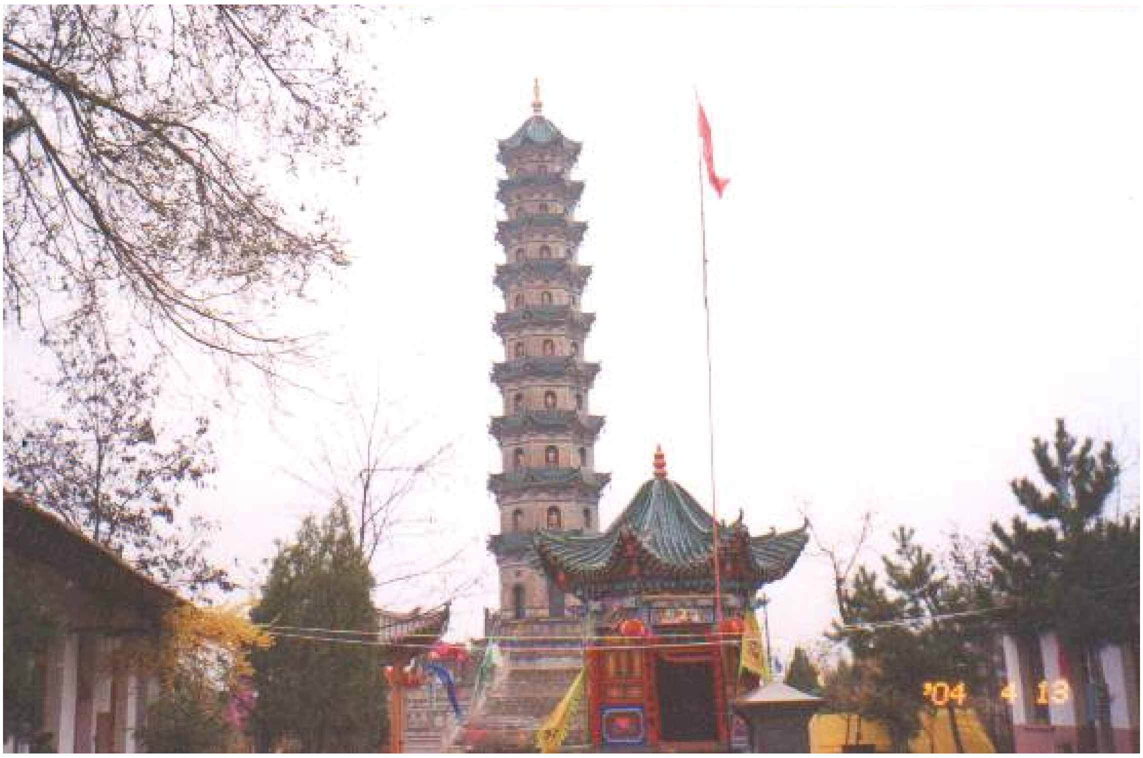
معبد كونفوشيوس في تيانجين من الداخل



معبد كونفوشيوس في تيانجين من الداخل
ويلاحظ تقديم الأطعمة والنقود والبخور أمام تمثال كونفوشيوس



إحدى اللوحات عليها صورة كونفوشيوس وبعض حكمه في إحدى قاعات الدراسة في جامعة بكين



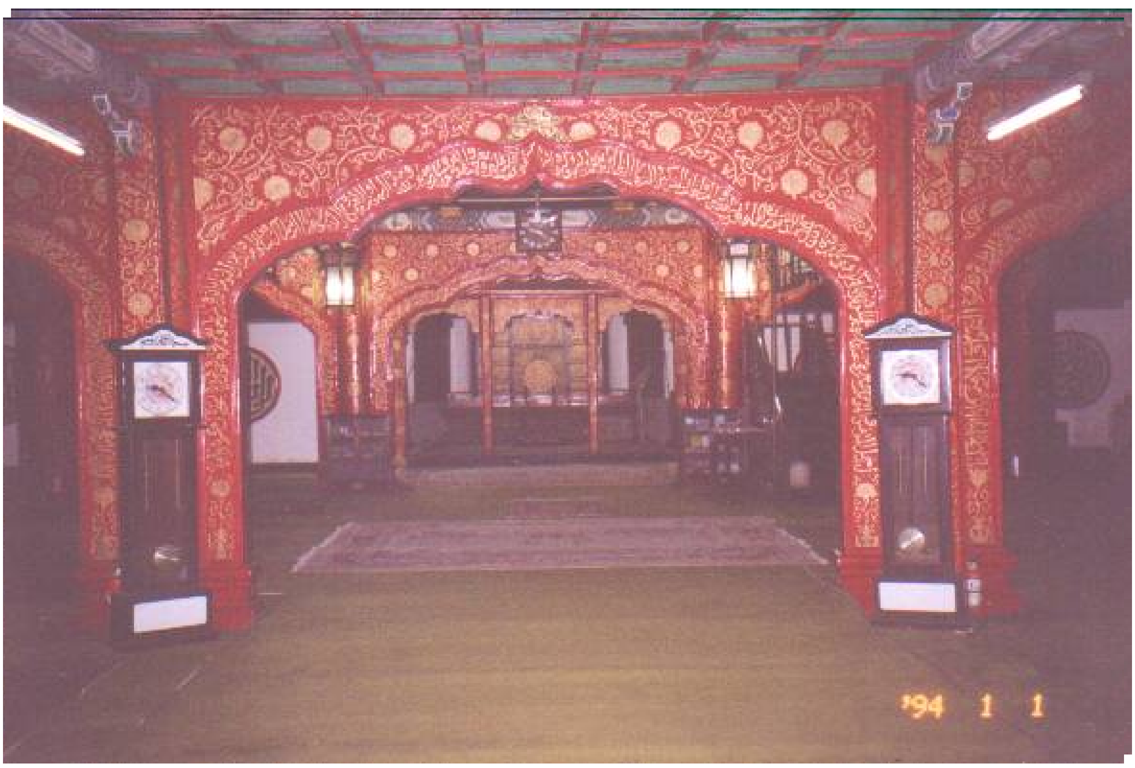
أحد المعابد الطاوية في إحدى القمم المرتفعة في مدينة لنشيا



تمثال إله المال على مدخل الفندق بجوار الاستقبال يقدم له البخور كل صباح ويعتقدون أن هذه الطريقة تجلب المال وقد لاحظت وجوده في مداخل المراكز التجارية والمحلات في أنحاء متفرقة من الصين وهو ليس خاصاً بالكونفوشيوسيين بل يقدسه طوائف متعددة في الصين



مسجد نيوجيه في بكين من الخارج (الجامع الإسلامي الشهير في شارع البقر)



مسجد نيوجيه في بكين من الداخل



الجامع القديم الكبير في شي أن

من داخل الفناء التابع له تذكر بعض الروايات أنه بني عام ٧٦٢م ويعتبر من ابرز المعالم الإسلامية في الصين



إحدى بوابات الجامع الكبير في شي آن



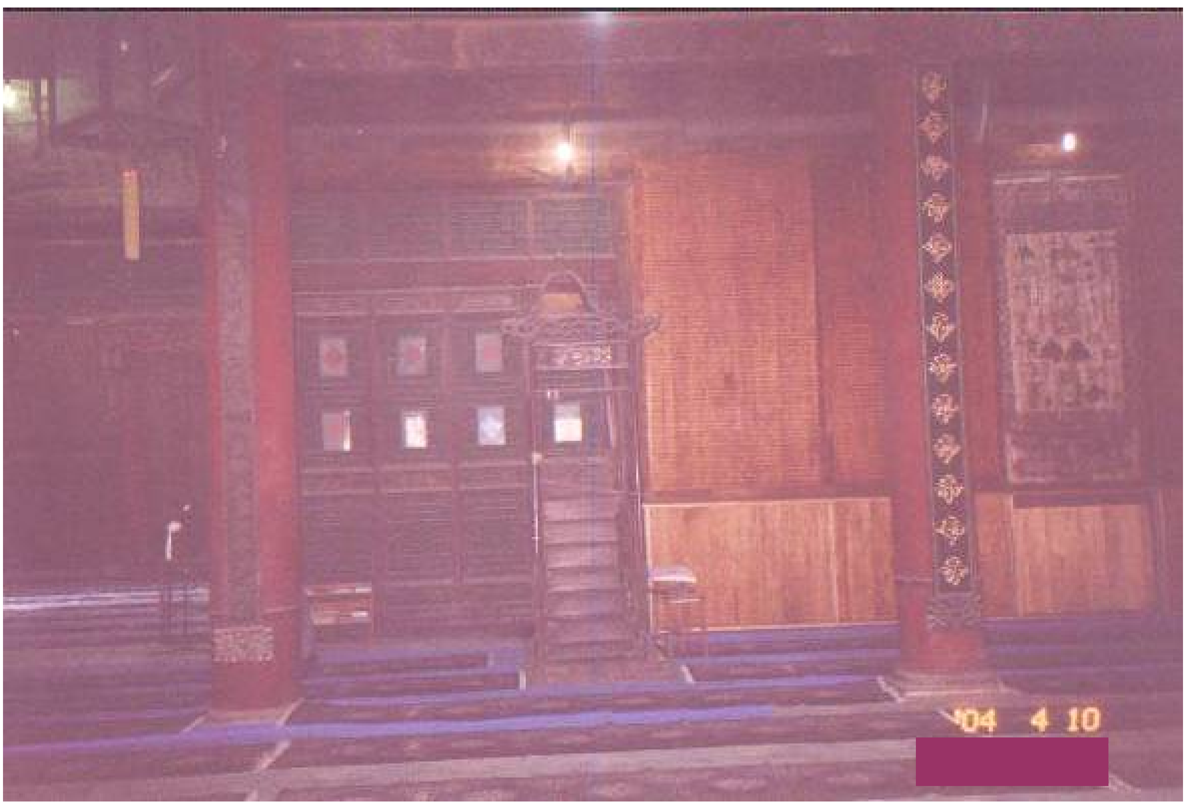
البوابات القديمة في فناء الجامع الكبير في شي آن



محراب الجامع الكبير في شي آن



الجامع الكبير في شي آن من الداخل



الجامع الكبير في شي آن في الداخل



قاعة الهدايا الثمينة المقدمة للجامع الكبير في شي آن



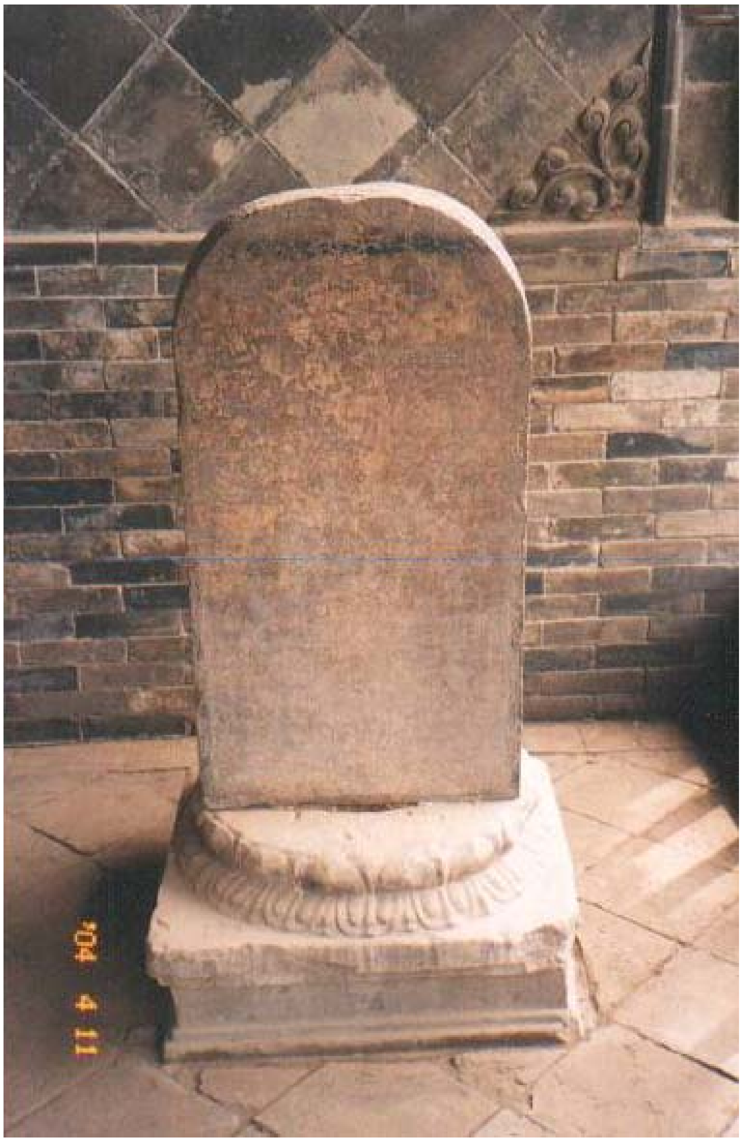
آية من القرآن الكريم وأشكال جمالية نقشت على إحدى بوابات الجامع الكبير في شي آن



البئر القديم في فناء الجامع الكبير في شي آن



ألواح من الرخام مثبتة على تمثال الحيوان الخيالي (البيشي) قدمها أحد الإمبراطورات في الصين
إهداء منه للجامع الكبير في شي آن جرياً على عادتهم في تقديمها للمعابد في الصين .



أثار المسلمين بارزة في الجامع الكبير في شي آن حيث كثير من الأعمدة الرخامية التي تثبت عليها الآيات القرآنية وكثير من العبارات باللغة العربية (هذه إحداها)



آيات من القرآن الكريم على جدران الجامع الكبير في مدينة شي آن (الجمعة ١٤٢٥/٢/١٩هـ)



آيات من القرآن الكريم تمت كتابتها بالحفر على الخشب على جدران الجامع الكبير في مدينة (شي آن) ويلاحظ في الأسفل الترجمة باللغة الصينية (الجمعة ١٤٢٥/٢/١٩هـ)



مراسم تشييع جنازة أحد المسلمين في الجامع الكبير في شي آن ويلاحظ تأثر المسلمين بالكونفوشيوسية حيث يلبس أقارب الميت الملابس البيضاء



قراءة القرآن على روح الميت وقد لاحظت وجود عدد من البدع في تشييع الجنازة (شي آن)



الباحث مع عدد من أبناء المسلمين الذين جاءوا من أنحاء متفرقة من الصين إلى المدرسة الإسلامية لتحفيظ القرآن الكريم ليتعلموا القرآن (الذين في المقدمة من الحفاظ) (شي آن)



معهد الدراسات الإسلامية في مدينة لينشيا (يسمونها مكة الصغرى)



الباحث في لقاء مع الشيخ بهاء الدين وهو من اعلام المسلمين في الصين في الوقت الحاضر وشيخ المعهد الإسلامي في لينشا



الباحث مع شيخ وأساتذة معهد الدراسات الإسلامية في لينشيا



الباحث في محاضرة لطلاب معهد الدراسات الإسلامية في لنشيا



الباحث يتوسط معلمي وطلاب معهد الدراسات الإسلامية في لنشيا



إحدى القاعات الدراسية في معهد الدراسات الإسلامية في لنشيا



الجامع الكبير في مدينة لنشيا



الجامع الكبير في مدينة لنشيا من الداخل



المعهد الإسلامي المجاور للجامع الكبير في لنشيا



الباحث يتوسط بعض معلمي وطلاب المعهد الإسلامي بجوار الجامع الكبير في لنشيا



أحد المساجد في وسط مدينة لنشيا ذات الأغلبية المسلمة في الصين



مدينة لنشيا في الصين من الأعلى ويظهر المسجد احد المعالم البارزة فيها ويسمون هذه المدينة في الصين (مكة الصغرى) لكثرة المسلمين فيها .



أحد المساجد في تيانجين



الجامع الكبير وسط لانجو



الباحث مع سفير خادم الحرمين الشريفين في بكين د / محمد بن عبد الرحمن البشر



الباحث في لقاء مع الشيخ محمود يوسف (لي هوا ين) أحد العلماء المسلمين البارزين في الصين وله عدد من الكتب باللغة العربية والصينية له جهود كبيرة في مجال الترجمة وعضو عدد كبير من



الباحث مع الشيخ سليمان (دوان جي فوي) إمام مسجد (تشي خا - النهر الصافي) في بكين



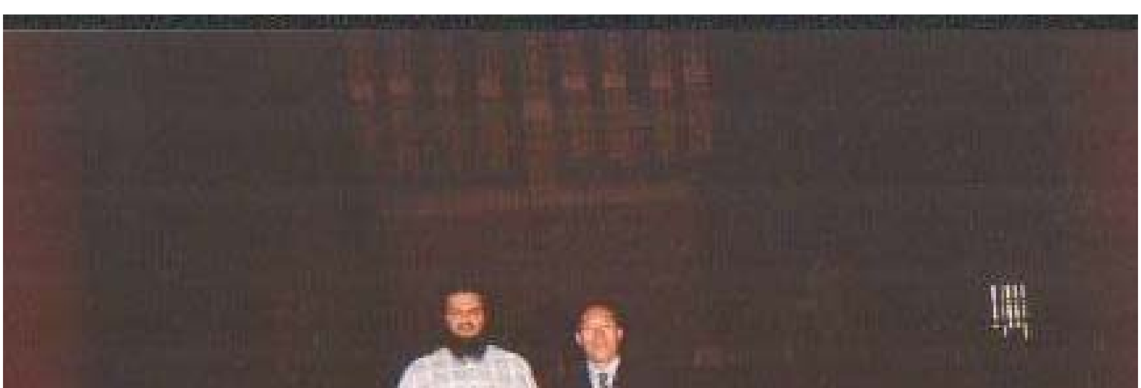
لقاء مع عدد من المسلمين في مدينة تشي فو مسقط رأس كونفوشيوس



الباحث مع البروفسور ليو جنغ (متخصص في الفلسفة الصينية القديمة) في مكتبه بجامعة الشعب في بكين



الباحث مع الدكتور / يانغ لي وانغ (عضو هيئة التدريس في كلية الفلسفة والأديان) جامعة بكين (متخصص في الفلسفة الصينية القديمة)



الباحث مع أحد أبرز الشخصيات الكونفوشيوسية في معبد كونفوشيوس في بكين

فهرس الآيات

رقم الصفحة	السورة	الآية
٤	آل عمران : آيـة رقـم / ١٠٢	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾
٤	النساء : آية رقم / ١	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ...﴾
٤	الأحزاب :الآيتان رقـم / ٧٠ ، ٧١	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾
٢٦٨	الإسراء آية رقم ٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾
٣٥٠	الماعون : الآيات رقم / ١-٧	﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ...﴾
٣٥١	المؤمنون : الآيتان رقم / ١١٥ ، ١١٦	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ...﴾
٣٥١	الجاثية : آية رقم / ٢٤	﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ ...﴾
٣٥١	الـنجم: الآيـات رقـم / ٢٨-٣٠	﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ...﴾
٣٥٣	الأنبياء: الآية رقم/ ٢٣	﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾
٣٥٣	الرعد : آية رقم / ٨	﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ..﴾
٣٥٣	الحجر : آية رقم/ ٢١	﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾
٣٥٣	القمر : آية رقم / ٤٩	﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ﴾
٣٥٤	الحديد: الآيتـان رقـم / ٢٢ ، ٢٣	﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ...﴾
٣٥٥	النساء : آية رقم / ١٣٦	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ...﴾
٣٥٥	مريم : آية رقم / ٦٤	﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ...﴾
٣٥٦	الأنبياء : آية رقم /٢٢	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا

يَصِفُونَ ﴾		
﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ... ﴾	الجن : الآيات رقم / ١٣-١٥	٣٥٧
﴿ وما خلقْت الْجِن والْإِنس إلا ليعبدون ﴾	الذريات : آية رقم / ٥٦	٣٥٨
﴿ سبحانَ الذي أسرى بِعبده لَيلاً من الْمسجِد الْحرامِ ... ﴾	الإسراء : آية رقم / ١	٣٥٨
﴿ وإِذْ أَخذَ ربك من بنِي آدم من ظُهورِهم ذُريتهم وأَشهدهم ... ﴾	الأعراف : آية رقم / ١٧٢	٣٥٩
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ ... ﴾	فصلت : آية رقم / ٣٧	٣٦٠
(رب قَد آتيتنِي من الْملْك وعلمتنِي من تأْوِيلِ الْأَحاديث ...)	يوسف : آية رقم / ١٠١	٣٦١
(فَتبسم ضاحكاً من قَولها وقَالَ رب أَوزِعنِي أَنْ أَشكُر نِعمتك التي أَنعمت علَي وعلَى ...)	النمل آية رقم : ١٩	٣٦١
(يا أَيها الناس أَنتم الْفُقَراءُ إِلَى الله والله هو الْغنِي ...)	فاطر: الآيات رقم / ١٥-١٧	٣٦٢
(يا أَيها الناس إِنا خلَقْناكُم من ذَكَرٍ ...)	الحجرات : آية رقم / ١٣	٣٦٢
(يا أَيها الذين آمنوا اركَعوا واسجدوا واعبدوا...)	الحج : آية رقم / ٧٧	٣٦٣
(لَقَد كَانَ في قَصصهم عبرةٌ لِّأُولي الْأَلْبابِ ...)	يوسف : الآية رقم / ١١١	٣٦٥
(الْيوم أَكْملْت لَكُم دينكُم وأَتممت علَيكُم ...)	المائدة : الآية رقم / ٣	٣٦٥
(فَأَقم وجهك للدينِ حنيفاً فطْرت الله التي فَطَر الناس..)	الروم : الآية رقم / ٣٠	٣٦٦
(وإِذْ أَخذَ ربك من بنِي آدم من ظُهورِهم ذُريتهم ..)	الأعراف : الآية ر قم / ١٧٢	٣٦٦
(وإِنك لَعلَى خلُقٍ عظيمٍ)	القلم : الآية رقم / ٤	٣٦٧
(أَفَغير دينِ الله يبغونَ ولَه أَسلَم من في السماوات ..)	آل عمران : الآية رقم / ٨٣	٣٧٢

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده..)	النساء : الآية رقم ١٦٣	٣٧٤
(وللآخرةُ خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى)	الضحى: الآيات رقـم/ ٤- ٥	٣٧٦
(يا قوم إنما هذه الحياةُ الدنيا متاع وإن الآخرةَ هي دار القرار)	غافر : الآية رقم / ٣٩	٣٧٦
(ومنهم من يقولُ ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة ...)	البقرة : الآية رقم ٢٠١	٣٧٧
(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرة طيبة أصلُها ثابت وفرعها في السماءِ * ...)	إبراهيم : الآيـات رقـم/ ٢٤-٢٧	٣٧٨
(وعلم آدم الأسماءَ كُلها ثُم عرضهم ...)	البقرة: الآية رقم/ ٣١	٣٨٠
(ولا تقْف ما ليس لك به علْم إن السمع والْبصر ...)	الاسراء الآية رقم/٣٦	٣٨٠
(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الْخبير...)	الملك : آية رقم/ ١٤	٣٨٠
(إنا خلقْنا الإنسانَ من نطْفَة أمشاجٍ نبتليه ....)	الانسان: الآيات رقم/ ٢-٣	٣٨١
(ونفْسٍ وما سواها * فألْهمها فُجورها وتقْواها * قد أفْلح من زكاها*...)	الشمس : الآيات رقـم / ٧-١٠	٣٨٢
(إن الإنسانَ لربه لكنود * وإنه على ذَلك لشهيد * وإنه لحب الْخيرِ لشديد)	العاديات: الآيـات رقـم ٦-٨	٣٨٢
﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الْخبير﴾	الملك : آية رقم ١٤	٣٨٢
(فأما من طغى * وآثر الْحياةَ الدنيا *......)	النازعات: الآيـات رقـم/ ٣٧-٤١	٣٨٢
(إن سعيكُم لشتى * فأما من أعطـى واتقـى * وصـدق بِالْحـسنى * فَسنيسره للْيسرى *....)	الليل : الآيات رقم / ٤-١٠	٣٨٢
(من كَانَ يرِيد حرثَ الآخرة نزد له في حرثه ومن كَانَ يرِيد حـرثَ الـدنيا ...)	الشورى : آية رقم/ ٢٠	٣٨٦
(يا بنِي آدم خذُوا زينتكُم عند كُل مسجِد وكُلُوا واشربوا ...)	الأعراف: آية رقم/ ٣١	٣٨٦
(قَدْ أَفْلَح من زكاها * وقد خاب من دساها ..)	الشمس: آية رقم/ ٩-١٠	٣٨٧
(كَما أَرسلْنا فيكُم رسولاً منكُم يتلُو علَيكُم آياتنا ويزكيكُم ويعلمكُم الْكتاب والْحكْمةَ ...)	البقرة : آية رقم/ ١٥١	٣٨٧
(إن الله لا يغير ما بِقَومٍ حتى يغيروا ما بِأَنفُسِهِم وإِذَا أَراد الله ...)	الرعد: آية رقم/ ١١	٣٨٧

(يا أيها الناس إنا خلَقْناكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْناكُم شعوباً ...)	الحجرات: أية رقم/ ١٣	٣٩١
(إنما نطْعمكُم لوجه الله لا نريد منكُم جزاءً ولا شكُوراً * ...)	الإنسان : الآيـات رقـم / ٩-١٠	٣٩١
(والله جعلَ لَكُم من أَنفُسِكُم أَزواجاً وجعـلَ لَكُـم مـن أَزواجِكُـم بنِـين وحفَدةً ...)	النحل: آية رقم/ ٧٢	٣٩٣
(ووصينا الْإنسانَ بِوالديه حملَته أُمـه وهنـاً علَـى وهـنٍ وفـصالُه فـي عامينِ ...)	لقمان : آية رقم/ ١٤	٣٩٣
(وقَضى ربك أَلَّا تعبدوا إِلَّا إِياه وبِالْوالدينِ إِحساناً إِما يبلُغن عندك الْكبر...)	الإسراء: آية رقم / ٢٣	٣٩٣
يا أَيها الذين آمنوا كُونوا قَوامين بِالْقسط شهداءَ ...)	النساء : آية رقم/ ١٣٥	٣٩٤
(وأَنذر عشيرتك الْأَقْربِين)	الشعراء: آية رقم/٢١٤	٣٩٥
(يا أَيها الذين آمنوا أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسولَ وأُولي الْأَمرِ منكُم ...)	النساء: آية رقم / ٥٩	٣٩٨
(أَتأْمرونَ الناس بِالْبِر وتنسونَ أَنفُسكُم وأَنتم تتلُونَ الْكتاب أَفَلا تعقلُونَ.....)	الصف : آية رقم/ ٢-٣	٤٠٢
(لَقَد كَانَ لَكُم في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ لمن كَانَ يرجو الله ...)	الأحزاب: آية رقم/ ٢١	٤٠٣
(قَد كَانت لَكُم أُسوةٌ حسنةٌ في إِبراهيم والذين معه)	الممتحنة: آية رقم/٤	٤٠٣
(أُولَئك الذين هدى الله فَبِهداهم اقْتده قُلْ لا أَسأَلُكُم ...)	الأنعام : آية رقم/ ٩٠	٤٠٤
(لَقَد كَانَ في قَصصهم عبرةٌ لأُولي الْأَلْبابِ ما كَانَ حديثاً يفْتـرى ولَكـن تصديق ...)	يوسف : آية رقم/ ١١١	٤٠٥
(فَبِما رحمة من الله لنت لَهم ولَو كُنت فَظّاً غَليظَ ...)	آل عمران: آية رقم/١٥٩	٤٠٧
(هو الذي بعثَ في الْأُميين رسولاً منهم يتلُو علَيهم آياته ...)	الجمعة: آية رقم/٢	٤٠٧
(وإِذْ أَخذَ الله ميثَاق النبِيين لَما آتيتكُم من كتابٍ وحكْمة ثُم جاءَكُم رسولٌ مصدق لما معكُم لَتؤمنن ...)	الأحزاب: الآية رقم/ ٤٠	٤٠٩
(وإِذْ أَخذَ الله ميثَاق النبِيين لَما آتيتكُم من كتـابٍ وحكْمـة ثُـم جـاءَكُم رسولٌ...)	آل عمران : الآية رقم ٨١	٤٠٩
(وأَنزلْنا إِلَيك الْكتاب بِالْحق مصدقاً لما بين يديه من الْكتابِ ...)	المائدة: الآية رقم/٤٨	٤٠٩
(ونزلْنا علَيك الْكتاب تبياناً لكُلِّ شيءٍ وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين...)	النحل : الآية رقم/٨٩	٤٠٩
(إِن هذَا الْقُرآنَ يهدي للتي هي أَقْوم ويبشر الْمؤمنِين الذين ...)	الاسراء: الآية رقم/٩	٤٠٩
(وما أَرسلْناك إِلَّا رحمةً للْعالَمين)	الأنبياء: الآية رقم/١٠٧	٤١٠
(وما أَرسلْناك إِلَّا كَافَةً للناسِ بشيراً ونذيراً ...)	سبأ : الآية رقم/٢٨	٤١٠
(إِن الدين عند الله الْإِسلام وما اختلَف الذين أُوتوا الْكتاب ...)	آل عمـران: الآيـةرقم /	٤١٠

	١٩	

فهرس الأحاديث

فهرس المحتويات